

هذه فهرسة ما في النصف الاول من كتاب المستطرف في كل فن مستطرف من الابواب
والفصول المترق جميعها في ديباجة الكتاب وهي أربعة وثمانون بابا منها في هذا النصف
اثنان وأربعون كما هو موضوع هذه الفهرسة المجهزة للاستدلال على أى باب من الابواب
أو فصل من الفصول في أى صحيفة من صحائف هذا النصف

صفحة	
٦	الباب الاول في مباني الاسلام وفيه خمسة فصول
٦	الفصل الاول في الاخلاص لله تعالى والثناء عليه
٧	الفصل الثاني في الصلاة وفضلها
١٠	الفصل الثالث في الزكاة وفضلها
١٣	الفصل الرابع في الصوم وفضلها الخ
١٤	الفصل الخامس في الحج وفصله
١٥	الباب الثاني في العقل والذكاء والحق وذمه وغير ذلك
٢٠	الباب الثالث في القرآن وفضلها الخ
٢٣	الباب الرابع في العلم والادب وفضل العالم والمتعلم
٢٩	الباب الخامس في الآداب والحكم وما اشبه ذلك
٣٣	الباب السادس في الامثال السائرة وفيه فصول
٣٣	الفصل الاول فيما جاء من ذلك في القرآن العظيم واحاديث النبي الكريم
٣٤	الفصل الثاني في امثال العرب
٣٥	الفصل الثالث في امثال العامة والمولدين
٣٦	الفصل الرابع في الامثال من الشعر المنظوم الخ
٤٢	الفصل الخامس في الامثال السائرة بين الرجال والنساء الخ
٥٠	الباب السابع في البيان والبلاغة والفصاحة الخ وفيه فصول
٥٠	الفصل الاول في البيان والبلاغة
٥١	الفصل الثاني في الفصاحة
٥٨	الفصل الثالث في ذكر الفصحاء من الرجال
٦٧	ذكر فصحاء النساء وحكاياتهن
٧١	الباب الثامن في الاجوبة المسكتة والمستحسنة الخ
٧٤	الباب التاسع في ذكر الخطب والخطباء الخ
٧٥	فصل في ذكر الشعراء والشعراء وسرفاتهم
٨٠	الباب العاشر في التوكل على الله تعالى الخ وفيه فصول
٨٠	الفصل الاول في التوكل على الله تعالى
٨٤	الفصل الثاني في القناعة والرضا بما قسم الله تعالى
٨٨	الفصل الثالث في ذم الحرص والطمع وطول الامل
٩٠	الباب الحادي عشر في المشورة والنصيحة والتخارب والنظر في العواقب
٩٥	الباب الثاني عشر في الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما اشبه ذلك
١٠٠	الباب الثالث عشر في الصمت وصون اللسان الخ وفيه فصول

الفصل الاول في الصمت وصون اللسان	١٠٠
الفصل الثاني في تحريم الغيبة	١٠٢
الفصل الثالث في تحريم السعاية بالنعمة	١٠٣
الباب الرابع عشر في الملك والسلطان الخ	١٠٧
الباب الخامس عشر فيما يجب على من يحب السلطان والتحذير من محبته	١٠٩
الباب السادس عشر في ذكر الوزراء وصفاتهم واحوالهم وما أشبه ذلك	١١١
الباب السابع عشر في ذكر الحجاب والولاية وما فيها من الغرر والخطر	١١٣
الباب الثامن عشر فيما جاء في القضاء الخ وفيه فصول	١١٨
الفصل الاول فيما جاء في القضاء وذكر القضاة واحوالهم وما يجب عليهم	١١٨
الفصل الثاني في الرشوة والهبة على الحكم وما جاء في الديون	١٢٠
الفصل الثالث في ذكر القصاص والمتصوفة وما جاء في الرياء ونحو ذلك	١٢٢
الباب التاسع عشر في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك	١٢٣
الباب العشرون في الظلم وشؤمه وسوء عواقبه الخ	١٢٦
الباب الحادي والعشرون في بيان الشروط التي تؤخذ على العمال الخ وفيه فصلان	١٣١
الفصل الاول في سيرة السلطان في استجابة الخراج الخ	١٣١
الفصل الثاني في احكام أهل الذمة	١٣٤
الباب الثاني والعشرون في اصطناع المعروف واغاثة الملهوف الخ	١٣٦
الباب الثالث والعشرون في محاسن الاخلاق ومساوئها	١٣٩
الباب الرابع والعشرون في حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزبارة وما أشبه ذلك	١٤٣
الباب الخامس والعشرون في الشفقة على خلق الله تعالى الخ وفيه فصلان	١٥١
الفصل الاول في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم	١٥١
الفصل الثاني في الشفاعة واصلاح ذات البين	١٥٢
الباب السادس والعشرون في الحياء والتواضع الخ وفيه فصلان	١٥٣
الفصل الاول في الحياء	١٥٤
الفصل الثاني في التواضع ولين الجانب وخفض الجناح	١٥٤
الباب السابع والعشرون في العجب والكبر والخيلاء وما أشبه ذلك	١٥٥
الباب الثامن والعشرون في الفخر والمفاخرة والتفاصل والتفاوت	١٥٦
الباب التاسع والعشرون في الشرف والسودد وعلو الهمة	١٦٢
الباب الثلاثون في الخير والصلاح الخ	١٦٤
الباب الحادي والثلاثون في مناقب الصالحين وكرامات اولياءه رضي الله عنهم	١٧٥
الباب الثاني والثلاثون في ذكر الاشرار والفجاء الخ	١٨٥

الباب الثالث والثلاثون في الجود والسخاء والكرم الخ	١٨٧
الباب الرابع والثلاثون في الجذل والشح وذكر الجلاء الخ	٢٠٤
الباب الخامس والثلاثون في الطعام وأدابه والضيافة الخ	٢١٠
الباب السادس والثلاثون في العفو والحلم والصفيح الخ	٢٢٢
الباب السابع والثلاثون في الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذمم	٢٣٤
الباب الثامن والثلاثون في كتمان السر وتحصينه وذم افشائه	٢٤٤
الباب التاسع والثلاثون في الغدر والخيانة الخ وفيه فصول	٢٤٦
الفصل الأول في الغدر والخيانة	٢٤٦
الفصل الثاني في السرقة والسرقة	٢٤٩
الفصل الثالث فيما جاء في العداوة والبغضاء	٢٥٠
الفصل الرابع في الحسد	٢٥٢
الباب الأربعون في الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها الخ وفيه فصلان	٢٥٤
الفصل الأول في فضل الجهاد في سبيل الله وشدة البأس	٢٥٤
الفصل الثاني في الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها	٢٥٥
الباب الحادي والأربعون في ذكر أسماء الشجعان وذكر الأبطال وطبقاتهم الخ	٢٦٠
الباب الثاني والأربعون في المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول	٢٧٠
الفصل الأول في المدح والثناء	٢٧٠
الفصل الثاني في شكر النعمة	٢٧٨
الفصل الثالث في المكافأة	٢٨١

الحامد لله
في ملك السيلام بن محمد بن محمد

الجزء الاقل من كتاب المستطرف في كل
فن مستطرف تاليف الامام
الاحمد العالم العلامة اللوزي
الفهامة الشيخ شهاب الدين
أحمد الابشيقي تغمد
الله بالرحمة
والرضوان

مطالعه فيه كل ما يقصد ويريد وجعت فيه لطائف وطرائف عديدة من منتخبات الكتب
النفسية المفيدة وأودعته من الاحاديث النبوية والامثال الشعرية والالفاظ اللغوية
والحكايات الجدية والنوادر ~~الطريفة~~ ومن الغرائب والدقائق والاشعار والرفائق ما تشفى
بذكره الاسماع وتقرر رؤيته العيون وينشرح بطلعه كل قلب محزون (شعر)
من كل معنى يكاد المبت يفهمه * حسناو يعشقه القرطاس والظم
وجعلته يشتمل على أربعة وعشرين بابا من أحسن الفنون متوجه بالفاظ كأنهم الدرة المكنون
كما قال بعضهم شعرا في المعنى

ففي كل باب منه در مؤلف * كنظم عقود فينتها الجواهر
فان نظم العقد الذي فيه جوهر * على غير تاليف فما الدر تافر

وضمنته كل لطيفة وقلمته بكل طريقة وقرنت الاصول فيه بالفصول وربحت أن
يتيسر لي ما رمته من الوصول وجعلت أبوابه مقدمة وفصلتها في مواضعها مرتبة منظمة
ليقصد الطالب الى كل باب منها عند الاحتياج اليه ويعرف مكانه بالاستدلال عليه
فيجد كل معنى في باب ان شاء الله تعالى والله المسؤول في تيسير المطلوب وان يلهم
الناظر فيه سائر ما يراه من خلل وعيوب انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهذه
فهرسة الكتاب والله المهيون للصعاب (الباب الاول) في مباني الاسلام وفيه
خمس فصول (الباب الثاني) في العقل والذكاء والحق والذم وغير ذلك (الباب
الثالث) في القرآن العظيم وفضله وحرمة وما عدا الله تعالى لقارنه من الثواب
العظيم والاجر الجسيم (الباب الرابع) في العلم والادب وفضل العالم والمتعلم (الباب الخامس)
في الاداب والحكم وما أشبه ذلك (الباب السادس) في الامثال السائرة وفيه فصول
(الباب السابع) في البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه
فصول (الباب الثامن) في الاجوبة المسكنة والمستحسنة ورشقات اللسان وما جرى
مجرى ذلك (الباب التاسع) في ذكر الخطب والخطباء والشعراء ورسقاتهم وكبوات الجياد
وهفوات الامجاد (الباب العاشر) في التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة
وذم الحرص والطمع وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادي عشر) في المشورة
والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب (الباب الثاني عشر) في الوصايا الحسنة
والمواظبة المستحسنة وما أشبه ذلك (الباب الثالث عشر) في الصمت وصون اللسان
والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول (الباب الرابع
عشر) في الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الاسلام وما يجب للسلطان على الرعية وما يجب
لهم عليه (الباب الخامس عشر) فيما يجب على من يحب السلطان والتحذير من محبته
(الباب السادس عشر) في الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك (الباب السابع عشر)
في ذكر الحجاب والولاية وما فيها من الغرر والخطر (الباب الثامن عشر) فيما جاء في
القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهسدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص
والمصوفة وفيه فصول (الباب التاسع عشر) في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك

(الباب العشرون) في الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك (الباب الحادى والعشرون) في بيان الشروط التي تؤخذ على العمال وسيرة السلطان في استحباب الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان (الباب الثانى والعشرون) في اصطناع المعروف وإغاثة الملهوف وقضاء الخوائج للمسلمين وادخال السرور عليهم (الباب الثالث والعشرون) في محاسن الاخلاق ومساوئها (الباب الرابع والعشرون) في حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزبارة وما اشبه ذلك (الباب الخامس والعشرون) في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان (الباب السادس والعشرون) في الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه فصلان (الباب السابع والعشرون) في العجب والكبر والخيلاء وما اشبه ذلك (الباب الثامن والعشرون) في الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت (الباب التاسع والعشرون) في الشرف والسودد وعلو الهمة (الباب الثلاثون) في الخير والصلاح وذكر السادة الصالحة وذكر الاولياء والصالحين رضى الله عنهم أجمعين (الباب الحادى والثلاثون) في مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضى الله عنهم (الباب الثانى والثلاثون) في ذكر الاشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوفاحة والسفاهة (الباب الثالث والثلاثون) في الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الامجاد واحاديث الاجواد (الباب الرابع والثلاثون) في البخل والشح وذكر البخله وأخبارهم وما جاء عنهم (الباب الخامس والثلاثون) في الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والمضيف وأخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك (الباب السادس والثلاثون) في العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المذرة والعتاب وما اشبه ذلك (الباب السابع والثلاثون) في الوفاء بالوعد وحسن العهد ورعاية الذمم (الباب الثامن والثلاثون) في كتمان السر وتخصينه وذم افشائه (الباب التاسع والثلاثون) في القدر والحيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول (الباب الاربعون) في الشجاعة وغرورها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتعريض على القتال وفيه فصول (الباب الحادى والاربعون) في ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن (الباب الثانى والاربعون) في المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول (الباب الثالث والاربعون) في الهجاء ومقدماته (الباب الرابع والاربعون) في الصدق والكذب وفيه فصلان (الباب الخامس والاربعون) في بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقربان وذكر الانساب وفيه فصول (الباب السادس والاربعون) في الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبح والطول والقصر والالوان واللباس وما اشبه ذلك (الباب السابع والاربعون) في ذكر الحلى والمصوغ والطيب والتطيب وما جاء في التختيم (الباب الثامن والاربعون) في الشباب والشيب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما اشبه ذلك وفيه فصول (الباب التاسع والاربعون) في الاسماء والكنى والالقاب وما استحسن

منها (الباب الخمسون) في الاسفار والاعتراب وما قبل في الوداع والقراق والحث على ترك الإقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين الى الاوطان (الباب الحادى والخمسون) في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه (الباب الثانى والخمسون) في ذكر الفقر ومدحه (الباب الثالث والخمسون) في ذكر التلطف في السؤال وذكر من سئل فجاءه (الباب الرابع والخمسون) في ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك (الباب الخامس والخمسون) في العمل والكسب والصناعات والحرف والعجز والتوانى وما أشبه ذلك (الباب السادس والخمسون) في شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكروه والتسلى عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول (الباب السابع والخمسون) فيما جاء في اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والسرور بعد الحزن ونحو ذلك (الباب الثامن والخمسون) في ذكر العبيد والامام والخدم وفيه فصلان (الباب التاسع والخمسون) في أخبار العرب وذكر غرائب من عواندهم وعجائب أمرهم (الباب الستون) في الكهانة والقباقفة والزجر والعرافة والقائل والطيرة والقراسة والنوم والرؤيا (الباب الحادى والستون) في الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد والتيقظ والتبصر ونحو ذلك (الباب الثانى والستون) في ذكر الدواب والوحوش والطيير والهوام والخشرات مرتبة على حروف المعجم (الباب الثالث والستون) في ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم (الباب الرابع والستون) في خلق الجن وصفاتهم (الباب الخامس والستون) في ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والابار وفيه فصول (الباب السادس والستون) في ذكر عجائب الارض وما فيها من الجبال والبلدان وغرائب البقاع وفيه فصول (الباب السابع والستون) في ذكر المعادن والاحجار وخواصها (الباب الثامن والستون) في الاصوات والالحن وذكر الغناء واختلاف الناس ومن كرهه واستحسنه (الباب التاسع والستون) في ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم ونوادير الجلساء في مجالس الخلفاء (الباب السبعون) في ذكر القينات والاعاني (الباب الحادى والسبعون) في ذكر العشق ومن يلى به والافتخار به والعفاف وأخبار من مات بالعشق وما فى معنى ذلك وفيه فصول (الباب الثانى والسبعون) في ذكر رقائق الشعر والموايا والدوييت وكان وكان والموشحات والزجل والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وفيه فصول (الباب الثالث والسبعون) في ذكر النساء وصفاتهم ونكاحهن وطلاقهن وما يدح وما يذم من عشرتهن وفيه فصول (الباب الرابع والسبعون) في ذم الخمر وتجريمها والنهي عنها (الباب الخامس والسبعون) في المزاح والنهي عنه وما جاء في الترخيص فيه والبسط والتشم وفيه فصول (الباب السادس والسبعون) في النوادر والحكايات وفيه فصول (الباب السابع والسبعون) في الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول (الباب الثامن والسبعون) في القضاء والقدر وأحكامهما والتوصل كل على الله (الباب التاسع والسبعون) في التوبة وشروطها والتندم والاستغفار (الباب الثمانون) في ذكر الامراض والعلل والطب والدواء من السنة والعبادة ونوائبها وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادى والثمانون) في ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله

(الباب الثاني والثمانون) في الصبر والتأسي والتعازي والمراثي ونحو ذلك وفيه فصول
(الباب الثالث والثمانون) في ذكر الدنيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها ونحو ذلك (الباب
الرابع والثمانون) في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخر الأبواب ختمها بالصلاة
على سيد العباد أرجو بذلك شفاعته يوم المعاد

(الباب الأول في مباني الاسلام وفيه خمسة فصول)

(الفصل الأول) في الاخلاص لله تعالى والثناء عليه وهو أن تعلم أن الله تعالى واحد
لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا ند له ازل قائم ابدى دائم لا أول لوجوده ولا آخر
لابدته قيوم لا يقنيه الابد ولا يغيره الامد بل هو الأول والاخر والظاهر والباطن
منزه عن الجسمية ليس كمثله شيء وهو فوق كل شيء فوقيته لا تزيد بعدا عن عباده وهو أقرب
الى العبيد من جبل الوريد وهو على كل شيء شهيد وهو معكم اينما كنتم لا يشابهه قرب
قرب الاجسام كما لا يشابه ذاته ذوات الاجرام منزه عن أن يحده زمان مقدس عن أن يحيط
بهم مكان تراه بأبصار الابرار في دار القرار على ما دلت عليه الآيات والاخبار حتى قادر
جبار قاهر لا يعتر به عجز ولا قصور ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت
خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا تحصى مقدوراته ولا تنهاه معلوماته
عالم بجميع المعلومات لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات يعلم السر
وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر مريد للكائنات مدبر للحوادث
لا يجري في ملكه قليل ولا كثير جليل ولا حقير خبير وأشر نفع وأضر ابقضائه وقدره
وحكمه ومشيئته فإشاء كان وما لم يشأ لم يكن فهو المبدئ المعيد الفاعل لما يريد لا معقب
لحكمه ولا راد لقضائه ولا مهرب لعبده عن معصيته الا بتوقيفه ورجته ولا قوة له على
طاعته الا بمعجته وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا
في العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته لم يحزوا جميع بصيرتكم بكلام لا يشبه كلام خلقه
وكل ما سواه سبحانه وتعالى فهو حادث أوجده بقدرته وبما من حركة وسكون الاوله
في ذلك حكمة دالة على وحدانيته قال الله تعالى ان في خلق السموات والارض الاية وقال
ابو العتاهية

فيا عجبا كيف يعصى الله أم كيف يجعله الجاحد
وفي كل شيء له آية * تدل على انه الواحد
ولله في كل تحريكه * وتسكينه في الورد شاهد

وقال غيره

كل ما نرتقي اليه بوهم * من جلال وقدره وسناء
فالذي أبدع البرية أعلى * منه سبحانه مبدع الاشياء

وقال علي رضي الله عنه في بعض وصاياه لولده اعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لآتتك
رسله ولرايت آثاره لذكرك واساطانه واعرفت أفعاله وصفاته ولكنه اله واحد لا يضاد في ملكه
أحد وعنه عليه الصلاة والسلام كل ما يتصور في الازهان فآله سبحانه بخلافه وقال لبيد

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
وكل ابن اتي لوطا ولعمره * الى الغاية القصوى فلقبر آيل
وكل أناس سوف تدخل بينهم * ذويهم تصفر منها الانامل
وكل امرئ يوماس عرف سعيه * اذا حصلت عند الله الحاصل

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان اشعر كمة قالتم يا العرب * ألا كل شيء
ما خلا الله باطل ثم بعد هذا الاعتقاد الاقرار بالشهادة بأن محمد رسول الله بعثه برسالاته
الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشريعتيه الشرائع وجعله سيد البشر
والشفيع المشفع في المحشر وجب على الخلق تصديقه فيما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة
فلا يصح ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت من سؤال منكرونيكروهما ملكان
من ملائكة الله تعالى يسألان العبد في قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان له من
ربك وما دينك ومن نبيك ويؤمن بعد ذاب القبر وأنه حق وأن الميزان حق والصراط حق
والحساب حق وأن الجنة حق والنار حق وأن الله تعالى يدخل الجنة من يشاء بغير حساب
وهم المقربون وأنه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم من في
قلبه مثقال ذرة من الايمان ويؤمن بشفاععة الانبياء ثم بشفاععة العلماء ثم بشفاععة الشهداء
وأن يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم ويحسن الظن بجميعهم على ما وردت به الاخبار
وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا به موثقاً فهو من أهل الحق والسنة مفارق
لعصاة الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا
للدوام الى الممان على التمسك والاعتصام بحبلها انه سمع بحبيب فهذه العقيدة قد اشتملت على
احد أركان الاسلام الخمسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسلام على خمس شهادة أن
لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله واقام الصلاة وآتاه الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من
استطاع اليه سبيلا

(الفصل الثاني) في الصلاة وفضلها قال الله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى
وقوموا لله قانتين وقال تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى ان الصلاة
كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً واختلقوا في اشتقاق اسم الصلاة هم ووقفيل هو من الدعاء
وتسمية الصلاة دعاء معروف في كلام العرب فسميت الصلاة صلاة لما فيها من الدعاء وقيل
سميت بذلك من الرحمة قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فهي من الله
رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الناس دعاء قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل
أبي أوفى أي ارحمهم وقيل سميت بذلك من الاستقامة من قولهم صليت العود على النار
اذا قومته والصلوة تقيم العبد على طاعة الله وخدمته وتنهاء عن خلافه قال الله تعالى
ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل لانها صلة بين العبد وربّه وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال علم الايمان الصلاة فمن قرع لها قلبه وحافظ عليها بجدودها
فهو مؤمن وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال وهو على المنبر ان الرجل ليسيب

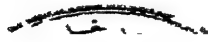
عارضا في الاسلام وما أكمل الله تعالى صلاة قبل وكيف ذلك قال لا يتم ركوعها وسجودها وخشوعها ونواضعه واقباله على الله فيها وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وقبل الحسن ما بال المتهمدين من أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرجن فالبسهم نورامن نوره وقال بعضهم لا تنفوت احدا صلاة في جماعة الا يذنب وكانت رابعة العدوية تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وتقول والله ما أريد بها ثوابا ولكن ليسر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول للانبياء عليهم الصلاة والسلام انظروا الى امرأة من امتي هذا عملها في اليوم والليلة وقال بعضهم صليت خلف ذي النون المصري فلما اراد أن يكبر رفع يديه وقال الله ثم بهت وبقي كأنه جسد لا روح فيه اعظاما له به جل وعلا ثم قال الله أكبر فظننت أن قلبي انخلع من هيبة تكبيره وقبل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كذب من ادعى محبتي واذا جئت عليه الليل نام عني أليس كل محب يحب الخلوة بجيبه ولعبد الله بن المبارك رضي الله تعالى عنه

اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
اطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن في الدنيا هجوع
وكان سيدي الشيخ الامام العلامة فتح الدين بن أمين الدين الحكيم النخري رحمه الله كثيرا ما يمثل بهذه الايات

يا أيها الراقد كم ترقد * قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخدم الليل ولو ساعة * تحظى اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله * لم يبلغ المنزل لو يجهد

وكان سيدي أوديس القرني لا ينام ليله ويقول ما بال الملائكة لا يفترون ونحن نفترون وقال حذيفة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وقال هشام بن عروة كان أبي يطيل المصنوعة ويقول هي رأس المال وقال أبو الطفيل سمعت أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول يا أيها الناس قوموا الى نيرانكم فاطفئوها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلاة الى الصلاة ككفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر وجزأ محمد بن المنكدر عليه وعلى أمه وعلى أخته الليل أثلاثا فماتت أخته بفراغ عليه وعلى أمه فماتت أمه فقام الليل كله وكان مسلم بن بشار اذا اراد أن يصلي في بيته يقول لاهله تحدثوا فليست اسمع حديثكم وكان اذا دخل البيت سكت أهله فلا يسمع لهم كلام فاذا قام الى الصلاة تحدثوا وضحكوا ووقع حريق الى جنبه وهو في الصلاة فاشعر به حتى أطفئ وكان الحمام يقع على رأس ابن الزبير في المسجد الحرام يحسبه جذاعا منصوبا بطول اتصابه في الصلاة وكانت العصافير تقع على ظهر ابراهيم بن شريك وهو ساجد كما تقع على الحائط وختم القرآن في ركعة واحدة ربعة من الأئمة عثمان بن عفان وعيم الداري وسعيد بن جبير وأبو حنيفة رضي الله تعالى عنهم ورأى الاوزاعي شابا بين القبر والمنبر فلما طلع الفجر استلقى ثم قال عند الصباح يحمد القوم السرى فقال يا ابن أخي لك

الجزء الاول من كتاب المستطرف في كل
فن مستطرف تأليف الامام
الاوحد العالم العلامة الاوذي
القهامة الشيخ شهاب الدين
أحمد الابشهي رحمه
الله بالرحمة
والرضوان
آمين



فمن ينسب

فمن ينسب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الملك العظيم العلي الكبير الغني الجيد اللطيف الخبير المنفرد بالعز والبقاء
والارادة والتدبير الحلي العليم الذي ليس كمثل شئ وهو السميع البصير تبارك الذي بيده
الملك وهو على كل شئ قدير أجده جده عبد معترف بالجز والتقصير وأشكره على ما أعان
عليه من قصد ويسر من عسير وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا مشير ولا
ظهير له ولا وزير وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير
المبعوث الى كافة الخلق من غنى وفقير وأمور وأمير صلى الله وسلم عليه وعلى آله
وأصحابه صلاة يفوز قائلها من الله بغفرة وأجر كبير وينجوها في الآخرة من عذاب
السعير وحسبنا الله ونعم الوكيل فنع المولى ونعم النصير (أما بعد) فقد رأيت
جماعة من ذوي الهمم جمعوا أشياء كثيرة من الآداب والمواعظ والحكم وبسطوا
مجلدات في التواريخ والنوادر والاحبار والحكايات واللطائف ورقائق الاشعار
والقوافي ذلك كتب كثيرة وتفرد كل منها بفرائد فوائد لم تكن في غيره من الكتب
محصورة فاستخرت الله تعالى وجعت من مجموعها هذا المجموع اللطيف وجعلته
مستقلا على كل فن طريف وسميته المستطرف في كل فن مستطرف واستدلت
فيه بآيات كثيرة من القرآن العظيم وأحاديث صحيحة من أحاديث النبي الكريم وطوّزته
بحكايات حسنة عن الصالحين الاخبار ونقلت فيه كثيرا مما أودعه الزمخشري في
كتابه ربيع الابرار وكثيرا مما نقله ابن عبدربه في كتابه العدة القريد ورجوت أن يجد

مطالعه فيه كل ما يقصد ويريد وجعت فيه لطائف وطرائف عديدة من منتخبات الكتب
النفسية المفيدة وأودعته من الاحاديث النبوية والامثال الشعبية والالفاظ اللغوية
والحكايات الخفية والنوادر الهزلية ومن الغرائب والدقائق والاشعار والرقائق ما تشفى
بذكره الاسماع وتقرر رؤيته العيون وينشرح بمطالعه كل قلب محزون (شعر)
من كل معنى يكاد الميت يفهمه * حسنا وبعضقه القرطاس والقلم
وجعلته يشغل على أربعة وعشرين بابا من أحسن الفنون متوجية بالفاظ كأنها الدرر المكنون
كما قال بعضهم شعرا في المعنى

ففي كل باب منه در مؤلف * كنظم عقود زينة الجواهر
فان نظم العقد الذي فيه جوهر * على غير تاليف في الدر فأنخر

وضمنته كل لطيفة ونظمته بكل ظريفة وقرنت الاصول فيه بالفصول ورجوت أن
تيسر لي مارسته من الوصول وجعلت أبوابه مقدمة وفصلتها في مواضعها مرتبة منظمة
ليقصد الطالب الى كل باب منها عند الاحتياج اليه ويعرف مكانه بالاستدلال عليه
فجيد كل معنى في بابه ان شاء الله تعالى والله المسؤول في تيسر المطالب وان يلهم
الناظر فيه ستر ما يراه من خلل وعيوب انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهذه
فهرسة الكتاب والله الموفق للصواب (الباب الاول) في مباني الاسلام وفيه
خمس فصول (الباب الثاني) في العقل والذكاء والحق والذم وغير ذلك (الباب
الثالث) في القرآن العظيم وفضله وحرمة وما عدا الله تعالى لقارنه من الثواب
العظيم والاجر الجسيم (الباب الرابع) في العلم والادب وفضل العالم والمتعلم (الباب الخامس)
في الاداب والحكم وما أشبه ذلك (الباب السادس) في الامثال السائرة وفيه فصول
(الباب السابع) في البيان والبلاغة والفصاحة وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه
فصول (الباب الثامن) في الاجوبة المسكنة والمستحسنة ورشقات اللسان وما جرى
مجري ذلك (الباب التاسع) في ذكر الخطب والخطباء والشعراء وسرفاتهم وكبوات الجهاد
وهفوات الاجهاد (الباب العاشر) في التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة
وذم الحرص والطمع وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادي عشر) في المشورة
والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب (الباب الثاني عشر) في الوصايا الحسنة
والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك (الباب الثالث عشر) في الصحة وصون اللسان
والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول (الباب الرابع
عشر) في الملك والسلطان وطاعة ولاة أمور الاسلام وما يجب للسلطان على الرعية وما يجب
لهم عليه (الباب الخامس عشر) فيما يجب على من يحب السلطان والتعذير من محبته
(الباب السادس عشر) في الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك (الباب السابع عشر)
في ذكر الحجاب والولاية وما فيهما من الغرر والخطر (الباب الثامن عشر) فيما جاء في
القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهبة على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص
والتصوف وفيه فصول (الباب التاسع عشر) في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك

(الباب العشرون) في الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك (الباب الحادى والعشرون) في بيان الشروط التي تؤخذ على العمال وسيرة السلطان في استجابة الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان (الباب الثانى والعشرون) في اصطناع المعروف وانعائه الملهوف وقضاء الخواص للمسلمين وادخال السرور عليهم (الباب الثالث والعشرون) في محاسن الاخلاق ومساوئها (الباب الرابع والعشرون) في حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزبارة وما شبه ذلك (الباب الخامس والعشرون) في الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح ذات البين وفيه فصلان (الباب السادس والعشرون) في الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه فصلان (الباب السابع والعشرون) في العجب والصبر والخيلاء وما شبه ذلك (الباب الثامن والعشرون) في الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت (الباب التاسع والعشرون) في الشرف والسودد وعلو الهمة (الباب الثلاثون) في الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة وذكر الاولياء والصالحين رضى الله عنهم أجمعين (الباب الحادى والثلاثون) في مناقب الصالحين وكرامات الاولياء رضى الله عنهم (الباب الثانى والثلاثون) في ذكر الاشرار والفجار وما يرتكبون من الفواحش والوقاحة والسفاهة (الباب الثالث والثلاثون) في الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الامجاد واحاديث الاجواد (الباب الرابع والثلاثون) في البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم (الباب الخامس والثلاثون) في الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والمضيف وأخبار الأكلة وما جاء عنهم وغير ذلك (الباب السادس والثلاثون) في العفو والحلم والصغح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة والعتاب وما شبه ذلك (الباب السابع والثلاثون) في الوفاء بالوعد وحسن العهد ورعاية الذمم (الباب الثامن والثلاثون) في كتمان السر وتحمينه وذم افشائه (الباب التاسع والثلاثون) في الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه فصول (الباب الاربعون) في الشجاعة وعزتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس والتجريض على القتال وفيه فصول (الباب الحادى والاربعون) في ذكر أسماء الشجعان وذكر الابطال وطبقاتهم وأخبارهم وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن (الباب الثانى والاربعون) في المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة وفيه فصول (الباب الثالث والاربعون) في الهجاء ومقدماته (الباب الرابع والاربعون) في الصدق والكذب وفيه فصلان (الباب الخامس والاربعون) في بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وصلة الرحم والقربان وذكر الانساب وفيه فصول (الباب السادس والاربعون) في الخلق وصفاتهم وأحوالهم وذكر الحسن والقبح والطول والقصر والالوان واللباس وما شبه ذلك (الباب السابع والاربعون) في ذكر الحلى والمصوغ والطيب والتطيب وما جاء في التختيم (الباب الثامن والاربعون) في الشباب والشيب والصحة والعافية وأخبار المعمرين وما شبه ذلك وفيه فصول (الباب التاسع والاربعون) في الاسماء والصكى والالقاب وما استحسن

منها (الباب الخمسون) في الاسفار والاعتراب وما قيل في الوداع والقراق والحث على ترك الإقامة بدار الهوان وحب الوطن والحسين الى الاوطان (الباب الحادى والخمسون) في ذكر الغنى وحب المال والافتخار بجمعه (الباب الثانى والخمسون) في ذكر الفقر ومدحه (الباب الثالث والخمسون) في ذكر التلطف في السؤال وذكر من سئل بخاد (الباب الرابع والخمسون) في ذكر الهدايا والتحف وما أشبه ذلك (الباب الخامس والخمسون) في العمل والكسب والصناعات والحرف والعجز والتوانى وما أشبه ذلك (الباب السادس والخمسون) في شكوى الزمان وانقلابه بأهله والصبر على المكروه والتسلى عن نوائب الدهر وفيه ثلاثة فصول (الباب السابع والخمسون) فيما جاء في اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة والسرور بعد الحزن ونحو ذلك (الباب الثامن والخمسون) في ذكر العبيد والامام والخدم وفيه فصلان (الباب التاسع والخمسون) في أخبار العرب وذكر غرائب من عوائدهم وعجائب أمرهم (الباب الستون) في الكهانة والقيافة والزجر والعرافة والقائل والطيرة والقراسة والنوم والرؤيا (الباب الحادى والستون) في الحيل والخدائع المتوصل بها الى بلوغ المقاصد واليقظ والتبصر ونحو ذلك (الباب الثانى والستون) في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام والحشرات مرتباً على حروف المعجم (الباب الثالث والستون) في ذكر نبذة من عجائب المخلوقات وصفاتهم (الباب الرابع والستون) في خلق الجن وصفاتهم (الباب الخامس والستون) في ذكر البحار وما فيها من العجائب وذكر الانهار والابار وفيه فصول (الباب السادس والستون) في ذكر عجائب الارض وما فيها من الجمال والبلدان وغرائب البقاع وفيه فصول (الباب السابع والستون) في ذكر المعادن والاحجار وخواصها (الباب الثامن والستون) في الاصوات والالمان وذكر الغناء واختلاف الناس ومن كرهه واستحسنه (الباب التاسع والستون) في ذكر المغنين والمطربين وأخبارهم وفوائد الجلساء في مجالس الخلفاء (الباب السبعون) في ذكر القينات والاعاني (الباب الحادى والسبعون) في ذكر العشق ومن يلى به والافتخار به والعفاف وأخبار من مات بالعشق وما فى معنى ذلك وفيه فصول (الباب الثانى والسبعون) في ذكر فائق الشعر والموايا والدويث وكان وكان والموشحات والزجل والقومة والالغاز ومدح الاسماء والصفات وفيه فصول (الباب الثالث والسبعون) في ذكر النساء وصفاتهم ونكاحهن وطلاقهن وما يمدح وما يذم من عشرتهن وفيه فصول (الباب الرابع والسبعون) في ذم الخمر وتحرعها والنهي عنها (الباب الخامس والسبعون) في المزاح والنهي عنه وما جاء في الترخيص فيه والبسط والتنعيم وفيه فصول (الباب السادس والسبعون) في النوادر والحكايات وفيه فصول (الباب السابع والسبعون) في الدعاء وآدابه وشروطه وفيه فصول (الباب الثامن والسبعون) في القضاء والقدر وأحكامهما والتوكيل على الله (الباب التاسع والسبعون) في التوبة وشروطها والتسليم والاستغفار (الباب الثمانون) في ذكر الامراض والعلل والطب والدواء من السنة والعبادة وثوابها وما أشبه ذلك وفيه فصول (الباب الحادى والثمانون) في ذكر الموت وما يتصل به من القبر وأحواله

(الباب الثاني والثمانون) في الصبر والتأسي والتعازي والمراثي ونحو ذلك وفيه فصول
(الباب الثالث والثمانون) في ذكر النيا وأحوالها وتقلبها بأهلها والزهد فيها ونحو ذلك (الباب
الرابع والثمانون) في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو آخر الأبواب ختمتها بالصلاة
على سيد العباد أرجو بذلك شفاعته يوم المعاد

(الباب الاول في مباني الاسلام وفيه خمسة فصول)

(الفصل الاول) في الاخلاص لله تعالى والثناء عليه وهو أن تعلم أن الله تعالى واحد
لا شريك له فرد لا مثل له صمد لا نذله ازل قائم ابدى دائم لا أول لوجوده ولا آخر
لا بدية قيوم لا يقنيه الابد ولا يغيره الامد بل هو الاول والاخر والظاهر والباطن
منزه عن الجسمية ليس كشيء من فوق كل شيء فوقيته لا تزيد بعدا عن عبادته وهو أقرب
الى العبيد من جبل الوريد وهو على كل شيء شهيد وهو معكم اينما كنتم لا يشابهه قرب
قرب الاجسام كما لا يشابه ذاته ذوات الاجرام منزوع عن أن يحده زمان مقدس عن أن يحيط
به مكان تراه أبصار الابرار في دار القرار على ما دلت عليه الايات والاخبار حتى قادر
جبار قاهر لا يعتره عجز ولا قصور ولا تأخذه سنة ولا نوم له الملك والملكوت والعزة والجبروت
خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وأجالهم لا تحصى مقدوراته ولا تنهاى معلوماته
عالم بجميع المعلومات لا يعزب عنه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات يعلم السر
وأخفى ويطلع على هواجس الضمائر وخفيات السرائر ويريد للكائنات مدبر للحادثات
لا يجري في ملكه قليل ولا كثير جليل ولا حقير خيرا وشر نفع أو ضرر الإقتضاه وقدره
وحكمه ومشيئته فإشاء كان وما لم يشأ لم يكن فهو المبدئ المعيد القاعل لما يريد لا معقب
لحكمه ولا راد لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته لا يتوفيقه ويرحمه ولا قوة على
طاعته لا يجيبه وارادته لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشیاطين على أن يحركوا
في العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته لم يحزوا جميع بصيرتكم بكلام لا يشبه كلام خلقه
وكل ما سواه سبحانه وتعالى فهو حادث أو جده بقدرته وما من حركة وسكون الا وله
في ذلك حكمة تدله على وحدانيته قال الله تعالى ان في خلق السموات والارض الاية وقال
ابو العتاهية

فيا عجباً كيف يعصى الله أم كيف يحجده الجاحد
وفي كل شيء له آية * تدل على انه الواحد
ولله في كل تحريكه * وتسكينه في الوري شاهد

وقال غيره

كل ما نرتقي اليه بؤهم * من جلال وقدره وسناء
فالذي أبدع البرية أعلی * منه سبحانه مبدع الاشياء

وقال علي رضي الله عنه في بعض وصاياه لولده اعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لانتك
رسله ولرايت آثار ملكه وساطعانه وعرفت أفعاله وصفاته ولكنه اله واحد لا يضافه في ملكه
أحد وعنه عليه الصلاة والسلام كل ما يتصور في الازدهان فالله سبحانه بخلافه وقال لبید

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
وكل ابن اتى لوطا طول عمره * الى الغاية القصوى فللقبر ايل
وكل أناس سوف تدخل بينهم * ذوي هبة تصقر منها الانامل
وكل امرئ يوما سيعرف سعيه * اذا حلت عند الاله الحاصل

وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان اشعر كثة قالها العرب * ألا كل شيء
ما خلا الله باطل ثم بعد هذا الاعتقاد الاقرار بالشهادة بأن محمد رسول الله بعثه برسالة
الى الخلائق كافة وجعله خاتم الانبياء ونسخ بشريعته الشرائع وجعله سيد البشر
والشفيع المشفع في المحشر وجب على الخلق تصديقه فيما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة
فلا يصح ايمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت من سؤال منكرونيكروهما ملكان
من ملائكة الله تعالى يسألان العبد في قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان له من
ربك وما دينك ومن نبيك ويؤمن بعد اواب القبر وأنه حق وأن الميزان حق والصراط حق
والحساب حق وأن الجنة حق والنار حق وأن الله تعالى يدخل الجنة من يشاء بغير حساب
وهم المقربون وأنه يخرج عصاة الموحد من النار بعد الانتقام حتى لا يبق في جهنم من في
قلبه مثقال ذرة من الايمان ويؤمن بشفاعاة الانبياء ثم بشفاعة العلماء ثم بشفاعة الشهداء
وأن يعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم ويحسن الظن بجميعهم على ما وردت به الاخبار
وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك مؤمنا به موقنا فهو من أهل الحق والسنة مفارق
اعصابة الضلال والبدعة رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من أهلها ووفقنا
للدوام الى الممات على التمسك والاعتصام بجبلها انه سميع مجيب فهذه العقيدة قد اشتملت على
احد أركان الاسلام الخمسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى الاسلام على خمس شهادة أن
لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من
استطاع اليه سبيلا

(الفصل الثاني) في الصلاة وفضلها قال الله تعالى حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى
وقوموا لله قانتين وقال تعالى واقموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى ان الصلاة
كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واختلفوا في اشتقاق اسم الصلاة هم هو قيل هو من الدعاء
وتسمية الصلاة دعاء معروف في كلام العرب فسميت الصلاة صلاة لما فيها من الدعاء وقيل
سميت بذلك من الرحمة قال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فهي من الله
رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الناس دعاء قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل
أبي أو أي أرحهم وقيل سميت بذلك من الاستقامة من قولهم صليت العود على النار
اذا قومته والصلوة تقيم العبد على طاعة الله وخدمته ونهاه عن خلافه قال الله تعالى
ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل لانها صلة بين العبد وربه وعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال علم الايمان الصلاة فمن فرغ لها قلبه وحافظ عليها يجدودها
فهو مؤمن وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال وهو على المنبر ان الرجل يشيب

عارضاه في الاسلام وما أكمل الله تعالى صلاة قبيل وكيف ذلك قال لا يتم ركوعها وسجودها وخشوعها وتواضعه واقباله على الله فيها وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكانه لم يعرفنا ولم نعرفه وقيل للحسن ما بال المتعبد من أحسن الناس وجوها فقال لانهم خلوا بالرجن فالبسهم نوراً من نوره وقال بعضهم لا تفوت احدا صلاة في جماعة الا بذنب وكانت رابعة العدوية تصلي في اليوم والليل ألف ركعة وتقول والله ما أريد بها ثوابا ولكن ليسر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول للانبياء عليهم الصلاة والسلام انظروا الى امرأة من امتي هذا عملها في اليوم والليل وقال بعضهم صليت خلف ذي النون المصري فلما اراد أن يكبر رفع يديه وقال الله ثم هبت وبقي كانه جسد لا روح فيه اعظاما له به جل وعلا ثم قال الله أكبر فظننت أن قلبي انخلع من هيبة تكبيره وقيل أوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود كذب من ادعى محبتي واذا جئني عليه الليل نام عني أليس كل محب يجب الخلوة بجيبيه واعبد الله بن المبارك رضي الله تعالى عنه

اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع
اطارا لخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن في الدنيا هجوع
وكان سيدي الشيخ الامام العلامة فتح الدين بن أمين الدين الحكيم النخري رحمه الله كثيرا ما يقتل بهذه الايات

يا أيها الراقد كم ترقد * قم يا حيي قد دنا الموعد
وخدم الليل ولوساعة * تحظى اذا ما هجع الرقد
من نام حتى يتقضى ليله * لم يبلغ المنزل لو يجهد

وكان سيدي أوديس القرني لا ينام ليله ويقول ما بال الملائكة لا يفترون ونحن نفتر وقال حذيفة رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وقال هشام بن عروة كان أبي يطيل المصنوعة ويقول هي رأس المال وقال أبو الطمضيل سمعت أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول يا أيها الناس قوموا الى نيرانكم فاطفئوها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلاة الى الصلاة ككفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر وجزأ محمد بن المنكدر عليه وعلى أمه وعلى أخيه الليل أثلاثا فأتته أخته فجزأه عليه وعلى أمه فأتته أمه فقام الليل كله وكان مسلم بن بشار اذا أراد أن يصلي في بيته يقول لاهله تحذثوا فاست اسمع حديثكم وكان اذا دخل البيت سكنت أهله فلا يسمع لهم كلام فاذا قام الى الصلاة تحذثوا وضحكوا ووقع حريق الى جنبه وهو في الصلاة فاشعر به حتى أطفئ وكان الحمام يقع على رأس ابن الزبير في المسجد الحرام يحسبه جندا منصوبا لطول انتصابه في الصلاة وكانت العصافير تقع على ظهر ابراهيم بن شريك وهو ساجد كما تقع على الحائط وختم القرآن في ركعة واحدة أربعة من الأئمة عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير وأبو حنيفة رضي الله تعالى عنهم ورأى الاوزاعي تشابها بين القبر والمنبر فلما طلع الفجر استلقى ثم قال عند الصباح يحمد القوم السرى فقال يا ابن أخي لك

ولا صحابك لالجمالين وكان خلف بن أيوب لا يطرد الذباب عن وجهه في الصلاة فقص له كيف تصبر فقال بلغني أن الفساق يصبرون تحت السياط ليقال فلان صبور وأما بين يدي ربي أفلا أصبر على ذباب يقع عليّ وقال أبو صفوان بن عوانة ما من منظر أحسن من رجل عليه ثياب بيض وهو قائم يصلي في القمركاثة يشبه الملائكة وقال الحسن ما كان في هذه الأمة أعبد من فاطمة عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تقوم بالاسحار حتى تورمت قدمها وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكانت دموعه تقع في مصلاه كوكف المطر وكان إبراهيم الخليل عليه السلام يسمع لقلبه خفقان وغليان هذا خوف الحبيب والخليل مع ما أعطيا من الاجلال والاكرام وشرف المقام فالحجب كيف يطمئن قلب من أزعجته الآثام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل قال له ادع الله أن يجعلني رفيقك في الجنة فقال أعني على نفسك بكثرة السجود وقال حاتم الأصم رحمه الله تعالى فأتيت صلاة الجماعة مرة فعزاني أبو احمق البخاري وحده ولومات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين عنددهم أهون من مصيبة الدنيا وكان السلف رضي الله عنهم يعزون انفسهم ثلاثة ايام اذا فاتتهم التكبيرة الاولى وسبع ايام اذا فاتتهم الجماعة وقال ابن عباس رضي الله عنهما ركنان مقصودتان في تفكير خير من قيام ليلة والقلب ساه وأنشد بعضهم

خسر الذي ترك الصلاة وخابا * وأبى معادا صالحا وما بآ
ان كان يحجدها تخسبك أنه * اخشى بربك كافرا مرتابا
او كان يتركها النوع تكاسل * غطى على وجهه الصواب حجابا
فالشافعي * وما لك رأيا له * ان لم ينب حد الحسام عقابا
والرأي عندي للامام عذابه * بجميع تأديب يزاه صوابا

اللهم أعنا على الصلاة وتقبلها منا بكمومك ولا تجعلنا من الغافلين برحمتك يا ارحم الراحمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

ومما يستحسن الخاقه بهذا الفصل ذكر شئ من فضل السؤال والاذان أما السؤال فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم لو أن أشق على امتي لأمرتهم بالسؤال عند كل صلاة وقال ايضا صلاة على اثر سؤال افضل من خمس وسبعين صلاة على غير سؤال وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام ليمسجد شامخا بالسؤال وقال صلى الله عليه وسلم السؤال مطهرة للفم مرضاة للرب وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال لو يعلم الناس ما في السؤال لبات مع الرجل في لحافه وقال ايضا أفواهمكم طرقا لكلام ربكم فنظفوها والاختيار في السؤال أن يكون بعدد الاراء ويجزى بغيره من العبدان وبالسعد والاشنان والخرقة المشنة وغير ذلك مما ينظف ويستاك عرضا مبدئا بالجانب الايمن من فيه وينوي به الاتيان بالسنة والسؤال بعد الزيتون يزيل الحقر من الاسنان وقال الاحباب يقول عند السؤال اللهم باوك لي فيه يا ارحم الراحمين ويستاك في ظاهر الاسنان وباطنها ويعتر

السؤال على أطراف أسنانه واضراسه وسقف حلقه امرارا لطيفا ويستأنك يعود متوسط
لاشديد اليبوسة ولاشديد اللين فإن اشتد يسهل لينه بالماء وقد قيل ان من فضائل السؤال
انه يذكر الشهادة عند الموت ويسهل خروج الروح * وأما الاذان فقد روى عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه قيل في قوله تعالى ومن
أحسن قولاً لمن دعا الى الله وعمل صالحا نزلت في المؤذنين وعن أبي سعيد الخدري رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يغفر الله للمؤذن مدى صوته ويشهد له ما سمعه من رطب
وبابس وعن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المؤذنون
أطول الناس أعناقاً يوم القيامة رواه مسلم وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال اذا نودي للصلاة أدبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التأذين
رواه البخاري ومسلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شيء الا شهد له يوم
القيامة رواه البخاري والاحاديث في فضله كثيرة مشهورة والله سبحانه وتعالى
أعلم

(الفصل الثالث في الزكاة وفضلها) قرن الله سبحانه وتعالى الزكاة بالصلاة في مواضع
شقي من كتابه قال الله تعالى وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة
ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وآتوا الزكاة وقال تعالى وبقموا الصلاة ويؤتوا الزكاة
وذلك دين القيمة وعن بريدة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
ما حبس قوم الزكاة الا حبس الله عنهم القطر وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ما خلطت الزكاة ما لا قط الا اهلكته وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من كان عنده ما يركى ولم يرك ومن كان عنده ما يبيع ولم يبيع
سأل الرجعة يعني قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل الصالحات ركت * ولحق بهذا
الفصل ذكر كثير من الصدقة وفضلها وما جاء فيها وما عند الله تعالى للمتصدقين من الاجر
والثواب ودفع البلاء قال الله تعالى ان الله يجزي المتصدقين وقال تعالى والمتصدقين
والمتصدقات والايات الكريمة في ذلك كثيرة والاحاديث الصحيحة فيه مشهورة وروى
الترمذي في جامعه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ما قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم
لجاره وفي صحيح مسلم وموطا مالك وجامع الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة او قال ما نقصت صدقة من مال
وما زاد الله عبداً بعفو الا عزاً وما تواضع عبد الا رفعه الله تعالى ودخات امرأة سلاء على
عائشة رضي الله عنها فقالت كان ابي يحب الصدقة وأتى تبغضها لم تصدق في عمرها الا بقطعة
شهم وخلقته فرأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكان ابي قد غطت عورتها بالخلقة
وفي يدها الشهمة تلحسهم من العطش فذهبت الى أبي وهو على حافة حوض يسقي الناس فطلعت
منه قد حامن ما فسقت ابي فنوديت من فوقي ألا من سقاها فقبل الله يدها فالتبعت كما ترين

ووقف سائل على امرأة وهي تتعشى فقامت فوضعت لقمة في فيه ثم بكرت الى زوجها في منزله فوضعت ولدها عنده وقامت لحاجة تريد قضاءها فأختلسته الذئب فوقفت وقالت يا رب ولدي فأتاها آت فأخذ بعنق الذئب فاستخرجت ولدها من غير أذى ولا ضرر فقال لها هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتها في فم السائل * وعشش وورشان في شجرة في دار رجل فلما همت أفرأخه بالطيران زينت امرأته ذلك الرجل له أخذ أفرأخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلماته الورشان أخذوا أفرأخه فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام وقال يا رسول الله أردت أن يكون لي أولاديزكرون الله تعالى من يعدي فأخذها الرجل بأمر امرأته ثم أعاد الورشان الشكوى فقال سليمان للشيطانين إذا رأيتهما يصعدا الشجرة فشقاء نصفين فلما أراد الرجل أن يصعد الشجرة اعترضه سائل فأطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد وأخذ الأفرأخ على عادته فشكا الورشان ذلك الى سليمان عليه السلام فقال للشيطانين ألم تفعل ما أمرتكما به فقال اعترضنا ملكا فطرحنا في الخافقين وقال التخي كانوا يرون أن الرجل الظلوم إذا تصدق بشيء دفع عنه البلاء وكان الرجل يضع الصدقة في يد الفقير ويتمثل قائما بين يديه ويسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وعنه صلى الله عليه وسلم قال ردوا صدمة البلاء ولو بمثل رأس الطائر من طعام وروى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ردوا مذمة السائل ولو بظلف محرق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال عيسى صلوات وسلامه عليه من رد سائلا خاطبا لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يناول المسكين بيده وعنه صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يكسو مسلما ثوبا الا كان في حفظ الله ما كانت عليه منه رقعة وقال عبد العزيز بن عمير الصلاة تبلغ نصف الطريق والصوم يبلغ باب الملك والصدقة تدخلك عليه وعن الربيع بن خيثم انه خرج في ليلة شامية وعليه برنس خنزري سائلا فأعطاه اياه وتلاقوه تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزني العمر الا البر وان سوء الخلق شؤم وحسن الملكة ثناء والصدقة تدفع ميتة السوء وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة ترز جبال الدنيا الا من الصدقة وعن عمر رضي الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضل لكن وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تداركوا الهوم والغموم بالصدقات يدفع الله ضرركم وينصركم على عدوكم وعن عبيد بن عمير قال يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قاططوا وأعطش ما كانوا قاططوا طعم الله أشبعه الله ومن سقى لله سقاء الله ومن كسا الله كساء الله وقال الشعبي من لم يرف نفسه الى ثواب الصدقة أوجع من الفقير الى صدقة فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه وكان الحسن بن صالح اذا جاءه سائل فان كان عنده ذهب أو فضة أو طعام أعطاه فان لم يكن عنده من ذلك شيء أعطاه دهن أو غيره مما ينتفع به فان لم يكن عنده شيء أعطاه كحلا أو أخرج ابرة وخطا فرقع به ما ثوب السائل ووجه رجل

ابنه في تجارة فبضت أشهر ولم يقع له على خبر قصد قريغين وأرخ ذلك اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالماً راجعاً فسأله أبوه هل أصابك في سفرك بلاء قال نعم غرقت السفينة بنا في وسط البحر وغرقت في جملة الناس واذابنا بين أخذنا في فطرحنا على الشط وقال لي قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت بأكثر من ذلك وقال علي رضي الله عنه وكرم وجهه اذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك فيوافيك به حيث تحتاج اليه فاعتم حله اياه ولله در القائل حيث قال

يكي على الذاهب من ماله * وانما بقي الذي يذهب

(وحكى) أن رجلاً عبد الله سبعين سنة فبينما هو في معبده ذات ليلة اذوقته به امرأة جميلة فسأله أن يفتح لها وكانت ليلة ثمانية فلم يلبثت اليها وأقبل على عبادته فولت المرأة فنظر اليها فأعجبته فملك قلبه وسلبت له قترك العباداة وتبعها وقال الى اين فقلت الى حيث اريد فقال هيئات صار المراد مرديدا والاحرار عبيدا ثم جذبها فأدخلها مكانه فأقامت عنده سبعة أيام فعند ذلك تفكر ما كان فيه من العباداة وكيف باع عباداة سبعين سنة بجمعة سبعة أيام فبكى حتى غشي عليه فلما أفاق قالت ليا هذا والله أنت ما عصيت الله مع غيري وأنا ما عصيت الله مع غيرك واني أرى في وجهك أثر الصلاح فبالت الله عليك اذا صالحك مولاك فاذا كرتي قال فخرج هاتماً على وجهه فاوأم الليل الى خربة فيها عشرة عيمان وكان بالقرب منهم راهب يبعث اليهم في كل ليلة عشرة أرغفة فجاء غلام الراهب على عادته بالخربة ففقدت الرجل العاصي يده فأخذ برغيفاً فبقي منهم رجل لم يأخذ شيئاً فقال ابن رغبني فقال الغلام قد فرقت عليكم العشرة فقال أبيت طأ ويا فبكي الرجل العاصي وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه أما حق أن أبيت طأ ويا لاني عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع حتى أشرف على الهلاك فأمر الله تعالى ملك الموت بقبض روحه فاختمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة هذا رجل فر من ذنبه وجاء طائعا وقالت ملائكة العذاب بل هو رجل عاص فأوحى الله تعالى اليهم أن زنوا عبادة السبعين سنة بجمعة السبع ليل فوزنوها فريحت المعصية على عبادة السبعين سنة فأوحى الله اليهم أن زنوا معصية السبع ليل بال رغبني الذي آثر به على نفسه فوزنوا ذلك فرح الرغيف فتوقفت ملائكة الرحمة وقبل الله توبته (وحكى) أن رجلاً جلس يوماً كل هو وزوجته وبين أيديهما دجاجة مشوية فوق سائل يبابه فخرج اليه واتهره فذهب فاتفق بعد ذلك أن الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل آخر فجلس يأكل معها في بعض الايام وبين أيديهما دجاجة مشوية واذابنا بطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعي اليه هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها الاول فدفعته اليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسألهما زوجها عن بكاها فأخبرته أن السائل كان زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي اتهره زوجها الاول فقال لها زوجها أنا والله ذلك السائل وذكروا عن مكحول أن رجلاً أتى الى أبي هريرة رضي الله عنه فقال ادع الله لاني فقد وقع في نفسي الخوف من هلاكه فقال له ألا أدلك على ما هو أنفع من دعائي وأنجح وأسمع اجابة قال بلى قال تصدق منه بصدقة تنوي بها نجاته ولذلك

وسلامته مامعه فخرج الرجل من عنده وتصدق على سائل بدورهم وقال هذا خلاص ولدى وسلامته ومامعه فنادى في تلك الساعة منادى في البحر ألا ان القداء مقبول وزيد مغاث فلما قدم سأله أبوه عن حاله فقال يا أبت لقد رأيت في البحر عجبا يوم كذا وكذا في وقت كذا وكذا وهو اليوم الذي تصدق فيه والده عنه بالدرهم وذلك انا أشرفنا على الهلاك والتلف فسمعنا صوتا من الهواء ألا ان القداء مقبول وزيد مغاث وجاءنا رجال عليهم ثياب بيض فقدموا السفينة الى جزيرة ككاث بالقرب منا وسلمنا وصرنا بخيرا جعينا * والا تاروا الحكايات في ذلك كثيرة وفيما أشرت اليه كفاية لمن وعى وأن ليس للانسان الا ما سعى والله أعلم

(الفصل الرابع في الصوم وفضله وما أعد الله للصائم من الاجر والثواب) قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون قيل الصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص * فصوص العموم هو كف البطن والفرج وسائر الجوارح عن قصد الشهوة * وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الاكمام * وصوم خصوص الخصوص هو صوم القلب عن الهمم الدنية وكفه عما سوى الله بالكلمة * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الجسد الصيام وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية انها ايام الصوم تركوا فيها الاكل والشرب وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أفطر يوما في رمضان من غير رخصة رخصها الله له لم يقض عنه صيام الدهر وروى في صحيح النسائي عنه ايضا صلى الله عليه وسلم أنه قال اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين وروى الزهري أن تسيحة واحدة في شهر رمضان أفضل من ألف تسيحة في غيره وروى عن قتادة أنه كان يقول من لم يغفر له في شهر رمضان فلن يغفر له في غيره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في شهر رمضان من الخير لقتلوا متى أن يكون رمضان السنة كلها ولو أذن الله للسموات والارض أن تتكلما لشهدتا لمن صام رمضان بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم ليس من عبد يصلي في ليلة من شهر رمضان الا كتب الله له بكل ركعة ألفا وخمسة مائة حسنة وبني له بيتا في الجنة من ياقوته جراء لها سبعون ألف باب لكل باب منها مصرعان من ذهب وله بكل سجدة يسجد هاشمجة يسير الراكب في ظلمات ليلة عام وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل صائم دعوة فاذا أراد أن يقبل فليقبل في كل ليلة عند فطره يا واسع المغفرة اغفر لي وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه من صام يوما من رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه فاذا نسلخ عنه الشهر وهو حي لم يكتب عليه خطيئة حتى الحول ومن عطش نفسه لله في يوم شديد الحر من ايام الدنيا كان حقا على الله أن يرويه يوم القيامة وقال بعضهم الصيام زكاة البدن ومن صام الدهر فقد وهب نفسه لله تعالى وروى في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن

ما اجتنبوا الكفار وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال صيام ثلاثة أيام من كل شهر كصيام الدهر وهي الايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كل شهر وفي صحيح البخاري عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه * وفضل الصوم غزير لانه خصه الله تعالى بالاضافة اليه كما ثبت في الصحيح من الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مخبراً عن ربه عز وجل كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به وقد يكتفى في فضله بهذا الحديث الجليل وحسبنا الله ونعم الوكيل

(الفصل الخامس في الحج وفضله) قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلاً وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجاً أو معتمراً فاجزأه الله له أجر الحاج والمعتمر الى يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع الحج ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وفي الحديث ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وفيه اعظم الناس ذنباً من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له وهو أفضل يوم في الدنيا وفي الخبر ان الحجر الاسود يا قوته من يواقيت الجنة وانه يبعثه الله يوم القيامة وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وجاء في الحديث الصحيح ان آدم عليه السلام لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألني عام وقال مجاهد ان الحجاج اذا قدموا مكة لحققتهم الملائكة فسلموا على ركب ان الابل وصاخوا وركبان الحجر واعتنقوا المشاة اعتناقاً وكان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشيعوا الغزاة ويستقبلوا الحجاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء لهم ويبادروا ذلك قبل أن يتدنسوا بالانام وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعد هذا البيت أن يحجه كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا كلهم الله تعالى من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة فكل من جهبا يتعلق بأسنائها وبسعي حولها حتى تدخل الجنة فيدخل معها (وحكي) أن جيلة الموصلية بنت ناصر الدولة أبي محمد ابن حمدان حجت سنة ست وثمانين وثلثمائة فصارت تاريخاً منذ كورا قيل انها سقت أهل الموسم كلهم السويق بالطبرزد والتلج واستصعبت البقول المزروعة في المراكن على الجمال وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونشرت على الكعبة عشرة آلاف دينار ولم تستصحب فيها وعندها الإشبوع العنبر وأعفت ثلثمائة عبد وما تقي جارية وأغنت الفقراء والمجاورين *

ولما بنى آدم عليه السلام البيت قال يارب ان لكل عامل أجراً فما أجر عملي قال اذا طفت به غفرت لك ذنوبك قال زدني قال جعلته قبله لك ولا ولدك قال يارب زدني قال أغفر لكل من استغفرني من الطائفتين به من أهل التوحيد من أولادك قال يارب حسبي * وفي الحديث الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وقيل للحسن ما الحج المبرور قال أن ترجع زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة *

* وأول من كسا الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير وكانت كسوتها المسوح والانطاع وكان يطيهما حتى يوجد ريحهما من خارج الحرم وكان حكيم بن حزام يقيم عشيمة عرفة مائة بدنة ومائة رقبة فيعتق الرقاب عشيمة عرفة ويحرق البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت فيقول لا اله الا الله

وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله أحبه وأخشاه وروى الحسن بن علي رضي الله عنهما يطوف بالبيت ثم صار إلى المقام فجلس ركعتين ثم وضع خدّه على المقام فجعل يبكي ويقول عبدك ييا بك خويدمك ييا بك سائلك ييا بك مسكينك ييا بك يريد ذلك مما اراد ثم انصرف رضي الله عنه فزعساكين معهم فلق خبزياً كونه فسلم عليهم فدعوه إلى الطعام فجلس معهم وقال لولا انه صدقة لا كنت معكم ثم قال قوموا بنا إلى منزلي فتوجّهوا معه فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدرهم * ورجع عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ومعه ثلاثون راحلة وهو ينشئ على رجله حتى وقف بعرفات فأعقق ثلاثين مملوكاً وجعلهم على ثلاثين راحلة وأمر لهم بثلاثين ألفاً وقال اعنتهم لله تعالى لعله يعتقني من النار وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما اني لاسقي من ربي أن ألقاه ولم امش إلى بيته فشي من المدينة إلى مكة عشرين مرة ومن لطيف ما انشد عمر بن حبان الضرير حين لم يهد إليه الخراج شيئاً

كان الحجج الآن لم يقربوا مني * ولم يحملوا منها سوا كاولان عدا
اوتونا جادوا بعد اراصة * ولا وضعوا في كف طفل لنا نقل

وقال غيره

يحجون بالمال الذي يجمعونه * حراماً إلى البيت العتيق المحترم
ويرزهم كل منهم - مو أن وزره * يحط ولكن فوقه في جهنم

وقال آخر

حج في الدهر حجة * حج فيها وأحرما
وأنا نأمن الحجا * زكراً وحجراً
فهو ذوالجدة الذي * مانوق محترماً

وتخاصم بدوى مع حاج عند منصرف الناس فقبل له اتخاصم رجلاً من الحجاج فقال
يجب لك بما يغفر الله ذنبه * ويرجع قد حطت عليه ذنوب

وقال أبو الشعمق

إذا حججت بمال أصله دنس * فما حججت ولكن حجت العير
ما يقبل الله الا كل طيبة * ما كل من حج بيت الله مبرور

والله سبحانه وتعالى أعلم

* (الباب الثاني في العقل والذكاء والحق وذمه وغير ذلك) *

نص الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه العزيز ومنزل خطابه الوجيز على شرف العقل وقد ضرب الله سبحانه وتعالى الامثال وأوضحها وبين بدائع مصنوعاته وشرحها فقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول ما خلق الله تعالى العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال عز من قائل وعزني وجلالي ما خلقت خلقاً أعز علي منك بك أخذوك أعطى وبك احاسب وبك اعاقب وقال أهل المعرفة والعلم العقل جوهر مضى

خلق الله عز وجل في الدماغ وجعل نوره في القلب يدرك به المعلومات بالوسائط والمحسوسات
 بالمشاهدة * وعلم أن العقل ينقسم الى قسمين قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما
 * فأما الأول فهو العقل الغريزي المشترك بين العقلاء * وأما الثاني فهو العقل التجريبي
 وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب والوقائع وباعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ
 اكمل عقلا وأتم دراية وان صاحب التجارب أكثر فهما وأرجح معرفة ولهذا قيل من بيضت
 الحوادث سواد قلبه وأخلقت التجارب لباس جوده وأراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريه
 أقداره وأقضيته كان جديرا برزاة العقل ورجاحة الدراية وقد يخص الله تعالى بألطافه
 الخفية من يشاء من عباد فيفيض عليه من خزان مواهبه رزاة عقل وزيادته معرفة تخرجه
 عن حد الاكتساب ويصير بها راجعا على ذوى التجارب والآداب ويدل على ذلك قصة
 يحيى بن زكريا عليهم السلام فيما أخبر الله تعالى به في محكم كتابه العزيز حيث يقول وآتيناه
 الحكم صبيا فن سبق له سابقة من الله تعالى في قسم السعادة وأدركته عناية بأزلية
 اشرفت على باطنه أنوار ملكوتية وهداية ربانية فاتصف بالذكاء والفضيلة قلبه وأسفر
 عن وجهه الاصابة ظنه وان كان حديث السن قليل التجربة كما نقل في قصة سليمان بن
 داود عليهما السلام وهو صبي حيث رد حكم أبيه داود عليه السلام في أمر الغنم والحرث
 وشيخ ذلك فيما نقله المفسرون أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب غنم
 والاخر صاحب حرث فقال أحدهما ان هذا دخلت غنمه بالليل الى حرثي فأهلكته
 واكتمه ولم تبقى في فيه شيئا فقال داود عليه السلام الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما
 خرجا من عنده مرآ على سليمان عليه السلام وكان عمره اذ ذاك على ما نقله ائمة التفسير إحدى
 عشرة سنة فقال له ما ما حكمكم بينكما الملك فذكر له ذلك فقال غير هذا ارفق
 بالفريقين فعاد الى داود عليه السلام وقال له ما قاله له ما قاله له سليمان عليه السلام فدعاه
 داود عليه السلام وقال له ما هو الارق بالفريقين فقال سليمان تسلم الغنم الى صاحب الحرث
 وكان الحرث كراما قد نذلت عناقيدته في قول أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الاغنام
 يأكل لبنها ويتنعم بدها ونسلها ويسلم الكرم الى صاحب الاغنام ليقوم به فاذا عاد
 الكرم الى هيئته وصورته التي كان عليها اليه دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم
 الى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته فقال له داود القضاء كما قلت وحكم به كما قال
 سليمان عليه السلام وفي هذه القصة نزل قوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكما في الحرث
 ادققنا فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناهما سليمان وكلا آتيناهما حكما وعلما فهذه
 المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة وطول المسئلة بل حصلت بعناية ربانية
 وأطاف الهمة واذا قدف الله تعالى شيئا من انوار مواهبه في قلب من يشاء من خلقه
 اهتدى الى مواقع الصواب ورجح على ذوى التجارب والاكتساب في كثير من الاسباب *
 ويستدل على حصول كمال العقل في الرجل بما يوجد منه وما يصدر عنه فان العقل معنى
 لا يمكن مشاهدته فان المشاهدة من خصائص الاجسام * فأقول يستدل على عقل الرجل
 بأموره متعددة منها ما يله الى محاسن الاخلاق واعراضه عن رذائل الاعمال ورغبته

في اسداء صنائع المعروف وتجنبه ما يكسبه عارا ويورثه سوء السمعة وقد قيل لبعض الحكماء
 بم يعرف عقل الرجل فقال بقله سقطه في الكلام وكثرة اصابته فيه فصيل له فان كان غائبا فقال
 يا حدى ثلاث ايام برسوله واما بكتابه واما بديته فان رسوله قائم مقام نفسه وكابه يصف
 نطق لسانه وهديته عنوان همته فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم به على صاحبها
 وقيل من اكبر الاشياء شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس ويكفي أن
 حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى اياه فانه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم
 انه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق فخصاه أن من رزق المداراة لم يحرم
 التوفيق وقالوا العاقل الذي يحسن المداراة مع أهل زمانه وقال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لاهل العقل وواحدة لسائر الناس وقال
 علي بن عبيدة العقل ملك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها
 فسمعه أعرابي فقال هذا كلام يقطر عسله وقيل بأيدي العقول تسلك أغنة النفوس وكل
 شيء اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا وقيل لكل شيء غاية وحد والعقل لا غاية له
 ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه تفاوت في الازهار في المروج واختلف الحكماء في ماهيته
 فقال قوم هو نور وضعه الله طبعاً وغريزة في القلب كالنور في العين وهو يزيد وينقص ويذهب
 ويعود وكما يدرك بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك بنور القلب المحجوب والمستور وعي
 القلب كعمى البصر قال الله تعالى فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
 وقيل محل العقل الدماغ وهو قول أبي حنيفة رحمه الله وذهب جماعة الى انه في القلب
 كما روى عن الشافعي رحمه الله واستدلوا بقوله تعالى قد يكون لهم قلوب يعقلون بها
 وبقوله تعالى ان في ذلك لذكرا لمن كان له قلب أى عقل وقالوا التجربة مرآة العقل
 ولذلك جدت آراء المشايخ حتى قالوا المشايخ أشجار الوفا لا يطيش لهم منهم ولا يسقط لهم
 فهم وعليكم بما رآه الشيوخ فانهم ان عدموا ذكاء الطبع فقد أفادتهم الايام حيلة وتجربة
 قال الشاعر

ألم تر أن العقل زين لاهله * ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال آخر

اذا طال عمر المرء في غير آفة * أفادت له الايام في كرها عقلا

وقال عامر بن عبد قيس اذا عقلك عقلك عما لا يعينك فانت عاقل ويقال لاشرف الاشرف
 العقل ولاغنى الاغنى النفس وقيل يعيش العاقل بعقله حيث كان كما يعيش الاسد بقوته حيث
 كان قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء عقل فانه * وان كان ذابيت على الناس هين

ومن كان ذاعقل لأجل عقله * وأفضل عقل عقل من يتدين

وقالوا العاقل لا تهره المنزلة السننة كالجلل لا يتزعزع وان اشتدت عليه الريح والجاهل
 تهره أدنى منزلة كالخشيش يحركه أدنى ريح وقيل لعلى رضى الله عنه صف لنا العاقل
 قال هو الذى يضع الشيء مواضعه قيل صف لنا الجاهل قال قد فعلت يعنى الذى لا يضع

الشيء مواضعه وقال المنصور لولده خذ عني ثنتين لا تنقل من غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير
وقال أردشير أربعة تحتاج إلى أربعة الحسب إلى الأدب والسرو إلى الأمن والقرابة إلى
المودة والعقل إلى التجربة وقال كسرى أنوشروان أربعة تؤدي إلى أربعة العقل إلى
الرياسة والرأى إلى السياسة والعلم إلى التصدير والحلم إلى التوقير وقال القاسم بن محمد من لم
يكن عقله أغلب الخصال عليه كان حنقه من أغلب الخصال عليه وقيل أفضل العقل معرفة
العاقل بنفسه وقيل ثلاثة هن رأس العقل مداراة الناس والاقتصاد في المعيشة والتجيب
إلى الناس وقيل من أعجب برأى نفسه بطل رأيه ومن ترك الاستماع من ذوى العقول مات
عقله وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال أهل مصر أعقل الناس صغارا وأرجهم
كبارا وقيل العاقل المحروم خير من الاحمق المزدوق وقيل لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأه
حتى تموت ولا طعاما حتى يستمرته ولا يشق بخليل حتى يستقرضه وقيل طول الحية أمان
من العقل وسئل بعضهم أيما الحياء أم الخوف قال الحياء لان الحياء يدل
على العقل والخوف يدل على الجبن وقيل غضب العاقل على فعله وغضب الجاهل على
قوله وقال أبو الدرداء رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عويمر أزد عقلا
تزد من الله تعالى قربا قلت بآبي وأمي ومن لي بالعقل قال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض
الله تعالى تكن عاقلا ثم تنقل إلى صالح الأعمال تزد في الدنيا عقلا وتزد من الله قربا وعزا
(وحكي) بعض أهل المعرفة قال حياة النفس بالروح وحياة الروح بالذكرو حياة القلب
بالعقل وحياة العقل بالعلم وروى عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه كان ينشد
هذه الايات ويترنم بها

ان المكارم أخلاق مطهرة * فالعقل أولها والدين ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها * والجود خامسها والعرف سادسها
والبر سابعها والصبر ثامنها * والشكر تاسعها واللين عاشيها
والعين تعلم من عيني محمدتها * ان كان من حزبي أو من أعاديها
والنفس تعلم اني لا اصدقها * ولست ارشد الا حين اعصها

وقال بعض الحكماء العاقل من عقله في ارشاد ورأيه في امداد فقوله شديد وفعله جيد
والجاهل من جهله في اغراء فقوله سقيم وفعله ذميم ولا يكتفي في الدلالة على عقل الرجل
الاغترار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلقته وتطافه برتبة اذ كم من
كثيف مبيض وجلد مفضض وقد قال الاصمعي رأيت بالبصرة شيخا له منظر حسن
وعليه ثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخروج فأردت أن أختبر عقله فسلت
عليه وقلت له ما كنية سيدنا فقال أبو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعي
فضحك منه وعلت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك عنه غزارة خرج به ودخله وقد
يكون الرجل موسوما بالعقل من موافقين الفضل في صدره منه حالة تكشف عن حقيقة
حاله وتشهد عليه بقلته عقله واختلاله وقيل ان اياس بن معاوية القاضي كان من اكابر
العقلاء وكان عقله يهديه إلى سائر طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد إليها فكان من جملة

الوقائع التي صدرت منه وشهدت له بالعقل الرابع والفكر القادح انه كان في زمانه رجل مشهور بين الناس بالامانة فاتفق أن رجلاً أراد أن يحج فأودع عند ذلك الرجل الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد من حجه جاء الى ذلك الرجل وطلب كيسه منه فأبى له وبجده فجاء الى القاضي اياس وقص عليه القصة فقال له القاضي هل اخبرت بذلك أحدا غيري قال لا قال فهل علم الرجل انك أنت الذي قال لا قال انصرف واكتب أمرك ثم عد الى بعد غد فانصرف ثم ان القاضي دعا ذلك الرجل المستودع فقال له قد حصل عندى أموال كثيرة ورأيت أن أودعها عندك فاذهب وهي لها موضعاً حصينا فغضى ذلك الرجل وحضر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجل فقال له القاضي اياس امض الى خصمك واطلب منك وديعتك فان جحدك فقل له امض معي الى القاضي اياس اتحاكم انا وأنت عنده فلما جاء اليه دفع اليه وديعته فجاء الى القاضي وأعلمه بذلك ثم ان ذلك الرجل المستودع جاء الى القاضي طامعاً في تسليم المال فسبه القاضي وطرده وكانت هذه الواقعة مما يدل على عقله وصحة فكره * ولما مات بعض الخلفاء اختلفت الروم واجتمعت ملوكها فقالوا الآن يشغل المسلمون بعضهم ببعض فتمكننا الغزاة منهم والوثبة عليهم وعقدوا ذلك المشورات وتراجعوا فيه بالنسائرات وأجمعوا على أنه فرصة الدهر وكان رجل منهم من ذوى العقل والمعرفة والرأى غاباً عنهم فقالوا من الحزم عرض الرأى عليه فلما اخبروه بما اجمعوا عليه قال لا أرى ذلك صواباً فساألوه عن علته ذلك فقال في غد أخبركم ان شاء الله تعالى فلما اصبحوا أتوا اليه وقالوا قد وعدتنا ان تخبرنا في هذا اليوم بما عولنا عليه فقال سمعوا وطاعة وأمر باحضار كل بين عظيمين كان قد أعدهما ثم حش بينهما وحرّض كل واحد منهما على الآخر فتواشبا وتهاوشا حتى سالت دماؤهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وأرسل على الكلبين ذئبا كان قد أعد له لذلك فلما أبصراه تركا ما كانا عليه وتأنفت قلوبهما ونبأ جيعا على الذئب فقتلاه فأقبل الرجل على أهل الجمع فقال مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذئب مع الكلاب لا يزال الهرج بين المسلمين ما لم يظهر لهم عدو من غيرهم فاذا ظهر تركوا العداوة بينهم وتأنفوا على العدو واستحسنوا قوله واستصوبوا رأيه فهذه صفة العقلاء * (وأما ذم الحق) فقد قال ابن الاعرابي الحجاقة مأخوذة من جفت السوق اذا كسدت فكأنه كاسد العقل والرأى فلا يشاور ولا يلتفت اليه في امر من الامور والحق غريزة لا تنفع فيها الحيلة وهو داء دواؤه الموت قال الشاعر

لكل داء دواء يستطب به * الحجاقة اعيت من يداويه

والحق مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا حق ابغض الخلق الى الله تعالى اذ حرمه اعز الاشياء عليه وهو العقل وبسطة دل على صفة الا حق من حيث الصورة بطول اللحية لأن مخزجهما من الدماغ فمن افرط طول لحيته قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو أحمق وأما صفة من حيث الانفعال فترك نظره في العواقب وثقته بمن لا يعرفه والعجب وكثرة الكلام وسرعة الجواب وكثرة الالتفات والخلق من العلم والحيلة والخفة والسفاهة

والظلم والفضلة والسهم والخيلاء ان استغنى بطر وان اقتصر قسط وان قال أخش وان سئل
بجمل وان سأل ألمح وان قال لم يحسن وان قيل له لم يفقه وان ضحك فقهه وان بكى صرخ وان
اعتبرناه هذه الخلال وجدناها في كثير من الناس فلا يكاد يعرف العاقل من الاحمق * قال
عيسى عليه السلام عاجلت الارض والاكمة فأبرأتهم ما وعاجلت الاحق فأعيانى والسكوت
عن الاحق جوابه ونظر بعض الحكماء الى أحمق على حجر فقال حجر على حجر (وحكى) أن
احقين اصطليبا في طريق فقال أحدهما للآخر تعالى نبتن على الله فان الطريق تقطع بالحدث
فقال أحدهما أنا أتفى قطائع غنم اتفع بلبنها ولجها وصوفها وقال الآخر أنا أتفى قطائع
ذئاب أرسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيئا قال ويحك أهدأ من حق الصبغة وحرمة
العشرة قصاصا وتحاصما واشتدت الخصومة بينهما حتى تماسكا بالاطواق ثم تراضيا
على أن أول من يطلع عليهما يكون حكيما بينهما فطلع عليهما شيخ بهما رعية فزان من غسل
لقد ناهى بهما فزلا بالزقن وقصهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمي مثل
هذا العسل ان لم تكونا أحقين وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال كان رجل
يتبعدى في صومعة فأمرت السماء وأعشبت الارض فرأى جار يري في ذلك العشب فقال
يا رب لو كان لك جار لرعبته مع جارى هذا فبلغ ذلك بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام
فهم أن يدعو عليه فأوحى الله اليه لا تدع عليه فاني اجازى العباد على قدر عقولهم ويقال فلان
ذو حق وافر وعقل نافر ليس معه من العقل الا ما يوجب حجة الله عليه وخطب سهل هذا بنة
عنية فحقيقته فقال

وما هو جى يا هند الاسجية * اجر لها ذيلى بحسن الخلائق
ولو شئت خادعت الفتى عن قلوبه * ولا طمت في البطء من كل طارق

ويقال للآله السليم القلب هو من بقر الجنة لا ينطخ ولا يرمخ والاحق المؤذى هو من بقر سقر
والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث في القرآن وفضله وحرمة وما أعد الله تعالى لقارئه من الثواب
العظيم والاجر الجسيم

قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكرة فهل من مدكر وسمى الله تعالى القرآن كريما فقال
تعالى انه لقرآن كريم وسماه حكيمًا فقال تعالى يس والقرآن الحكيم وسماه مجيدا فقال تعالى
ق والقرآن المجيد أنزله الله تعالى على سيد الانام ونظام الانبياء الكرام عليه وعليهم أفضل
الصلاة والسلام فكان من أعظم معجزاته أن أعجز الله الفصحاء عن معارضته وعن الاتيان
بآية من مثله قال تعالى قل فأنا بسورة من مثله وقال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن
على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فهو النور المبين
والحق المستبين لا مئى استطع من اعلامه ولا أصدع من أحكامه ولا أفصح من بلاغته ولا
أرجح من فصاحته ولا أكثر من افادته ولا أذن من تلاوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
القرآن فيه خبر من قبلكم ونبا من بعدكم وحكم ما بينكم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم أصغر
البيوت بيت صفرو من كتاب الله تعالى وقال الشعبي الذى يقرأ القرآن انما يحدث عن ربه عز

وجلس - ووفد غالب بن صعصعة على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ومعه ابنه الفرزدق فقال له من أنت قال غالب بن صعصعة قال ذوالابل الكبيرة قال نعم قال فما فعلت بابلك قال أذهبت النوايب وزعزعتها الحقوق قال ذلك خير سبلها ثم قال لها يا أبا الاخطل من هذا الذي معك قال ابني وهو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من الشعر فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قبض نفسه وألى على نفسه أن لا يحل قبه حتى يحفظ القرآن حفظه في سنة وفي ذلك قال

وما صب رجل في حديد مجاشع * مع القيد الاحاجة الى أربدها

وقال أنس رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني لا تغفل عن قراءة القرآن اذا أصبحت واذا أمسيت فان القرآن يحيي القلب الميت وينهي عن الفحشاء والمنكر (وحكي) الرمنشيري في كتابه ربيع الابرار قال ومن حكايات الحشوية ما قيل ان ابراهيم الخواص مر بمصر وع فأذن في أذنه فناداه الشيطان من جوفه دعني أقتله فانه يقول القرآن مخلوق * وكان سفيان الثوري رحمه الله اذا دخل رمضان ترك جميع العبادات وأقبل على قراءة القرآن * وكان الامام مالك بن أنس رحمه الله تعالى اذا دخل شهر رمضان يفر من مذاكرة الحديث ومجالسة أهل العلم ويقبل على القراءة في المصحف * وكان أبو حنيفة والشعبي رحمه الله تعالى يمتحمان في رمضان ستين ختة وقال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن مات فدخل النار فهو من كان يتخذ ايات الله هزوا وقال الشعبي اللسان عدل على الاذن والقلب فاقرأ قراءة تسمعها اذنك ويفهمها قلبك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى أن أحدا أوفى أفضل مما أوفى فقد استصغرماعظم الله وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله وما جلادها قال قراءة القرآن وذكر الموت وقال عمر بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلى الصبح فقرأ مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع اهل الدنيا وقال علي كرم الله وجهه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير صلاة وهو على وضوء فخمسة وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وقال ابن عباس رضي الله عنهما لأن أقرأ البقرة وأل عمران ارتلتهما وأتدبرهما أحب الي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا قتبوا كوا وعن صالح المزني قال قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وكان عثمان رضي الله عنه يفتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بعريم الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالغنكبوت الى ص وليلة الاربعاء بتزل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس * وعن علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لافقه فيها ولا خير في قراءة لا تدبر فيها وكان عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه ولعن أباه اذا نشر المصحف أغنى

عليه ويقول هو كلام ربي وأبأطأت عائشة رضي الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ليلة فقال ما حبسك قالت قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتاً منه فقام فاستمع إليه طويلاً
 ثم قال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله وقال ابن عيينة رأيت
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله قد اختلفت على القرآن ففعل
 قراءة من تأمرني فقال علي قراءة أي عمرو * وعن أبي عمرو إن أطلب أن أقرأه كما
 قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما أنزل عليه فقدمت مكة فلقيت بها عدة من التابعين
 ممن قرأوا على الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فقرأت عليهم فاشدد بهم يداك فينبغي للانسان ان
 يحافظ على تلاوة القرآن ليلاً ونهاراً سفرًا وحضرًا * وقال الشيخ محمدي الدين النوروي
 رحمه الله في كتابه الاذكار قد كان للسلف رضي الله عنهم عادات مختلفة في القدر الذي يحتمون
 فيه فكانت جماعة منهم يحتمون في كل شهر ختمه وآخرون في كل عشر ليال ختمه وآخرون
 في كل ثلاث ليال ختمه وكان كثيرون في كل يوم وليلة ختمه وختم جماعة في كل يوم وليلة ختمتين
 وختم بعضهم في اليوم والليلة ثمان ختمات اربع في الليل وأربع في النهار وروى أن مجاهدًا
 رحمه الله كان يختم القرآن في شهر رمضان فيمابين المغرب والعشاء وأما الذين ختموا القرآن
 في ركعة فلا يحصون لكثرتهم فهم عثمان بن عفان وعيم الداري وسعيد بن جبير رضي الله
 تعالى عنهم وروى في مسند الامام المجمع على حفظه وجلالته واتفقه وبراعته أبي محمد
 الدارمي رحمه الله عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال اذا وافق ختم القرآن أول الليل
 صلت عليه الملائكة حتى يصبح واذا وافق أول النهار صلت عليه الملائكة حتى يمسي قال
 الدارمي هذا حديث حسن عن سعد وأفضل القراءة ما كان في الصلاة وأما في غير الصلاة
 فأفضلها قراءة الليل والنصف الاخير منه أفضل من الاول والقراءة بين المغرب والعشاء محبوبة
 وأما قراءة النهار فأفضلها بعد صلاة الصبح ولا كراهة في وقت من الاوقات ولا في أوقات النهي
 عن الصلاة ويستحب الاجتماع عند الختم لحصول البركة وقبل ان الدعاء يستجاب عند ختم
 القرآن وان الرجة تنزل عند ختمه ويستحب الدعاء عقب الختم استحباباً بامو كذا تأكيدياً
 شديداً ويجب على القارئ الاخلاص في قراءته وأن يريدهم اوجه الله تعالى وأن لا يقصد بها
 توصلاً الى شيء سوى ذلك وأن يتأدب مع القرآن ويستحضر في ذهنه انه يناج ربه سبحانه
 وتعالى ويتلو كتابه فيقرأ على حاله من يرى الله تعالى فانه ان لم يكن يراه فان الله يراه وينبغي
 للقارئ اذا اراد القراءة أن ينظف فيه بالسؤال وأن يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع
 فهذا هو المقصود والمطلوب وبه تشرح الصدور ويسر المرغوب ودلائله أكثر من أن
 تحصر وأشهر من أن تذكر وقد كان الواحد من السلف رضي الله عنهم يتلو آية واحدة ليلة
 كاملة يتدبرها ويستحب البكاء والتباكى لمن لا يقدر على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة
 العارفين وشعار عباد الله الصالحين قال الله تعالى ويخترون للاذقان يكون ويريدهم
 خشوعاً وقال السيد الجليل صاحب الكرامات والمعارف والمواهب والطائفة ابراهيم
 الخواص رضي الله عنه دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلق البطن وقيام الليل

والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين وقد جاءت آثار بفضيلة رفع الصوت بالقراءة وآثار بفضيلة الاسرار قال العلماء ان أراد القارئ بالاسرار بعد الرياء فهو أفضل في حق من يخاف ذلك فان لم يخف الرياء فالجهر أفضل بشرط أن لا يؤذى غيره من مصل أو نائم أو غيره مما والاحاديث في فضل القراءة وآداب جملة القرآن كثيرة غير محصورة ومن أراد الزيادة فلينظر في كتاب التبيان في آداب جملة القرآن لشيخ مشايخ الاسلام محيي الدين النووي قدس الله روحه وتوثر بريحه وقد جاء في فضل القرآن أحاديث كثيرة * وروى في فضل قراءة سور من القرآن في اليوم واللييلة فضل كبير منها يس وتبارك الملك والواقعة والدخان فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرأ يس في يوم ولييلة ابتغاه وجه الله تعالى غفر له وفي رواية له من قرأ سورة الدخان في ليلة أصبح مغفوراً له وفي رواية عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة وعن جابر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام كل ليلة حتى يقرأ ألم تنزيل الكتاب وتبارك الملك وعن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال من قرأ في ليلة اذا زلزلت الارض كانت له كعدل نصف القرآن ومن قرأ قل يا أيها الكافرون كانت له كعدل ربع القرآن ومن قرأ قل هو الله أحد كانت له كعدل الثلث والاحاديث بنحو ما ذكرناه كثيرة وقد أشرنا الى المقاصد منها والله تعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الرابع في العلم والادب وفضل العالم والمتعلم)

قال الله تعالى انما يحبشي الله من عباده العلماء وقال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أتوا العلم درجات وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه الله حسنة ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه عبادة وتعليمه صدقة وبذله لاهله قرابة لانه معالم الحلال والحرام وبيان سبيل الجنة والمؤنس في الوحشة والمحدث في الخلوة والجليس في الوحدة والصاحب في الغربة والدليل على السراء والمعين على الضراء والزين عند الاخلاء والسلاح على الاعداء وبالعلم يبلغ العبد منازل الاخبار في الدرجات العلى ومجالسة الملوك في الدنيا ومرافقة الابرار في الآخرة والفكر في العلم يعدل الصيام ومذاكرته تعدل القيام وبالعلم توصل الاربام وتفصل الاحكام وبه يعرف الحلال والحرام وبالعلم يعرف الله ويوحد وبالعلم يطاع الله ويعبد (قيل) العلم درك حقائق الاشياء مسموعا ومعقولا وقال النبي صلى الله عليه وسلم خيرا الدنيا والآخرة مع العلم وشر الدنيا والآخرة مع الجهل وعنه عليه الصلاة والسلام بوزن مداد العلماء ودماء الشهداء يوم القيامة فلا يفضل أحدهما على الآخر ولغدوة في طلب العلم أحب الى الله من مائة غزوة ولا يخرج أحد في طلب العلم الا وماله موكل به يشمره بالجنة ومن مات وميراثه المحابر والاقدام دخل الجنة وقال علي كرم الله وجهه أقل الناس قيمة أقلهم علما وقال أيضا رضي الله عنه العلم نهر والحكمة بحر والعلماء حول النهر يطوفون والحكماء وسط البحر يغوصون والعارفون في سفن النجاة يسبرون وقال موسى عليه السلام

في مساجده الهى من أحب الناس اليك قال عالم يطلب علما وقال بعض السلف رضى الله عنهم العلوم اربعة الفقه للاديان والطب للابدان والنجوم للارزمان والتحول للسان وقيل العالم طبيب هذه الامة والدنياد أوها فاذا كان الطبيب يطلب الداء فمتى يبرئ غيره (وستل) الشعبي عن مسئلة فقال لا علم لي به اقليل له الا تستحي فقال ولم استحي مما لم تستحي الملائكة منه حين قالت لا علم لنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على اذناكم وروى كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وقال علي كرم الله وجهه من نصب نفسه للناس اماما فعلية أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرة قبل تأديبه بلسانه وقيل مؤدب نفسه ومعلمها أحق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم وأنشدوا

يا أيها الرجل — الم تعلم غيره * هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لنى السقام وذى الضنا * كيما يصح به وأنت سقيم
وزالك تصلح بالرشاد عقولنا * أبدا وأنت من الرشاد عديم
قابداً بنفسك فانها عن غيها * فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ما نقول ويهتدى * بالقول منك وينتفع بالتعليم
لأنه عن خلق وتأني مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال بعضهم

انى رأيت الناس فى عصرنا * لا يطلبون العلم للعلم
الا مباهاة لاصحابه * وعدة للغش والظلم

نظر رجل الى امرأته وهى صاعدة فى السلم فقال لها أنت طالق ان صعدت وطالق ان نزلت وطالق ان وقفت فرمت نفسها الى الارض فقال لها فداك أبى وامى ان مات الامام مالك احتاج اليك أهل المدينة فى أحكامهم * وقال النبي صلى الله عليه وسلم هلاك امتى فى شيتين ترك العلم وجع المال وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أفضل الاعمال فقال العلم بالله والفقه فى دينه وكررهما عليه فقال يا رسول الله أسألك عن العمل فتخبرنى عن العلم فقال ان العلم ينتفعك معه قليل العمل وان الجهل لا يتفعلك معه كثير العمل * وقال عيسى عليه السلام من علم وعمل عدت فى الملكوت الاعظم عظيما * وقال الخليل عليه السلام العلوم أقفال والاستئلة مفاتيحها وعنه عليه السلام زلة العالم مضروب بها الطبل وزلة الجاهل يخفيها الجهل وقال الحسن رأيت أقواما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من عمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه والعامل بغير علم كالسائر على غير طريق فاطلبوا العلم طلبا لا يضرب بالعبادة واطلبوا العبادة طلبا لا يضرب بالعلم * وقال يزيد بن ميسرة من أراد بعلمه وجه الله تعالى أقبل الله بوجهه ووجوه العباد اليه ومن أراد بعلمه غير وجه الله صرف الله وجهه ووجوه العباد عنه وعن انس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ألا أخبركم بأجود الاجواد قالوا بلى يا رسول الله قال الله أجود الاجواد وأنا أجود ولد آدم وأجود من بعدى رجل علم علما فنشره يبعث يوم القيامة امة

وحده ورجل جاد بنفسه في سبيل الله حتى قتل وقال الثوري **ك**كان يقال العالم الفاجر
فتنة لكل مفتون وعن الفضيل رحمه الله تعالى انه قال لو أن أهل العلم أكرموا أنفسهم
وأعزوا هذا العلم وصانوه وأزروه حيث أنزله الله إذا خضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد
لهم الناس وكانوا لهم تبعاً ولكنهم أذلوا أنفسهم وبذلوا علمهم لأبناء الدنيا فهاؤوا وذلوا فانا
لله وانا اليه راجعون فاعظم بهم مصيبة والله أعلم وللقاضى العلامة أئى الحسن على بن
عبد العزيز الجرجاني وقد أحسن **ك**كل الاحسان كأنما طرزت في خلع حسان
شعر

ولم اقض حق العلم ان كنت **ك**لما * بدا طمع صبرته لى سلبا
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي * لا خدم من لايت لكن لا خدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة * اذا فاتباع الجهل قد كان اسلبا
فان قلت زند العلم كاب فاعلمنا * كما حين لم فخر من جاء وأظلمنا
ولو أن أهل العلم مساوؤهم صانهم * ولوعظموه في النفوس لعظمنا
ولكن أهانوه فهانوا وذنسوا * محياه بالاطماع حتى تبهمنا
وقبل من لم يتعلم في صغره لم يتقدم في **ك**كبره وقال الفضيل شر العلماء من يجالس الامراء
وخير الامراء من يجالس العلماء وقال لقمان جالس العلماء وزاجهم ركبتيك فان الله ينجي
القلوب بنور الحكمة كما ينجي الارض بماء السماء وقيل من عرف بالحكمة لاحفظه العيون
بالوقار وكان ابن مسعود رضى الله عنه اذا رأى طالب العلم قال مرحبا بكم ينابيع الحكمة
ومصابيح الغلة خلقان الثياب جدد القلوب رباحين كل قبيلة وقال على رضى الله عنه
ككنى بالعلم شرفاً أن يدعيه من لا يحسنه ويفرح به اذا نسب اليه وكفى بالجهل ضعة أن
يتبرأ منه من هو فيه ويفضأ اذا نسب اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما أتى الله
أحدا علماً الا أخذ عليه الميثاق أن لا يكتبه أحدا ودعا بعضهم لا تحرف قال جعلك الله ممن
يطلب العلم رعاية لا رواية ومن يظهر حقيقة ما يعلم بما يعلمه وعن عمر رضى الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال على باب الجنة شجرة تتحمل ثمارا كندى النساء يخرج من
تحتها عين ماء يشرب منها العلماء والمتعلمون مثل اللبن الحليب والناس عطاش وعن
ابن مسعود رضى الله عنه من تعلم با من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله أعطاه الله أجر
سبعين نبيا وعن أنس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل لامتى من علماء
السوء يتخذون العلم تجارة يبيعونها لأربح الله تجارتهم شعر

العلم أنفس شئ أنت داخره * من يدرس العلم لم تدرس مفاخره

أقبل على العلم واستقبل مقاصده * فأقول العلم اقبال وآخره

قال الشعبي دخلت على الجراح حين قدم انعراق فساأنى عن اسمى فأخبرته ثم قال يا شعبي
ككيف علمك بكتاب الله قلت عني يؤخذ قال كيف علمك بالفرائض قلت الى فيها انتهى
قال كيف علمك بأنساب الناس قلت أنا الفصل فيها قال كيف علمك بالشعر قلت أنا ديوانه
قال لله أبوك وفرض لى أموالا وسودنى على قومي فدخلت عليه وأنا صاعولك من صعالبك

همدان ونجرت وأما سيدهم قال البستي
 اذالم يزد علم الفقي قلبه هدى * وسيرته عدلا وأخلاقه حسنا
 فبشره ان الله أولاده قنسة * نقشه حرمانا ونوسعه حزنا
 وقال الهيثم بن جبير شهدت مالك بن أنس رضي الله عنه سئل عن ثمان وأربعين مسألة
 فقال في ثنتين وثلاثين منها لا أدري وقال الاوزاعي شككت النواويس الى الله تعالى
 ما تجد من تنريح الكفار فأوحى الله اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتن فيه وقال
 على رضي الله عنه من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والارض ولصالح النعمي
 شعر

تعلم اذا ما كنت لست بعالم * فما العلم الا عند أهل التعلم
 تعلم فان العلم أزين للفقي * من الحلة الحسناء عند التكلم
 ودخل عبد الله بن مسلم الهذلي على المهدي في القراء فأخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل
 في الرمة فأخذ عشرة آلاف درهم ثم دخل في المغنين فأخذ كذلك ثم دخل في القصاص فأخذ
 كذلك فقال المهدي لم أركل يوم أجمع لما يجمع الله في أحد منك ومل جماعة من الحكماء
 مجالسة رجل فتواروا عنه في بيت فرقى السطح وجعل يستمع من كوة حتى وقع عليه الثلج
 فصر فسكرك الله له ذلك فجعله امام الحكماء لا يختلفون في شيء الا صددوا عن رأيه وشكوا
 رجل الى وكيع بن الجراح وهو الحفظ فقال له اسمعن على الحفظ بترك المعاصي فأنشأ
 يقول

شكوت الى وكيع سوء حفظي * فأرشدني الى ترك المعاصي
 وذلك أن حفظ العلم فضل * وفضل الله لا يؤتى لعاصي

ووجد في بعض الآثار عن بعضهم انه قال اذا أردت أن تكون أحفظ الناس فقل
 عند رفع الكتاب أو المصحف أو ابتداء القراءة في كل شيء أردت بسم الله وسبحان الله
 ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عدد كل حرف كتب
 ويكتب ابد الآبدين ودهر الداهرين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
 قبل واذا أردت أن لا تنسى حرفا فقل قبل القراءة اللهم افتح علينا كتابك وانشأ علينا
 رجتك يا ذا الجلال والإكرام واذا أردت أن ترزق الحفظ فقل خلف كل صلاة مكتوبة
 آمين بالله الواحد الاحد الحق لا شريك له وكفرت بما سواه ومن فوائد سيدي الشيخ
 الصالح شهاب الدين اجد بن موسى بن جبير رحمه الله تعالى في الحفظ بقرا في كل يوم عشر
 مرات ففهمها سليمان وكلا آيتنا حكما وعلمنا الى قوله تعالى وكفا عليمين يا حي يا قيوم
 يا رب موسى وهرون ويارب ابراهيم ويارب محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام ألزمني الفهم
 وارزقني العلم والحكمة والعقل برحمتك يا أرحم الراحمين وعن أبي يوسف قال مات لي ولد
 فأمرت من يتولى دفنه ولم أَدع مجلسا ابى حنيفة خوفا ان يغوت منه يوم وقال محمد بن
 امحق بن خزيمة ما رأيت تحت اديم السماء اعلم بالحديث ولا أحفظ له من محمد بن اسمعيل
 البخاري حتى كان يقال ان حديثنا لا يعرفه محمد بن اسمعيل ليس بحديث وقال

الجاري رجه الله تعالى أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح وقال ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت وركعتين وقال أخرجه من سقائة ألف حديث وصنفته في ست عشرة سنة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله تعالى وقال مجاهد أتينا عمر بن عبد العزيز لنعلمه فابرحنا حتى نعلمنا منه وكان يقال للثب بن سعد رجه الله تعالى ذهب علمه كله بموته ولهذا قال الشافعي لما قدم مصر بعد موته والله لانت أعلم من مالك وإنما أصحابك ضيعوك وقال اللثب بن سعد ما هلك عالم قط الا ذهب ثلثا علمه ولو حرص الناس ويقال اذا سئل العالم فلا تجيب أنت فان ذلك استخفاف بالسائل والمسؤل وقالوا من خدم الحماير خدمته المنابر شعر

لاتدخر غير العلم * م فانها نسيم الذخائر

فالمرء يريح البقا * مع الجهالة كان خاسر

وللشافعي رضي الله تعالى عنه شعر

أخجل نثال العلم الأبدية * سأنيك عن تفصيلها بيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة * وصحبة استاذ وطول زمان

وقال الزهري العلماء أربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبي بالكوفة والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام وقال بعضهم العلماء سرج الازمنة كل عالم سراج زمانه يستضي به أهل عصره وقيل لاراهيم بن عينة اى الناس أطول بقاءة قال أما في الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره وأما في الآخرة فعالم مفترط شعر

كن عالما واراض بصف النعال * ولا تكن صدرا بغير الكمال

* فان تصد رت بلا آلة * صيرت ذاك الصدور صف النعال

وقيل لما اجتمع موسى بالخضر عليهما السلام جاء عصفور فأخذ بمنقاره من البحر قطرة ثم حط على ورث الخضر ثم طار فنظر الخضر الى موسى عليه السلام وقال يا بني الله ان هذا العصفور يقول يا موسى أنت على علم من علم الله علمه الله لا يعلمه الخضر والخضر على علم من علم الله علمه الله اياه لا تعلمه أنت وأنا على علم من علم الله علمه الله لا تعلمه أنت ولا الخضر وما على وعلم الخضر في علم الله الا كهذه القطرة من هذا البحر قال الله تعالى ولا يحيطون بشئ من علمه الا بما شاء وقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله تعالى أربعين ألف عالم الانس والجن والموثق لا يعلمها الا هو وقال موسى عليه السلام يا رب قد قلت للسموات والارض ائنيما طوعا وكرها قلنا اتينا طائعين فلو لم نطعك السموات والارض ماذا كنت فاعلا بهما قال يا موسى كنت أمر دابة من دوابي أن تبتلعهما قال موسى يا رب وأين تلك الدابة قال في مرج من مرجي قال موسى يا رب وأين ذلك المرج قال في علم من على لا يعلمه الا أنا وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في فكة فقال فيم تفكرون تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فان الله خلق من جانب الغرب أرضا يقال لها البيضاء تقطعها الشمس في أربعين يوما فيبها خلق ما عصى الله طرفه عين فقال ابن عمر يا رسول الله

أين إبليس منهم قال ما علموا بإبليس خلق أم لا قال أمن بن آدم قال ما علموا بأنهم خلق
 أم لا فهذه كلها مما اعتدها الله في علم غيبه انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون
 فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون وقال قتادة لو كان أحدنا مكتفيا
 من العلم لا لكتفى نبي الله موسى عليه السلام اذا قال هل اتبعك على أن تعلى مما علمت
 رشدا وقال الحكماء أفنزل العلم وقوف العالم عند علمه وقال بعضهم ليس العلم ما خزنته
 الدفاتر وانما العلم ما خزنته الصدور وقيل العلم يؤدى الى التصدير وقيل من تواضع
 للعلم ناله ومن لم يتواضع له لم ينله وقيل من برق علمه برق وجهه ومن لم يستفد بالعلم مالا
 اكتسب به جهالا العلم نور وهدى والجهل غي ووردي وقال بعضهم العالم يعرف الجاهل
 والجاهل لا يعرف العالم لان العالم كان جاهلا والجاهل لم يكن عالما وقيل أربعة يستودون
 العبد العلم والادب والصدق والامانة وقيل اهل العراق اطلب الناس للعلم وقال جاد
 ابن سلمة مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو كمثل الجمار عليه محلاة لا شعير فيها
 ولا براهيم بن خلف المهراني

التحويص من لسان الالسن * والمرءة تكرمه اذا لم يلحن
 واذا طلبت من العالموم أجلها * فأجلها منها مقيم الالسن

وقال علي بن بشار

رأيت لسان المرء آية عقله * وعنوانه فانظر بماذا تنعون
 ولا تعد اصلاح اللسان فانه * يخبر عما عنده ويبين
 ويعجبني زى الفتى وجماله * فيسقط من عيني ساعة يلحن

ودخل اعرابي السوق فوجدهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون وكم أبو موسى
 بعض قواده فلحن فقال لم لا تنتظر في العربية فقال بلغني أن من نظرفيهما قل كلامه فقال
 ويحك لأن يقل كلامك بالصواب خير لك من أن يكثر كلامك بالخطا وكان يقال مجالسة
 الجاهل مرض للعاقل وقال أبو الاسود الدؤلي اذا أردت أن تعذب عالما فاقرن به جاهلا
 وقال الشاعر

جهلت ولا تدري بأنك جاهل * ومن لي بان تدوى بأنك لا تدري

وقال رجل للحسن أنا أفصح الناس قال لا تقل هذا قال فخذ علي كلمة واحدة قال
 هذه واحدة أبو جهل كناه المسلمون بذلك وكانت قريش تكنيه أبا الحكم فقال حسان رضى
 الله عنه

الناس كنوه أبا حكم * والله كناه أبا جهل

(وأما ما جاء في الادب) فقد قال بعض الحكماء العقل يحتاج الى مادة من الادب كما يحتاج
 الابدان الى قوتها من الطعام وقال علي كرم الله وجهه الادب كنز عند الحاجة عون على
 المرأة صاحب في المجلس انيس في الوحدة تعمربه القلوب الواهية وتحميه الالباب الميئة
 وينال به الطالبون ما حاولوا وقبل عقل بلا أدب كشجاع بلا سلاح (وحكى) أن رجلا تكلم
 بين يدي المأمون فأحسن فقال ابن من أنت قال ابن الادب يا أمير المؤمنين قال نعم النسيب

انتسبت اليه ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لامن حيث يثبت ومن حيث يوجد لامن حيث
يولد قال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك محموده عن النسب
ان الفتي من يقول ها أنا ذا * ليس الفتي من يقول كان أبي
وقال بعض الحكماء من كثرة أدبه كثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا قال بعض الشعراء
وان كان غريبا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا قال بعض الشعراء
لكل شيء زينة في الوري * وزينة المرأة تمام الادب
قد يشرف المرء بأدبه * فينا وان كان وضع النسب
وقال بعض الاعاجم مقفرا

مالى عقلى وهمتى حسبي * ما أنا مولى وما أنا عربى
اذا انتى منتم الى أحد * فانتى منتم الى أدبى

وقيل الفضل بالعقل والادب لابل اصل والحسب وقيل المرء بفضيلته لا بفضيلته وبكماله
لا بهيئته وبأدبه لا بنباهه وقيل لرجل من أدبك قال رأيت جهل الجهال قبيحا فاجتنبته
فتأدبت ومن أدب ولده صغيرا سر به كبيرا من عرف الادب اكتسب به المال والجاه خسر
الخلال الادب وشرف المقال الكذب وقيل لبقراط ما الفرق بين من له ادب ومن لا ادب له
قال كالفرق بين الحيوان الناطق والحيوان الذى ليس بناطق ودخل ابو العالبيه على ابن
عباس رضى الله عنهما فاقعده معه على السرير واطعده رجلا من قريش تحته قرأى سوء نظرهم
اليه وجوضه وجوههم فقال مالكم تنظرون الى نظر الشيخ الى الغريم المفلس هكذا الادب
يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الامرة وقال جالينوس
ان ابن الوضيع اذا كان ادبيا كان نقص آييه زائدا فى منزلته وابن الشريف اذا كان غير
اديب كان شرف آييه زائدا فى سقوطه وقيل أحسن الادب أن لا يقتخر المرء بأدبه وسمع
معاوية رجلا يقول أنا غريب فقال كلا الغريب من لا أدب له ويقال اذا فاكك الادب فالزم
الصمت فهو من أعظم الآداب ولعبد الملك بن صالح

فى الناس قوم أضاعوا مجد أولهم * مافى المكارم والتقوى اهم أرب
سواء التأدب أرداهم وأرذلهم * وقد ينصح المنصب الادب

وقيل أربعة تسود العبد الادب والعلم والصدق والامانة وقال بعض الحكماء خمسة لاتمم
الانجسة لا يتم الحسب الا بالادب ولا يتم الجمال الا بالحلاوة ولا يتم الغنى الا بالجوود ولا يتم
البطش الا بالجرأة ولا يتم الجهاد الا بالتوفيق والله تعالى أعلم

(الباب الخامس فى الآداب والحكم وما أشبه ذلك)

قال الحكماء اذا اراد الله بعبد خيرا الهمة الطاعة وأزله القناعة وفقهه فى الدين وعضده
بالبقين فاكتفى بالكفاف واكتفى بالعفاف واذا أراد به شر احبب اليه المال وبسط منه
الآمال وشغل به بنيه ووكله الى هواه فركب الفساد ونظم العباد الثقة بالله أركى أمل
والتوكل عليه أوفى عمل من لم يكن له من دينه واعظم تنفعه المواعظ من سره الفساد ساء

لمعاد كل يحدد ما زرع ويجزي بما صنع لا يترك صحة نفسك وسلامة امسك فقرة العمر
 قلبه وصحة النفس مستحيلة من أطاع هواه باع دينه بدينه ثمره العلوم العمل بالمعلوم
 من رضى بقضاء الله لم يخطئه أحد ومن قنع بعطائه لم يدخله حسد أفضل الناس من لم يفسد
 الشهوة دينه خير الناس من أخرج الحرص من قلبه وعصى هواه في طاعة ربه نصرة الحق
 شرف ونصرة الباطل سرف الجليل حارس نعمته وخازن لورثته من لزم الطمع عدم الورع
 اذا ذهب الحياء حل البلاء علم لا ينفع كدواء لا ينجم من جهل المرء أن يعصى ربه في طاعة
 هواه ويهين نفسه في اكرام دينه أيام الدهر ثلاثة يوم مضى لا يعود اليك ويوم أنت فيه
 لا يدوم عليك ويوم مستقبل لا تدري ما حاله ولا تعرف من أهله من كثرت ابتهاجه بالمواهب
 اشتد انزعاجه للمصائب لا تبت على غير وصية وان كنت من جسمك في صحة ومن عمرك
 في فسحة عطف الناس بحسن أفعالك ودل على الجليل بجميل خالك أياك وقضول الكلام فانه
 يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن لا يجيد الجحول فرحوا ولا الغضوب سرورا
 ولا الملول صديقا حسن النية من العبادة حسن الجلوس من السياسة من زاد في خلقه
 نقص في خلقه من اتى الزمان خائب أظهر الناس محبة أحسنهم لقاء لا يكمل للانسان دينه
 حتى يكون فيه أربع خصال يقطع رجاءه مما في أيدي الناس ويسمع شتم نفسه ويصبر ويجب
 للناس ما يجب لنفسه ويشق بما عيى الله أياك والحسد فانه يفسد الدين ويضعف اليقين
 ويذهب المروءة قبل لا فلاطون ما الشئ الذي لا يحسن أن يقال وان كان حقا قال مدح الانسان
 نفسه أربعة تؤدى الى أربعة الصمت الى السلامة والبر الى الكرامة والجود الى المحبة
 والشكر الى الزيادة من ساء تدبيره أهل كجده العزة ثمرة الجهل آفة القوة استضعاف
 الخصم آفة النعم قبح المت آفة الذنب حسن الظن الحزم أسد الآراء والغفلة أضر الأعداء
 من قعد عن حيلته أقامته الشدائد ومن نام عن عدوه أيقظته المكاييد من قرب السفلة
 واطرح ذوى الاحساب والمروءات استحق الخذلان من عفا تغفل من كظم غيظه فقد حلم
 من حلم فقد صبر من صبر فقد ظفر من ملك نفسه عند أربع حرمه الله على النارحين يغضب
 وحين يرغب وحين يرهب وحين يشتهى من طلب الدنيا بعمل الآخرة فقد خسرهما ومن طلب
 الآخرة بعمل الدنيا فقد ربحهما كلام المرء بيان فضله وترجانه عقله فاقصره على الجليل
 واقصر منه على القليل كل امرئ يعرف بقوله ويوصف بفعله فقل سديدا وافعل حميدا
 من عرف شانه وحفظ لسانه وأعرض عما لا يعنيه وكف عن عرض أخيه دامت سلامته
 وقلت ندامة كن صمتا وصدوقا فالصمت حرز والصدق عز من أكثر مقالته سم ومن أكثر
 سؤاله حرم من استخف بأخوانه خذل ومن اجتراء على سلطانه قتل ما عز من أذل جيرانه
 ولا سعد من حرم أخوانه خيرا والوال ما وصل قبل السؤال أولى الناس بالنوال ازهدهم
 في السؤال من حسن صفائه وحب اصطفاؤه من غاظك بضيع الشتم منه فغظه بحسن
 الحظ عنه من يغفل بماله على نفسه جاد به على زوج عرسه اذا اصطفت المعروف فاستره
 واذا اصطنع اليك فأنشره من جاور الكرام امر من الادم من طاب أصله زكاف عره

من انكر الصنعة استوجب القطيعة من من يعرفه سقط شكره ومن أعجب بعمله حبط
اجره من رضى من نفسه بالاساءة شهد على أصله بالرداءة من رجع في هيبته بالغ في خسسته
من رقى في درجات الهمم عظم في عيون الامم من كبرت همته كثرت قسوته من ساء خلقه
ضاق رزقه من صدق في مقاله زاد في جماله من هان عليه المال توجهت اليه الآمال
من جاد به بالهجل ومن جاد به رضى ذل خير المال ما اخذ من الحلال وصرف في التوال
وشتر المال ما اخذ من الحرام وصرف في الآثام أفضل المعروف اغاثة الملهوف من غلام
المرواة أن تنسى الحق والى وذكرا الحق عليك وتستكبر الاساءة منك وتستصغرها من غيرك من
احسن المكارم عفو المقدر جود الرجل يحببه الى اصدقائه وبخله يفضيه الى اودائه لا تنسى
الى من احسن اليك ولا تن على من انعم عليك من كثر ظله واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه
من طال عتديه كثرت اعاديته شر الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم
من خفر حقيرا الاخيه كان حقيقه فيه من سل سيف العدوان أنجم في رأسه من لم يرحم
العبرة سلب النعمة ومن لم يقل العثرة سلب القدرة لا تحتاج من يهلك خوفه ويملك
سيفه صحت تسلم به خير من نطق بتدم عليه من قال ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي جرح
الكلام أصعب من جرح الحسام من سكت عن جاهل فقد اسعده جوابا وأوجعه عتابا
من أمات شهوته أحياء رآته من كثرت عوارفه كثرت معارفه من لم تقبل توبته
عظمت خطيئته اياك والبعي فانه يصرع الرجال ويقطع الأجال الناس في الخير أربعة
أقسام منهم من يفعله ابتداء ومنهم من يفعله اقتداء ومنهم من يترك حرما ومنهم من يترك
استحسانا فمن يفعله ابتداء فهو كريم ومن فعله اقتداء فهو حكيمة ومن ترك حرما فهو شقي
ومن ترك استحسانا فهو دني ومن سالم سلم ومن قدم الخير فغنم من لزم الرفاد عدم المراد
ومن دام كسله خاب أماله العجول تخطئ وان ملك والمتأني مصيب وان هلك من امارات
الخذلان معاداة الاخوان استفساد الصديق من عدم التوفيق الرفق مفتاح الرزق
من نظرفى العواقب سلم من النوائب ومن أسرع فى الجواب اخطأ فى الصواب من
ركب العجل أدركه الزلل من ضعفت آراؤه قويت أعداؤه من قلت فضائله ضعفت
وسائله من فعل ما شاء لقي ما شاء من كثر اعتباره قل عثاره من ركب جده غلب ضده
القليل مع التدبير أبقي من الكثير مع التبذير ظن العاقل أصبح من يقين الجاهل
قليل تحمد آخره خير من كثير تدم عاقبته من خاف سطوتك تنفى موتك اذا استشرت
الجاهل اختارك الباطل من أعجبه آراؤه غلبته أعداؤه من قصر عن السياسة
صغر عن الرياسة لا تنسك ضعفك الى عدوك فانك تشتم بك وتطمعه فيك من لم يعمل
لنفسه عمل للناس ومن لم يصبر على كده صبر على الافلاس من أقشى ستره أفسد أمره
الحازم من حفظ ما في يده ولم يؤخر شغل يومه لغده من طلب ما لا يكون طال نعيه لا تنفع
بابا يعيبك سده ولا ترمسهما بعجزك رده سوء تدبير سبب التدمير اغمد سيفك ما ناب عنك
لسانك ليس العجب من جاهل يعجب جاهلا ولكن العجب من عاقل يعجب به لأن كل شئ يقز

من ضده ويميل الى جنسه اذا نزل القدر يطل الحذر رب عطب تحت طلب ومنية
تحت أمنية لا يخلو المرء من دود ويدح وعدو يقدح الجوع خير من الخضوع الكذب
مهم وان صدقت لهجته ووضعت حجته من طأوعه طرفه اشتد حقه من لم تسر
حياته لم تنم وفاته من أعظم الذنوب تحسن العيوب الشرف بالهم العالية لا بالرم
البالية اذا ملك الاراذل هلك الافاضل من ساءت أخلاقه طاب فراقه من حسنت
خصاله طاب وصاله بعد بورث الصفا خير من قرب يوجب الجفا اللسان سيف
قاطع لا يؤمن حده والكلام سهم نافذ لا يمكن رده من اطلع على جاره انه تكتجب
أستاره أجهل الناس من قل صوابه وكثر إعجابه أظهر الناس نقا من أمر بالطاعة
ولم يأتربها ونهى عن المعصية ولم ينته عنها من سلا عن المبالوب كن لم يسلب ومن صبر
على الذم صلبة كن لا ينكب الفضيلة بكثرة الآداب لا بفراهة الدواب من زادت شهوته
نقصت مروءته من عرف بشئ نسب إليه ومن اعتاد شياً حرص عليه عند الجدل
يظهر فضل الرجال من أكل الاكل لظعامه ومن أخر النوم طاب منامه موت في دولة
وعز خير من حياة في ذلة وبجز مقاساة الفقر هي الموت الاحمر ومسئلة الناس هي
العار الاكبر حق يضتر خير من باطل يسر كم من مرغوب فيه يسوء ولا يسر
ومرغوب منه ينفع ولا يضتر عثرة الرجل تزيل القدم وعثرة اللسان تزيل النعم المزاج
بورث الضغائن من حلم ساد ومن تفهم ازداد معاشرة ذوى الالباب عمارة القلوب
شر ما يحب المرء الحسد ربما اصاب الاعى رشده وأخطأ البصير قصده الياس خير من
التضرع الى الناس لا تكن ضاحكاً في غير عجب ولا ماشياً في غير أرب من سعى بالخيسة
حذره القريب ودمته الغريب الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استبد برأيه
أشرف الغنى ترك المني من ضاق خلقه مله أهله الحسد للصديق من سقم المودة كل
الناس راض عن عقله دنيا كها وقتك الذي أنت فيه استرسوة أخيك لما يعلم
فيك خول الذكر أسنى من الذكر الذميم العجلة أخت الندامة من كرم أصله لان
قلبه ومن قل لبه زاد عجب به ربما أدرك بالظن الصواب ليس لعجب رأى ولا لمتكبر
صديق سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار لا تعادين أحدًا فانك
لا تغفل من عداوة جاهل أو عاقل فالخذر من حكمة العاقل وجهل الجاهل ضاحك
معترف بذنبه خير من كمدل على ربه من قل سروره كان الموت راحته لا تردن
على ذى خطأ خطاه فيستفيد منك علماً ويتخذك عدواً استحي من ذم من لو كان حاضرا
لبالغت في مدحه ومدح من لو كان غائباً الساوت الى ذمه وقيل المنفعة توجب المحبة
والمضرة توجب البغضة والخالفة توجب العداوة والمتابعة توجب الالفسة والعدل
يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسوء الخلق
يوجب المباعدة والانباط يوجب المؤانسة والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب
المقت والتواضع يوجب الرفعة والجود يوجب المدح والبخل يوجب الذم والنواني
يوجب التضييع والحزم يوجب السرور والحذر يوجب السلامة واصابة التدبير

توجب بقاء النعمة وبالثاني تسهل المطالب وبمحسن المعاشرة تدوم المحبة وبمخفوض الجانب تأنس النفوس وبسعة خلق المريطيب عيشه والاستهانة بوجوب التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبة وبعدل المنطق تجلب الجلالة وبالثقة تكثر المواسلة وبالأفضال يعظم القدر وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال وباحتمال المؤمن يجب السودد وبالحلم على السفه تكثر انصارك عليه وبالرفق والتودد تستحق اسم الكرامة وبترك ما لا يعينك يتم لك الفضل واعلم أن السياسة تكسوها لها المحبة ومن صغر الهمة الحسد للصديق على النعمة والنظر في العواقب شجاعة ومن لم يحلم ندم ومن صبر غم ومن سكت سلم ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم ومن فهم علم ومن اطاع هواه ضل ومع العجلة الندامة ومع التأني السلامة وزارع البر يحصد السرور وصاحب العقل مغبوط وصداقة الجاهل تعب اذا جهلت فاسأل واذا ذلت فارجع واذا اسأت فاندم واذا ندمت فاقطع المروآت كلها تتبع العقل والرأي تبع التجربة والعقل اصله الثبوت وغمرته السلامة والاعمال كلها تتبع القدر واختار العلماء أربع كلمات من أربع كتب فن التوراة من قنع شبع ومن الانجيل من اعتزل نجا ومن الزبور من سكت سلم ومن القرآن من يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم واجتعت حكاء العرب والعجم على أربع كلمات لا تحمل بطنك ما لا يطيق ولا تعمل عملا لا ينفعك ولا تغتر بأمرأة ولا تنق بحال ولو كثروا الله تعالى أعلم

(الباب السادس في الامثال السائرة وفيه فصول)*

(الفصل الاول فيما جاء من ذلك في القرآن العظيم وأحاديث النبي الكريم) اعلم أن الامثال من اشرف ما وصل به اللبيب خطابه وحلى بجواهره كتابه وقد نطق كتاب الله تعالى وهو اشرف الكتب المنزلة بكتيب منها ولم يخل كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها وهو أفصح العرب اسانا واكملهم بيانا فكفم في اراده وامداداه من مثل يعجز عن مبادراته في البلاغة كل بطل وسندكر ان شاء الله تعالى بعد ذلك نبذة من أمثال العرب والمولدين والعامة * فن أمثال كتاب الله تعالى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون الا أن حمص الحق قضى الامر الذي فيه تستفتيان اليس الصبح يقرب ثم بدلتا مكان السيئة الحسنة ليس لها من دون الله كاشفة أأأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وجعل بينهم وبين ما يشتهون لكل نامة مستقر قل كل يعمل على شاكلته وعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان تصبكم سيئة فغروا بها كل نفس بما كسبت وهينة حتى اذا فرحوا بما آوتوا أخذناهم بغتة ما على الرسول الا البلاغ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ما على المحسنين من سبيل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى هل جزاء الاحسان الا الاحسان ولا ينبتك مثل خير ولو علم الله فيهم خير الا سمعهم كل حزب بما لديهم فرحون لا يكلف الله نفسا الا وسعها لا يستوى الخبيث والطيب فقررت منكم

لما خفتكم وإن كثيرًا من الخطاء ليعقب بعضهم على بعض يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ألم تر أن الذين يزكون أنفسهم بل الله يتركى من يشاء يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسوؤكم وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين ولو رددوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون اعلموا ان الله شديد العقاب وأن الله غفور رحيم ولورجناهم وكشفنا ما بهم من ضمر للجوا في طغيانهم يعمهون فذكر انما انت مذكر است عليهم عسيطر انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبئس القرين فما وجدنا فيها غيريت من المسلمين لا يجلبها لوقتها الا هو فلا تزكوا انفسكم هو أعلم بمن اتقى كل يوم هو في شان فبأى حديث بعده يؤمنون وما ربك بغافل عما تعملون واهجرهم هجر اجيالا من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ان هي الا فتنتك فاعتبروا يا أولي الابصار وانه لقسم لو تعلمون عظيم ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ولتعلن بنأ بعد حين وكان بين ذلك قواما لمثل هذا فليعمل العالمون كل من عليها فان كل نفس ذائقة الموت أقصهر هذا أم أنتم لا تبصرون * ومن الامثال من الحديث النبوى انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى نية المرء خير من عمله آفة العلم التسيان من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه اذا أناكم كريم قوم فأكرموا أنزلوا الناس منازلهم البدا العليا خير من البدا السفلى من مات غريبا مات شهيدا مطل الغنى ظلم يدالله مع الجماعة الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق من غشنا فليس منا سيد القوم خادمهم الحياء شعبة من الايمان تخبروا لطفكم ابدأ بنفسك ثم بمن تقول حدث عن البحر ولا خرج المجالس بالامانات كل ميسر لما خلق له اطلبوا الخير من حسان الوجوه اياك وما يعتذر منه الوحدة خير من المجلس السوء استعينوا على الحوائج بالكتمان الندم توبة لا يكون المؤمن طعانا ولا لعانا دع ما يريئك الى ما لا يريئك من كثر سواد قوم فهو منهم انصرأحلك طالما أو ظلوما انتظار الفرج عبادة كاد الفقر ان يكون كفرا نعم صوة الرجل بيته الاعمال بخواتمها

(الفصل الثانى فى أمثال العرب) ان من البيان لسحرا ان الجواد قد يعثر ان البلاء موكل بالنطق ان أحمال الهجاء من يسى معك ومن يضر نفسه ليقعك انك فى السماء واست فى الماء ان الذليل الذى ليست له عضد اى الرجال المهذب انما هو كبرق خلب اذا أدبر الدهر عن قوم كنى عدوهم امرهم اياك اعنى فاسمى يا جارة ان لم يكن وفاق ففراق انك لا تجنى من الشوك العنب اذا حان القضاء ضاق القضاء ان المناكح خيرها الابكار اذا كنت مناطفا ناطح بذوات القرون أوى الى ركن بلا قواعد اياك أن تضرب بلسانك عنقك اكل وحمد خير من اكل وذم آفة المروأة خلف الوعد اذا قلت له زن طأطأ رأسه وحزن اذا أناك احدا الخصمين وقد فقت عينه فلا تقص له حتى يأتبك خصمه فلعله فقت عيناه ترك الذنب أسمر من طلب التوبة اتق شر من تحسن اليه الناس اخوان وشقى فى السليم بلغ السيل الزبا أجمع كلبك يتبعك حافظ على الصدق

ولوفى الطريق اشتد أزمته تنفر جى أتبع السيئة الحسنة تمحها الخيل أعرف بقربانها
رمتني بطرفها وانسلت رب رمية من غير رام الرياح مع السماح رب اكلة تنفع اكلات
استراح من لاعقل له رب أحم لم تلده أمك رب طمع اذى الى عطب وبما كان السكوت
جوابا وبما لم يذنب له رب عين اتم من لسان ورحم الله من هداى الى عيوبى ركوب
الخنافس ولا المشى على الطناقس سبق السيف العذل زوج من عود خير من قعود
سبيلك من بلغك السب بحبابة صيف عن قليل تقشع شر أيام الدين يوم تغسل رجلاه
طاعة النساء ندامة اطلب تقطر طرف الفتى يحزن لسانه ظاهر العتاب خير من باطن
الحقد عند الصباح يحمد القوم السرى الظلم مرثعه وخيم عند الطاح يغلب الكبش
الاجم العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الملامة اعقل وتوكل العتاب قبل
العقاب عند الرهان تعرف السوابق عند الامتحان يكرم المرء أو يهان عند النازلة
تعرف أخاك في القمر ضياء والشمس أضواء منه القول ما قالت حذام لقد اسمعت لوفاديت
حبا أقلل طعامك يحمد منامك كل قناة بأبيها مجبة كل كلب يبابه نباح
كذا العروس أن يكون ملكا كثرة العتاب توجب البغضاء أكثر مصارع الرجال تحت
بروق المطامع الكلام اتى والجواب ذكر كل انا يرشح بما فيه كما تزدع تحصد كل امرئ
في بيته صبي كلب جوال خير من أسد رايض لقد ذل من يالت عليه العتاب ليس الخبر
كالبيان لكل صار نبوة ولكل جواد كسوة لكل قادم دهشة لهل لها عذرا وأنت
تلوم لكل ساقطة لاقطة لكل مقام مقال للسان من رطب ويدان من خشب للباطل
جولة ثم يضمحل ليست النائحة الشكلي مثل المستأجرة لكل غد طعام لكل دهر دولة
ورجل لا عطر بعد عروس لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين لا يضرب السحاب نباح الكلاب
لا تقن من كاب سوء جروا مقتل الرجل بين فكبيه ماحك جلدك مثل ظفرك من عتب
على الدهر طال عتبه معانة الاخوان خير من فقدهم النفس مولعة يحب العاجل هذه
بتلك والبادى أظلم يا حباذا الامارة ولوعلى الحجارة يكسو الناس واسه عارية يلدن منك
وان كانت شلاء

* (الفصل الثالث فى أمثال العاثة والمولدين) * التسلط على المالك دناءة اجلس حيث
يؤخذ بيدك وتبر ولا تجلس حيث يؤخذ برجلك وتبخر أجرا الناس على الاسد أكثرهم له
رؤية الحاجة تقتق الحيلة الحماوى لا ينبج من الحيات الحبة تدور الى الرجي ترجع
المؤذى ردى كلما جالوته صدى الاسواق موأند الله فى أرضه السلامة احدى الغنمين
الشاة المذبوحة لا يؤلفها السلخ الطير بالطير يصاد اطلع القرد فى الكنيف فقال هذا المرأة
لهذا الوجه الظريف العادة طبيعة خامسة الغائب حجتته معه الخضوع عند الحاجة
رجولية الناس أتباع لمن غلب النكاح يفسد الحب النصيح بين الملاقاة تقريب الحز
وان مسه الضر والعبد عبد وان ملك الدود الثقيل اذا تحققت صار طاعونا اضيع من
حلى على زنجية العمل الزرنيخ والاسم للنورة انشط من اير دخل نصفه البغل الهرم

لا يفرغه صوت الجبل بدن وافر وقلب كافر تزاو روا ولا تجاوروا تعاشرُوا كالأخوان
وتعاملوا كالأجانب ثمرة المججلة الندامة جواهر الاخلاق تفضيها المعاشرة حيثما
سقط لقط خذ اللص قبل أن يأخذك خذ القليل من الشيم وذمه ذل من لاسفبه له ريق
العدو سم قاتل رب ساع ككعاعد زكاة البدن العلل زلق الحمار وكان من سهوة
المكاري زلة الرجل عظم يجبر وزلة اللسان لا تبق ولا تذر سلطان غشوم خير من قسنة تدوم
سواء قوله وبوله سفير السوء يفسد ذات البين شهر ليس لك فيه رزق لا تعد أيامه صديق
الوالد عم الولد ضرب الطبل تحت الكساء طاعة الولاية بقاء العز طفيل ويقتصرح عناية
القاضي خير من شاهدي عدل دلت على أهلها براقتن (وهو اسم كبة نجت فدلّت على الجيئش
فقتلوههم) غش القلوب يظهر في فلمات اللسن وصفحات الوجوه غنى المرأة في الغربة وطن
فر من الموت وفي الموت وقع فم يسج وقلب يذبح فلان كالكعبة يزار ولا يزور قيل للزمار
تهباً للزمر قال المزمار في كنى والريح في في كل قليل تعش كثير كلامه ريم في قصص كالابرة
تكسو الناس وهي عرابه كلمة حكمة من جوف خرب كاد المريب يقول خذوني كنت
سنداً نافصرت مطرقة كل ما فالتك من الدنيا فهو غنية كلما طارقهوا جناحه لو كان
المزاح لخالل لم ينتج الاشرار لسان الجاهل مفتاح حقه لكل جديد لذة لوضاعت صفقة
ما وجدت الا في قفاه لو كان في اليوم خير ما فات الصياد من اعتمد على شرف آبائه فقدد
عقهم من سعادة المرأة أن يكون خصمه عاقلاً وبالله التوفيق

(الفصل الرابع في الامثال من الشعر المنظوم مرتبة على حروف المعجم)*

(حرف الالف)

ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وكل نعيم لا محالة زائل
إذا جاء موسى وألقي العصا * فقد بطل السحر والساحر
إذا لم يكن فيك نسل ولا خبا * فأبعد كن الله من شجرات
إذا كنت في فكري وقلبي ومقلتي * فأى مكان من مكانك أطف
إذا أراد كريم منع صاحبه * فليس يخفى عليه كيف يتقه
إذا ما أتيت الامر من غير باب * ضللت وان تقصد الى الباب تهتدى
إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته * على طرف الهجران ان كان يعقل
إذا لم يكن عندى نوال هجرتنى * وان كان لى مال فأنت صديق
الناس فى طلب المعاش وانما * بالجدة يرزق منهم من يرزق
أيها السائل عما قد مضى * هل جديد مثل ملبوس خلق
انما أنفسنا عارية * والعوارى حكمها أن تسترد
ان العدو وان أبدى مسالمة * إذا رأى منك يوماً غرة وثبا
* أغنى على الزمان محالا * أن ترى مقلتاى طلعة حتر
* إذا ملك لم يكن ذاهبه * فدعه فدولته ذاهبه

* اذا ثارت خطوب الدهر يوما * عليك فكن لها ثبت الخزان *
 * اذا كنت لا ترضى بما قد ترى * فدونك الجبل به فاختق *
 * ان الامور اذا بدت لزوالها * فعلامة الادبار فيها تظهر *
 * اذا ضاع شئ بين أم و بنتها * فاحداهما لاشك ذلك آخذة *
 * اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا * فلا تلم الصبيان فيه على الرقص *
 * اذا ما أراد الله اهل لا تعلمه * سميت يجنحها الى الحق تصعد *
 * اذا أنت لم تعرض عن الجهل وانلنا * أصبت حلما أو أصابك جاهل *
 * اذا لم تستطع أمر افدعه * وجاوزه الى ما تستطيع *
 * اذا مسوت العصفور طار فواده * ولكن حديد الناب عند التراءد *
 * اهن عامر اكرم عليه فانما * أخو عامر من مسه بهوان *
 * اذا محاسن الالاق ايت بها * عدت ذنوب اقل لي كيف اعتذر *
 * اخوان صدق ما أولك بغبطة * فاذا افتقرت فقد هوى بك من هوى *
 * اذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فأبسر ما يمر به الوحول *
 * ألم تر أن المرء تدوى بينه * فيقطعها عدا ليسلم سائر *
 * اذا أنت لم تعلم طبيبك كل ما * يسوءك أبعدت الدواء عن السقم *
 * اذا أنت حلت الخون أمانة * فأنك قد أسندتها شر مسند *
 * أكل خليل هكذا غير منصف * وكل زمان بالكرام بخيل *
 * اذا أنت عبت المرء ثم آتته * فأنت ومن ترضى عليه سواء *
 * أسأت اذا حسنت ظني بكم * والخزم سوء الظن بالناس *
 * الحادثات اذا ألم خطوبها * فلها مسا ومرة ومحاسن *
 * الخير لا يأتيك متصلا * والشر يسبق سيله مطره *
 * العلم ينهض بالخسيس الى العلا * والجهل يقع بعد الفتى المتسوب *
 * الكفر بالنعمة يدعو الى * زوالها والشكر أبقى لها *
 * ايا دارهم ما كنت أنت بدارهم * ولا أنا مذسار الركاب بهم أنا *
 * اقلب طرفي لا أرى غير صاحب * يميل مع النعماء حيث تميل *
 * اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذلك غرم على غرم *
 * (حرف الباء الموحدة) *

بنا فوق ما تشكوه صبيرا لعنا * نرى فرجا يشفي السقام قريبا
 بالملح تصلح ما تخشى تغيره * فكيت بالملح ان حلت به الغير
 بني عمنا ان العداوة شأنها * ضغائن تبقى في نفوس الاقارب

(حرف التاء المثناة الفوقية)

نحن اليه أفئدة البرايا * وتهووا الخلاق للسماع
 تلوم على القطيعة من أتاها * وأنت ستنتهالناس قبلي

تلجى الضرورات في الامور الى * سلوك ما لا يليق بالادب
تفرقت القطباء على حراش * وما يدري حراش ما يصيد
تجتلي الاذن منه أحسن مما * تجتلي العين من وجوه البدور
(حرف الجيم)

جن له الدهر فنال الغنى * آملن أغفله الدهر *
جربت أهلي وأهليه فارتكت * لي التجارب في ودا مرئ غرضا
(حرف الحاء المهملة)

جباله من لم تكن تزجوتحيته * لولا الدراهم ما حياك انسان
(حرف الخاء المعجمة)

خفض الجأش واصبرن رويدا * فالرزايا اذا توالث تولت
خليلي ان الحب صعب مراسه * وان عزيز القوم فيه يهان
خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة * ان الجلوس مع العيال قبيح
خيالك في عيوني وذكرك في فني * ومثواله في قلبي فأين تغيب
خن من أمنت ولا تركن الى أحد * فما نصحتك الا بعد تجربي
(حرف الدال المهملة)

داود محمود وأنت مذم * بحبال الذل وانتم من عود
دعيني أنهب الاموال حتى * أعف الاكرمين عن اللثام
(حرف الذال المعجمة)

ذوالعقل يشقى في النعيم يعقله * وأخوال جهالة في الشقاء منهم
(حرف الزاء)

رب مهزول سمين عرضه * وسمين الجسم مهزول الحسب
ردوا علي صحائفها سودتها * فيكم بلاحق ولا استحقاق
رضيت ولا أَرْضى اذا كان مسخطي * من الامر ما فيه رضا صاحب الامر
رب يوم بكيت منه فلما * صرت في غيبه بكيت عليه
(حرف الزاي)

زنبم ليس يعرف من أبوه * يعني الام ذو حسب لثيم
(حرف السين المهملة)

سروري أن تبقى بخير ونعمة * واني من الدنيا بذلك قانع
سوء حظي أنا لاني منك هجرا * فعلى الخط لا عليك العتاب
سبكناه ونحسبه بلينا * فأبدى الكبر عن خبث الحديد
ستذكرني اذا جرت غيري * وتعلم انني نعم الصديق
(حرف الشين المعجمة)

شفيعي اليك الله لا رب غيره * وليس الى رد الشفيع سبيل

شكرتك قبل الخيران كنت واثقا * بأنى بعد الخير لا شك شاكر
(حرف الصاد المهملة)

صح لنا والده أولا * وأنت فى حل من والده
(حرف الضاد المعجمة)

ضائق ولولم تضيق لما انفرجت * والعسر مفتاح كل ميسور
(حرف الطاء المهملة)

طويل عمر المعالي والتدى أبدا * قصير عمر الاعادى والمواعيد
طوبى لآعين قوم أنت بينهم * القوم فى زهقه من وجهك الحسن
(حرف الظاء المشالة)

ظهرت خبايا التقات وغيرهم * حتى اتهمنا رؤية الابصار
ظلمت امرأ كلفته غير خلقه * وهل كانت الاخلاق الاثر ائرا
(حرف العين المهملة)

علم الله كيف أت فأعطا * لك المحل الجليل من سلطانه
على المرء أن يسعى لمافيه نفعه * وليس عليه أن يساعده الدهر
عسى فرج يأق به الله انه * له كل يوم فى خلقته امر
عنت على عسرو فلما تركته * وجزيت أقواما بكيت على عمرو
(حرف الغين المعجمة)

غنى بلادين عن الخلق كلهن * وان الغنى الاعن الشئ لآبه
تلام أناه اللوم من شطرنفسه * ولم يأت منه شطرا ثم ولا أب
(حرف الفاء)

فلم أركلايام السمراء واعظا * ولا كصروف الدهر للمرء هاديا
فنفسك أكرمها فانك ان تهن * عليك فلن تلقى لها الدهر مكرما
فصبر جميل ان فى اليأس راحة * اذا الفيت لم يحطر بلا دله ما طوره
فما أكثر الاصحاب حين تعدهم * ولكنهم فى النائبات قليل
فان كانت الاجسام مناباعدت * فان المدى بين القلوب قريب
فلو كان جدا يخلد المرء لم يمت * ولكن جسد المرء غير مخلص
فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسلك بهض دم الغزال
(حرف القاف)

قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
قد زال ملك سليمان فعاوده * والشمس تنشط فى البحرى وترتفع
قد يدرك المتأنى فنجح حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل
قد يدرك الشرف الفنى ورداؤه * خلق وجيب قيصره مرقوع
(حرف الكاف)

كلوا اليوم من رزق الاله وأبشروا * فان على انطلاق رزقكم غدا
 * كفى زاجر النمرأ أيام دهره * تروح له بالواعظاظ ونغتهدى
 * كنت من كربى اقوالهم * فهم كربى فأين القرار *
 * كانوا بنى أم ففرق شملهم * عدم العقول وخفة الاحلام
 * كل المصائب قد عتر على الفتى * فترون غسرتماثة الاعداء
 * كأنك من كل النفوس مركب * فأنت الى كل الانام حبيب
 * كالكلب ان جاع لم ينعك بصبصة * وان يبل شبعان يج من الاشتر
 * (حرف اللام) *

لعمرك ما يدري الفتى كيف يتقى * اذا هو لم يجعل له الله واقيا
 لعمري ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق
 للموت فينا سهام وهي صائبة * من فاته اليوم سهم لم يفقه غدا
 * لو أن خفة عقله في رجله * سبق الغزال ولم يفقه الارنب
 لو كان ما بي في صخر - ولا فحله * فكيف يحمله خلق من الطين
 لعمرك ما الايام الامعارة * فما سطعت من معروفيها قترود
 لكل امرئ حالان بؤس ونعمة * وأعطفهم في النسابتات أقاربه
 * (حرف الميم) *

من يحمد الناس يحمده * والناس من عابهم يعاب *
 * من لم يعدنا اذا امرضنا * ان مات لم ندمد الجنازه *
 متى يبلغ البنيان يوم اتمامه * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم
 من كان فوق محل الشمس رتبته * فليس يرفعه شئ ولا يضع *
 من الناس من يغشى الاباعد نفعه * وبشي به حتى المات أقاربه
 ما كان في المخذع من أمركم * فانه في المسجد الجامع
 * ما قام عمرو في الولا * به قائما حتى قعد *
 * (حرف النون) *

تسود أعلاها وتأبى اصولها * وليس الى رذ الشبا سبيل
 * نحن بنو المولى فيا بالنا * نعاف ما لا بد من شربه
 ندمت ندامة الكسعي لما * رأيت عيناه ما صنعت يده
 * (حرف الهاء) *

هناكم الله بالدين او متعكم * بما تحب لكم منها وترضاه *
 هل بالحوادث والايام من عجب * أم هل الى رذ ما قد فات من طلب
 هب الدنيا تقاد البك عفوا * أليس مصيرنا الى الزوال
 * هنيئاً لمن لا ذاق للدهر لوعة * ولم تأخذ الايام منه نصيبا
 هم يحسدوني على موتى فوا حزننى * حتى على الموت لأخلو من الحسد

(حرف الواو)

ولم اركل عروفي أما مذاقه * فخلو وأما وجهه فجميل *
 وإذا خضيت من الأمور مقدرا * وهربت منه ففخوه فتوجه *
 والرزق يخطئ باب عاقل قومه * ويبيت بواب باب الالحق *
 * ولا يغرب طول الحلم مني * فإبدان صادفتني حلما *
 * ولا خير فيمن لا يوطن نفسه * على نائبات الدهر حين تنوب *
 وإذا اتت مذمتي من ناقص * فهي الشهادة على باني كامل *
 * وما للمرء خير في حياة * إذا ما عتد من سقط المتاع *
 * وما المرء الا كالهلل وضوئه * يوافي تمام الشهر ثم يغيب *
 وقد تسلب الايام حالات اهلها * وتعدو على اسد الرجال الثعالب *
 ومن يأمن الدهر الخؤون فاني * برأى الذي لا يأمن الدهر اقتدى *
 وإذا اقتقرت الى الذخائر لم تجد * ذخرا يكون كصالح الاعمال *
 ومن يكن الغراب له دليلا * يتربه على جيف الكلاب *
 ومن يك مثلي ذاعبال ومقترا * من الزاد يطرح نفسه أي مطرح *
 ولربما منع الكريم وما به * بخل ولكن سوء حظ الطالب *
 ولا بات بسقينا سوى الماموحده * وهذا جزا من بات ضيف الضفادع *
 ومن عاش في الدنيا فلا بد أن يرى * من العيش ما يصفو وما يتكدر *
 ولودامت الدولات دامت لغيرنا * رعايا ولكن ما له من دوام *
 وأحسن فان المرء لا بد ميت * وانك مجزى بما كنت ساعيا *
 * ولا تزين الناس الاتجمللا * وان كنت صفر الكف والبطن طاويا *
 وما لامرئ طول الخلود وانما * يخلده طول الثناء فينملا *
 * ولرب نازلة يضيق بها الفقى * ذريعا وعند الله منها المخرج *
 * وكان رجائي أن أعود ممتعا * فصار رجائي أن أعود مسلما *
 * وتجلدى للشامتين اريهم * أنى لرب الدهر لا انضعضع *
 ولا بد من شكوى الى مراءة * يواسيك أو يسليك أو يتوجع *
 * وهون حزني عن خليلي أنى * إذا شئت لا قبث الذي مات صاحبه *
 * ويوم علينا ويوم لنا * ويوم نساء ويوم نسرت *

(حرف اللام ألف)

لا تنظرن الى الجهالة والحقى * وانظرن الى الاقبال والادبار *
 لا تسأل المرء عن خلافته * في وجهه شاهد من الخبر *
 * لا يصبر الحسرت تحت ضيم * وانما يصبر الحمار *
 * لانه عن خلق وتاني مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم *
 * لا يسأل الشتم عرض * ككله شتم وذم *

لاتنظرن الى امرئ ما اصله * وانظر الى أفعاله ثم احكم
لايسكن المرء في ارض يهان بها * الامن العجزأ ومن قلة الحبل
لايقبلون الشكر ما لم ينعموا * نعم ما يكون لها الثناء تبعها
لأسأل الناس عما في ضمائرهم * ما في ضميري لهم من ذالك يكفيني
(حرف الباء المثناة التحتية) *

* يفتر من المنية كل حي * ولا ينجي من القدر الحذار *
يريك الرضا والغل حشوجفونه * وقد تنطق العينان والفم ساكت
* يهيمهم للشعر اذا رآه * ويعبس ان رأى وجه اللجام *
* يغارقني من لأطبق فراقه * ويصعبني في الناس من لأريده *
* يزيد تفضلا وأزيد شكرا * وذلك دأبه أبدا ودأى *
يواسي الغراب الذئب في كل صيده * وما صادت الغريان في سعف النخل
* يهون علينا أن تصاب جسمونا * وتسلم أعراض لنا وعقول *
* يغز الفتى مر اليباس سليمة * وهن به عما قليل غواتر *
* يغيطني وهو على رسله * والمرء في غيظ سواء حليم *
* يريك البشاشة عند اللقاء * ويبريك في السر يرى القلم *
(الفصل الخامس في الامثال السائرة بين الرجال والنساء مرتبة على حروف المعجم)

(حرف الالف) *

ان كنت ما تعمل جيل اعمل كما يعمل معك * اذا ابغضك جارك حول باب دارك * اذا كان
صاحبك غسل لا تطسه كله * المستجمل والبطي عند المعذبة يلتقي * ألف ذقن ولا سلام
عليكم * ألف ذقن ولا ذقني * اذا غاب عنك اصله كانت دلائل نسبته فعله * اذا وصلت وسلم
الله بعب بما قسم الله * اذا كنت أعجى واطروش شم رائحة النقوش * اذا كان الفئيد
دردي والعشيق كودي والنقل فول حار والعشاء يسار ايش يكون الحال * اذا كان
القطن احر * والمغسل اعور * والدكة مخلعه * والنعش مكسر * اعلم أن الميت من اهل سقر
والوادي الاحر * ايش ينقع الضراط عند طلوع الروح * قال تعريف للحاضرين وتفرق
للملائكة * الفسر والنشر والعشاء خبيزه * اكل الدقه والنوم في الازقه ولا دجاجة تحمره
يعقبها مشقه * ايش انت في الحارة يا منخل بلا طاره * الرجم بالطوب ولا الهروب *
اذا وقعت يا فصيح لا تصيح * أقرع يقول لا قرع امشي بنا زرع في بركة القرعان ايش
ماطلع يطلع النصف لي والربع لي والثلث لي والثلث لي * العذو ما يني حبيب
حتى يصير الجمار طيب اقعد يا جار حتى يثبت لك الشعر * أي موضع راح الحزين يلتقي
جنائزه * قال الشاعر

* ان دام هذا السير يا مسعود * لا جعل ييني ولا تعود

غيره

اذا لم تكن لي والزمان شرم برم * فلا خير فيك والزمان ترلي

غيره

إذا أقبلت كادت تقاد بشجرة * وإن أدبرت كادت تقذف السلاسل

(حرف الباء الموحدة)

ينما يتروى الجبيل قضى الكريم حاجته * ينما يسعد المعترف عمره * ينما أصل قبره
نسبت همه * ينما يعدل المعتر حاله جالموت شاله * ينما يخص ربنا حتى انفرقت
جوزة حلقى * ينما ينقطع الجريد * يفعل الله ما يريد * ينما يجي الدرياق من العراق يكون
المسوع مات * بين حانه وبانه خلقت لحانه * بدوى مقروح لى الترمطروح ابن يحنى وروح
* بدال لحنك وقلقاسك هات لك شدة على راسك * بدال اللحنه والبالذبحان هات لك
قيص باعريان * بدال لحنك التلاته هات لك شدة بائعته * بقى للكلاب سرج وغاشيه
وغلمان وحاشيه * بقى للفرامر او يحلف بالطلاق * بعد الجوع والقلة بقى لك سمار وبغله
(حرف التاء المثناة فوق)

تموت الحدادى وعينه فى الصيد * تعالوا بنا نقتبج ونرجع غدا نصطلم * تدرج الخرا لعند
البعر قال له ايش انت قال له بزم قردش * ترك الفضول من حزم العقول * تراب العمل
ولا زعفران البطالة * تسكر وتخانق ماهوشى موافق * تجارة الاحق على أهل بيته
* تضارب الرمح مع الموج جالهم على النواتيه * تراوروا ولا تجاوروا * نبات نار تصبح
رماد لها رب يدبرها

(حرف الشاء المثناة)

نوب العبرة ما يدنى * ثقل واسمه صخر بن جبل * ثور علقوه انغى عليه قال حتى يطلع شئ
يرشوه عليه * ثور عاجز ما يدور ساقبه * ثقل من اولاد الزامر العنا * ثوب عليه ونوب
على الوتد قال انا اليوم أحسن من كل من فى البلد

(حرف الجسيم)

جور القط ولا عدل الفار * جل موضع جل بئر * جهد المقل دموعه * جل بحبه قال
واين الهبة * جيت اصطاد صادونى * جاره حق وجار ماله حق وجار لا يحبته عافيه * جاوله
مرآك أن لم يطر وجهك تظرفقك * جاكأب من عند خاله قال كل من هو فى حاله *
جاكأب من عنده قال كل من هو ملهى بهم * جازا يغلو اخيل الباشا مدت ام قويق
رجلها * جوز وهاله مالها الاله * جوز وامشكاح لريمه ما على الاثنى قيمه

(حرف الحاء المهملة)

حاجة لاتهمك وصى عليها زوج أمك * حول حبيبي ماعونه * وقدرته مع كلونه * حار
حنكوه بالتوت على باب الغيط يموت * حلينا القلوع وارسينا واصبحة على مأمسينا *
حب ووارى واكره ودارى * حدتنى ونصحتنى عايرتنى وفرتحنى * حط فليسانك فى كسك
واشترى ابولك واتك * حبة قرص تخرب أرض

(حرف الخاء المعجمة)

خدينى وارغبى فيه انا حصاد ملوخي وعند الخبز أككل فيه وعند الشغل مالى فيه

* خبئت لي وصلحت لك * خذذا الصبي فوق صبياتك * تمام لاسرائيل * خزينة في جره
وملحه في صره * خبزه بلا ادم ويعزم على الجيران
(حرف الدال المهملة)

دار الظالم خراب ولوبعد حين * درهم لك ودرهم عليك لالك ولا عليك * دواء مالا تشتهي
النفوس تهيجل الفراق

(حرف الذاال المعجمة)

ذا درب ما يستريح * ذي ماهي رمانه الاقلوب ملانه * ذالي وذالدي عليه * ذي ما يده
ما يقعد عليها طفلي * ذا النسيب زما هو من ذا العجين * الولد خرا من ظرفه كل من
شال رجليه حكا نقه * ذكر وامصر القاهرة قامت باب اللوق بجشائنها * ذكر والامدن
جاءت القرى تهجل

(حرف الراء المهملة)

راح ذاك الزمان بناسه وجاهذا الزمان بفاسه وكل من تكلم بالحق كسروا راسه * رأوا حجار
راكب حيط قالوا الى أين يا حجار قال مسافر قالوا من كانت هذه المطية مطيته لا يشترق
ولا يغرب * رأوا سكران يقرأ قالوا غنى تشاك كل روحك * رأوا شيخا يتهجى قالوا يا ختم
على الصراط * رأوا وودانه على سنداس قالوا مالذي النفسقيه الاذى البلطيه * رأوا على
قبر مكتوب يا سعادة ساكنه قالوا البصر من براجه * راكب بلاش ويناغش مرارة الرئيس
* ركبك وراى حطيت يذل في الخرج * راح الجندی * وخلى خلقه عندي * رزق
الكلاب على الجمانين راسين في عمامه ما يكون * راحت على جبل وجاءت على قطه قال مالذي
الشبه الاذى الخطه قال الشاعر

راح الذي كان غيب * ش بفضل به بين الوري

وبقي الذين حياتهم * ووجودهم مثل الخرا

(حرف الزاي المعجمة)

زقزوق على بركة يضحك وهو ضحكه * زاوية بلا عيش بنت لاش * زوج القصيره يحسبها صغيره
* زوجت بنتي اقعد في دراهم جاتني وأربعة وراها قال الشاعر
زوجت بنتي تنستر * ويمتلي بيتي قماش
جاغز لها في اكلها * وينكها طلع بلاش

زبورزن على حجر مسن قال له ايش تريد. قال الحسك قال انا الحس البولاد * زبورزن على فلس
بحس قال له ايش تطلب قال له عسل قال له قصدت معدن يادندن

(حرف السين المهملة)

سل المجرب ولا تنس الطيب * سموك مسحر قال فرغ رمضان * سموك حبل قال وطولت * سموك
راج قال ان شاء الله تجي الحق سبع ووزر ولا استتر قال الشاعر

سيغني الله عن بقراط دن * ويبأى الله باللبن الحليب

وقال آخر

سيغني الله عن زيد وعمرو * ويأني الله بالفرح القريب

(حرف الشين المجمة)

شره ووضيع وبغضب سريع * شئ ما به وتقطعت شابه * شعري يخلق وشعر ما يخلق *
شرب السموم القاتله ولا الحاجة الى السفل * شئ ولا تدعكني * شئ ما يجي على القلب
عنايته صعبه * شرا العبد ولا تريتيه * شئت بخله عامت زبله * ركبت خنفسه زمر
زبور قال ماذا الجوق الجليل الالمقطعات النيل

(حرف الصاد المهملة)

صام سنه وفطر على بصله * صبري على الحبيب ولا فقدته * صاحب يضمر عدومين *
صباح الفوال ولا صباح العطار * صباحك يا أعور قال ذي خناق بهايته * صباح الخير
يا جاري انت في دارك وانا في داري

(حرف الضاد المجمة)

ضرب الحبيب ككأ كل الزيب * ضربتين في الراس تعمى * ضرب وبكى وسبق يشتكى
* ضربه على كبس غيري كأنها في عدل حنا * ضمنوا حذايه لغراب قال الكل يطيروا * ضربوا
بياع الكسبره خري يباع التوم قال ذي داهيه جات على الخضره

(حرف الطاء المهملة)

طارت الطيور بأرزاقتها * طفيلي ويجلس في الصدر * طفيلي ويقترح * طويل الكم خطر
قليل الفرح في الدار * طبق وجاريه على صحن يساريه * طباوا جاصكم عثمان يد من ورا
ويد من قدام * طعمك ما جاني ودخانك اعماني * طار طيرك وأخذ غيرك * طول ما أعيش
يكفني رعي الحشيش * طول القيسه وجانا بالحبسه

(حرف الفاء المجمة)

ظهرك عندي نصف الليل

(حرف العين المهملة)

عنقود مدلى في الهوا من لا يصل اليه يقول حامض ولا استوى عشق بداله لا اباله *
عاشق ما يسمع بكاء صغير * عاشق ما يسمع كلام مفارق * عاشق مقل شئ ما زرع ايش جا يستغل
* عزومه حسبك عليك كل ويخلق عينيك * عند الخاضه بيان القليلط * عند الطعان
بيان الفارس من الجبان * عريان التينه وفي حزامه سكينه * عريان وفي كفه ميزان

(حرف الغين المجمة)

غابت السباع ولعبت الضباع * غربه وكربه ما يحمل الحال * غطاس وقلقاس نخسين
في قدره * غالى السوق ولا رخيص البيت

(حرف القاء)

فرجه بلا كسر تعمى البصر * فقير وفقير وكلامه كثير ويقول هاوا عشا من يخفى *
فوق الشراطه ملح اودانه * فارس خرا ويسوق في الوحل * فارس خرا واسمه عنتر * فارس
خرا ويسابق الخيل * فردضربه في الراس تكفي * فصدوا وقد ضرب طاقوا به دم زايد *

(حرف القاف)

قالوا للاعمى زوق عصاتك قال هو انما يحب فيها * قالوا للعمار اجتر قال مضغ المحال ما ينطلى
قالوا للقرد شب قال اياي ملاح وتمسك الماصول * قالوا للقرد اطلب من ربك قال هو
انما عنده بوجه بسيط * قالوا للجمال زمر قال لاشفق ملومه ولا اياي مقروده قالوا للذئب
طرزى قالت ذى خفة اياي * قالوا للكلاب احرثوا قالوا ما جرت بهذا عاده * قالوا
للغراب مالك تسرق الصابون قال الاذى طبعي * قالوا للبقر الديوان اذامته يكفونكم فى سرير
قالوا اسلمتم بنات روج بجلودنا * قالوا للغزاة ارحلى حركت ذنبها * قالوا للعرب ارحلوا
جلوا المناسف

(حرف الكاف)

كل من هو دونه بأكلان كلما نظرك جاع * كشكاردائم ولا علامة مقطوعه * كل كره واشرب
كره ولا تعاشر كره * كل هم كاوى عندهمى ياوى * كل شئ لا يشبه قايه حرام * كل
مائة عصفور ما يجوا احتداه * كل ألف مصه ما يجوا بغصه * كل ألف بوسه ما يجوا بعبوسه *
كلت بالجمان بالشعره والصنان * كل حبيبي كل المعاني * اعرج وقيليط ومججاني * كل
حبيبي واكل اعرج وقيليط واحول * وفيه عاده اخرى لمن يواصل يختر * كانه خان للنجار
لا يوحشه من غاب ولا يوانسه من حضر * كانه من طواحين الكشكار داير على رجل القار
* كانه عصفور ينيلك بالاش ويأوى فى الاعشاش

(حرف اللام)

* لولاك يا كى ما اكلت يا كى * لولاك يا لسانى ما انسكيت يا قفاى * لولا الغيرة والحسد كانت
مخوزه كفت بلد * لولا اختك ما صرت ابن عمك * لو قليناها بليه ما جات هكذا * لو كان فيها
خير ما رماها طير * لك وعليك ما يصعب عليك * لك اسوة بغيرك * لقمه بدقه ولا خروف
برقه * لقمه تحت حيطه ولا خروف بعبطه * لوسلم الكرم من حارسه طابت مغارسه *
لو تقطع يده وتديها من فيه صنعها ما يخلها * لو عمل لى من الذهب وليه هو عندي بتلك
العين القديعه * لو شال راسه الى السما كانه عصيده بما * لو نظرا لجل لصنه كان كدمه *
لولا الكشط والبرايه ما كانت اولاد الخرا كتاب *

(حرف الميم)

حبه بلا حبه ما نساوى حبه * ما شلتك يا دمعتى الا لشدتى * من عاشر غير جنسه دق الهم
صدره * من قدم النخس تعب فى تأخيره * من عاشر الخلد اذا حترق بناره * من عاشر الزبدانى
فاحت عليه رويحه * من ركب فى غير سرجه وغرزه دخل الهوا استمه وهزه من لا يحط
يده لزنده ما يعرف حظه من برده * ما رأيتك ناوور حتى ابيضت العيون * ما لى على فراقكم
جلد الا هجاسى من البلد * ما كفناهم ابونا قام ابونا جاب أبوه قال خذوا جدركم ربوه * من
عدم نابه ونصابه وثيابه وشبابه كان الموت أولى به * من يكلم القبح يروح عرضه وينفضح
* ما تنقدوهم كلهم زغليه ما فيهم من يعجب النقد

(حرف النون)

نوابه تسند الجزء قال وتسند الزير الكبير * نفسك اتلفت أى شئ اخلفت * نصف البلا
ولا البلا كله * ناقص ونحاس * ناموسه باقت على شجرة أصبحت تقول خاطرك قالت لها
وأنت كفت على أى ورقه * نيتك مطيتك * نسبت يا فلاح ما كنت فيه كعبك المشقق
والوحد فيه نيك حتى تبقى ديك

(حرف الهاء)

هانت الزلايه حتى اكلمها بنوائل * هان المسك واتثر * هدية تعتر قومها تخليتها ولا لومها *
هدية الاحباب على ورق السداب قال هو أحمى عن ورق الموز * هو عرس تا كل وتسل اهدوا
هدية وأعينهم فيها يقولوا الله يردها * هاتوا ذا الفزل الخبل لذا القلب المديل

(حرف الواو)

واحدثقه وأخرلقه وقال آخر يا قريب القرح * واحد يخطبوا له وهو قائم عليه قال أنا
في حاجتك * واحد جاز رأى قردي يجرش ترمس قال ما لذى الفاكهة البدرية الاذى الصورة
القمرية * واحد سموه عبر وصنعتة سرباقي قال الذى كسبه فى الاسم خسره فى الصنعة *
وحش ويكش ويقعد فى الوش ويغنى بليسا بكم * وقت أكل الدجاج ما يفتكرونى وفى وقت
شيل التراب هات يدك * وايش قام على نومه بفصل الحكمومه * وقت الشوا واليخنى
ما قلت يا أخى الحقنى * ووقت ضرب الدرره قلت اصفعوا واصفعنى

(حرف اللام الف)

لا تعبرنى ولا أعبرك الدهر حيرنى وحيرك * لأصل شريف ولا وجه ظريف * لأخوك ولا ابن
عمك تشق ثوبك على ايش * لاعاش بليق لاحراس ولا دراس * لاعاش العار ولا بنى له
دار * لا ربح نوابه ولا خلاه لاصحابه * لافى القراق نجد راحه ولا فى الوصل * لا تشكرن حتى
حتى تجربه * لا تفرح لمن يروح حتى تنظر من يجي * لا يضر السحاب نبح الكلاب * لا يغرك
تطريقى الاصل فى ربى

(حرف الباء)

يا شب مليح ما أحسن وصفك لافى يدك ولا فى طرفك * يا ويل من ذاق الغنى بعد جوعه * يموت
وفى قلبه من الهم واجس * يا طارق الباب بعد العشى لا تطرق الباب ما تم شئ * يا من ملنا
ما كان حلنا لسامالنا فى العشره سنه * يهنيكم قدومه قدجاكم بشومه ياليتنا انكسرنا
ولا بك انتصرنا * يا ويل من كان عشييه من بيت خيه يا طالب الشر بلا أصل تعال للصائم بعد
العصر

(أمثال النساء حرف الالف)

أحبك يا سوارى مثل معصمى * الذى فى قلب أم حنين يحلم به فى الليل * ان كنتى حره لا تضيعى
نقابك بره * ان لم تعملى وتفخرى والا قعدى وانعقرى * ان كانت الدايه أحن من الوالده
قال ذى داهيه عياره * الكلام لك يا جاره الا اتق جاره * ايش تعمل الماشطه فى الوجهه
المشوم * ايش قام على الحزينه بالنقش والزينه * ايش يقع النخ فى الوجهه الاصم * أرملة

عدي ومتزوج عدي اقعدي بعدسكي * اسم الزوج ولاطم الترتل * العاقلة فينا تزني
يقطينا * اذا كان زوجي راضي ايش فضول القاضي * استعارت الرعنه شي حسبته لها
اخذت المقص ودارنه لها * اقعدي في عشك حتى يجي حذبك
(حرف الباء الموحدة) *

بعدان كنتي لي وحدي بقيت أسمع أخبارك * بعدسنه وشهرين جابت بنت بشقيرين
* بعدان كان زوجها ببق طباح في عرسها * بعدمشيك في الحلقه ببق لك سلام وغرفه
واسمك ستيه * بعدأى وأختي الكل جيرانى * بينما تنقب الحوله انصرف القاضي * بنت
الخراترف لابن الخرايدف بات ناموسه على جيزه قالت صبحك الله بالخير قال مين درى بك
قبله * بدال ماتمشي وتهزى كتمك وقعي فردة خفك * بخراوتراحم بالبوس * بى لآم سيسى
برقع والصفدة زماره * بعدمشيك في الخلا في لبستي الصافي * بعيد على الحزينه تستعمل
الزينه

(حرف التاء) *

تابت القعبه يوم وليله قالت ما بقى في البلد حكام * تضاربت المجنونه والحقا حسبته الرعنه
من حقا * تصارب وتمعزى وتصيح يافله رجالي * تأخذوا أبونا وتكابرونا ترثانه وبيانه
ومفاتج الخزانه * تباهت الرعنه بشعر بنت اختها تخالوني والا استحل بجارنا قالت اذا كان
ذا في قلبك خذيه بلا استئلال * تمعنى بالخروج ولا تخلى الفخج * تقعد عيوشه في ديارتها
مالا حد حاجه في زيارتها

(حرف الشاء) *

توب سیدی توب حبیبی * توب سستی توب قبه

(حرف الجيم) *

جاره بجاره والعدا وخساره * جاني عذولي ورتالي ماهي محبسه الاثماته لي * جاريه وزبديه
على باذنجانته مقلبه * جاتنا العدو مكمله قطران لاغيره وقلها فرحان * جاب ثيابه يغسلهم
بلا صابونه معهم

(حرف الحاء المهملة) *

حوله وتنقب بنج * حزاننا ما عندهم دقيق اشتروا لهم منخل رقيق * حزاننا ما عندهم خبز
اشتروا لهم بعشره ملوخييه * حزينه وواعيه * حبله ومرضعه وعلى كتفها أربعه وطلعت
الجل تجيب دوا للجبيل * حوله ونصرانيه لاملجه ولا أصل طيب * حزينه مالها عملوك
سمت زبورها خوش كندم * حزينه مالها ملك اكرت لها أبواب * حزينه مالها كامله
طلبت لها خف وشعريه

(حرف الخاء المعجمة) *

خطبوها تعززت وكان زمان البوار * خلت فوجها مكروب وراحت تشوف المصلوب *
خذي قطيفه واكتبي سرى قالت ما يطاوعنى قلبي * خلت ما يعنيه اوابعت حاك رجلها
(حرف الدال المهملة) *

دری زو جک یکتبتک تنی نهارنم لبتک * دق من أسفل ولا تطلع ما انت علی القلب
(حرف الذال المجمة)

ذکرت العجوز اطلالها

(حرف الراء)

رقصتی ما احسنی کان قعادلک اجل * رعنا یضکوا بها وهی تضحک نساعدهم * رأوا جاموسه
منقبه بحمصیر قالوا لذلک الشکل الوضیع الا ذالقمش الرفیع * راحت بیع ربعه
غابت جمعه * راحت رجال الهیبة وبقیت رجال الخیبة * راحت رجال اللحم والقلقمش
وبقیتم رجال الخبز بالقسفاس * رأوا خنفسه علی مکسه قالوا لذلک الصیغه الا ذالجمار
الازعر

(حرف الزای)

زمر بالزمیرة تبان لک العاقله من الجبنیة * زو جی ما حکم علی قام لی عشیق بنمعه * زو جوا
بنت نشادر لی لسر بانی قالوا قلب لاث الخرات تخرج لبعضها

(حرف السین المهملة)

سودا وتنفش بسباخ * سودا منقبه قفل علی خزانه * سألوها عن آیها قالت جدی شعیب
(حرف الشین المجمة)

شدی قرطاسک من عند موسه قالوا دانی ما فرحتی به وانی عروسه * شامتہ ومعزیه
(حرف الصاد المهملة)

صارت القعبه واعظله * صارت القویقه شاعره

(حرف الضاد المجمة)

ضحک ابن سنه غمی علی امه قالت ما اخفدمه

(حرف الطاء المهملة)

طلعت ترجم نزلت تنوحم

(حرف الظاء المجمة)

ظریفه وعقیقه ولها نفث شریقه

(حرف العين المهملة)

عیا تخف مجنونہ وتقول حوا جک سودمقرونه * عاقله وجابت طفله وجابتها اطار واشتروا
لها قلقامس ذکر وحطب اخضر فی نهار مطر وقالوا لها الطبیعی علی قدر لحمه تقع الصلحه *

عجوزه وجابت غلام اذا جنت لالام * عجوزه وغرفانه دی داهیه کانه

(حرف الفین المجمة)

غیرک یقوم مقامک علیش قلبی أعذبه

(حرف الفاء)

فرحت حزینه خربت مدینه

(حرف القاف)

قالوا للمغاني اترقوا قلوبوا عصايهم * تحبه ما كنت بيتها كنت المسجد * قالوا دى تحبه
تطلب الثواب

(حرف الكاف)

كل من تبع هواها صارت سراويلها رداها * كبرنى يابرقوقه وبنى لك ديقوقه * كانوا
مغاني صاروا ملاهى لاراحت ولاجات كاهى * كللى قلبه وباقى هنيه * كانوا من الباسطيه
فماش على جريده * كانوا حزمه فخل أمفر وعرقها أخضر * كانوا من عمام اليهود صفرا
طويله رفيعه * كانوا من بيت الوالى ما يتحدث فيها سوى الحاشيه * كانوا ضربه جهيدى
مخاوعه ولا تاخذنى

(حرف اللام)

لو كان ما ينقش الالسمان بارت المواشط من زمان * للساعة ما حبلت جابت المرسين *
* لولا المعابر ما كانت الحراير

(حرف الميم)

ماشطه وتمشط بنتها * من اقتكرنا ياسميننا مانسينا

(حرف النون)

نوايه تسند البحره قال وتسند الزير الكبير

(حرف الهاء)

هش يادبانه أنا حبلى من مولانا *

(حرف الواو)

وجه لا يرى بالذهب يشتري

(حرف اللام الق)

لا اتقى مليحه ولا تنفى بايش تدلى

(حرف الباء)

يعيش المدلل بلا مكل * باغزالة الاقرار اين كنتى بالنهار * ياماتحت النقاب والشعريه من كل
بليه * يامن ملنا ما كان حلنا * للساعه ما لنا فى العشره سنه

(الباب السابع فى البيان والبلاغة والفصاحه وذكر الفصحاء من الرجال والنساء وفيه فصول)

(الفصل الاول فى البيان والبلاغة) اما البيان فقد قال الله تعالى الرحمن علم القرآن خلق
الانسان علمه البيان وقال صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا قال ابن المعتز البيان
ترجمان القلوب وصيقل العقول * وأما حده فقد قال الجاحظ البيان اسم جامع لكل
ما كشف لك عن المعنى * وأما البلاغة فانها من حيث اللغة هى أن يقال بلغت المكان اذا
اشرفت عليه وان لم تدخله قال الله تعالى فاذا بلغت أجلهن فامسكوهن بعروف وقال
بعض المفسرين فى قوله تعالى أم لكم ايمان علينا بالغة أى وثيقه كانوا قد بلغت النهايه وقال
البونانى البلاغة وضوح الدلالة واتهاز الفرصه وحسن الاشارة وقال الهندي البلاغة
تصحيح الاقسام واختيار الكلام وقال الكندي يجب البليغ أن يكون قليل اللفظ

كثير المعاني * وقيل ان معاوية سال عمرو بن العاص من ابلغ الناس فقال اخلصهم لفظا
 واسهلهم معنى واحسنهم بديهة ولولم يكن في ذلك الفخر الكامل لما خص به سيد العرب والعجم
 صلى الله عليه وسلم واقفخوبه حديث يقول نصرت بالعرب وأوتيت جوامع الكلم وذلك انه كان
 عليه الصلاة والسلام يتلفظ باللفظ اليسير الدال على المعاني الكثيرة * وقيل ثلاثة تدل على
 عقول أصحابها الرسول على عقل المرسل والهدية على عقل المهدي والكتاب على عقل
 الكاتب * وقال أبو عبد الله وزير المهدي البلاغة ما فهمته العامة ورصيت به الخاصة *
 وقال المجتري خير الكلام ما قل وجل ودل ولم يعل * وقالوا البلاغة مبدان لا يقطع
 الابواب الى الازهان ولا يسلك الابصار اليها قال الشاعر

لك البلاغة ميدان نشأت به * ~~وهو~~ كلفنا بصور عنك نعرف

مهدي العذر في نظم بعثت به * من عنده الدر لا يهدي له الصدف

(وروى) أن ليلى الاخيلية مدحت الحجاج فقال يا غلام اذهب الى فلان فقل له يقطع لسانها
 قال فطلب حجاجا فقاتلت فكتكت امة انما امره أن يقطع لسانها بالصلة فلولاه تصرها بأفهام
 الكلام ومذاهب العرب والتوسعة في اللفظ ومعاني الخطاب لثم عليها جهل هذا الرجل * وقال
 الثعالبي البليغ من يحول الكلام على حسب الامالى ويخطب الالفاظ على قدر المعاني
 والكلام البليغ ما كان لفظه فخلا ومعناه بكرة * وقال الامام فخر الدين الرازي رجة الله تعالى
 عليه في حد البلاغة انها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الايجاز الخلل
 والتطويل الممل ولهذه الاصول شعب وفصول لا يحتمل كشفها هذا المجموع ويحصل الغرض
 بهذا القدر وبالله التوفيق الى اقوم طريق

(الفصل الثاني في الفصاحة) قال الامام فخر الدين الرازي رجة الله تعالى عليه اعلم أن
 الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد واصلها من قولهم أفصح اللبن اذا أخذت عنه الرغوة
 وأكثر البلقاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونها ما استعمال الشينين
 المترادفين على معنى واحد في تسمية الحكم بينهما ويزعم بعضهم أن البلاغة في المعاني
 والفصاحة في الالفاظ ويستدل بقولهم معنى بليغ ولفظ فصيح * وقال يحيى بن خالد ما رأيت
 رجلا قط الاهتبه حتى يتكلم فان كان فصيحاً عظم في صدرى وان قصر سقط من عيني * وقد
 اختلف الناس في الفصاحة فمنهم من قال انها واجبة الى الالفاظ دون المعاني ومنهم من قال
 انها لا تخص الالفاظ وحدها واحتج من خص الفصاحة بالالفاظ بان قال نرى الناس يقولون
 هذا لفظ فصيح وهذه الالفاظ فصيحة ولا نرى قائلاً يقول هذا معنى فصيح فدل على أن الفصاحة
 من صفات الالفاظ دون المعاني وان قلنا انها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى
 بالفصيح وذلك غير مأوف في كلام الناس والذي أراه في ذلك أن الفصيح هو اللفظ الحسن
 المألوف في الاستعمال بشرط أن يكون معناه المفهوم منه صحيحاً حسناً * ومن المستحسن
 في الالفاظ تباعد مخارج الحروف فاذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكنة
 في مواضعها غير قلقة ولا مكدودة والمعيب من ذلك كقول القائل

لو كنت كنت كنت الحب كنت كما * كما وكنت ولكن ذلك لم يكن

وكقول بعضهم أيضا

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه * ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله ألف

وكقول الآخر

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

فيل ان هذا البيت لا يمكن انشاده في الغالب عشرة مرات متوالية الا ويغلط المتشد فيه لان
القرب في الخارج يحدث ثقلا في النطق به وقيل من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون
بالوقار وبالفصاحة والبيان استولى يوسف الصديق عليه السلام على مصر ومك فوام
الامور وأطلعها ملكها على الخفي من أمره والمستور قال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده * ولم يبق الا صورة اللحم والدم

وسمع النبي صلى الله عليه وسلم من عمه العباس كلاما فصيحاً فقال بارك الله لك يا عم في جالك أي
فصاحتك * وعرضت على المتوكل جارية شاعرة فقال أبو العباس تبخيرها أجد الله كثيرا *
فقلت * حدث أنشاك ضريرا * فقال يا أمير المؤمنين قد أحسنت في أساءتها فاسترها *
وقال فيلسوف كما أن الآنية تتحجج باطنانها فيعرف صحبها من مكسورها فكذلك الانسان
يعرف حاله من منطته * وقال المبرد قلت للمجنون أبحر في هذا البيت
أرى اليوم يوما قد تكاثف غيبه * وأبراقه فالיום لاشك ما طر

فقال

وقد حجب في السحاب شمس * كما حجب ورد الحدود والمهاجر

وقال عبد الملك لرجل حدثني فقال يا أمير المؤمنين افتح فان الحديث يفتح بعضه بعضا *
وقال الهيثم بن صالح لابنه ياني اذا أقلت من الكلام أكثر من الصواب قال يابأت
فان أنا أكثر واكثر يعني كلاما وصوابا قال ياني ما رأيت موعظا أحق بأن يكون
واعظا منك * وقال الشعبي كنت أحدث عبد الملك بن مروان وهو يأكل فحبس اللقمة
فأقول أجزأ أصلحك الله فان الحديث من وراء ذلك فيقول والله لحديثك أحب الي منها *
وقال ابن عيينة الصمت منام العلم والنطق يقظته ولا منام الا يتقظ ولا يقظة الا ينم قال
ابن المبارك

وهذا اللسان يريد الفؤاد * يدل الرجال على عقله

ومر رجل بابي بكر الصديق رضي الله عنه ومعه ثوب فقال له أبو بكر أتبعه فقال لا رجلك الله
فقال أبو بكر لو تستقيمون لقومت ألسنتكم هلا قلت لا ورجلك الله * ومنه ما حكى أن المأمون
سأل يحيى بن أكن عن شيء فقال لا وابد الله أمير المؤمنين فقال المأمون ما أطرف هذه الواو
وأحسن موقعها وكان صاحب يقول هذه الواو أحسن من واوات الاصداع ويقال
اللسان سبع صغير الجرم عظيم الجرم وقال بعضهم شعرا

سبحان بقصر عن بحور يانه * عجزا وبغرق منه تحت عباب

وكذلك قس ناطق بعكاطه * يعالديه بحجة وجواب

وقيل انه جمع ابن المنكدر شبان فكانا اذا رأيا امرأ تبجله فالا قد أبرقنا وهما يظننا

أن ابن المنكدر لا يقطن فرأيا بقية فيها امرأة فقالا بارقة وكانت قبضة فقال ابن المنكدر بل صاعقة * وكان أصحاب أبي علي الثقي اذا رأوا امرأة جميلة يقولون حجة فعرضت لهم قبضة فقالوا داحضة * وكتب ابراهيم بن المهدي اياك والتبوع لورحشى الكلام طمعا في نيل البلاغة فان ذلك العناء الاكبر وعليك بما سهل مع تجنبك لالفاظ السفلى * ويقال القول على حسب همة القائل يقع والسيف بقدر عضد الضارب يقطع * وقال الاحنف سمعت كلام أبي بكر حتى مضى وكلام عمر حتى مضى وكلام عثمان حتى مضى وكلام علي حتى مضى رضي الله تعالى عنهم ولا والله ما رأيت فيهم أبلغ من عائشة * وقال معاوية رضي الله عنه ما رأيت أبلغ من عائشة رضي الله تعالى عنها ما أغلقت بابا فأرادت فتحه الا فتحت ولا ففتت بابا فأرادت اغلاقه الا أغلقت * ومن غريب الكلمات الواردة على سبيل الرمز وهو من الذكاء والفصاحة ما حكى أن رجلا كان أسيرا في بني بكر بن وائل وعزموا على غزو قومه فسألهم في رسول يرسله الى قومه فقالوا لا ترسله الا بحضرتنا لئلا تنذرهم وتحذرهم بخاوا بعبد أسود فقال له أنعتل ما أقوله لك قال نعم اني لعاقل فأشار بسيدته الى الليل فقال ما هذا قال الليل قال ما أراك الا عافلا ثم ملأ كفيه من الرمل وقال كم هذا قال لا أدري وانه لكثير فقال أيمأ كثر النجوم أم النيران قال كل كثير فقال أبلغ قومي التحية وقل لهم يكرموا فلانا يعني أسيرا كان في أيديهم من بني بكر بن وائل فان قومه لم يكرموا وقل لهم ان العرفج قد دنا وشكت النساء وأمرهم أن يعرفوا ناقتي الجراء فقد أطاواركوبها وأن ركبوها جلي الا صهب بأماره ما أكلت معكم حيسا واسألوا عن خبري أخى الحرث فلما أدنى العبد الرسالة اليهم قالوا القدح من الاعور والله ما نعرف له ناقة جراء ولا جعلا أصهب ثم دعوا بأخيه الحرث فقصوا عليه القصة فقال قد أنذركم ما أقوله قد دنا العرفج يريد أن الرجال قد استلوا وألبسوا السلاح وأما قوله شكت النساء أي أخذت الشكايا للسفر وأما قوله أعروا ناقتي الجراء أي ارتحلوا عن الدهناء واركبوا الجمل الا صهب أي الجمل وأما قوله أكلت معكم حيسا أي أن أخلاط من الناس قد عزموا على غزوكم لان الحيس يجمع التروا والسمن والاقط فامتثلوا أمره وعرفوا لحن الكلام وعملوا به فنجوا * وأسرت طي غلاما من العرب فقدم أبوه ليفديه فاشتطوا عليه فقال أبوه والذي جعل الفرقدين عيسىان ويصحبان على جبل طي ما عندي غير ما بذلته ثم انصرف وقال لقد أعطيتنه كلاما ان كان فيه خرفه فمكأنه قال له الزم الفرقدين يعني في هرو بك على جبل طي ففهم الابن ما أراد أبوه وفعل ذلك فنجى * وكانت عليه بنت المهدي تهوى غلاما خادما اسمه طل فحلف الرشيد أن لا تكلمه ولا تذكره في شعرها فاطلع الرشيد يوما عليها وهي تقرأ في آخر سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذي نهى عنه أمير المؤمنين * ومن ذلك قولهم تركت فلانا بأمر وينبى وهو على شرف الموت أي يأمر بالوصية وينهى عن النوح * ويقال ما رأيت فلانا أي ماض به في رثته ولا كلمته أي ما جرحته فان الكلام الجراح وما رأيت ربيعا فالربيع حظ الارض من الماء والربيع النهر وما رأيت كافرا ولا فاسقا فالكافر السحاب والفاسق الذي يجرد من ثيابه وما رأيت فلانا راكعا ولا ساجدا ولا مصابا فالراكع

العائر الذي كمال وجهه والساجد المدمن النظر والمصلى الذي يجي بعد السابق وما أخذت
 لقلان دجاجة ولا فز وجاف الدجاجة الكبة من الغزل والفزوجة الدراعة وما أخذت لقلان
 بقرة ولا ثورا فالبقرة العيال الكثيرة يقال جاء فلان يسوق بقره أى عياله والثور القطعة
 الكبيرة من الاقط (وحكى) أن معاوية رضى الله عنه بينما هو جالس فى بعض مجالسه وعنده
 وجوه الناس فيهم الاحنف بن قيس اذ دخل رجل من أهل الشام فقام خطيبا وكان آخر
 كلامه أن لعن عليا رضى الله عنه ولعن لاعنه فقال الاحنف يا أمير المؤمنين إن هذا القائل
 لو يعلم أن رضاك فى لعن المرسلين لعنهم فأتى الله يا أمير المؤمنين ودع عنك عليا رضى الله عنه
 فلقد لى ربه وأقر فى قبره وخلا بعمله وكان والله المبرور وسيقه الطاهر ثوبه العظيمة مصيبتيه
 وقال معاوية يا أحنف لقد تكلمت بما تكلمت وإيم الله تصعدن على المنبر فقلعه طوعا أو كرها
 فقال لا أحنف يا أمير المؤمنين إن نعفى فهو خير لك وإن تجبرنى على ذلك فوالله لا تجبرى
 شقتاى به أبدا فقال قم فاصعد قال أما والله لا نصفنك فى القول والفعل قال وما أنت قائل
 إن أنصفتنى قال أصدق المنبر فأحمد الله وأثنى عليه وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم
 ثم أقول أيها الناس إن أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن ألعن عليا ألا وإن معاوية وعليا اقتتلا
 فاختلعا فادعى كل واحد منهما أنه مبعى عليه وعلى فنته فاذا دعوت فأمتوا رجلكم الله
 ثم أقول اللهم العن أنت وملائكتك وأنبيائك وجميع خلقك الباغي منهم ما على صاحبه والعن
 الفئة الباغية اللهم العنهم لعنا كثيرا أمتوا رجلكم الله يا معاوية لا يزيد على هذا ولا أنقص
 حرفا ولو كان فيه ذهاب روى فقال معاوية إذا نعتك يا أبا بجر * وقال معاوية لعقيل
 ابن أبي طالب إن عليا قد قطعك وأنا وصلتك ولا يرضى منك إلا أن تلعبه على المنبر قال أفعل
 فصعد المنبر ثم قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم أيها الناس إن
 معاوية بن أبي سفيان قد أمرنى أن ألعن على بن أبي طالب فالعنوه فعليه لعنة الله ثم نزل فقال
 له معاوية أنك لم تبين من لعنت منهما ينفه فقال والله لا زدت حرفا ولا نقصت حرفا والكلام إلى
 نية المتكلم * ودخلت امرأة على هرون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه فقالت
 يا أمير المؤمنين أقرأ الله عينك وفزحك بما أتاك وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت فقال لها من
 تكونين أيها المرأة فقالت من آل برمك عن قتلت رجالهم وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم
 فقال أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله ونفذ فيهم قدره وأما المال فردودك ثم التفت إلى
 الحاضر من أصحابه فقال أنذرون ما قالت هذه المرأة فقالوا ما نراها قالت الأخيرا قال
 ما ظنكم فهمم ذلك أما قولها أقرأ الله عينك أى أسكنها عن الحركة وإذا سكنت العين عن
 الحركة عميت وأما قولها وفزحك بما أتاك فأخذته من قوله تعالى حتى إذا فرحوا بما آتوا
 أخذناهم بغتة وأما قولها وأتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر

إذا تم أمر يد انقصه * ترقب زوالا إذا قبل تم

وأما قولها لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً
 فتعجبوا من ذلك (وحكى) أن بعضهم دخل على عدوه من النصارى فقال له أطال الله
 بقاءك وأقرأ عينك وجعل يوحى قبل يومك والله أنه ليسرني ما يسرك فأحسن إليه وأجازه

على دعائه وأمره بصلة وكان ذلك دعاء عليه لأن معنى قوله أطل الله بقاءك حصول منفعة
المسلمين به في أداء الجزية وأما قوله وأقر عينك فعناه سكن الله حرمتهم أي أعماها وأما قوله
وجعل يومى قبل يومك أي جعل الله يومى الذى أدخل فيه الجنة قبل يومك الذى تدخل فيه
النار وأما قوله أنه ليسرتنى مايسرتنى فإن العافية تسرتنى كما تسرت الآخر فانظر الى الاشتراك
وفادته ولولا الاشتراك ما تم التستمر مراد ولا سلم له في التخلص قياد * وكان حماد الراوية
لا يقرأ القرآن فكلفه بعض الخلفاء القراءة في المصحف فصف في نصف وعشرين موضعاً من
جلتها قوله تعالى وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر وما
يعرشون بالغين المعجمة والسين المهملة وقوله وما كان استغفاراً إبراهيم لا ييه الا عن
مودة وعدهاياه بالباء الموحدة ليسكون لهم عدواً وحزناً بالباء الموحدة وما يمجّد
بأبائنا الا كل ختار بالجيم والباء الموحدة هم أحسن أمناً وروياً بالزاي وترك الهمزة
عذابي أصيب به من أشاء بالسین المهملة صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة بالنون والعين
المهملة سلام عليكم لا ينبغي باسقاط التاء بل الذين كفروا في عزّة وشقاق بالغين المعجمة والراء
المهملة قرن الشقاق بالفتحة وهذا لا يقع الا بفتح الاذكياء (وحكى) أن المأمون ولى عاملاً على
بلاد وكان يعرف منه الجور في حكمه فأرسل اليه رجلاً من أرباب دولته ليمصنه فلما أقدم عليه
أظهر له أنه قدم في تجارة لنفسه ولم يعلمه أن أمير المؤمنين عنده علم منه فأكرم نزله وأحسن
اليه وسأله أن يكتب كتاباً الى أمير المؤمنين المأمون يشكر سره عنده ليزداد فيه أمير المؤمنين
رغبة فكذب كتاباً فيه بعد الشناء على أمير المؤمنين أما بعد فقد قد مناعلى فلان فوجدناه أخذنا
بالعزم عاملاً بالحزم قد عدل بين رعيته وسأوى في أقضيته أغنى القاصد وأرضى الوارد
وأزله من منازل الاولاد وأذهب ما بينهم من الضغائن والاحقاد وعمر منهم المساجد
الدائرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل الآخرة وهم مع ذلك داعون لامير المؤمنين
يريدون النظر الى وجهه والسلام فكان معنى قوله أخذنا بالعزم أي اذا عزم على ظلم أو جور
فعله في الحال وقوله قد عدل بين رعيته وسأوى في أقضيته أي أخذ كل مامعهم حتى سأوى
بين الغنى والفقر وقوله عمر منهم المساجد الدائرة وأفرغهم من عمل الدنيا وشغلهم بعمل
الآخرة يعني أن الكل صار واقراً لا يملكون شيئاً من الدنيا ومعنى قوله يريدون النظر الى
وجه امير المؤمنين أي ليسكوا حالهم وما نزل بهم فلما جاء الكتاب الى المأمون عزله عنهم لوقت
وولى عليهم غيره (ومن ذلك ما حكى) أن القاضي الفاضل كان له صديق خصيص به وكان
صديقه هذا قريماً من الملك الناصر صلاح الدين وكان فيه فضيلة تامة فتوقع بينه وبين الملك أمر
فغضب عليه وهم بقتله فتسحب الى بلاد التترو وتوصل الى أن صار وزيراً عندهم وصار يعرف
التترو كيف يتوصل الى الملك الناصر بما يؤذيه فلما بلغه ذلك نفر منه وقال للفاضل اكتب اليه
كأبا عرفه فيه انى أرضى عليه واستعطفه غاية الاستعطاف الى ان يحضر فاذا حضر قتله
واسترحمت منه فحضر القاضي بين الاثنين صديقه يعز عليه والملك لا يمكنه مخالفتهم فكتب اليه
كأباً واستعطفه غاية الاستعطاف ووعده بكل خير من الملك فلما انتهى الكتاب ختمه بالجملة
والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم وكتب ان شاء الله تعالى كما جرت به العادة

في الكتب فشد دان ثم أوقف الملك على الكتاب قبل ختمه فقرأه في غاية الكمال وما فهم ان وكان قصد القاض ان الملا يأتمر بن بليق يقول فلما وصل الكتاب الى الرجل فهمه وكتب جوابه بانه سيحضر عاجلا فلما أراد ان ينهي الكتاب ويكتب ان شاء الله تعالى مدة التون وجعل في آخرها ألفا وأراد بذلك انال نذخلها أبدا ما داموا فيها فلما وصل الكتاب الى القاض فهم الاشارة ثم أوقف الملك على الجواب بخطه ففرح بذلك (وحكى) أن بعض الملوك طلع يوما الى أعلى قصره يتفرج فلاحت منه التفاتة فرأى امرأه على سطح دار الى جانب قصره لم ير الراؤن أحسن منها فالتفت الى بعض جواره فقال لها من هذه فقالت يا مولاي هذه زوجة غلامك فيروز قال فبزل الملك وقد خامر وجهها وشغف بها فاستدعى فيروز وقال له يا فيروز قال لبيك يا مولاي قال خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلانية واقتني بالجواب فاخذ فيروز الكتاب وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت رأسه وجهاز امره وبات ليلته فلما أصبح ودّع أهله وسار طابا بالحاجة الملك ولم يعلم بما قد دبره الملك وأما الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه محتفيا الى دار فيروز ففرع الباب قرعا خفيا فقالت امرأه فيروز من بالباب قال أنا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل وجلس فقالت له أرى مولانا اليوم عندنا فقال زائرا فقالت أعوذ بالله من هذه الزيارة وما اظن فيها خيرا فقال لها ويحك اني أنا الملك سيد زوجك وما أظنك عرفتني فقالت بل عرفتك يا مولاي ولقد علمت انك الملك ولكن سبقتك الاوائل في قولهم

سارتك ماءكم من غير ورد * وذلك كثرة الورد فيه
اذ اسقط الذباب على طعام * رفعت يدي ونفسي تشبهه
وتجتنب الاسود وروءاء * اذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتفع الكريم خيخ بطن * ولا يرضى مساهمة السفه

وما احسن يا مولاي قول الشاعر

قل للذي شغه الغرام بنا * وصاحب الغدر غير محبوب
والله لا قال قائل أبدا * قدأ كل الليث فضله الذيب

ثم قالت أيها الملك تأتى الى موضع شرب كبسك تشرب منه قال فاستحيا الملك من كلامها وخرج وتركها فانسى فعله في الدار هذا ما كان من الملك واما ما كان من فيروز فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه في راسه فقد ذكر أنه نسبه تحت فراشه فرجع الى داره فوافى وصوله عقب خروج الملك من داره فوجد نعل الملك في الدار فطاش عقله وعلم أن الملك لم يرسله في هذه السفرة الا لامي بفعله فسبك ولم يبد كلاما وأخذ الكتاب وسار الى حاجة الملك فقضاها ثم عاد اليه فانعم عليه بمائة دينار فضى فيروز الى السوق واشترى ما يلبق بالنساء وهياهدية حسنة واتي الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومي الى زيارة بيت أهلك قالت وما ذاك قال ان الملك أنعم علينا واريد ان تظهرى لاهلك ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها وتوجهت الى بيت أبيها ففرحوا بها وبما جات به معها فأقامت عند أهلها مدة شهر فلم يذكروها زوجها ولا التي بها فاتي اليه أخوها وقال له يا فيروز اما

أن تخبرنا بسبب غضبك وإما أن تحاكمنا إلى الملك فقال إن شئتم الحكم فافعلوا فما
 تركت لها على حقاً فطلبوه إلى الحكم فأقوا معهم وكان القاضي إذ ذاك عند الملك جالسا
 إلى جانيه فقال أخو الصبية أيد الله مولانا قاضي القضاة في اجرت هذا الغلام بستانا
 سالم الحيطان بيتر ما معين عامرة وأشجار مثمرة فأكل ثمره وهضم حيطانه وأخر بثره
 فالتفت القاضي إلى فيروز وقال له ما تقول يا غلام فقال فيروز أيها القاضي قد تسلمت هذا
 البستان وسلمته إليه أحسن ما كان فقال القاضي هل سلم إليك البستان كما كان قال
 نعم ولكن أريد منه السبب لردّه قال القاضي ما قولك قال والله يا مولاي ما رددت البستان
 كراهة فيه وإنما جئت يومان من الأيام فوجدت فيه أثر الأسد فخفت أن يغتالني فخرمت
 دخول البستان أكراما للأسد قال وكان الملك متكلنا فاستوى جالسا وقال يا فيروز ارجع
 إلى بستانك أتناطم شئنا فوالله إن الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثر ولا التمس منه
 ورقا ولا ترا ولا شيئا ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس والله ما رأيت مثل
 بستانك ولا أشد احترازا من حيطانه على شجره قال فرجع فيروز إلى داره ورد زوجته ولم يعلم
 القاضي ولا غيره بشئ من ذلك والله أعلم وهذا كله مما يأتي به الإنسان من غرائب
 الكليات الواردة على سبيل الرمز * ومنه ما يجده المتستر في أمره من الراحة في كتمان
 حاله مع لزوم الصدق ورضا الخصم بما وافق مزاده لأن في المعارض مندوحة عن
 الكذب كما روى في غزوة بدر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان سائرا بأصحابه يقصد بدرا
 فلقيهم رجل من العرب فقال ممن القوم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من ماء فأخذ
 ذلك الرجل يهكرو ويقول من ماء من ماء يردّدها لينظر أي العرب يقال لهم ماء فدار
 النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه لوجهته وكان قصده أن يكتم أمره وقد صدق رسول
 الله صلى الله عليه وسلم في قوله فإن الله عز وجل قال فليتنظر الإنسان ثم خلق خلقا من ماء
 دافق وكما روى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال للكافر الذي سأله عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وقت ذهابهم إلى الغار هو رجل يهدي السبيل وقد صدق فيما
 قال رضي الله عنه فقد هداه وهذا السبيل ولا سبيل أوضح ولا أقوم من الإسلام وكما
 حكى عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه لما سأله بعض المعتزلة بمحضرة الرشيد ما تقول
 في القرآن فقال الشافعي إياي دعني قال نعم قال مخلوق فرضي خصمه منه بذلك ولم يرد الشافعي
 الأنفوس وكما حكى عن ابن الجوزي رحمه الله تعالى أنه سئل وهو على المنبر ويختمه جماعة من
 مماليك الخليفة وخاصته وهم فريتان قوم سنية وقوم شيعية فقيل له من أفضل الخلق بعد رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر أم علي رضي الله عنهما فقال أفضلهما بعده من كانت ابنته تحته
 فأرضى الفريقين ولم يرد إلا بأب بكر رضي الله عنه لأن الضمير في ابنته يعود إلى أبي بكر رضي الله
 عنه وهي عائشة رضي الله عنها وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم والشيعية ظنوا
 أن الضمير في ابنته يعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي فاطمة رضي الله عنها وكانت
 تحت علي رضي الله عنه فهذه منه جملة حسنة وكلمة باتت جفون الفريقين منها وسنة
 والله أعلم

(الفصل الثالث في ذكر الفضلاء من الرجال) * دخل الحسن بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحب الحسن أن يتكلم فزجره وقال يا صبي تتكلم في هذا المقام فقال يا أمير المؤمنين ان كنت صديقا فليست بأصغر من هدهد سليمان ولا أنت بأكبر من سليمان عليه السلام حين قال أحطت بما لم تحط به ثم قال ألم تر أن الله فهمهم الحكم سليمان ولو كان الأمر بالكبر لكان داود أولى * ولما أفضت الخلافة إلى عمر بن عبد العزيز أتته الوفود فإذا بهم وقد أحجاز فنظر إلى صغير السن وقد أراد أن يتكلم فقال ليسلكم من هو أسن منك فانه أحق بالكلام منك فقال الصبي يا أمير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك هذا من هو أحق به منك قال صدقت فتكلم فقال يا أمير المؤمنين أنا قدمنا عليك من بلد نحمد الله الذي من علينا بك ما قدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة منك أما عدم الرغبة فقد أماننا وبك ما عدم الرهبة فقد أماننا جورك بعد ذلك فجنح وقد الشكر والسلام فقال له عمر رضى الله عنه عطني يا غلام فقال يا أمير المؤمنين أن أناس غزهم حلم الله ونشأ الناس عليهم فلا تكن ممن يغيره حلم الله ونشأ الناس عليه فتزل قدمك وتكون من الذين قال الله فيهم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون فنظر عمر في سن الغلام فاذا له اثنتا عشرة سنة فأشدهم عمر رضى الله تعالى عنه

تعلم فليس المرء يولد عالما * وليس أخو علم كمن هو جاهل
فإن كبير القوم لا علم عنده * صغير إذا التفت عليه المحافل

(وحكى) أن البداية قطعت في أيام هشام فقدمت عليه العرب فيها بوا أن يكلموه وكان فيهم دوواس بن حبيب وهو ابن ست عشرة سنة له ذؤابة وعليه شملتان فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه ماشاء أحد أن يدخل على الادمخل حتى الصبيان فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرفا فقال يا أمير المؤمنين إن الكلام نشر أوطيا وانه لا يعرف ما في طبعه الا بنشره فان أذن لي أمير المؤمنين أن أنشره نشرته فأعجبه كلامه وقال أنشره لله ذرك فقال يا أمير المؤمنين انه أصا بتناسنون ثلاث سنة اذا ابت الشحم وسنة أكل اللحم وسنة دقت العظم وفي أيديكم فضول مال فان كانت لله فقزقوها على عباده وان كانت لهم فغلام تحبسونها عنهم وان كانت لكم فقصدها بها عليهم فان الله يجزي المتصدقين فقال هشام ما ترك الغلام لنا في واحدة من الثلاث عذوا فامر للبوادي بمائة ألف دينار وله بمائة ألف درهم ثم قال له ألك حاجة قال مالى حاجة في خاصة نفسي دون عامة المسلمين فخرج من عنده وهو من أجل القوم * وقيل ان سعد بن ضمرة الاسدي لم يزل يغير على النعمان بن المنذر يستلب أمواله حتى عيىل صبره فبعث إليه يقول ان لك عندى ألف ناقة على انك تدخل في طاعتى فوفد عليه وكان صغيرا الجنة فاقتحمته عينه وتنقصه فقال مهلا أيها الملك ان الرجال ليسوا بعظم أجسامهم وانما المرء بأصغريه قلبه ولسانه ان نطق نطق ببيان وان صال صال بجنان ثم أنشأ يقول

يا أيها الملك المرحونائله * انى لمن معشر شم الذوى زهر
فلاتعترنك الاجسام ان لنا * أحلام عاد وان ككالى قصر
فكم طويل اذا أبصرت جثته * تقول هذا غداة الروح وذو ظفر
فان ألم به أمر فأفظعه * رأيت حاذلا للأهل والزمر

فقال صدقت فهل لك علم بالامور قال انى لانتقض منها المقتول وأبرم منها المحلول
وأجملها حتى تجول ثم أنظر فيها الى ما نزل وليس للدهر بصاحب من لا ينظر في العواقب
قال فتعجب النعمان من فصاحته وعقله ثم أمره بألف ناقة وقال له ياسعدان أقت
واسينالك وان رحلت وصلناك فقال قرب الملك أحب الى من الدنيا وما فيها فأقم عليه
وأذناه وجعله من أخص ندمائه * (وحكى) أن هرقل ملك الروم كتب الى معاوية
ابن أبى سفيان رضى الله عنه يسأله عن الشئ ولا شئ وعن دين لا يقبل الله غيره وعن
مفتاح الصلاة وعن غرس الجنة وعن صلاة كل شئ وعن اربعة فيهم الروح ولم
يركضوا فى أصلاب الرجال وأرحام النساء وعن رجل لأب له وعن رجل لأمه وعن
قبر جرى بصاحبه وعن قوس قزح ماهو وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة
ولم تطلع عليها قبلها ولا بعدها وعن ظاعن ظعن مرة واحدة ولم يظعن قبلها ولا بعدها
وعن شجرة تبت من غير ماء وعن شئ تنفس ولا روح له وعن اليوم وأمس وغد وبعد
غد وعن البرق والرعد وصوته وعن الموحى الذى فى القمر فقيل لمعاوية است هناك
ومضى أخطأت فى شئ من ذلك سقطت من عينه فاك كتب الى ابن عباس يخبره عن
هذه المسائل فكتب اليه فأجابه أما الشئ فالألم قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شئ
حي وأما لا شئ فانها الدنيا تيمد وتفسى وأما دين لا يقبل الله غيره فلا اله الا الله وأما
مفتاح الصلاة فالله أكبر وأما غرس الجنة فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وأما
صلاة كل شئ فسبحان الله وبحمده وأما الاربعة الذين فيهم الروح ولم يركضوا فى أصلاب
الرجال وأرحام النساء فآدم وحواء وناقصة صالح وكبش اسمعيل وأما الرجل الذى لأب
له فالسج وأما الرجل الذى لأمه فآدم عليه السلام وأما القبر الذى جرى بصاحبه
فخون يونس عليه السلام ساربه فى البحر وأما قوس قزح فأمان من الله لعباده من
الغرق وأما البقعة التى طلعت عليها الشمس مرة واحدة فبطن البحر حين انطلق لبني
اسرائيل وأما الظاعن الذى ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها فجبل طور سيناء كان بينه
وبين الارض المقدسة أربع ليال فلما عصت بنو اسرائيل أطاره الله تعالى بجناحين فنادى
منادان قبلتم التوراة كشفتم عنكمم والا ألقيته عليكم فأخذوا التوراة معذرين فرداه الله
تعالى الى موضعه فذلك قوله تعالى واذنقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا انه واقع بهم
الاية وأما الشجرة التى نبتت من غير ماء فشجرة اليقطين التى أنبتها الله تعالى على يونس عليه
السلام وأما الشئ الذى تنفس بالروح فالصبح قال الله تعالى والصبح اذا تنفس وأما اليوم
فعمل وأمس فشل وغد فأجل وبعد غد فأمل وأما البرق فخاريق بأيدى الملائكة تضرب بها
السحاب وأما الرعد فاهم الملك الذى يسوق السحاب وصوته زجره وأما الموحى الذى فى القمر

فقول الله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة ولولا ذلك
 المحول يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل * ودعا بعض البلغاء لصديق له فقال نعم الله
 عليك ما أنت فيه وحقق ظنك فيما تزجوه وتفضل عليك بما تختسبه (وحكى) أن الحاجب سأل
 يوما الغضبان بن القبيعي عن مسائل يتخذه فيها من جملتها أن قال له من أكرم الناس قال
 أفضههم في الدين وأصدقهم لليمين وأبدلهم للمسلمين وأكرمهم للمهانيين وأطعمهم للمساكين قال
 فمن الآثم الناس قال المعطى على الهوان المقتر على الإخوان الكثير الألوان قال فمن شر الناس
 قال أطولهم بقوة وأدومهم صبوة وأكثرهم خلوة وأشدتهم قسوة قال فمن أشجع الناس
 قال أضربهم بالسيف وأقراهم للضيف وأتركهم للحيث قال فمن أجبن الناس قال المتأخر عن
 الصفوف المنقبض عن الزخوف المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره
 لضرب السيوف قال فمن أثقل الناس قال المتقن في الملام الضنن بالسلام المهادر في الكلام
 المقبب على الطعام قال فمن خير الناس قال أكثرهم إحسانا وأقومهم ميزانا وأدومهم
 غفرانا وأوسعهم ميادانا قال الله أبوك فكيف يعرف الرجل الغريب أحسب هو أم غير
 حسب قال أصلح الله الأمير أن الرجل الحسب يدلك أدبه وعقله وشماله وعزته نفسه وكثرة
 احتاله وبشاشته وحسن مداراته على أصله فالعاقل البصير بالحساب يعرف شمائله والنذل
 الجاهل يحمله فثله كمثل الدرة إذا وقعت عند من لا يعرفها ازدراها وإذا نظر إليها العقلاء
 عرفوها وأكرموا هافى عندهم لمعرفتهم بها حسنة نفيسة فقال الحاجب لله أبوك فما العاقل
 والجاهل قال أصلح الله الأمير العاقل الذي لا يتكلم هذرا ولا ينظر شذرا ولا يضر غدرا
 ولا يطلب عذرا والجاهل هو المهادر في كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على
 امامه الفاحش على غلامه قال لله أبوك فما الحازم الكيس قال المقبل على شأنه التارك لما
 لا يعنيه قال فما العاقر قال المحجب بأرائه الملتفت إلى ورائه قال هل عندك من النساء خبر
 قال أصلح الله الأمير اني بشأنهن خبير ان شاء الله تعالى ان النساء من اتهات الاولاد بمنزلة
 الاصلاح عدلنها انكسرت ولهن جوهر لا يصلح الاعلى المداواة فمن دارهن انتفع بهن
 وقزت عينه ومن شاوهرهن كدزن عينه وتكدرت عليه حياته وتنصت لذاته فأكرمهن
 اعفهن وأغرا حسابهن العفة فاذا زلن عنها فهن أنتن من الجيفة فقال له الحاجب يا غضبان اني
 موجهك الى ابن الاشعث وافدا فاذا أنت قائل له قال أصلح الله الأمير أقول ما يرد به ويؤذبه
 ويضربه فقال اني أظنك لا تقول له ما قلت وكأني بصوت حلاجك تجلجل في قصري هذا قال كلا
 أصلح الله الأمير سأحدثك لسانى وأجربك في ميدانى قال فعند ذلك أمره بالمسير الى كرمان فلما
 توجه الى ابن الاشعث وهو على كرمان بعث الحاجب عنبا عليه أى جاسوسا وكان يفعل ذلك مع
 جميع رسله فلما قدم الغضبان على ابن الاشعث قال له ان الحاجب قد هم بجلعك وعزك فخذ
 حذرک وتغذبه قبل أن يتعشى بك فأخذ حذره عند ذلك ثم أمر للغضبان بجائزة سنوية وخلع
 فائرة فأخذها وانصرف راجعا فأتى الى رمله كرمان في شدة الحر والتميط وهى رمله شديدة
 الرضا فضرب قبتة فيها واطع عن رواحله فبينما هو كذلك اذا بأعرابي من بني بكر بن وائل
 قد أقبل على بعير فاصدا نحوه وقد اشتد الحر وجمت الغزاة وقت الظهيرة وقد طمى ظمأ

شديد فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال الغضبان هذه سنة وردت هافر سنة قد فاز قاتلها وخسر تاركها ما حاجتك يا اعرابي قال اصابني الرمضاء وشدة الحر والظلمة فتميت قبلك ارجو بركتها قال الغضبان فهلا تيمت قبلة اكبر من هذه وأعظم قال ايتمت تعني قال قبلة الامير ابن الاشعث قال تلك لا يوصل اليها قال ان هذه أمتنع منها فقال الاعرابي ما اسمك يا عبد الله قال آخذ فقال وما تعطى قال آكره أن يكون لي اسمان قال بالله من اين أنت قال من الارض قال فأين تريد قال امشي في منابكها فقال الاعرابي وهو يرفع رجلا ويضع أخرى من سنة الحر أقترض الشعر قال انما يقرض الفأر فقال اقتسجع قال انما تسجع الحمامة فقال يا هذا ائذن لي أن ادخل قبلك قال خلقك واسع لك فقال قد أحرقتني حر الشمس قال مالي عليها من سلطان فقال الرمضاء احرقت قدمي قال بل عليها تبرد فقال اني لا أريد طعامك ولا شرابك قال لا تعرض لما لا تصل اليه ولو تلقت روحك فقال الاعرابي سبحان الله قال نعم من قبل أن تطلع اضراسك فقال الاعرابي ما عندك غير هذا قال بلي هراوة أضرب بها رأسك فاستغاث الاعرابي يا جاري كعب قال الغضبان بنس الشيخ انت فوالله ما ظلمك أحد فتستغيث فقال الاعرابي ما رأيت رجلاً أقسى منك اتيتك مستغيثاً فنجبتني وطردتني هلا أدخلتني قبلك وطارحتني القريض قال مالي بمجادتك من حاجة فقال الاعرابي بالله ما اسمك ومن انت فقال أنا الغضبان ابن القبعري فقال اسمان منك كان خلقك من غضب قال قف متوكئاً على باب قبتي برجلك هذه العوجاء فقال قطعها الله ان لم تكن خيراً من رجلك هذه الشمعاء قال الغضبان لو كنت حاكماً لجرت في حكمومتك لان رجلي في الظل قاعدة ورجلك في الرمضاء فائمة فقال الاعرابي اني لا ظنك حروياً قال اللهم اجعلني ممن يصري الخبير ويريد فقال اني لا ظن عنصرك فاسد اقال ما قدرني على اصلاحه فقال الاعرابي لا ارضاك الله ولا حيالك ثم ولى وهو يقول

لبارك الله في قوم تسودهم * اني اظنك والرجن شيطاناً

اتيت قبته أرجو ضياقه * فأظهر الشيخ ذوالقرنين حرماناً

فلما قدم الغضبان على الحاج وقد بلغه الجاسوس ماجرى بينه وبين ابن الاشعث وبين الاعرابي قال له الحاج يا غضبان كيف وجدت أرض كرم ان قال اصلح الله الامير أرض يابسة الجيش بها ضاعف هؤلاء ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا فقال له الحاج أأنت صاحب الكلمة التي بلغتني انك قلت لابن الاشعث تغدب بالحجاج قبل أن يتعشى بك فوالله لا حبسك عن الوساد ولا تنزلك عن الجياد ولا شهرتك في البلاد قال الامان ايها الامير فوالله ما ضرت من قبلت فيه ولا نفعت من قبلت له فقال له ألم اقل لك كأنني بصوت جلالك تجلجل في قصري هذا اذهبوا به الى السجن فذهبوا به فقيده وسجن فكث ما شاء الله ثم ان الحاج ابني الخضر اءبوا سطا فاجب بهم ا فقال لمن حوله كيف ترون قبتي هذه وبناءها فقالوا ايها الامير انها حسنة مباركة منيعة نصرة بهجة قليل عيبها كثير خيرها قال لم تقهر وفي بنصيح قالوا لا يصفها لك الا الغضبان فبعث الى الغضبان فأحضره وقال له كيف ترى قبتي هذه وبناءها قال اصلح الله الامير بنيتها في غير بلدك لالك ولا ولدك لا تدوم لك ولا يسكنها وارثك

ولاتبقي لك وما أنت لها يباقي فقال الحجاج قد صدق الغضبان ردة وه الى السجن فلما جلاوه قال
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين فقال أنزلوه فلما أنزلوه قال رب أنزلني منزلا
مباركا وأنت خير المنزلين فقال اضربوا به الارض فلما ضربوا به الارض قال منها خلقناكم
وفيها نعبدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فقال جزوه فأقبوا ويحزونه وهو يقول بسم الله
بحرأها ومرساها ان ربي لغفور رحيم فقال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبني دهاء وخبثنا
ثم عفا عنه وأنعم عليه وخلي سبيله (وحدث الزبير) قال دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على
المامون وقد كانت ضياعهم أخذت فقال السلام عليك يا امير المؤمنين محمد بن عبد
الملك بين يديك سليل نعمتك وغصن من أغصان دوحتك اتأذن له في الكلام فقال تكلم
فقال الحمد لله رب العالمين ولا اله الا الله رب العرش العظيم وصلى الله والملائكة على محمد
خاتم النبيين ونستمع الله لحطابة ديننا ودينانا ورعاية آدنانا وأقصانا ببقائك يا امير المؤمنين
ونسأل الله أن يمدد في عمرك من أعمارنا وأن يقيك الاذى بأسماعنا وأبصارنا فان الحق
لا تغفوا ناره ولا ينهدم مناره ولا يثبت جبهه ولا يزول مادمت بين الله وبين عباده والامين
على بلاده يا امير المؤمنين هذا المقام مقام العائذ بظلك الهارب الى كنفتك الفقير الى رحمتك
وعذلك من تعاود النوائب وسهام المصائب وكاب الدهر وذهاب النعمة وفي نظر امير المؤمنين
ما يفترج كربة المكروب ويرد غليل القلوب وقد نفذ امر امير المؤمنين في الضياع التي
افادناها نعم آباءه الطيبين ونوافل اسلافه الطاهرين الراشدين وقدقت مقامي هذا متوسلا
البيك يا آتاك الطيبين وبالرشيده خير الهداة الراشدين والمهدي ناصر المسلمين والمنصور
منكل الظالمين ومحمد خير المجدين بعد خاتم النبيين من دلفا اليك بالطاعة التي أقرع عليها
غصني واحسنتك بهاسني ورش بها جناحي متعوذا من شماتة الأعداء وحلول البلاء
ومقارفة الشدة بعد الرخاء يا امير المؤمنين قد مضى جتلك المنصور وعمك صالح بن علي
جدي وبينهما من الرضاع والنسب ما علمه امير المؤمنين وعرفه وقد أثبت الله الحق
في نصابه وأقره في داره وأرأبه يا امير المؤمنين ان الدهر ذو اعتيال وقد يقب حالا بعد حال
فارحم يا امير المؤمنين الصبيبة الصغار والعجائز الكبار الذين سقاها الدهر كدر ابعده صغو
ومر ابعده جلو وهبنا نعم آباتك اللاتي غدتنا صغارا وكبارا وشبابا وأشيبا وأمشابا
في الاصلاص ونطف في الارحام وقد منا في القرابة حيث قد منا الله منك في الرحم فان
رقابنا قد ذلت لسخطك ووجوهنا قد عنت لطاعتك فأقلنا عثرنا يا امير المؤمنين ان الله قد
سهل بك الوعور وجلبك الديجور وملأ من خوفك القلوب والصدر بك يردع الفاسق
ويقمع بك المنافق فارتبط نعم الله عندك بالعفو والاحسان فان كل راع مسئول عن رعيته
وان النعم لا ينقطع المزيديها حتى ينقطع الشكر عليها يا امير المؤمنين انه لا عفو أعظم من
عفو امام قادر عن مذنب عاثر وقد قال الله جل ثناؤه وتعاليت قدرته وليعقوا وليصغوا ألا
تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم أحاط الله امير المؤمنين بستره الوافي ومنعه الكافي
ثم أنشد يقول

امير المؤمنين انك ركب * لهم قروى وليس لهم تلاد

هم الصدر والمقدم من قريش * وأنت الرأس تبعل العباد
لقد طابت لك الدنيا ولذت * وأرجو أن يطيب لك المعاد
فكيف تنالكم لحظات عين * وكيف يقل سود ذلك البلاد
قال فاستحسن المؤمن كلامه وأمر له بالحلل الفاخرة والجواز السنينة وأمر بردة ضياعه
وقرب منزلته وأدناه ودفع اليه من المال ما أغناه * ومن حكايات الفصحاء ونوادير البلغاء
ما حكى أن عبد الملك بن مروان جلس يوما وعنده جماعة من خواصه وأهل مسامحته
فقال أياكم ياتيني بحروف المعجم في بدنه وله على ما يتناه فقام اليه سويد بن غفلة فقال أنا
لها يا أمير المؤمنين قال هات فقال نعم يا أمير المؤمنين أنت بطن ترقوة نغر جمجمة
خلق خذ دماغ ذكرك رقبته زبد ساق شفة صدر ضلع طحال ظهر عين غيب
فم قفا كف لسان منخر نغزوغ هامة وجه يد وهذه آخر حروف المعجم والسلام
على أمير المؤمنين فقام بعض اصحاب عبد الملك وقال يا أمير المؤمنين أنا أقولها من جسد
الانسان مرتين فضحك عبد الملك وقال لسويد أسمع ما قال قال أصح الله الأمير أنا أقولها
ثلاثا فقال هات أول ما يتناه فابتدا يقول أنت اسنان اذن بطن بنصر برة ترقوة تمرة ينسنة
نغر ثنائدي جمجمة جنب جبهة خلق خنك حاجب خذ خنصر خاصرة دبر دماغ درادير
ذقن ذكر ذراع رقبته رأس ركة زبد زردمة زب فهناك ضحك عبد الملك حتى استلقى
على قفاه ساق سرة سبابه شفة شفر شارب صدر صدغ صاعدة ضلع ضفيرة خرس
طحال طرة طرف ظهر ظفر ظلم عين عنق عاتق غيب غلصمة غنة فم فك فؤاد قلب فقا قدم
كف كتف كعب لسان لحية لوح منخر مرفق منكب نغزوغ ناب نة هامة هيثة هيف
وجه وجنة ورك عين يسار يافوخ ثم نهض مسرعا فقبل الارض بين يدي أمير المؤمنين
قال فعند هذا ضحك عبد الملك وقال والله ما تزيدنا عليها شيئا أعطوه ما يتناه ثم اجازوه وأنعم عليه
وبالغ في الاحسان اليه * وكان الحجاج بن يوسف الثقفي من الفصحاء وكان على عتوه واسرافه
جوادا وكان اذا ضحك واستغرق في الضحك اتبع ذلك بالاستغفار ومزات وكان يطعم على ألف
خوان وكان يطوف على المواثيق ويقول يا أهل الشام مزقوا الخبز لئلا يعود اليكم ثانيا وكان
يجلس على كل مائدة عشرة رجال وذلك في كل يوم وكان يقول اري الناس يتخلفون عن طعامي
فقيل له انهم بكرهون الحضور وقبل أن يدعوا فقال قد جعلت رسولي اليهم كل يوم الشمس اذا
طلعت وعند المساء اذا غربت * (حكى) عن عبد الملك بن عمر أنه قال لما بلغ أمير المؤمنين
عبد الملك بن مروان اضطراب أهل العراق جمع أهل بيته وأولى الجدة من جنده وقال ايتها
الناس ان العراق كدرواؤها وكثروا غاؤها واملو ح عذبا وعظم خطيها وظهر ضررها
وعسر اخذانها فاهل من مهادهم بسيف فاطع وذهن جامع وقلب ذكي وأنف حجي
فخمد نيرانها وبردع غيلانها ونصف مظلومها ويداوى الجرح حتى يندمل فقصه فوالبلاد
وتأمن العباد فسكت القوم ولم يتكلم أحد فقام الحجاج وقال يا أمير المؤمنين انا للعراق قال
ومن أنت لله ابوك قال انا الليث الغضام والهزبر الهشام انا الحجاج بن يوسف قال ومن اين
قال من ثقيف كهوف الضيوف ومستعملي السيوف قال اجلس لأمر لك فلست هناك

ثم قال مالي اري الرؤس مطرقة والاسن معتقلة فلم يجبه أحد فقام اليه الجحاج وقال أنا
 مجندل الفساق ومطقي نار النفاق قال ومن أنت قال أنا قاصم الظلمة ومعدن الحكمة
 الجحاج بن يوسف معدن العفو والعقوبة وآفة الكفر والريية قال اليك عنى وذلك قلت
 هناك ثم قال من للعراق فسكت القوم وقام الجحاج وقال أنا للعراق فقال اذن أظنك
 صاحبها والظافر يغناهما وان لكل شئ يا ابن يوسف آية وعلمة مغا آيتك وماعلامتك قال
 العقوبة والعفو والاقتدار والبسط والازورار والادناء والابعاد والحناء والبر والتأهب
 والحزم وخوض غمرات الحروب يجنان غير هوب فن جادني قطعه ومن نازعني قصته ومن
 خالفني نزعته ومن دنا مني اكرمه ومن طلب الامان أعطيته ومن سارع الى الطاعة بجلته
 فهذه آيتي وعلامتي وماعليك يا أمير المؤمنين أن تبلوني فان كنت للعراق قطاعا
 وللاموال جاعا وللارواح نزاعا ولك في الاشياء نقاعا والافليس تبدل لي أمير المؤمنين فان
 الناس كثير ولكن من يقوم بهذا الامر قليل فقال عبيد الملك أنت لها فما الذي تحتاج اليه
 قال قليل من الجسد والمال فدعا عبيد الملك صاحب جنده فقال هي له من الجند شهوته
 وأزهم طاعته وحذرهم مخالفته ثم دعا الخازن فأمره بمثل ذلك فخرج الجحاج قاصدا
 نحو العراق قال عبيد الملك بن عمر فبينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة اذا أنا اننا ات فقال
 هذا الجحاج قدم اميرا على العراق قطاوات الاعناق فحواه وأفرجوا له عن صحن المسجد
 فاذا نحن به يمشى وعليه عمامة حمراء مثل ثيابها ثم صعد المنبر فلم يسلم كلمة واحدة ولا نطق بحرف
 حتى غص المسجد بأهله وأهل الكوفة يومئذ ووحالة حسنة وهيئة جميلة فكان
 الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من أهل بيته ومواليه واتباعه عليهم
 الخنز والديباج قال وكان في المسجد يومئذ عمر بن صابي التميمي فلما رأى الجحاج على المنبر قال
 لصاحب له اسبه لكم قال اكفف حتى نسمع ما يقول فأبى ابن صابي وقال لعن الله بنى امية
 حيث يولون ويستعملون مثل هذا على العراق وضيع الله العراق حيث يكون هذا أميرها
 فوالله لو دام هذا اميرا كما هو ما كان بشئ والجحاج ساكت ينظر عينا وشمالا فلما رأى المسجد
 قد غص بأهله قال هل اجتمعتم فلم ير عليه أحد شيئا فقال اني لأعرف قد اجتمعتم فهل
 اجتمعتم فقال رجل من القوم قد اجتمعنا اصلح الله الامر فكشف عن اثنائه ونمض قاعا فكان
 اول شئ نطق به أن قال والله اني لارى رؤسا يبعث وقد حان قطافها وانى اصاحبها وانى لارى
 الدماء تفرق بين العمائم والبعي والله يا أهل العراق ان أمير المؤمنين نذر كناية بين يديه فنجسم
 عبيدنا فوجدنى أمرها عودا وأصلها مكسرا فرما كمي لانكم طالمنا أن نتم القنسة
 واضطجعتم في مراقد الضلال والله لانكلن بكم في البلاد ولا جعلناكم مشلا في كل واد
 ولا ضر بكم ضرب عرائب الابل وانى يا أهل العراق لأعد الاوقيت ولا اعزم الأمضيت
 فايأى وهذه الزرافات والجماعات وقيل وقال وكان ويكون يا أهل العراق انما أنتم أهل قرية
 كانت آمنة مطمئنة يا نهار زها رعدا من كل مكان فكفرت بأنتم الله فأناها وعبيد القرى
 من ربها فاستوثقوا واستقيموا واعملوا ولا تملوا وتابعوا وباعوا واجتمعوا واستمعوا

فليس مني الاهدار والا كثر انما هو هذا السيف ثم لا ينسلح الشتاء من الصيف حتى يذل الله
 لا حير المؤمنين صعبكم ويقيم له أودكم ثم اني وجدت الصدق مع البر ووجدت البر في الجنة
 ووجدت الكذب مع التجور ووجدت التجور في النار وقد وجهني أمير المؤمنين ~~عليه السلام~~
 وأمرني أن اتفق فيكم وأوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبي صفرة وأني أقسم بالله
 لا أجد رجلا يتخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام الا ضربت عنقه يا غلام اقرأ كتاب أمير
 المؤمنين فقرأ اسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى من بالكوفة من
 المسلمين سلام عليكم فلم يرد أحد شيئا فقال الحاج اكف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال
 أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون شيئا عليه هذا أدبكم الذي تأديتم به أما والله لا وديتكم
 أدب غير هذا الادب اقرأ يا غلام فقرأ حتى بلغ قوله سلام عليكم فلم يبق أحد الا قال وعلى
 أمير المؤمنين السلام ثم نزل بعد ما فرغ من خطبته وقرأته ووضع للناس عطاياهم فجعلوا
 يأخذونها حتى أتمه شيخ يرعش فقال ايها الامير اني على الضعف كما ترى ولي ابن هو أقوى مني
 على الاسفار أقتبله بديلا مني فقال تقبله ايها الشيخ فلما ولي قال له قائل أنت دري من هذا
 ايها الامير قال لا قال هذا عمر بن صابي الذي يقول

همت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان نبي حلاله

ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان رضي الله عنه وهو مقتول فوطئ في بطنه ففكس
 ضلعين من أضلاعه فقال الحاج ردوه فلما ردوه قال له الحاج أنت الفاعل بأمر المؤمنين
 عثمان ما فعلت يوم قتل الدار ان في قتلك ايها الشيخ اصلاحة للمسلمين باسما فاضرب عنقه
 فاضرب عنقه وكان من أمره بعد ذلك ما عرف وسطر * ومن حكايات الحاج ما حكى أنه لما
 أسرف في قتل اسرى دير المجاجم وأعطى الاموال بلغ ذلك أمير المؤمنين عبد الملك بن
 مروان فنشق عليه وكتب اليه أما بعد فقد بلغني عنك اسراف في الدماء وتبذير في العطاء
 وقد حكمت عليك في الدماء في الخطا بالدية وفي العمد بالقود وفي الاموال أن تردّها الى
 مواضعها ثم تعمل فيها برأيي فانما هو مال الله تعالى ونحن أمناءؤه فان كنت أردت الناس لي
 فإغنائهم عنهم وان كنت أردتهم لنفسك فإغنائك عنهم وسبأنيك عنى أمر ابن وشدة
 فلا يؤمنك الا الطاعة ولا يوحشك الا المعصية واذا أعطاك الله عز وجل الظفر فلا تقتلن
 جافحا ولا أسيرا وكتب في أسفل الكتاب

اذا أنت لم تترك أمورا كرهتها * وتطلب رضائي بالذي أنا طالبه
 فان ترمي غفلة قرشبية * فبارعنا قدغن بالماء شاربه
 وان ترمي وثبة أموية * فهذا وهذا كل ذا أنا صاحبه
 فلا تأمنني والحوادث حجة * فانك تجزى بالذي أنت كاسبه
 فلا تقدم بأيتك مني وان تعد * بقمن به يوما عليك نواذبه
 فلا تمنع الناس حقا علمته * ولا تعطين ما ليس للناس واجبه
 فانك ان تعطي الحقوق فانما النوافل شئ لا يشيك واهبه

فلما ورد الكتاب على الحاج كتب الى أمير المؤمنين أما بعد فقد ورد كتاب أمير المؤمنين يذكر

اسرائى فى الدماء وتبذرى فى الاموال ولعمري ما بالغت فى عقوبة أهل المعصية ولا قضيت حقوق أهل الطاعة فان كان قتل العصاة اسرافا واعطاني المطيعين تذكيرا فليعض بى أمير المؤمنين ما سلف والله ما أصبت القوم خطأ فأودهم ولا ظلمتهم عمدا فأقادهم ولا قتلت الألاك ولا أعطيت الأنيك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب فى أسفل الكتاب

إذا أنا لا أبغى رضاك وأتقى * اذالك فليلى لا نوارى كواكب
وما لامرئى بعد ان طلقة جنة * تقيه من الامر الذى هو راكبه
إذا قارفت الجحاح فيك خطيئة * لقامت عليه بالصباح نواديه
إذا نال أدن الشقيق لنحسه * وأقص الذى تسرى الى عقابه
وأعطى المواسى فى البلاء عطية * لرد الذى ضاقت على مذهب
فمن يتقى بؤسى ويرجو موذى * ويخشى غدا والدرج من نوابه
وأمرى اليك اليوم ما قلت قلته * وما لم تقله لم أقل ما يقاربه
ومهما أردت اليوم منى أردته * وما لم ترده اليوم انى بجانبه
وقبى على حد الرضالا أجوزه * مدى الدر حتى يرجع الدر حالبه
والافسد على الامور فانى * شقيق رفيق أحكمته تجاربه

فلما انتهى الكتاب الى عيد الملك قال خاف أبو محمد وصولتى ولم يعاود لا مر كرهته ان شاء الله تعالى فمن يلومنى على محبة يا غلام اكتب اليه الشاهد يرى ما لا يرى الغائب وأنت أعلى عينا بما هنالك * وفى مروج الذهب للمسعودى أن أتم الجحاح وهى الفارعة بنت همام ولدت له مشوها لا دبر له فنقب له دبر وأبى أن يقبل الثدى وأعيامهم أمره فيقال ان الشيطان تصور لهم فى صورة الحرث بن كادة حكيم العرب فسألهم عن ذلك فأخبره مخبر من أهلهم فقال لهم اذهبوا له تساءوا لعمريه من دمه وأولغوه فيه ثم اطلوا به وجهه ففعلوا ذلك فقبل الثدى فلا جمل ذلك كان لا يصبر عن سفك الدماء وكان يخبر عن نفسه أن اكبر لذاته سفك الدماء وارتكاب أمور لا يقدر غيره عليها وكانت أمه متزوجة قبل أبيه الحرث بن كادة فدخل عليها يومانى السحر فوجدناها تحتل أسنانها فطلقة فأسألته لم فعل فقال لها ان كنت باكرت الفساد فأت شرة وان كان بقايا طعام بفيك فأت ذرة فقال كل ذلك لم يكن وانما تحتل من شظايا السواك فقال قضى الامر فتزوجها بعد يوسف بن عجيل الثقفى فاولدها الجحاح * وقبل ان الجحاح تقلد الامارة وهو ابن عشرين سنة ومات وله ثلاث وخسون سنة وكان من عذف السياسة وثقل الوطأة وظلم الرعية والاسراف فى القتل على ما لا يبلغه وصف أحصى من قتله الجحاح بأمره سوى من قتله فى حروبه فكانوا مائة ألف وعشرين ألفا ووجد فى سجنه خسون ألف رجل وثلاثون ألف امرأة لم يجب على أحد منهم قطع ولا قتل وكان يجلس الرجال والنساء فى موضع واحد ولم يكن لحبسهم سقف يسترا الناس من الحر والبرد وقبل للشعبى أن كان الجحاح مؤمنا قال نعم بالطاغوت وقال لو بات كل أمة بمخبيها وفاصة ما وجتنا بالجحاح وحده لزدنا عليهم والله أعلم وقدمضى القول

في ذكر القصص من الرجال وحكاياتهم وما أعان الله تعالى عليه واستحضرتهم
أخبارهم وأنا قائل ان شاء الله تعالى ما استحضرتهم من ذكر قصص النساء وأخبارهن
وحكاياتهن والله المستعان

(ذكر قصص النساء وحكاياتهن)

* (حكى) عن أبي عبد الله النخعي انه قال كنت يوما مع المأمون وكان بالكوفة
فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فينما هو سائر اذ لاح له طريدة فأطلق عنان
جواده وكان على سابق من الخيل فأشرف على نهر ماء من القرى فاذا هو بجارية عربية
خامسة القد قاعدة النهدي كلها القمريلة تمامه ويدها قريبة قد ملائها ماء وحلتها
على كتفها وصعدت من حافة النهر فأنجل وكأوها فصاحت برقيق صوتها يا أبت أدرك فاها
قد غلبني فوها لا طاقة لي بفيها قال ففجأ المأمون من قصتها ورمت الجارية القربة
من يدها فقال لها المأمون يا جارية من أي العرب أنت قالت أنا من بني كلاب قال وما الذي
جاءك أن تكوني من الكلاب فقالت والله لست من الكلاب وإنما أنا من قوم كرام غير أنهم
يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من أي الناس أنت فقال أو عندك علم
بالناس قالت نعم قال لها أنا من مضر الجراء قالت من أي مضر قال من أكرمها نسبا
وأعظمها حسابا وخيرها أمما وأبا بمن تهابه مضر كلها قالت أغنسك من كنانة قال أنا من كنانة
قالت فمن أي كنانة قال من أكرمها مولدا وأشرفها محندا وأطولها في المكرمات يدا بمن
تهابه كنانة وتخافه فقالت اذن أنت من قريش قال أنا من قريش قالت من أي قريش قال
من أجهلها ذكرى وأعظمها غمرا بمن تهابه قريش كلها وتخشاها قالت أنت والله من بني
هاشم قال أنا من بني هاشم قالت من أي هاشم قال من أعلاها منزلة وأشرفها قبيلة بمن
تهابه هاشم وتخافه قال فعند ذلك قبلت الأرض وقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين
وخليفة رب العالمين قال ففجأ المأمون وطربا بطربا عظيما وقال والله لا تزوجن بهذه
الجارية لأنها من أكبر الغنائم ووقف حتى تلاحقته العساكر فنزل هناك وأنفذ خلف
أبيها وخطبها منه فزوج به بها وأخذها وعاد مسرورا وهي والدة ولده العباس والله أعلم
(وحكى) أن هند ابنة النعمان كانت أحسن أهل زمانها فوصف للعجاج حسناتها فأنفذ إليها
يخطبها وبذل لها مالا جزيلًا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مائتي ألف درهم
ودخل بها ثم انما انفجرت معه إلى بلد أبيها المعرة وكانت هند فصيحة أديبة فأقام بها العجاج
بالمعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها إلى العراق فأقامت معه ما شاء الله ثم دخل عليها
في بعض الايام وهي تنظر في المرأة تقول

وما هند الامهرة عربية • سليله أفراس تحللها بغل

فان ولدت فخلد الله ذرها * وان ولدت بغلا فجاء به البغل

فانصرف الحجاج راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فأراد الحجاج طلاقها فأنفذ إليها
عبد الله بن طاهر وأنفذ لها معه مائتي ألف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال ابن طاهر
طلقها بكلمتين ولا ترد عليها فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها يقول لك أبو محمد الحجاج

كنت فبنت وهذه المائتا ألف درهم التي كانت لك قبله فقالت اعلم يا ابن طاهر انا والله كما
فما جدناو ينافد منا وهذه المائتا ألف درهم التي جئت بها بشارة لك بخلصي من كلب
بن ثقيف ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبرها ووصف له جمالها فأرسل
اليها يحفظها فأرسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثناء عليه اعلم يا أمير المؤمنين أن الاناء ولغ فيه
الكلب فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها وكتب اليها يقول اذا ولغ الكلب في اناء
أحدكم فليغسله سبعة احدى بالتراب فاغسل الاناء يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب أمير
المؤمنين لم يكن لها الخافقة فكنت اليه بعد الثناء عليه يا أمير المؤمنين والله لأحل العقد الا
بشرط فان قلت ما هو الشرط قلت أن يقود الجحاج محملي من المعزة الى بلدك التي أنت فيها
ويكون ماشيا حافيا بحليته التي كان فيها أولا فلما قرأ عبد الملك ذلك الكتاب ضحك ضحكا شديدا
وأنفذ الى الجحاج وأمره بذلك فلما قرأ الجحاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامتنع الا امر ولم
يخالف وأنفذ الى هند يأمرها بالتجهز فتجهزت وسارا للجحاج في موكبه حتى وصل المعزة
بلد هند فركبت هند في حمل الزفاف وركب حولها جوارها وخدمها وأخذ الجحاج بزمام
البعير يقوده ويسير بها فجعلت هند تنوagd عليه وتضحك مع الهيفاء دايتها ثم انها قالت
للهم يفاء يا اية الكشي لي سجع المحمل فكشفته فوقع وجهها في وجه الجحاج فضحكت
عليه فأنشأ يقول

فان تضحكي مني فيا طول ليلة * تركتك فيها كالقبا المقترج

فأجابته هند تقول

وما لي اذأر واحنا سلمت * بما فقدناه من مال ومن نسب

فالمال مكتسب والعز مرتجع * اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب الى أن قربت من بلد الخليفة فرمت يديا على الارض
ونادت يا جمال انه قد سقط منادى درهم فارفعه اليسا فنظر الجحاج الى الارض فلم يجد الا دينا را
فقال انما هو دينار فقال بل هو درهم قال بل دينار فقالت الحمد لله سقط منادى درهم فعوضنا
الله دينار فجعل الجحاج وسكت ولم يرتد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج
بها وكان من أمرها ما كان وقد وجدت في بعض النسخ ما هو أوسع من هذا ولكن اقتصرنا
على القليل منه اذ فيه الغرض والله أعلم * وقيل ان جارية عرضت على الرشيد ليشتريها
فتأملها وقال لمولاها خذ جاريك فلولا كلف بوجهها وخس بأنفها لاشتريتها فلما سمعت
الجارية مقالة أمير المؤمنين قالت مبادرة يا أمير المؤمنين اسمع مني ما أقول فقال قولي فأنشدت
تقول

ماسلم الطيبي على حسنه * كلا ولا البدر الذي يوصف

الطيبي فيه خنس بين * والبدر فيه كلف يعرف

قال فعجب من فصاحتها وأمر بشرائها وقيل عرضت على المأمون جارية بارعة في الجمال
فأنقصة في الكمال غير أنها كانت تعرج برجلها فقال لمولاها خذ بيدها وارجع فلولا عرج بها
لاشتريتها فقالت الجارية يا أمير المؤمنين انه في وقت حاجتك لا يكون بحيث تراه فأعجبه

سرعة جوابها وأمر بشرائها* ومن ذلك ما حكى أن كرم الملك كان من طرفاء الكتاب فعبس
يوم ماتت جوسق ببستان فرأى جارية ذات وجه زاهر وكال باهر لا يستطيع أحد وصفها
فلما نظر إليها ذهل عقله وطار لبه فعدا إلى منزله وأرسل إليها هدية نفيسة مع عجوز كانت
تخدمه وكانت الجارية عزبا وكتب إليها رقعة يعرض إليها الزيارة في جوسقها فلما
قرأت الرقعة قبلت الهدية ثم أرسلت إليه مع العجوز عنبراً وجعلت فيه زرد ذهب وربطت ذلك
على منديل وقالت للجوز هذا جواب رقعة فلما رأى كرم الملك ذلك لم يفهم معناه وتحير في
أمره وكانت له ابنة صغيرة السن فلما رأته أباه امتعير في ذلك قالت له يا أبت أنا علمت معناه قال
وما هو لله درك قالت

أهدت لك العنبر في جوفه * زرت من التبرخني العام
فالزرو العنبر معناهما * زرهكذا محتفيا في الظلام

قال ففجب من فطنتها وفصاحتها واستحسن ذلك منها* (وحكى) أن طائفة من بني نعيم كانوا
يكسرون أول القصل فترت فتاة منهم جميلة الصورة على جماعة فنادواها شخص منهم وأراد أن
يوقعها فيما ينسب اليهم من كسر الفعل فقال لاى شئ يا بني نعيم ما تكتنون فقالت ولم لا نكتنى
وكسرت الفعل فضحك عليها وقال أفعل ان شاء الله ففجئت من قوله وتغير وجهها وأرادت أن
توقعه كما أوقعها فقالت له هل تحسن شيئاً من العروض قال نعم قالت قطع لى
حولوا عنا كنيتكم * يا بني جمالة الخطب

فقطعه فوقف على عن ثم ابتدأ بالنون والالف مع بقية الحروف فضحكت عليه وأضحكت
أصحابه فقال ويحك لم تبرح حتى أخذت بشارك* (وحكى) أن شاعراً كان له عدو فبينما هو سائر
ذات يوم في بعض الطرق إذا هو بعدوه فعلم الشاعر أن عدوه قاله لالحالة فقال له يا هذا أنا
أعلم أن النية قد حضرت ولكن سألتك الله إذا أتت قتلتنى امض الى دارى وقف بالباب
وقل * ألا أيها البننان ان أبا ك* فقال سمعاً وطاعة ثم انه قتله فلما فرغ من قتله أتى الى داره
ووقف بالباب وقال * ألا أيها البننان ان أبا ك* وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل
ألا أيها البننان ان أبا ك* أجابته بضم واحد * قبل خذ بالثامر عن أنا ك* ثم تعلقتا بالرجل
ورفعته الى الحماكم فاستقرره فأقر بقتله فقتله والله أعلم * وقيل بينما كثير عزة مارت بالطريق
يوما إذا هو بجوز عياء على قارعة الطريق عشى فقال لها تنحى عن الطريق فقالت له ويحك
ومن تكون قال أنا كثير عزة قالت فبحك الله وهل مثلك تنحى له عن الطريق قال ولم قالت
أنت القاتل

وماروضة بالحسن طيبة الثرى * يمج السدى جنبانها وعراها
بأطيب من أردان عزة موهنا * إذا أودت بالجمهر اللدن نارهنا
ويحك يا هذا الوتجر بالجمهر اللدن مثلى ومثل أمك لطاب ريحها لم لا قلت مثل سيدك امرئ
القيس

وكنت اذا ما جئت بالليل طارفا * وجدت بها طيبا وان لم تطيب
فقطعته ولم يرد جوابا * وقيل أتى الحاج بامرأة من الخوارج فقال لأصحابه ما تقولون فيها

قالوا عاجلها بالقتل أيها الأمير فقالت الخارجية لقد كان وزراء صاحبك خيرامن وزرائك
يا حجاج قال ومن هو صاحبى قالت فرعون استشارهم في موسى عليه السلام فقالوا
أرجئناه وأخاه * وأتى بأخرى من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر إليه فقيل لها الأمير
يكلمك وأنت لا تنظرين إليه فقالت انى لاستحي أن أنظر الى من لا ينظر الله اليه (وحكى)
ابن الجوزى في كتابه المستظم في مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لما ولى عمر رضى
الله عنه الخلافة بلغه أن أصدقه أرواح النبي صلى الله عليه وسلم خمسائة درهم وأن فاطمة
رضى الله عنها كان صدقها على علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أربع مائة درهم فأدى
اجتهاد أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه أن لا يزيد أحد على صدق البضعة النبوية فاطمة
رضى الله عنها فصعد المنبر وجد الله تعالى وأثنى عليه وقال أيها الناس لا تزيدوا في مهور
النساء على أربع مائة درهم فمن زاد ألقبت زيادته في بيت مال المسلمين فهاب الناس أن يكلموه
فقامت امرأة في يدها طول فقالت كيف يحل لك هذا والله تعالى يقول وآتيتهم أحداهن
قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا فقتل عمر رضى الله عنه امرأة أصابت ورجل أخطأ * وقيل
جاءت امرأة الى أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه فقالت يا أمير المؤمنين ان زوجي يصوم النهار
ويقوم الليل فقال لها نعم الرجل زوجك وكان في مجلسه رجل يسعى كعبا فقال يا أمير المؤمنين
ان هذه المرأة تشككك وزوجها في أمر مباحده اياها عن فراشه فقال له كما فهمت كلامها
احكم بينهما فقال كعب على بزوجهما فحضر فقال له ان هذه المرأة تشككك قال أفى أمر طعام
أم شراب قال بل فى أمر مباحدهك اياها عن فراشك فأنشأت المرأة تقول

يا أيها القاضي الحكيم أنشده * ألهى خليلي عن فراشي مسجد
نهاره وليله لا يرقد * فليست فى أمر النساء أجده

فأنشأ الزوج يقول

زهدي في فرشها وفي الحلل * أنى امرؤ أذهلنى ما قد نزل
في سورة النحل وفي السبع الطول * وفي كتاب الله تحويف يجبل

فقال له القاضي

ان لها عليك حقالم يرزل * فى أربع نصيبها من عقل
فعاطها ذاك ودع عنك العلل

ثم قال ان الله تعالى أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع فلك ثلاثة أيام بلياليهن ولها يوم
وليله فقال عمر رضى الله عنه لا أدري من أيبكم أعجب أم من كلامها أم من حكمك بينهما
اذ به فقد وليت البصرة * (حكاية المتكلمة بالقرآن) قال عبد الله بن المبارك رحمه الله
تعالى خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في بعض
الطريق اذا بأبساود على الطريق فقبرت ذلك فاذا هي بجوز عليها درع من صوف وخمار
من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولان رب رحيم قال فقلت
لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان قالت ومن يضل الله فلا هادى له فعلت أنهما ضالة
عن الطريق فقلت لها أين تريدن قالت سبجان الذى أسرى بعبدته ليلامن المسجد الحرام

الى المسجد الاقصى فقلت انهما قد قضت جهما وهي تريد بيت المقدس فقلت لهما أنت منذ
 كم في هذا الموضع قالت ثلاث لئلا سوي يا فقلت ما أرى معك طعاماً تأكلين قالت هو يطعمني
 ويسقين فقلت فبأي شيء تتوضئين قالت فلم تعبدوا ماء فتعبدوا ماء عبيد اطيبا فقلت لهما
 ان معي طعاما فهل لك في الاكل قالت ثم أتموا الصيام الى الليل فقلت ليس هذا شهر
 رمضان قالت ومن تطوع خيراً فان الله شاكر عليم فقلت قد أبيع لنا الاططار في السفر
 قالت وأن تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون فقلت لم انا تكلميني مثل ما أكلتك قالت
 ما يلفظ من قول الا لله رقيب عنسد فقلت فمن أي الناس أنت قالت ولا تقف ما ليس لك
 به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً فقلت قد أخطأت فاجعليني
 في حل قالت لا ترب عليك اليوم يغفر الله لكم فقلت فهل لك أن أجعلك على ناقتي هذه
 فتدركي القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فأنخت ناقتي قالت قل للمؤمنين
 يغضوا من أبصارهم فغضت بصرى عنها وقلت لهما اركبي فلما أرادت أن تركب نفرت
 الناقة فخرقت ثيابها فقالت وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم فقلت لهما
 اصبري حتى أعقلها قالت فقهرناها سليمان ففعلت الناقة وقلت لهما اركبي فلما ركبت
 قالت سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا المنقلبون قال فأخذت بزمام
 الناقة وجعلت أسي وأصيح فقالت واقصدي في مشبك واغضضي من صوتك فجعلت أمني
 رويدا رويدا وترنم بالشعر فقالت فاقروا ما ينسر من القرآن فقلت لهما لقد أوتيت خيراً
 كثيراً قالت وما يذكر الا أولو الاباب فلما مشيت بها قليلاً قلت ألك زوج قالت
 يا أيها الذين آمنوا لا تنسوا عن أشياء ان تبدلكم تسوكم فسكت ولم أكلها حتى ادركت
 بها القافلة فقلت لهما هذه القافلة فمن لك فيها فقالت المال والبنون زينة الحياة الدنيا
 ففعلت أن لهما ولاداً فقلت وما شأنهم في الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون ففعلت
 أنهم أدلاء الركب فقصدت بها القباب والعمارات فقلت هذه القباب فمن لك فيها قالت
 واتخذ الله ابراهيم خليلاً وكرم الله موسى تكليماً يا يحيى خذ الكتاب بقوة فناديت يا ابراهيم
 يا موسى يا يحيى فاذا أنا بشبان كأنهم الاقار قد أقبلوا فلما استقر بهم الجلوس قالت فابعثوا
 أحداًكم بورقكم هذه الى المدينة فليتنظروا بها أركي طعاماً فلما أتكم برزق منه فغضي أحدهم
 فاشتري طعاماً فقدموه بين يدي فقالت كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الايام الخالية
 فقلت الآن طعامكم على حرام حتى تخبروني بأمرها فقالوا هذه أمنا لها منذ أربعين سنة
 لم تتكلم بالاباقرآن مخافة أن تزل فيسخط عليها الرحمن فسبحان القادر على ما يشاء فقلت
 ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم والله أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا
 محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن في الاجوبة المسكنة والمستحسنة ورشقات اللسان وما جرى مجرى ذلك)

(قبيل) ان معن بن زائدة دخل على المنصور فقال له به يا معن تعطى مروان بن أبي حفصة
 مائة ألف على قوله

معن بن زائدة الذي زادته به * شرفاً على شرف بنوشيان

فقال كلا يا أمير المؤمنين انما أعطيته على قوله

مازلت يوم الهاشمية معلنا * بالسيف دون خليفة الرحمن

فمعت حوزته وكنت وفاه * من رقع كل مهند وسنان

فقال أحسنت والله يا معن وأمرله بالجواز والخلع * ووفد ابن أبي محجن على معاوية
فقام خطيبا فأحسن نفسه معاوية وأراد أن يوقعه فقال له أنت الذي أوصاك أبوك
بقوله

إذا مت فادفني إلى جنب كرمه * ترى عظامي بعد موتي عروقتها

ولا تدفني في القلعة فاني * أخاف إذا ماتت أن لا أدوقها

قال بل أنا الذي يقول أبي

لاتسأل الناس مالم يكثره * وسائل الناس ما جودي وما خلقي

أعطي الحسام غداة الروع حصته * وعامل الرمح أرويه من العلق

وأطعن الطعنة الجلاء عن عرض * وأكتم السر فيه ضربة العنق

ويعلم الناس اني من سراهم * إذا سبابا بصر الرعد بدا الفرق

فقال له معاوية أحسنت والله يا ابن أبي محجن وأمرله بصلته وجائزة * (وقيل) أخذ عبد الملك

ابن مروان بعض أصحاب شبيب الحارثي فقال له ألسنت القاتل

ومنا شريدو البطين وقعن * ومنا أمير المؤمنين شبيب

فقال يا أمير المؤمنين انما قلت ومنا أمير المؤمنين شبيب وأردت بذلك مناداة لك فكان ذلك

سببا لنجاة * ودخل شريك بن الاعور على معاوية وكان دميما فقال له معاوية انك لدميم

والجبل خير من الدميم وانك لشريك ومالله من شريك وان أباك لاعور والصحيح خير من

الاعور فكيف سدت قومك فقال له انك معاوية ومعاوية الاكبة عوت فاستعوت الكلاب

وانك لابن صخر والسهل خير من الصخر وانك لابن حرب والسلم خير من الحرب وانك لابن أمية

وما أمية الا أمة صغرت فكيف صرت أمير المؤمنين ثم خرج وهو يقول

ايشتمني معاوية بن حرب * وسبني صارم ومعى لسانى

وحولى من ذوى بن ليوث * ضراغمة تمس الى الطعان

يعير بالدماصة من سفاه * وربات الجبال من الغواني

ودخل يزيد بن أبي مسلم صاحب شرطة الحجاج على سليمان بن عبد الملك بعد موت الحجاج

فقال له سليمان قبح الله رجلا أجزأك وسنه وأولك أمانته فقال يا أمير المؤمنين رأيتني

والامر لك وهو عني مدبر فلورأيتني وهو على * قبل لاسمك كبرت منى ما استصغرت

واستعظمت منى ما استحققت فقال سليمان أترى الحجاج استقر في جهنم فقال يا أمير المؤمنين

لا تقل ذلك فان الحجاج وطأ أكم المنابر وأذل لكم الجبابرة وهو يحيى يوم القيامة عن يمين أباك

وشمال أخيك فخيما كانا * وقال يهودى لعلى بن أبي طالب رضى الله عنه مالكم

لم تلبسوا بعد نبيكم الا خمس عشرة سنة حتى قاتلتم فقال على * كرم الله وجهه ولم أنتم لم تبغ

أقدامكم من البلال حتى قلتم يا موسى اجعل لنا الها كالههم آلهة * ووجد الحجاج على منبره

مكتوباً قل تتع بكفرك قليلاً انك من أصحاب النار فكتب تحته قل موتوا بغيظكم ان الله عليم
 بذات الصدور * ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فأجلسه معه على سريره ثم
 قال له انتم معشر بني هاشم تصابون في أبصاركم فقال له عقيل وانتم معشر بني أمية تصابون
 في بصائركم * وقيل اجتمعت بنو هاشم يوماً عند معاوية فأقبل عليهم وقال يا بني هاشم ان خبري
 لكم ممنوح وان يا بني لكم لقنوح فلا يقطع خبري عنكم ولا يرد يا بني دونكم ولما نظرت
 في أمري وأمركم رأيته أمرًا مختلفاً انكم ترون انكم أحق بما في يدي مني واذا اعطيتكم
 عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم أعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا فمرت كالسحاب
 والمسايوب لاجله هذا مع انصاف قائلكم واسعاف سائلكم قال فأقبل عليه ابن عباس
 رضى الله عنهما فقال والله ما منحنا شيئاً حتى سألناه ولا فحمت لنا يا باحقى قرعناه ولئن
 قطعت عنا خبرك لخبر الله أو سعت منك ولئن أغلقت دوننا يا ابن كفن انفسنا عنك وأما هذا
 المال فليس لك منه الا مال الرجل من المسلمين ولولا حقنا في هذا المال لم يأتك منازعنا ثم يحمله
 خوف ولا حذر أكتفاك ام أزيدك قال كفاني يا ابن عباس * وقال معاوية يوماً لأمير الناس
 ان الله حباقر يشابه ثلاث فقال لئيمه صلى الله عليه وسلم وأندرسه برك الاقربين ونحن
 عشيرته الاقربون وقال تعالى وانه لذكركم ولقومك ونحن قومه وقال تعالى
 لا يلاف قريش ايلافهم ونحن قريش فأجابه رجل من الانصار فقال على رسلك يا معاوية
 فان الله تعالى يقول وكذب به قومك وهو الحق وانتم قومه وقال تعالى ولما ضرب
 ابن مريم مثلاً اذا قومك منه يصدون وانتم قومه وقال تعالى وقال الرسول يا رب ان قومي
 اتخذوا هذا القرآن مهجوراً وانتم قومه ثلاثة بثلاثة ولوزدتنا زناك * وقال معاوية أيضاً
 لرجل من البين ما كان اجهل قومك حين ما وكواعليهم امرأة فقال اجهل من قومي
 قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان كان هذا هو الحق
 من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بذاب أليم ولم يقولوا اللهم ان كان هذا
 هو الحق من عندك فاهذا اليه * وقال يوماً للجارية بن قدامة ما كان اهنك على قومك
 اذ سموك جارية فقال ما كان اهنك على قومك اذ سموك معاوية وهى الاتى من الكلاب
 قال اسكت لا أم لك قال أمى ولدتى أما والله ان القلوب التى أبغضناك بها البين جوا نحننا
 والسيوف التى قاتلناك بها فى أيدينا وانك لم تهلكنا قسوة ولم تملكنا عتوة ولكنك اعطيتنا عهداً
 وميثاقاً واعطيناك سمعاً وطاعة فان وفيت لنا وفينا لك وان نزعنا الى غير ذلك فاننا تركنا وراءنا
 رجالاً شداداً واسنة حداداً فقال معاوية لا اكثر الله فى الناس مثلك يا جارية فقال له قل
 معروفاً فان شر الدعاء محيط بأهلكه * وخطب معاوية يوماً فقال ان الله تعالى يقول وان
 من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم فعلام تلومونى اذا قصرت فى عطايائكم
 فقال له الاحسف وانا والله لا تلومكم على ما فى خزائن الله ولكن على ما أنزله الله لنا من خزائنه
 فجعلته فى خزائنك وحلت بيننا وبينه * وقبل دخل مجنون الطاق يوماً الى الحمام وكان
 بغير متر وفرأه ابو حنيفة رضى الله عنه وكان فى الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى اعمالك
 الله قال حين هتك سترك * ومن ذلك ما حكى أن الحجاج خرج يوماً متزهاً فلما فرغ من زهته

صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بني عجل فقال له من اين ايها الشيخ قال
من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظنون الناس ويستحلون أموالهم قال
فكيف قولك في الخجاج قال ذاك ما ولي العراق شر منه قصه الله وقبح من استعمله قال
أتعرف من أنا قال لا قال انا الخجاج قال جعلت فداك أوتعرف من أنا قال لا قال أنا فلان بن
فلان مجنون بني عجل أصرع في كل يوم مرتين قال فضحك الخجاج منه وأمر له بصلة
وقال رجل لصاحب منزل أصلح خشب هذا السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح قال
اني أخاف أن تدركه رقة فيسجد وقالت عجوز لزوجها أما تسقي أن تزني ولك حلال طيب
قال أما حلال فنع وأما طيب فلا وقال ملك لوزير ما خير ما يرزقه العبد قال عقل يعيش به
قال فان عدمه قال ادب يتخلى به قال فان عدمه قال مال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة
تحرقه وترج منه العباد والبلاد وتبأ رجل في زمن المنصور فقال له المنصور أنت نبي
سفلة فقال جعلت فداك كل نبي يعث الى شكلة ومن الاجوبة المسكتة المستحسنة ما ذكر
أن ابراهيم مغني الرشيد غني يوم بين يديه فقال له احسنت احسن الله اليك فقال له
يا امير المؤمنين انما يحسن الله اليك فأمر له بمائة ألف درهم وقال رجل لبعض العلوية
انت ببستان فقال العلوي وأنت النهر الذي يسقي منه البستان وذبحت عائشة رضي الله
تعالى عنها شاة وتصدقت بها وأفضت منها كتفا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما عندك
منها فقلت ما بقي منها الا كتف فقال كلاهني الا كتفا وقال عبد الله بن يحيى لابي العيضاء
كيف الحال قال أنت الحال فانظر كيف انت لنا فأمر له بجمال جزيل وأحسن صلته وكان عمرو
ابن سعد بن سالم في حرم المأمون ليلة فخرج المأمون يتفقد الحرس فقال لعمره من أنت قال
عمرو عرك الله ابن سعد اسعدك الله بن سالم سلمك الله قال أنت تكلوننا اليسلة قال الله يكلوك
يا امير المؤمنين وهو خير حفظا وهو أرحم الراحمين فقال المأمون

ان أأخا الهيجا من يسعي معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذاريب زمان صدعك * شئت فمك شئت له ليجمعك

ادفعوا اليه أربعة آلاف دية ارقال عمرو ووددت لو أن الآيات طالت وقال المعتصم للفتح
ابن خاقان وهو سبي صغيراً رأيت يا فتح أحسن من هذا الفص لفص كان في يده قال
نعم يا امير المؤمنين اليس الذي هو فيها احسن منه فأعجبه جوابه وأمر له بصلة وكسوة وقيل
ان رجلا سأل العباس رضي الله عنه أنت اكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر وأنا ولدت قبله وقال معاوية لسعيد بن مرة الكندي
أأنت سعيد قال امير المؤمنين السيد وأنا ابن مرة وقال المأمون للسيد بن أنس أنت
السيد قال امير المؤمنين السيد وأنا ابن أنس وقال الخجاج للمهلب وهو عياشيمة أنا أطول
أم أنت قال الامير أطول وأنا ابسط قامة أراد الطول وهو الفضل والاجوبة به هذا المعنى
كثيرة لو تتبعها العجزت عنها ولكفي اقتصر على هذا وأجرت وفيما ذكرته من ذلك كفاية
واسأل الله تعالى العون والعناية

الباب التاسع في ذكر الخطب والخطباء والشعر والشعراء وسرفاتهم وكبوات الجهاد

وهفوات الاجناد

قيل خطب المأمون فقال اتقوا الله عباد الله وأنتم في مهل بادروا الاجل ولا يغتر بكم
الامل فكأنني بالموت قنتنزل فشغلت المرشواغله وولت عنه فواصله وهبت اكفانه
وبكاه جوارنه وصار الى التراب الخالي بجسده البالي فهو في التراب عفير والى ما قدم
فقير وقال الشعبي ما سمعت أحدا يخطب الا تخشع أن يسكت مخافة أن يخطئ ما خلا زبانا
فانه لا يزيد اذا كثار الا ازداد احسانا وخطب علي رضي الله عنه فقال في خطبته عباد
الله الموت الموت ليس منه فوت ان أنتم أخذكم وان فررت منه ادر كنتم الموت
معه قد بنوا سيكم فالجبال النجا والوحا الوها فان وراءكم طال بالاحتيا وهو القبر ألا وان القبر
روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار ألا وانه يتكلم في كل يوم ثلاث كلمات فيقول
أنايت الظلمة أنايت الوحشة أنايت الديدان ألا وان وراء ذلك اليوم يوما أشد منه يوما
يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات
حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ألا وان وراء
ذلك اليوم يوما أشد منه فيه نار تتسعر حرها شديد وقعرها بعيد وحلها احديد وماؤها مسيد
ليس لله فيها رحمة قال فبكى المسلمون بكاء شديدا ثم قال ألا وان وراء ذلك اليوم جنة
عرضها السموات والارض أعدت للمتقين ادخلنا الله واياكم دار النعيم وأجازنا واياكم من
العذاب الاليم (وخطب) الحجاج بن يوسف فقال في بعض خطبه ان ابراهيم بن عبد الله بن
الحسن رضي الله عنه خطب بالبصرة فقال ايها الناس كل كلام في غير ذكر فهو لغو وكل
صمت في غير ذكر فهو سهو والنياسا لم والآخره يقطعه والموت متوسط بينهم ونحن في أضغاث
أحلام قيل اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعته يزيد وأظهر قوم الكراهة
فقام رجل من الخطباء من عذرة يقال له يزيد بن المقفع فاخترط من سيفه شعرا ثم قال أمير
المؤمنين هذا وأشار الى معاوية ثم قال فان يهلك فهو هذا وأشار الى يزيد ثم قال فمن أبي فهذا
وأشار الى سيفه فقال له معاوية أنت سيد الخطباء

(قصـــــــــل) في ذكر الشعر والشعراء وميرقاتهم قيل ما استدعى شارد الشعر بمثل الماء
الجاري والشرف العالي والمكان الخضر الخالي وقيل اسكن على التابغة الجعدي
أربعين يوما فلم ينطق بالشعر ثم ان بنى جعدة غز واقظفر فاستخفه الطرب والفرح فرام الشعر
فذل له ما استعجب عليه فقال له قومه والله لنحن باطل لاق لسان شاعرنا سر منا بالظفر
بعدونا وقال أبو نواس ما قلت الشعر حتى رويت لستين امرأته من الخنساء وابسلى فاطنك
بالرجال وقال الخليل الشعراء امراء الكلام يتصرفون فيه كيف شاؤوا جازلهم فيه ما لا يجوز
لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تسهيل اللفظ وتعقيده وقيل وقد زيا دبن عبد الله
على معاوية فقال له أقصرت القرآن قال نعم قال اقصرضت القريض قال نعم قال اروي
الشعر قال لا فكتب الى عبد الله أبا زيا دبارك الله في ابنك فأروده الشعر فقد وجدته
كاملا وان سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول اربوا الشعر فانه يدل على محاسن
الاخلاق وبقي مساوئها وتعلموا الانساب فرب رحيم مجهولة قد وصلت بعرفان النسب

وتعلموا من الجحوم ما يدل لكم على سبيلكم في البر والبحر ولقد همت بالهرب يوم صفين فاستبني
الاقول القائل

اقول لها اذا جشأت وجاشت * مكانك تحمدي او تستريحي

وقبل لم يرقط اعلم بالشعر والشعراء من خلف الاحجر كان يعمل الشعر على السنة الفحول من
القدماء فلا يتميز عن مقولهم ثم تنسك فكان يحتم القرآن كل يوم ليلة وبذل له بعض المولود
مالا يريلا على أن يسلكم في بيت من الشعر شكوا فيه فأبى وكان الحسن بن علي رضي الله
عنه يعطى الشعراء فقيلا له في ذلك فقال خير مالك ما وقيت به عرضك وقال أبو الزناد
مارأيت اروي للشعر من عروة قلت له ما أروا له يا ابا عبد الله فقال وما روايتي مع رواية عائشة
رضي الله عنها ما كان ينزل به شيء الا أنشدت فيه شعرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمثل بقول القائل * كفى الاسلام والشيب للمرء ناهيا * ولم ينطق به عوزنا فقال أبو بكر
الصديق رضي الله عنه اشهد انك رسول الله حقا وتلاقوله تعالى وما علمناه الشعر
وما ينبغي له * ولندكر نبذة من سرفات الشعراء وسقطاتهم فمن ذلك قول قيس بن الخطيم
وهو شاعر الاوس وشجاعها

وما المال والالاخلاق الامعارة * فما سطعت من معروفها فترود

وكيف ينحني ما أخذته مع اشمراق صيدة طرفة بن العبد وهي معلقة على الكعبة يقول فيها
لعمرك ما الايام الامعارة * فما سطعت من معروفها فترود

ومن ذلك قول عبد بن الطبيب

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه ببيان قوم تم ذما

اخذه من قول امرئ القيس

فلو أنتم أنفس تموت شريتها * ولكنكم أنفس نساقط أنفسا

ويقال سرق شيئا واسترقه فقد استحقه وهو أن يسرق الشاعر المعنى دون اللفظ فمن السرقة
الفاحشة قول كثير في عبد الملك بن مروان

اذا ما أراد الغز ولم يثن همهم * حصان عليها اعقد دريزينها

اخذه من قول الخطيب ولم يغير سوى الروي

اذا ما أراد الغز ولم يثن همهم * حصان عليها الولو وشوف

وهرير على سعة تجره وقد ربه على غر الشعر وابسكار الكلام نقل قوله

فلو كان الخلود بفضل قوم * على قوم لكان لنا الخلود

من قول زهير وهو شعر مشهور يحفظه الصبيان وترويه النسوان وهو

فلو كان حمد يخلد المرء لم يمت * ولكن حمد المرء غير يخلد

وقد قال السماخ

وامر تربي النفس ليس ينافع * وآخر تخشى ضيره لا يضيرها

وهو مأخوذ من قول الآخر

تربي النفوس الشيء لا تستطبعه * وتخشى من الأشياء ما لا يضيرها

وأبو تمام مع قوته وقدرته على الكلام يقول
وأحسن من نور تقيحه الصبا * بياض العطايا في سواد المطالب
أخذته من قول الاخطل

رأيت بياضا في سواد كانه * بياض العطايا في سواد المطالب
(ومن سقطات الشعراء) ما قيل ان أبا العتاهية كان مع تقدمه في الشعر كثير السقط روى انه
لقى محمد بن مبادر بمكة فزارحه ومضاحكه ثم انه دخل على الرشيد فقال يا أمير المؤمنين هذا شاعر
البصرة يقول قصيدة في كل سنة وأنا أقول في كل سنة مائتي قصيدة فأدخله الرشيد اليه وقال
ما هذا الذي يقول أبو العتاهية فقال يا أمير المؤمنين لو كنت أقول كما يقول
ألا يا عبدة الساعة * أموت الساعة الساعة
أقلت كثيرا ولكني أقول

ابن عبد الحميد يوم توفي * هذركا ما كان بالمهدود
مادري نعشه ولا حامله * ما على النعش من عقاف وجود
فأعجب الرشيد قوله وأمر له بعشرة آلاف درهم فكاد أبو العتاهية يموت غما وأسفا وكان بشاير بن
برديسمونه أبا المحدثين ويسلمون اليه في الفضيلة والسبق وبعض أهل اللغة يستشهد بشعره ومع
ذلك قال

انما عظم سليبي حبيقي * قصب السكر لا عظم الحمل
واذا أديت منها بصلا * غلب المسك على ريح البصل

هذا مع قوله

إذا قامت لمشيتم انتنت * كأن عظامها من خير ان

ومع قوله في الفخر

كأن مشار النقع فوق رؤسنا * وأسافنا ليل تهاوى كواكبه

ومع قوله أيضا

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأي الناس تصفومشاربه
وأبو الطيب المتنبى في فضله المشهور وأخذ به بزمام الكلام وقوته على رفائق المعاني وعلى ما في
شعره من الحكم والامثال السائرة يقول

وضاقت الارض حتى صارها ربههم * اذا رأى غيري ظنه رجلا
وغيري معناه المدوم والمعدوم لا يرى فهذا سقط فاحش
ومما يستحسن من قوله وتلك كاد أن تجبه الاسماع قوله

تفأقلت بالهم الذي قلقل الحشا * قلاقل عيش كاهن قلاقل
وقوله وقد جمع بين قبح اللفظ وبرودة المعنى

ان كان مثلك كان أو هو كائن * فبرئت خيئت من الاسلام
ومن معانيه المسروقة قوله

ونهب نفوس أهل النهب أولى * بأهل الجهد من نهب القماش

أخدم من قول أبي تمام

إن الأسود أسود الغاب همها * يوم الكريهة في الملووب لا السلب
قال أبو عبد الله الزبيري اجتمع راوية جريرو راوية كثير وراوية جميل وراوية الاحوص وراوية
نصيب فافتخر كل منهم وقال صاحبي أشعر فحكهم والسيدة سكينه بنت الحسين بينهم لعقلها
وتصبرها بالشعر فخرجوا حتى استأذنوا عليها وذكر والها أمرهم فقالت لراوية جريرو أليس
صاحبك الذي يقول

طريقك صائدة القلوب وليس ذا * وقت الزيارة فارجحي بسلام
وأى ساعة أحلى من الزيارة بالطروق قبح الله صاحبك وقبح شعره فهلا قال فادخلي بسلام ثم
قالت لراوية كثير أليس صاحبك الذي يقول

يقتر بعيني ما يقتر بعينيها * وأحسن شئ ما به العين قرت
وليس شئ أقتر بعينيها من النكاح أوجب صاحبك أن ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت
لراوية جميل أليس صاحبك الذي يقول

فلوركت عقلي معي ما طلبتها * ولكن طلايها المافات من عقلي
فما أراه هوى وانما طلب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره * ثم قالت لراوية نصيب أليس صاحبك
الذي يقول

أهيم بدعد ما حيت فان أمت * فواحرني من ذايهم بها بعدى
فما لهمة الامن به عشقها بعدد قبحه الله وقبح شعره هلا قال
أهيم بدعد ما حيت فان أمت * فلا صلت دعد لذي خله بعدى
ثم قالت لراوية الاحوص أليس صاحبك الذي يقول

من عاشقين نواعدا وتراسلا * ليملا اذا انجم الثريا حلقا
باتا بأنعم ليلة * وألذها * حتى اذا وضح الصباح تفرقا
قبحه الله وقبح شعره هلا قال تعانقا فلم تن على واحد منهم وأحجم روايتهم عن جوابها رضى الله
عنها * (وروى) ابن الكلبي قال لما أفضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز وفدت اليه الشعراء
كما كانت تفد على الخلفاء من قبله فأقاموا يسابه أياما لا يؤذن لهم في الدخول حتى قدم عدى بن
ارطاة عليه وكان منه بمكانة فتعرض له جريرو وقال

يا أيها الرجل المزجي مطيته * هذا زمانك انى قد خلا زمنى
أبلغ خليفتنا ان كنت لاقبه * أنى لدى الباب كالمشدود في قرن
لاتنس حاجتنا لا قيت مغفرة * قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

فقال نعم يا أبا عبد الله فلما دخل على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال يا أمير المؤمنين
الشعراء يسابك وأسنتهم مسمومة ومهامهم صائبة فقال عمر رضى الله عنه ما لى وللشعراء فقال
يا أمير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدح فأعطى وفيه اسوة لكل مسلم قال صدقت
فن بالباب منهم قال ابن عمك عمر بن أبي ربيعة القرشي قال لا قرب الله قرابة ولا حيا وجهه
أليس هو القاتل

ألا ليتني في يوم تدفونيني * شعمت الذي ما بين عينيك والقسم
وليت طهوري كان ريقك كله * وليت خنوطي من مشاشك والدم
ويا ليت سلي في القبور ضجعتي * هنالك أوفى جنسة أوجهنم
فليت عدو الله تحي لقاءها في الدنيا ثم يعمل عملا صالحا والله لا يدخل على أبدا فخن بالباب غيره ممن
ذكرت قال جميل بن معمر العذري قال أليس هو القائل

ألا ليتنا جميعا فان نت * لو افي لدى الموتى ضريحى ضريحها
فأنا في طول الحياة براغب * إذا قبل قدسوى عليها صفيحها
أظلم نهارى لأراها وتلتقى * مع الليل روى في المنام وروحها
والله لا يدخل على أبدا فخن بالباب غيره ممن ذكرت قال كثير عزة قال أليس هو القائل
وهبان مدين والذين عهدتهم * سيكون من حذر الفراق قعودا
لو يسمعون كما سمعت حديثها * نحر والعزة رصعها وسجودا

أبعده الله فوالله لا يدخل على أبدا فخن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاحوص الانصارى قال
أبعده الله والله لا دخل على أبدا أليس هو القائل وقد أقسده على رجل من أهل المدينة جاريته
حتى هرب بها منه

الله بيني وبين سيدها * يقرمى بها وأتبعه

فخن بالباب غيره ممن ذكرت قال همام بن غالب الفرزدق قال أليس هو القائل يفخر بالزنا
في قوله

هما دلياني من ثمانين قامة * كما انقض بازلين الريش كثره
فلما استوت رجلای في الارض قالتا * أمسى فيرجى أم قيل نحاذه
فقلت ارفعوا الاحراس لا يظنوا بنا * وليت في أعقاب ليل أبادره

والله لا دخل على أبدا فخن بالباب غيره ممن ذكرت قال الاخطل التغلبي قال أليس هو
القائل

ولست بصائم رمضان عمرى * ولست بأكل لحم الاضاحى
ولست بزاجر عيسا بكورا * الى اطلال مكة بالنجاح
ولست بقاءم كالهبيدعو * قبل الصبح حى على الفلاح
ولكنى سأشربها شمولا * وأمجد عند منبج الصباح

أبعده الله عني فوالله لا دخل على أبدا ولا واطى لى بساطا وهو كافر فخن بالباب غيره ممن الشعر
ممن ذكرت قال جرير قال أليس هو القائل

طرقك صائفة القلوب وليس ذا * وقت الزيادة فارجمي بسلام

فان كان ولا بد فهدا فأذن له قال عدى بن ارمطة فخرت فقلت ادخل يا جرير فدخل
وهو يقول

ان الذى بعث النبي تحمدا * جعل الخلافة في الامام المعادل
وسمع الخلائق عدله ووقاره * حتى ارفعوا وأقام ميل المائل

اني لاجومنه نفعاً عاجلاً * والنفس مولعة بحب العاجل
واقد أنزل في الكتاب فريضة * لابن السبيل وللفقير العائل

فلما مثل بين يديه قال يا جبرأتني الله ولا تنقل الاحقاد أنشأ يقول

كم باليامة من شعناء أرملة * ومن قيم ضعيف الصوت والنظر
ممن بعد ذلك يكتفي فقد والده * كالفرخ في العش لم يدري ح ولم يطر
أذكر الجهد والبلوى التي نزلت * أم قد كفاني ما بلغت من خبري
انال نرجوا ذاما الغيث أخلفنا * من الخليفة ما نرجو من المطر
ان الخليفة جاته على قدر * كما أتى وبه موسى على قدر
هذي الارامل قد قضيت حاجتها * فن الحاجة هذا الارمل الذكر
الخبر ما دمت حيا لا يفارقنا * يوركت يا عمر الخيرات من عمر

فقال والله يا جبريل لقد وافيت الامر ولا أملك الا ثلاثين دينارا ف عشرة أخذها عبد الله ابني
وعشرة أخذتها أم عبد الله ثم قال لخادمه ادفع اليه العشرة الثالثة فقال والله يا أمير المؤمنين
انها الاحب مال اكسبته ثم خرج فقال له الشعراء ما وراءك يا جبريل فقال ورائي ما يسوءكم
خرجت من عند أمير يعطى الفقراء ويمنع الشعراء وانني عنه لراض ثم أنشأ يقول
رأيت رقي الجن لا يستغفزه * وقد كان شيطاني من الجن راقبا
(ومما جاء في كبريات الجياد وهفوات الامجاد) *

قال الاحنف الشريف من عدت سقطاته وقلت عثراته وقالوا كل صادم ينبو وكل
جواد يكبو * وكان الاحنف بن قيس حليما سيدا يضرب به المثل وقد عدت له سقطه وهوان
عمر بن الاهتم دس اليه رجلا يسفه فقال يا أبا بحر ما كان أبوك في قومه قال كان أوسطهم
وسيدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانيا فظن انه من قبل عمر بن الاهتم فقال ما كان أبوك
قال كانت له قوة ومروءة ومكارم أخلاق ولم يكن أهتم سلاجا * وقال سعيد بن المسيب ما فاتني
الاذان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أربعين سنة ثم قام يريد الصلاة فوجد الناس
قد خرجوا من المسجد * (وقال) قتادة ما نسيت شيئا قط ثم قال يا غلام ناولني ففعل قال النعل
في رجلك وكان هشام بن عبد الملك من رجال بني أمية ودهاتهم وقد عدت له سقطات منها أن
الحادي حدا به يوما فقال

اني عليك أيها النبي * أكرم من يمشي به المطى

فقال هشام صدقت * وذكر عنه سليمان وأخوه فقال والله لا شكونه يوم القيامة الى أمير
المؤمنين عبد الملك ولما ولي الخلافة قال الحمد لله الذي أنقذني من النار بهذا المقام * قال التابع
أي الرجال المهذب * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب العاشر في التوكل على الله تعالى والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع
وما أشبه ذلك وفيه فصول

(الفصل الاول في التوكل على الله تعالى) قال الله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت
وقال تعالى وعلى ربهم يتركون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه * وعن أبي

هو ريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل
أفئدة الطير رواه مسلم قبل معناه متوكلون وقيل قلوبهم رقيقة وعن البراء بن عازب رضى
الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو توكلمت على الله حق توكلمت رزقكم كما يرزق
الطير تغدو وخامسا وتعود بطانا وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود من دعائي
أجبتة ومن استغاثني أغنته ومن استنصرني نصرته ومن توكلم على كفيته فأنا كافى المتوكلين
وناصر المستنصرين وغيث المستغيثين وحبيب الداعين * (حكى) أنه كان في زمن هرون
الرشيدي قد حصل للناس غلاء وسعر وضيق حال حتى اشتد الكرب على الناس اشتدادا عظيما
فامر الخليفة هرون الرشيد الناس بكثرة الدعاء والبكاء وأمر بكسر آلات الطرب ففى
بعض الأيام رؤى عبد يصفى ويرقص ويغنى فحمل إلى الخليفة هرون الرشيد فسأله عن فعله
ذلك من دون الناس فقال ان يمدى عنده خزانه برأنا متوكل عليه أن يطعمنى منها فلهذا
أنا إذا لأبالي فانا أرقص وأفرح فعند ذلك قال الخليفة إذا كان هذا قد توكلم على مخلوق مثله
فالتوكل على الله أولى فسلم للناس أحوالهم وأمرهم بالتوكل على الله تعالى (وحكى)
أن حاتما الأصم كان رجلا كثير العيال وكان له أولاد ذكور وبنات ولم يكن يملك حبة
واحدة وكان قدمه التوكل فجلس ذات ليلة مع أصحابه يتحدث معهم فتعرضوا لذكر الحليج
فدخل الشوق قلبه ثم دخل على أولاده فجلس معهم يتحدثهم ثم قال لهم لو أذنتم لي ليكن
أن يذهب إلى بيت ربه فى هذا العام حاجا ويدعولكم ماذا عليكم لو فعلتم فقالت زوجته
وأولاده أنت على هذه الحالة لا تملك شيئا ونحن على ما ترى من الفاقة فكيف تريد ذلك ونحن
بهم هذه الحالة وكان له ابنة صغيرة فقالت ماذا عليكم لو أذنتم له ولا يملككم ذلك يدعوهم يذهب
حيث شاء فانه مناول للرزق وليس برزاق فذكرتهم ذلك فقالوا صدقت والله هذه الصغيرة
يا أبانا انطلق حيث أحببت فقام من وقته وساعته وأحرم بالحليج وخرج مسافرا وأصبح أهل
بيته يدخل عليهم جيرانهم ينجونهم كيف أذنوا له بالحليج وتأسف على فراقه أصحابه وجيرانه
فجعل أولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون لو سكت ماتكمنا فرفعت الصغيرة طرفها
إلى السماء وقالت الهى وسيدى ومولاى عودت القوم بفضلك وانك لاتضيعهم فلا تحبهم
ولا تنجلى معهم فبينما هم على هذه الحالة اذ خرج أمير البلدة متعبا فاقطع عن عسكره
وأصحابه فحصل له عطش شديد فاجتاز بيت الرجل الصالح حاتم الأصم فاستسقى منهم ماء
وقرع الباب فقالوا من أنت قال الأمير يا بكم يستسقيكم فرفعت زوجة حاتم رأسها إلى
السماء وقالت الهى وسيدى سبحانك البارحة بتناجى عا واليوم ينف الأمير على بانياتسقيننا
ثم انما أخذت كوزا جديدا وملأته ماء وقالت للمناول منها ائذرونا فأخذ الأمير الكوز
وشرب منه فاستطاب الشرب من ذلك الماء فقال هذه الدار لا مير فقالوا لا والله بل لعبد
من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم الأصم فقال الامير لقد سمعت به فقال الوزير يا سيدى
لقد سمعت انه البارحة أحرم بالحليج وسافر ولم يخلف لعياله شيئا وأخبرت انهم البارحة باؤوا
جيا عا فقال الأمير ونحن أيضا قد ثقلنا عليهم اليوم وليس من المروءة أن يثقل مثلنا على
مثلهم ثم حل الأمير من منطقته من وسطه ورمى بها فى الدار ثم قال لأصحابه من أحببني فليلق

منطقته فخل جميع أصحابه مناطقهم ورواها اليهم ثم انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم
 أهل البيت لا يتنبهكم الساعة فثمن هذه المناطق فلما نزل الأمير وجع اليهم الوزير
 ودفع اليهم ثمن المناطق ما لا يجزى بلا واستردّها منهم فلما رأت الصبية الصغيرة ذلك بكّت بكاء
 شديدا فقالوا لها ما هذا البكاء انما يجب أن تفرحي فإن الله قد وسع علينا فقال يا أم والله
 انما يبكاني كيف بنتا البارحة جياعا فنظر اليها مخلوق نظرة واحدة فأغناها بعد فقرنا فالكرّم
 الخالق اذا نظر اليها لا يكلنا الى أحد طرفه عين اللهم انظر الى أينا ودبره باحسن التدبير
 هذا ما كان من أمرهم وأما ما كان من أمر حاتم أيهم فانه لما خرج محرما وخلق بالقوم توجع
 أمير الركب فطلبوا له طبيبا فلم يجدوا فقال هل من عبد صالح فدل على حاتم فلما دخل عليه
 وكله دعا له زعوى الأمير من وقته فأمر له بما يركب وما يأكل وما يشرب فنام تلك الليلة
 مفكرا في أمر عياله فقيل له في منامه يا حاتم من أصلح معاملته معنا أصح لنا معا ملتصا معه
 ثم أخبر بما كان من أمر عياله فأكثر النساء على الله تعالى فلما قضى حجه ورجع تلقته أولاده
 فقال الصبية الصغيرة وبكى ثم قال صغار قوم كبار قوم آخرين إن الله لا يتظر الى أكبركم ولكن
 يتظر الى أعرفكم به فعلمكم بعرفته والتمكال عليه فانه من توكل على الله فهو حسبه * ومن
 كلام الحكماء من أيقن أن الرزق الذي قسم له لا يقوته تجمل الراحة ومن علم أن الذي قضى
 عليه لم يكن ليخطئه فقد استراح من الجزع ومن علم أن مولا خير له من العباد فقصد كفاه
 همه وجمع شمله * وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت عند النبي صلى الله
 عليه وسلم يوما فقال يا غلام اني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك
 اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الامة لو اجتمعت على أن تنفعك
 بشئ لم ينفعوك الا بشئ قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن تضررك بشئ لم يضررك الا
 بشئ قد كتبه الله عليك رفعت الصحف وجفت الاقلام * ورفع الى الرشيد أن بدمشق رجلا
 من بني أمية عظيم المال والجاه كثير الخيل والجند يخشى على المملكة منه وكان الرشيد
 يوهن بالكروفة قال منارة خادما الرشيد فاستدعاه الرشيد وقال اركب الساعة الى دمشق
 وخذ معك مائة غلام وانتي بفلان الاموى وهذا كتابي الى العامل لا توصله الا اذا امتنع
 عليك فاذا أجاب فقيده وعادله بعد أن تحصي جميع ما تراه وما يكلم به واذا كرئ حاله وما له
 وقد أجلتك لذهابك ستا ولجئك ستا ولا فامتنك يوما ففهمت قلت نعم قال فسر على بركة الله
 فخرجت أطوى المنازل ليلا ونهارا لا تنزل الا الصلاة أو لقضاء حاجة حتى وصلت ليلة السابع
 باب بدمشق فلما فتح الباب دخلت فاصد الخو دار الاموى فاذا هي دار عظيمة هائلة ونعمة
 طائلة وخدم وحشم وهيبة ظاهرة وحشمة وافرة ومصاطب متسعة وغلان فيها جلوس
 فهجمت على الدار بغير إذن ففتوا وسألوا عنى فقيل لهم ان هذا رسول أمير المؤمنين فلما
 صرت في وسط الدار رأيت أقواما محتشمين فظننت أن المطلوب فيهم فسألت عنه فقيل لي هو
 في الحمام فأكرموني وأجلسوني وأمر وابعن وبي ومن صحبني الى مكان آخر وأنا انتقد الدار
 وأنا أمل الاحوال حتى أقبل الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرة من كهول وشبان وحفدة
 وغلان فسلم على وسألني عن أمير المؤمنين فأخبرته انه بعافية فحمد الله تعالى ثم أحضرته له

أطباق الفاكهة فقال تقدم يا منارة كل معناتنا ملت تأملا كثيرا اذ لم يكنى فقلت ما أكل
فلم يعاودنى ورأيت ما لم أراه الا في دار الخلافة ثم تقدم الطعام فوالله ما رأيت أحسن ترتيبا
ولا أعطر رائحة ولا أكثر آية منه فقال تقدم يا منارة فكل قلت ليست لى به حاجة فلم يعاودنى
وتطرت الى أصحابى فلم أجد أحدا منهم عندى فخرت لكثرة حفدة وعدم من عندى فلما غسل
يديه أحضر له الخور فبخر ثم قام فصلى الظهر فأتى الركوع والسجود وأكثر من الركوع
بعدها فلما فرغ استقبلنى وقال ما أقدمك يا منارة فناولته كتاب أمير المؤمنين فقبله ووضع على
رأسه ثم فضه وقرأ فلما فرغ من قراءته استندى بجميع يديه وخواص أصحابه وغلمانة وسائر
عبياله فضاقت الدار بهم سم على سعتها فطارد على وما شككت انه يريد القبض على فقال الطلاق
يلزمه والحج والعنق والصدقة وسائر أيمان البيعة لا يجمع منكم انسان فى مكان واحد حتى
ينكشف أمره ثم أوصاهم على الحريم ثم استقبلنى وقدم رجليه وقال هات يا منارة فيودك
فدعوت الحداد فقدمه وحل حتى وضع فى المحل وركبت معه فى المحل وسرنا فلما صرنا فى ظاهر
دمشق ابتدأ يتحدث بانبساط ويقول هذه الضيعة لى تعمل فى كل سنة بكذا وكذا وهذا
البيستان لى وفيه من غرائب الاشجار وطيب الثمار وكذا وهذا المزارع يحصل لى منها
كل سنة كذا وكذا فقلت يا هذا أأست تعلم أن أمير المؤمنين أهمل امره حتى انقضى
خلفك وهو بالكوفة ينتظرك وأنت ذاهب اليه ما تدرى ما تقدم عليه وقد أخرجتك من
منزلك ومن بين أهلك ونعمتك وحيد أفريدا وأنت تحدثنى حديثا غير مفيد ولا نافع لك
ولا سألتك عنه وكان شغلك بنفسك أولى بك فقال ان الله وانا اليه راجعون لقد أخطأت
فراستى فيك يا منارة ما ظننت انك عند الخليفة بهذه المكانة الا لوقوعك فاذا أنت جاهل
عامى لا تصلح لمطابقة الخلفاء ما خرجى على ما ذكرت فأتى على ثقة من ربي الذى بيده ناصيتى
وناصية أمير المؤمنين فهو لا يضرك ولا ينفع الا بمشيئة الله تعالى فان كان قد قصى على بأمر
فلا حيلة لى بدفعه ولا قدرته لى على منعه وان لم يكن قد قدر الله على بشئ فلو اجتمع أمير
المؤمنين وسائر من على وجه الارض على أن يضرونى لم يستطيعوا ذلك الا باذن الله تعالى
وما لى ذنب فأخاف وانما هذا واشوشى عند أمير المؤمنين يهتان وأمر المؤمنين كامل العقل
فاذا اطلع على رأتى فهو لا يستحل مضرتى وعلى عهد الله لا كلمك بعدها الاجواب ثم أعرض
عنى وأقبل على التلاوة وما زال كذلك حتى وافينا الكوفة بكرة اليوم الثالث عشر واذا النجب
قد استقبلنا من عند أمير المؤمنين فكشف عن أخبارنا فلما دخلت على الرشيد قبلت الارض
فقال هات يا منارة أخبرنى من يوم خر وجك عنى الى يوم قدمك على فاستدأت أحدثه
بأمورى كلها مفصلة والغضب يظهر فى وجهه فلما انتهيت الى جمعه لاولاده وغلمانة وخواصه
وضيق الدار بهم وتفقدى لأصحابى فلم أجد منهم أحدا اسود وجهه فلما ذكرت يمينه عليهم
تلك الايمان المغلظة تهلل وجهه فلما قلت انه قدم رجليه أسفر وجهه واستبشر فلما أخبرته
بجدبى معه فى ضياعه وبساتينه وما قلت لى قال هذا وجل محسود على نعمته
ومكذوب عليه وقد أزعجناه وأرعبناه وشوشنا عليه وعلى اولاده وأهله اخرج اليه وانزع
قبوده وفكده وأدخله على مكر ما فعلت فلما دخل قبل الارض فرح به أمير المؤمنين

وأجلسه واعتذر إليه فسلم بكلام فصيح فقال له أمير المؤمنين نسل حواء تجك فقال سرعة رجوعي إلى بلدي وجع شملي بأهلي وولدي قال هذا أكثر فبسل غيره قال عدل أمير المؤمنين في عماله ما أوحجني إلى سؤال قال نخل عليه أمير المؤمنين ثم قال يا منارة أركب الساعة معه حتى ترده إلى المكان الذي أخذته منه قم في حفظ الله وودائعهم ورعايته ولا تقطع أخبارك عنا وحواء تجك فانظر إلى حسن توكه على خالقه فانه من توكل عليه كفاه ومن دعاه لباه ومن سأله أعطاه ما تمناه وروى أن هذه الكلمات وجدها كعب الاحبار مكتوبة في التوراة فكتبها وهي يا ابن آدم لا تخافن من ذي سلطان مادام سلطانا باقيا وسلطانا لا ينقذ أبد يا ابن آدم لا تخش من ضيق الرزق مادامت خزائني ملائمة وخزائني لا تنفذ أبد يا ابن آدم لا تأنس بغيري وأنا لك فان طلبتني وجدتي وان أنست بغيري فمك وفانك الخير لكه يا ابن آدم خلقتك لهيادتي فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتبع وفي أكثر منه فلا تطمع ومن أقل منه فلا تجزع فان أنت رضيت بما قسمته لك أرحمت قلبك وبدلك وكنت عندي محمودا وان لم ترض بما قسمته لك فوعزتي وجلالي لا سلطان عليك الدنيا تر كض فيها ركض الوحوش في البر ولا ينالك منها الا ما دبر قسمته لك وكنت عندي مذموم يا ابن آدم خلقت السموات السبع والارضين السبع ولم أعي بخلقهن أيعينني رغي أسوقه لك من غير تعب يا ابن آدم أنا لك محب فبحق عيالك كن لي محبا يا ابن آدم لا تطالبني برزق غد كما لا أطلبك بعمل غد فاني لم انس من عصاني فكيف من أطاعني وأنا على كل شيء قدير وبكل شيء محيط قال الشاعر

وما تم الا الله في كل حالة * فلا تسكل يوما على غير لطفه
فكم حالة تأتي ويكرها الفتى * وخيرة فيها على رغم أنفسه

ولمؤلفه رحمه الله تعالى

توكل على الرحمن في الامر كله * فما خاب حقان عليه توكل
وكن واثقا بالله واصبر لحكمه * تفز بالذي ترجوه منه تفضلا

(الفصل الثاني في القناعة والرضا عاقسم الله) جاء في تفسير قوله تعالى من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن فلنجينه حياة طيبة أن المراد بها القناعة وقال صلى الله عليه وسلم القناعة مال لا ينفد وقيل يارسول الله ما القناعة قال الاياس مما في أيدي الناس واياكم والطمع فانه الفقر الحاضر وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه من القناعة بالجانب الاوفر وانه كان يشتهي الشيء فمدا فعه سنة قال الكندي * العبد حر ما قنع * والحر عبد ما طمع * وقال بشر بن الحرث خرج فتى في طلب الرزق فبينما هو عشي فاعيا فأوى الى خراب يستريح فيه فبينما هو يدير بصره اذ وقعت عيناه على أسطر مكتوبة على حائط فقرأ ما لها فاذا هي

اني رأيتك قاعدا مستقبلي * فعلت انك اللهم قدير
هون عليك وكن بربك واثقا * فأخو التوكل شأنه التهور
طرح الاذى عن نفسه في رزقه * لما تبين انه مضمون

قال فرجع الفتى الى بيته وزم التوكل وقال اللهم أدبنا أنت * قال الجاحظ انما خالف الله تعالى بين طبائع الناس ليوفق بينهم في مصالحهم ولولا ذلك لاختاروا كلهم الملك والسياسة والتجار

والصلاحه وفي ذلك بطلان المصالح وذهاب المعاديس فكل صنف من الناس مترين لهم ما هم فيه فالحائث اذا رأى من صاحبه تقصيرا او خلقا قال ويلك يا حجام اذا رأى مثل ذلك من صاحبه قال ويلك يا حائك فجعل الله تعالى الاختلاف سببا للاتلاف فسيحانه من مدبر قادر حكيم ألا ترى الى البدوي في بيت من قطعة خيش معه مد بعظام الجيف كلبه معه في بيته لباسه شمله من وبرأ وشعر ودواؤه بعرا لابل وطيبه القطران وبعرا الطباء وحلي زوجته الودع وثناره المقل وصيده البربوع وهو في مفازة لا يسمع فيها الا صوت بومة وعواء ذئب وهو قانع بذلك مقتضيه * وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه يا بني أتعلمت الغنى فاطلبه في القناعة فانها مال لا ينفد واياك والطمع فانه فقر حاضر وعليك بالياس فانك لم تياس من شيء إلا أغناك الله عنه * وأصاب داود الطائي قافاة كبيرة فجاءه حمار بن أبي خنيفة رضي الله عنه باربع مائة درهم من تركه اياه وقال هي من مال رجل ما أقدم عليه احد في زهده وورعه وطيب كسبه فقال لو كنت أقبل من أحد شيء ألقبته انعطيم الميت واكراما للحي ولكني احب أن أعيش في عز القناعة * وقال عيسى عليه الصلاة والسلام اتخذوا البيوت منازل والمساجد مساكن وكلوا من بقل البرية واشربوا من الماء القراح واخرجوا من الدنيا بسلام * وأنشد المبرد

ان ضنّ زيد بما في بطن راحته * فالارض واسعة والرزق مبسوط

ان الذي قدر الاشيا بحكمته * لم ينسني قاعدا والرحل محطوط

قال عبد الواحد بن زيد ما أحسب أن شيئا من الاعمال يتقدم الصبر الا الرضا ولا أعلم درجة ارفع من الرضا وهو رأس المحبة * قيل له متى يكون العبد راضيا عن ربه قال اذا سرته المصيبة كما تسره النعمة * وكان عبد الله بن هرزوق من ندما المهدي فسكر يوما فقامته الصلاة فجاءته جارية له يجمره فوضعتها على رجله فالتبته مذعورا فقالت له اذا لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الآخرة فقام فصلي الصلوات وتصدق بما علمك وذبح ببيع البقل فدخل عليه فضيل وابن عينة فاذا تحت رأسه لبنه وما تحت جنبه شيء فقال له انه لم يدع أحدا شيئا الله الا عوضه الله منه بدلا فاعوضك عما تركت له قال الرضا بما أنا فيه * وقال الثوري ما وضع أحديده في قصعة غيره الا ذل له * وقال الفضيل من رضي بما قسم الله له بارك الله له فيه * وكان عيسى عليه الصلاة والسلام يقول الشمس في الشتاء جلالي ونور القمر سراحي وبقل البرية فاكهتي وشعر الغنم لباسي آيت حيث يدركني الليل ليس لي ولد يموت ولا بيت يخرب انا الذي كبت الدنيا على وجهها بيت مفرد ان القناعة من يحل بساحتها * لم يلق في ظلها هما بؤرة

* وقال عيسى عليه الصلاة والسلام انظروا الى الطير تغدو وترح ليس معها شيء من أرزاقها لا تحتر ولا تحصد والله يرزقها فان زعمتم أنكم أكبر بوطنا من الطير فهذه الوحوش والبق والجرا لا تحتر ولا تحصد والله يرزقها * وقيل وقد عرفت بؤرة بن اذينة على هشام بن عبد الملك فشقكا اليه خلته فقال له ألسنت القائل

لقد علمت وما الاسراف من خلق * أن الذي هو رزقي سوف ياتيني

أَسْعَى إِلَيْهِ فَيُعِينِي تَطْلِبُهُ * وَلَوْ قَعِدْتُ أَن تَأْتِي لَيْسَ يَعْينِي
وَقَدْ جِئْتُ مِنَ الْجَبَا زِلَى الشَّامِ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ وَعِظْتُ فَأَبْلَغْتُ
وَخَرَجْتُ فَرَكِبْتُ نَاقَتَهُ وَكَرَّ إِلَى الْجَبَا زِرَاجَةً فَلَمَّا كَانَ مِنَ اللَّيْلِ نَامَ هَشَامٌ عَلَى فَرَاشِهِ فَذَكَرَ عُرْوَةَ
فَقَالَ فِي نَفْسِهِ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ حَكْمَةٌ وَوَفْدٌ عَلَى نَفْسِهِ وَرَدَدْتُهُ خَائِبًا فَلَمَّا أَصْبَحَ وَجَّهَ إِلَيْهِ
بِأَنِّي دِينَارٌ فَقَرَعَ عَلَيْهِ الرُّسُولُ بَابَ دَارِهِ بِالْمَدِينَةِ وَأَعْطَاهُ الْمَالَ فَقَالَ أُبْلِغْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنِّي
السَّلَامَ وَقُلْ لَهُ كَيْفَ رَأَيْتَ قَوْلِي سَعَيْتُ فَأَكْذِبتُ فَرَجَعْتُ فَأَتَانِي رِزْقِي فِي بَرْزِي * وَلَمَّا وَلى
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ الْعِرَاقَ قَصَدَهُ صَدِيقَانِ لَهُ أَنْصَارِيٌّ وَثَقْفِيٌّ * فَلَمَّا سَارَا تَخَلَّفَ الْأَنْصَارِيُّ وَقَالَ
الَّذِي أَعْطَى ابْنَ عَامِرٍ الْعِرَاقَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعْطِيَنِي فَوْقَ الثَّقَفِيِّ * وَقَالَ أَحْوَزُ الْخَطْبَيْنِ فَلَمَّا
دَخَلَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ قَالَ لَهُ مَا فَعَلَ زَمِيلُكَ الْأَنْصَارِيُّ قَالَ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَأَمَرَ لِلثَّقَفِيِّ
بِأَرْبَعَةِ آلَافٍ دِينَارٍ وَبَعَثَ إِلَى الْأَنْصَارِيِّ بِثَمَانِيَةِ آلَافٍ دِينَارٍ فَرَجَعَ الثَّقَفِيُّ * وَهُوَ يَقُولُ
فَوَاللَّهِ مَا حَرَصَ الْحَرِيصُ بِنَافِعٍ * فَيَغْنَى وَلَا زَهْدُ الْقَنُوعِ بِضَائِرٍ
خَرَجْنَا جَمِيعًا مِنْ مَسَاقِطِ رُوسِنَا * عَلَى ثِقَةٍ مِنْهَا يَجُودُ ابْنُ عَامِرٍ
فَلَمَّا أَتَيْنَا النَّجَاجَةَ بِيَابَهُ * تَخَلَّفَ عَنِّي الْيَسْرِيُّ ابْنُ جَابِرٍ
وَقَالَ سَتَكُنُّنِي عَطِيَّةً قَادِرٍ * عَلَى مَا يَشَاءُ الْيَوْمَ لِلخَلْقِ قَاهِرٍ
فَإِنَّ الَّذِي أَعْطَى الْعِرَاقَ ابْنَ عَامِرٍ * رَبِّي الَّذِي أَرْجُو لَسْتُ مَفْاقِرٍ
فَقُلْتُ خِلَالِي وَجْهَهُ وَلَعَلَّهُ * سَيَجْعَلُنِي حِفْظَ الْفَقْرِ الْمُتَزَاوِرِ
فَلَمَّا رَأَيْتُ سَالَ عَنْهُ صَبَابَةً * إِلَيْهِ كَمَا حَنَنْتُ ظَوَارِ الْأَبَاعِرِ
فَأَبْتُ وَقَدْ أَبْقَيْتُ أَنْ لَيْسَ نَافِعًا * وَلَا ضَائِرًا شَيْءٌ خِلَافَ الْمَقَادِرِ
قِيلَ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ أَنْ تَدْرِي لَمْ رَزَقْتَ الْآخِثَ قَالَ لَا يَأْرِبُ
قَالَ لِيَعْلَمَ الْعَاقِلُ أَنَّ طَلَبَ الرِّزْقِ لَيْسَ بِالْإِحْتِمَالِ * وَلِبَعْضِ الْعَرَبِ
وَلَا تَجْزِعْ إِذَا عَاسَرْتَ يَوْمًا * فَقَدْ أَيْسَرْتَ فِي الزَّمَنِ الطَّوِيلِ
* وَلَا تَطْنَنْ بِرَبِّكَ ظَنًّا سَوًّا * فَإِنَّ اللَّهَ أَوْلَى بِالْجَمِيلِ *
* وَإِنَّ الْعَسْرَ يَتَّبِعُهُ بَسَارٌ * وَقَوْلُ اللَّهِ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلٍ *
فَلَوْ أَنَّ الْعُقُولَ تَسُوقُ رِزْقًا * لَكَانَ الْمَالُ عِنْدَ ذَوِي الْعُقُولِ
وَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْظِرْ إِلَى الْأَرْضِ فَتَنْظُرِ إِلَيْهَا فَانْفَجَرَتْ فَرَأَى
دُودَةً عَلَى صَخْرَةٍ وَمَعَهَا الطَّعَامُ فَقَالَ لَهُ أَتَرَانِي لَمْ أَغْفَلْ عَنْهَا وَأَغْفَلَ عَنْكَ وَأَنْتَ نَبِيٌّ وَابْنُ نَبِيٍّ *
وَدَخَلَ عَلَى بَنِي أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمَسْجِدَ وَقَالَ لِرَجُلٍ كَانَ وَاقِعًا عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ
أَمْسِكْ عَلَيَّ بَغَاتِي فَأَخَذَ الرَّجُلُ لِحْيَتَهَا وَمَضَى وَتَرَكَ الْبَغْلَةَ تَخْرُجُ عَلَى وَفِي يَدِهِ دَرَاهِمَانِ
لِيَكْفِيَنِي بِهِمَا الرَّجُلُ عَلَى أَمْسَاكَ بَغْلَتِهِ فَوَجَدَ الْبَغْلَةَ وَاقِفَةً بَغِيرَ لِحْيَةٍ فَرَكِبَهَا وَمَضَى وَدَفَعَ
لِغَلَامِهِ الدَّرَاهِمِينَ بِشْتَرَى بِهِمَا لِحْيَتَهُ فَوَجَدَ الْغَلَامَ اللَّحْيَتَ فِي السُّوقِ قَدْ بَاعَهُ السَّائِقُ بِدَرَاهِمِينَ
فَقَالَ عَلَى رَضَى اللَّهِ عَنْهُ إِنَّ الْعَبْدَ لَيَحْرُمُ نَفْسَهُ الرِّزْقَ الْحَلَالَ بِتَرْكِ الصَّبْرِ وَلَا يَزِيدُ عَلَى
مَا قَدَّرَ لَهُ * وَقِيلَ لِرَاهِبٍ مِنْ أَيْنَ تَأْكُلُ فَأَشَارَ إِلَى فِيهِ وَقَالَ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الرَّحَى بِأَيْتِهَا
بِالطَّعِينِ * وَقَالَ سَائِمُ بْنُ الْمُهَاجِرِ الْجَلِيلِ

كسوت جبل الصبر وجهي فصانه * به الله عن غشيان كل بخيل
فما عشت لم ات الخيل ولم اقم * على بابيه يوما مقام ذليل
وان قليلا يترأوجه ان يرى * الى الناس مبدولا لغر قليل
وصلى معروف الصخرى خلف امام فلما فرغ من صلاته قال الامام لمعروف من أين
تأكل قال اصبر حتى اعيد صلاتي التي صليت اخلفك قال ولم قال لان من شك في رزقه
شك في خالقه * وقال ابو حازم ما يكتب لي لو ركبت الرمح ما أدركته * وقال عمر بن أبي عمر
اليوناني

غلا السعري بغداد من بعد رخصه * واني في الحالين بالله واثق
فلمست أخاف الضيق والله واسع * غنام ولا الحرمان والله رازق
وقال القهستاني

غنى بلا دنيا عن الخلق كلهم * وان الغنى الاعلى عن الشيء لابه
وقال منصور الفقيه

الموت اسهل عندي * بين القنا والاسنه
والخيل تجري سراعا * مقطعات الاعنه
من أن يكون لنسذل * على فضل ومنه

وأشد أعرابي

أيامالك لاتسأل الناس والنس * بكفبك فضل الله فالله أوسع
ولو تسأل الناس التراب لا وشكوا * اذا قبل هاتوا أن يملوا وينعوا
وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال عليك بالأس مما في ايدي الناس وياك
والطمع فانه فقر حاضر * وقيل اذا وجدت الشيء في السوق فلا تطلبه من صديقك * وقيل
لا عراية من أين معاشكم قالت لولم نعش الامن حيث نعش لم نعش * وقال أعرابي أحسن
الاحوال حال يغبطك به امن دونك ولا يحقرك معهما من فوقك * وقال المعري
اذا كنت تبغ الكعش فابغ توسطاً * فعند التناهي يقصر المتناول
توقى البسود والنقص وهي أهله * ويدركه النقصان وهي كوامل
وقال آخر

اقتنع بأيسر رزق أنت نائله * واحذروا لاتعرض للارادات
فما صفا البحر الا وهو منقوص * ولانكم كرا لا في الزيادات

وقال أعرابي استظهر على الدهر بخفة الظهر قال هشام بن ابراهيم البصري

وكم ملك جابته عن كراهة * لاغلاق باب وتشد يد حاجب
ولي في غنى نفسي مراد ومذهب * اذا انصرفت عني وجوه المذاهب

وقيل ينبغي أن يكون المرء في دنياه كالدعوى الى الولية ان آتته صحيفة تناولها وان لم تأتته لم
يرصد ها ولم يطلبها * وقال شقيق بن ابراهيم البطني قال لي ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى
أخبرني عما انت عليه قلت ان رزقت اكلت وان منعت صبرت قال هكذا تعمل كلاب

بلغ فقلت كيف تعمل أنت قال ان رزقت آثرت وان منعت شكرت وقال بعضهم
هي القناعة فالزمها تعش مديكا * لولم يكن منك الراحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها * هل راح منها بغير القطن والكفن
وقال آخر

وان القناعة كثر الغنى * فصرت باذبالها ممتسك
فلاذيراني على بابه * ولاذيراني له منهمك
فصرت غنيا بلا درهم * أم رعى الناس شبه الملك

جاء فتح الموصلي الى أهله بعد العتمة فلم يجد عندهم شيئا للعشاء ووجدهم بغير سراج فجلس
ليته يبي من الفرح ويقول باي يد كانت متى تركت مثلي على هذه الحالة والله تعالى أعلم
(الفصل الثالث في ذم الحرص والطمع وطول الامل) قال الله تعالى ألهاكم التكاثر
حتى زرتم المقابر وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر قال
يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اككت فأقنيت ولبست قابليت وتصدقت
فامضيت وروى عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
يا عائشة ان أردت اللعوق بي فليكنفك من الدنيا كزاد الراكب وياك وبجالس الاغنياء
ولا تستخفي ثوبا حتى ترقعه وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال صلاح أول
هذه الامة بالزهد واليقين وهلاك آخر هذه الامة بالجل والامل * وقيل الحرص ينقص
من قدر الانسان ولا يزيد في رزقه * وقيل الحكيم ما بال الشيخ أحرص على الدنيا من الشاب
قال لانه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب وما أحسن ما قال بعضهم
اذا ما وقعت حرصك كنت عبدا * لكل دنيئة تدعى اليها

وقال آخر واجاد

قد شاب وأسى ورأس الدهر لم يشب * ان الحريص على الدنيا لن ينع
وقيل للاسكندر ماسر والدنيا قال الرضا بما رزقت منها قيل فما غمها قال الحرص
عليها * وقال الحسن لو رأيت الاجل ومروره لتسيت الامل وغروره * وقال ابو سعيد
الخدري رضي الله عنه اشترى أسامة بن زيد وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعجبون من أسامة اشترى الى شهر ان أسامة اطويل الامل وقال
ابن عباس رضي الله عنهما ما كان نبي الله صلى الله عليه وسلم يخرج فيبول ثم يمسح بالتراب
فاقول ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني اعلى ما أبالغته وعن أبي هريرة رضي الله عنه
يرفعه لابرال الكبير شابا في اثنين حب المال وطول الامل * وقيل لمجد بن واسع كيف
تجدك قال قصيرا لاجل طويل الامل مسمى العمل وقيل من جرى في عنان أمه كان
عائرا بأجله لو ظهرت الآجال لاقتضت الآمال ولقد أحسن ابو العباس احمد بن مروان
في قوله

وذى حرص تراه يلم وفسرا * لوارثه ويدفع عن حياه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو * فريسته لبا كاه اسواه

ولقد أحسن من قال في الجناس الحقيقي
إذا ما نازعتك النفس حرصا * فأمسكها عن الشهوات أمسك
ولا تحرص ليوم أنت فيه * وعد فرزق يومك رزق أمسك
ومن كلام الحكماء يا كـم وطول الأمل فإن من ألهاه أمله أخزاه عمله قال عبد الصمد
ابن المعدل

ولي أمل قطعت به الليالي * أراى قد فنيته به وداما
قال الحسن اياكم وهذه الاماني فانه لم يعط أحد بالامنية خيرا قط في الدنيا ولا في الآخرة
قال قس بن ساعدة

وما قد تولى فهو لا شك فانت * فهل يتقضى لبتى ولعلنى
وقال آخر

ولا تتعلل بالاماني فانها * عطايا أحاديث النفوس الكواذب
وقال آخر وأجاد

الله أصدق والآمال كاذبة * وجل هذى المني في الصدور وسواس
وقال آخر

شط المزارب سعدى واتهى الأمل * فلا خيال ولا رسم ولا طلل
الارباء فما ندري أندركه * أم يستمر فمأقى دونه الأجل

وقال أبو العتاهية

لقد لعبت ووجد الموت في طلبى * وأن في الموت لى شغلا عن اللعب
لوشمرت فكرتى فيما خلقت له * ما اشتد حرصى على الدنيا ولا طلبي

وله أيضا

تعالى الله يا سلم بن عمرو * أذل الحرص أعناق الرجال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

وقد ضمنت البيت الآخر فقلت

أيا من عاش في الدنيا طويلا * وأفنى العمر في قبل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى * وجع من حرام أو حلال

هب الدنيا تقاد اليك عفوا * أليس مصير ذلك للزوال

(ومعاجاة في الطمع وذمة) قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أكثر مصارع العقول تحت
بروق المطامع وقال رضى الله عنه ما ألح حرصا بأذهب لعقول الرجال من الطمع وفى
الحديث اياك والطمع فانه الفقر الحاضر وقال فيلسوف العبيد ثلاثة عبدة ورق وعبدة
شهوة وعبدة طمع وقال بعضهم من أراد أن يعيش حرا أيام حياته فلا يسكن قلبه
الطمع وقيل اجتمع كعب وعبد الله بن سلام فقال له كعب يا ابن سلام من أرباب العلم قال
الذين يعملون به قال فما ذهب العلم عن قلوب العلماء بعد أن علموه قال الطمع وشبهه النفس
وطلب الحوائج الى الناس واجتمع الفضل وسفيان وابن كريمة اليربوعي فتواصوا

ثم افتروا وهم مجمعون على أن أفضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقيل لما خلق الله آدم عليه السلام بعن بطيته ثلاثة أشياء الحرص والطمع والحسد فهي تجري في أولاده إلى يوم القيامة فالعاقل يحفيها والجاهل يديها ومعناه أن الله تعالى خلق شهواتها فيه قال اسمعيل بن قطري القراطيسي

حسبي بعلي أن نفع * ما الذل إلا في الطمع
من راقب الله نزع * عن سوء ما كان صنع
مطارطير وارتفع * إلا كما طار وقع

وقال سابق البربري

يخادع رب الدهر عن نفسه الفتي * سفاها ويرب الدهر عنها يخادعه
ويطمع في سوف ويهلك ونها * وكم من حريص أهلكته مطامعه
وقيل لاشعب ما بلغ من طمعك قال أرى دخان جاري فأفت خبزي وقال أيضا ماري رجلين
يتساران في جنازة الا قدرت أن الميت أوصى لي بشي من ماله وما زفت عروس الا كنت بيتي
رجاء أن يغلطوا فيدخلوها الي قال بعضهم
لاتفض — بن علي امرئ * لك مانع ما في يديه
واغضب على الطمع الذي استمد عال تطلب ما لديه
والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الحادي عشر في المشورة والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب)

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر واختلف أهل التأويل في أمره
بالمشاورة مع ما أمده الله تعالى من التوفيق على ثلاثة أوجه أحدها أنه أمره بها في الحرب
ليستقر له الرأي الصحيح فيعمل عليه وهذا قول الحسن ثانيها أنه أمره بالمشاورة لما علم فيها
من الفضل وهذا قول الضحاك ثالثها أنه أمره بمشاورة من يستن به المسلمون وإن كان في غنية
عن مشورتهم وهذا قول سفيان وقال ابن عينة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد
أمرًا شاور فيه الرجال وكيف يحتاج إلى مشاورة الخلق من الخلق مدبر أمره ولا يكتفي
تعليم منه ليشاور الرجل الناس وإن كان عالما وقال عليه الصلاة والسلام ما خاب
من استخار ولاندم من استشار ولا افتقر من اقتصد وقال عليه الصلاة والسلام من أعجب
برأيه ضل ومن استغنى بعهقه زل وكان يقال ما استنبط الصواب بمثل المشاورة وقال حكيم
المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأي وقال الحسن الناس ثلاثة فوج رجل ورجل ورجل
نصف رجل ورجل لا رجل فاما الرجل الرجل فذو الرأي والمشورة وأما الرجل الذي
هو نصف رجل فالذي له رأي ولا يشاور وأما الرجل الذي ليس برجل فالذي ليس له رأي
ولا يشاور وقال المنصور لولده خذ عنى ثنتين لا تغفل في غيرتك كبير ولا تعمل بغير تدبير وقال
الفضل المشورة فيها بركة واني لاستشير حتى هذه الحبشية العجمية وقال أعرابي لآمال
أوفر من العقل ولا فقر أعظم من الجهل ولا ظهر أقوى من المشورة وقيل من بدأ بالاستشارة
وفي بالاستشارة فحقق أن لا ينجب رأيه وقبل الرأي السديد أحجى من البطل السديد

قال أبو القاسم التهرودي

وما ألف مطر ورا لسان مستد * يعارض يوم الروع رأيا مستدا
وقال علي رضي الله عنه خاطر من استغنى برأيه وسمع محمد بن داود وزيرا للمؤمن قول
القائل

إذا كنت ذا رأي فكن ذا عزيمة * فان فساد الرأي أن يترددا
فأضاف اليه قوله

وان كنت ذا عزم فأنقذه عاجلا * فان فساد العزم أن يتصيدا
ولمحمد بن ادريس الطائي

ذهب الصواب برأيه فكانما * آراؤه اشتقت من التأنيدي
فاذا دجا خطب تبليج رأيه * صبحا من التوفيق والتسديد

ولمحمد الوراق

ان اللبيب اذا تفرق أمره * فتق الامور مناظر او مشاورا
وأخوال جهالة يستبد برأيه * فتراه يعتسف الامور مخاطرا
وقال الرشيد حين بداه تقديم الامين على المأمون في العهد

لقديان وجه الرأي لي غير أنتي * عدلت عن الامر الذي كان أحزما
فكيف يرد الذر في الضرع بعدما * توزع حتى صارنم بما مقسما
أخاف التواء الامر بعد استوائه * وأن ينقض الحبل الذي كان أبرما
وقال آخر

خلي لي ليس الرأي في جذب واحد * أشير على اليوم ما تريان
ووصف رجل عضد الدولة فقال له وجه فيه ألف عين وفم فيه ألف لسان وصدر فيه ألف قلب
وقال اردشير بن بابك أربعة تحتاج الى أربعة الحسب الى الادب والسرور الى الامن والقراءة
الى المودة والعقل الى التجربة وقال لا تستحق الرأي الخزيل من الرجل الحقير فان الدرة
لا يستهان بها الهوان غائصها وقال جعفر بن محمد لا تكون أول مشير وياك والرأي الخطير
وتجنب ارتجال الكلام ولا تشير على مستبد برأيه ولا على متلون ولا على لحوح وقيل ينبغي أن
يكون المستشار صحيح العلم مهذب الرأي فليس كل عالم يعرف الرأي الصائب وكل من ناقس في شيء
ضعيف في غيره قال أبو الاسود الدؤلي

وما كل ذي نصيح بمؤيد نصحه * وما كل مؤيد نصحه بليب

ولكن اذا ما استجبه معا عند واحد * فحق له من طاعة نصيب

وكان اليونان والفرس لا يجمعون وزراءهم على أمر يستبدرونهم فيه وانما يستشيرون
الواحد منهم من غير أن يعلم الآخر لمعان شقي منها الثلاث يقع بين المستشارين منافسة فتذهب
اصابة الرأي لان من طباع المشركين في الامر السافس والظعن من بعضهم في بعض وربما
سبق احدهم بالرأي الصواب ففسدوه وعارضوه وفي اجتماعهم ايضا للمشورة تعريض
السر للاذاعة فاذا كان كذلك وأذيع السر لم يقدر الملك على مقابلة من أذاعه للاهيام

فان عاقب الكل عاقبهم بذب واحد وان عناقهم الحق الخافى بمن لاذنب له وقيل اذا اشهر عليك صاحبك برأى ولم تحمد عاقبته فلا تجعل ذلك عليه لوما وعتابا بأن تقول أنت فعلت وأنت أمرتني ولولا أنت فهذا كله خير ولوم وخفة وقال افلاطون اذا اشتراك عدوك فجزله النصيحة لانه بالاستشارة قد خرج من عداوتك الى موالاتك وقيل من بذل نفسه واجتهاد من لا يشكره فهو كمن بذر في السباخ قال الشاعر يمدح من له رأى وبصيرة

بصير بأعقاب الامور كأنما * يخاطبه من كل أمر عواقبه

وقال ابن المعتز المشورة راحة لك وتعب على غيرك وقال الاحنف لا تشاور الجائع حتى يشبع ولا العطشان حتى يروى ولا الاسير حتى يطلق ولا المقل حتى يجسد ولما أراد نوح ابن مريم قاضى مروا أن يرتجح ابنته استشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستغفرونك وأنت تستغفني قال لا بد أن تشبر على قال ان رئيس الفرس كسرى كان يحتمار المال ورئيس الروم قيصر كان يحتمار الجمال ورئيس العرب كان يحتمار الحسب ورئيسكم محمد كان يحتمار الدين فانظر لنفسك بمن تقتدى * وكان يقال من أعطى أربع عالم يمنع أربعاً من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة لم يمنع القبول ومن أعطى الاستشارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقيل اذا استشار الرجل ربه واستشار محبته واجهد رأيه فقد قضى ما عليه ويقضى الله في أمره ما يجب * وقال بعضهم خبير الراى خير من فطره وتقديه خير من تأخيره وقالت الحكماء لا تشاور معلمي ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء ولا صاحب حاجة يريد قضاءها ولا خائف ولا حاقنا * وقيل سبعة لا ينبغي لصاحب لب أن يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يمتنى زوال النعمة والمراء واقف مع رضا الناس والجبان من رأيه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا رأى له في غيره وذو الهوى أسير هواه فلا يقدر على مخالفتهم * (وحكى) أن رجلاً من أهل يثرب يعرف بالاسلمى قال ركبني دين أنقل كاهلي وطالبني به مستحقوه واشتدت حاجتي الى ما لا بد منه وضائق على الارض ولم أهتد الى ما أصنع فشاورت من أتق به من ذوى المودة والرأى فأشار على بقصد المهلب بن أبي صفرة بالعراق فقلت له تمنعني المشقة وبعد الشقة وتبسه المهلب ثم انى عدت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله ما زادنى على ما ذكره الصديق الاول فرأيت أن قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتي وصحبت رفقة في الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت له أوصلي الله الامير الى قطعت البك الدهناء وضربت أكباد الابل من يثرب فانه أشار على بعض ذوى النجى والرأى بقصدك لقضاء حاجتي فقال هل أتينا بوسيلة أو بقرابة وعشيرة فقلت لا ولكنى رأيتك أهلاً لقضاء حاجتي فانقت بها فأهل لذلك أنت وان يحل دونها حائل لم أذم يومك ولم أياس من عدك فقال المهلب لحاجبه اذهب به وادفع اليه ما في خزائنه مالتا الساعة فأخذني معه فوجدت في خزائنه ثمانين ألف درهم فدفعها الي فلما رأيت ذلك لم أملك نفسي فرحا

وسروراً ثم عاد الحاجب إلى المهرس عراً فقال هل ما وصلك يقوم بقضا حاجتك فقلت
نعم أيها الأمير وزيادة فقال الحمد لله على نفع سعيك واجتئنا لك جنى مشورتك وتحقق ظن
من أشار عليك بقصدنا قال الأسلى فلما سمعت كلامه وقد أحرزت صلته أنشدته وأنا واقف
بين يديه

يا من على الجود صاغ الله راحته * فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطايك أهل الأرض قاطبة * فانت والجود منعتان من عود
من استشار فبالب النجج منفتح * لديه فيما ابتغاه غير مردود

ثم عدت إلى المدينة فقضيت ديني ووسعت على أهلي وجازيت المشير علي وعاهدت الله تعالى
أن لا أتزل الاستشارة في جميع أمور ماعشت * (وحكى) عن الخليفة المنصور أنه كان
صدر من عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس أمور مؤلمة لا تحتملها حراسة الخلافة
ولا تتجاوز عن سياسة الملك فخبه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن علي وكان
والبياع على الكوفة ما أقصد عقيدته فيه وأوحشه منه وصرف وجهه مسله الله عنه قتال
المنصور من ذلك وساعظنه وتأرق جفنه وقل أمنه وتزايد خوفه وحزنه فأدته فذكرته
إلى أمر دبره وكتبه عن جميع حاشيته وستره واستخضر ابن عمه عيسى بن موسى وأجراه
على عادة أكرامه ثم أخرج من كان يحضرته وأقبل على عيسى وقال له يا ابن العم اني مطلعك
على أمر لا أجد غيرك من أهله ولا أرى سواك مساهداً إلى علي حمل ثقله فهل أنت في موضع
ظني بك وعامل ما فيه بقاء نعمتك التي هي منوطة ببقاء مملكتي فقال له عيسى بن موسى
أنا عبد أمير المؤمنين ونفسي طوع أمره ونهيه فقال ان عني وعملك عبد الله قد
فسدت بطائفة واعتمد على مابعضه يبيع دمه وفي قلبه صلاح مملكتنا في هذه البلى
واقبله سرّاً ثم سلّه إليه وعزم المنصور على الحج مضمراً أن ابن عمه عيسى اذا قبل عمه
عبد الله أكرمه القصاص وسلّه إلى أغنامه أخوة عبد الله ليقبضوا به قصاصاً فيكون
قد استراح من الاثنين عبد الله وعيسى قال عيسى فلما أخذت عني وأفكرت في قتله رأيت
من الرأي أن أشاور في قضيتي من له رأي عسى أن أصيب الصواب في ذلك فأحضرت يونس
ابن قرة الكاتب وكان لي حسن ظن في رأيه وعقيدة صالحة في معرفته فقلت له إن أمير
المؤمنين دفع إلى عمه عبد الله وأمرني بقتله واخفاء أمره غاراً في ذلك وماتشيره فقال لي
يونس أيها الأمير احفظ نفسك بحفظ عمك وعم أمير المؤمنين فاني أرى لك أن تدخله في
مكان داخل دارك وتكتم أمره عن كل أحد من عندك وتتولى بنفسك حمل
طعامه وشربه إليه وتجعل دونه مغالق وأبواباً وأظهر لا مير المؤمنين أنك قتله وأنفذت أمره
فيه واتهيت إلى العمل بطاعته فكأني به اذا تحقق منك أنك فعلت ما أمرك به وقتلت عمه
أمرك باحضاره على رؤس الاشهاد فان اعترفت أنك قتله بأمره أنك كرا أمره لك وأخذك
بقتله وقتلك قال عيسى بن موسى فقبلت مشورة يونس وعملت بها وأظهرت لا مير المؤمنين
أنني أنفذت أمره ثم حج المنصور فلما قدم من حجه وقد استقر في نفسه أنني قد قتلت عمه
عبد الله دس إلى عمومته أخوة عبد الله وحنهم على أن يسألوه في أخيهم ويستوهبوه منه

فجاءوا اليه وقد جلس والناس بين يديه على مراتبهم فسألوه في عبد الله فقال نعم ان
 حقوقكم تقتضي اسعافكم بحاجتكم كيف وفيها صلة رحم واحسان الى من هو في
 مقام الوالد ثم أمر باحضار عيسى بن موسى فأحضر لوقته فقال يا عيسى كنت دفعت اليك قبل
 خروجي الى الحج عبي عبد الله ليكون عندك في منزلك الى حين رجوعي فقال عيسى قد فعلت
 أمير المؤمنين فقال المنصور قد سألتني فيه عمومك وقد رأيت الصفيح عنه وقضاء حاجتهم
 وصله الرحم باجابة سؤلهم فيه فانتابه الساعة قال عيسى فقلت يا أمير المؤمنين ألم تأمرني
 بقتله والمبادرة الى ذلك قال كذبت لم أمرك بذلك ولوأردت قتله لاسلمته الى من هو بصدد
 ذلك ثم أظهر الغيظ وقال لعمومته قد أفرقتل أخيكم مدعياً أنني أمرته بقتله وقد كذب علي
 قالوا يا أمير المؤمنين فادفعه الينا لنقتله به ونقتص منه فقال سأنتكم به قال عيسى فأخذوني
 الى الرحبة واجتمع الناس على فقام واحد من عومتي الى وسل سيفه ليضربني به فقلت
 له يا عم أفأفعل أنت قال اي والله كيف لا اقتلك وقد قتلت أخي فقال لهم لانجسوا وردوني الى
 أمير المؤمنين فردوني اليه فقلت يا أمير المؤمنين انما أردت قتلي بقتله والذي دبرته على عصمتي
 لله تعالى من فعله وهذا علك باق حتى سوى فان أمرتني بدفعه اليهم دفعته اليهم الساعة
 فأطرق المنصور وعلم أن ربح فكره صادفت اعصاراً وأن اقتراده بتدبيره قارف خساراً ثم
 رفع رأسه وقال انتابه فغض عيسى وأحضر عبد الله فلما رآه المنصور قال لعمومته اتركوه
 عندي وانصرفوا حتى أرى فيه رأياً قال عيسى فتركنه وانصرفت وانصرف اخوته فسلت
 روعي وزالت كربتي وكان ذلك بركة الاستشارة بيونس وقبول مشورته والعمل بها ثم ان
 المنصور اسكن عبد الله في بيت اساسه قديني على الملح ثم أرسل الماء حوله ليلا فذاب الملح وسقط
 البيت فأت عبد الله ودفن بمقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام مرامها
 البعيدة * (ومما جاء في النصيحة) اعلوا أن النصيحة للمسلمين وللخلائق أجمعين من سنن المرسلين
 قال الله تعالى اخبرنا عن نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي ان أردت أن أنصح لكم ان كان
 الله يريد أن يغويكم هو ربكم والله ترجعون وقال صالح عليه السلام ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
 وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ان
 الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا المن رسول الله قال الله ولكتاب له ولرسوله ولائمة المسلمين
 ولعائمتهم فالنصح لله هو وصفه بما هو أهله وتنزيهه عما ليس له بأهل والقيام بتعظيمه والخضوع
 له ظاهراً وباطناً والرغبة في محابه والبعد عن مساخطه وهو الآلة من اطاعه ومعاداة
 من عصاه والجهاد في رذ العصاة الى طاعته قولاً وفعل لا والنصيحة لكتاب الله اقامته في السلاوة
 وتحسينه عند القراءة وتفهم ما فيه والذب عنه من تأويل الحرفين وطعن الطاعنين
 وتعليم ما فيه للخلائق أجمعين قال الله تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر
 أولوا الالباب والنصيحة للرسول عليه السلام احياء سننه بالطلب لها واحياء طريقته في بث
 الدعوة وتاليف الكلمة والتخلي بالاخلاق الطاهرة والنصيحة للآئمة معاونتهم على ما كفوا
 القيام به تنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم عن يريد

بهم السوء واعلامهم بأخلاق عمالهم وسيرتهم في الرعية وستدخلتهم عند الحاجة ورد القلوب
النافرة اليهم والنصيحة لعامة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم
ونفريج كبرهم وتوق ما يشغل خواطرهم ويفتح باب الوسواس عليهم واعلم أن جرعة
النصيحة مرة لا يقبلها الا اولوا العزم وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز رضي
الله عنه قل لي في وجهي ما اكره فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره وفي
مشور الحكم وذلك من نصحك وقلالك من مشي في هوائك وقال أبو الدرداء رضي الله عنه
ان شئت من انصحن لكم ان أحب عباد الله الى الله الذين يحببون الله تعالى الى عباده ويعملون
في الارض نصحا ولورقة بن نوفل

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * اني النذير فلا يغروكم أحد
لا شيء مما ترى تبقى بشأسته * الا لاله ويردى المال والولد
لم تنعن عن هرمن يوما ذخائره * واخلد قد حاولت عافيا خلدا
وقال بعض الخلفاء لجرير بن يزيد اني قد أعددت لك لأمرا قال يا أبا مبر المؤمنين ان الله تعالى
قد أعد لك مني قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة لطاعتك وسيفا مجردا على عدوك
وأناشد الأصمعي

النصح أرخص ما باع الرجال فلا * تردد على ناصح نصحا ولا تلم
ان النصائح لا تختفي من أهلها * على الرجال ذوى الالباب والفهم
ولمعاذ بن مسلم

نصحتك والنصيحة ان تعدت * هوى المنصوح عزلها القبول
نخالت الذي لك فيه حظ * فسالك دون ما أملت غول
وقيل أشار فيروز بن حصين على يزيد بن المهلب أن لا يضع يده في يد الجحاح فلم يقبل منه وسار اليه
فحبسه وجلس أهله فقال فيروز

أمرتك أمر احاز ما فصيتني * فأصبحت مسلوب الامارة نادما
أمرتك بالجحاح اذ أنت قادر * فنفسك أول اللوم ان كنت لا ثما
فأنا بالباكي عليك صباية * وما أنا بالداي استرجع سلما
ويقال من اصفر وجهه من النصيحة اسود لونه من الفضيحة وقال طرفة
ولا تردن النصيح من ليس أهله * وكن حين تستغنى برأيك غانيا
وان امرأ يوما تولى برأيه * فدعه يصيب الرشد أويك غاويا

وفي مثله قال بعضهم

من الناس من ان يستشرك فتجهتد * له الرأي يستغشك ما لم تتابعه
فلا تمنح الرأي من ليس أهله * فلا أنت محمود ولا الرأي نافعه
والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن عشر في الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة وما أشبه ذلك)*

قال الله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

وقال الله تعالى ان آفة يأمر بالعدل والاحسان وابتداء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر
والبغى يعظكم لعلمكم تذكرون وقال تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون
بالمعروف وينهون عن المنكر وقال تعالى والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات والايات فى ذلك كثيرة
مشهورة وفوائدها جمة منشورة * وروينا فى صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري رضى الله
عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من رأى منكم منكرا فليغيره بيده
فان لم يستطع فليسهه فان لم يستطع فليقلبه وذلك اضعف الايمان * وقال شيخنا محيى
الدين النووى رحمة الله تعالى عليه فى قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم
من ضل اذا اهتديتم ان هذه الآية الكريمة مما يغتر بها اكثر الجاهلين ويحملونها على غير
وجهها بل الصواب فى معناها انكم اذا فعلتم ما أمرتم به لا يضركم ضلاله من ضل ومن جهله
ما امر وابه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والآية مرتبة فى المعنى على قوله تعالى
ما على الرسول الا البلاغ * وقال محمد بن تمام الموعظة جند من جنود الله تعالى ومثلها مثل
الطين يضرب به على الخاطئ ان استمسك نفع وان وقع اثر * ومن كلام على رضى الله تعالى
عنه لا تكونن ممن لا تنفعه الموعظة الا اذا بالغت فى ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهايم
لا تتعظ الا بالضرب وانشد الجاحظ

وليس يزجركم ما توقعون به * والهمم يزجرها الراعى فتزجر

وكتب رجل الى صديق له اما بعد ففظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستحيى من الله بقدر
قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك والسلام * وقيل من كان له من نفسه واعظ كان له من الله
حافظ * وقال امان الموعظة تشق على السفه كما يشق صعود الوعر على الشيخ الكبير *
قيل اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام انك ان آتيتنى بعد ابقى كتبك عندي جيدا ومن
كتبته عندي جيدا لم أعذبه بعدها أبدا * وقال الرشيد انصور بن عمار عظمى وأوجز فقال
يا امير المؤمنين هل أحد أحب اليك من نفسك قال لا قال ان أردت أن لاتسى الى من تحب
فافعل وقال النبي صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه أيها الناس الايام تطوى والاعمار
تقضى والابدان فى الترى تبلى وان الليل والنهار يترا كضن ترا كض البريد ويقربان كل بعيد
ويخالفان كل جريد وفى ذلك عباد الله ما ألهمى عن الشهوات ورغب فى الباقيات الصالحات
* ولما لقي ميمون بن مهران الحسن البصرى قال له لقد كنت أحب أن ألقاك ففعلنى فقرأ الحسن
البصرى فقرأت من اتخذا لله هوام فقرأت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يعدون
ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام ابا سعيد لقد وعظتنى أحسن موعظة * ولما
ضرب ابن ملجم لعنه الله عليا رضى الله عنه دخل منزله فاعتزته غشمة ثم أفاق فدعا الحسن
والحسين رضى الله تعالى عنهما وقال اوصيكم بقوى الله تعالى والرغبة فى الآخرة والزهد
فى الدنيا ولا تأسفا على شئ فانكم منها فانكم انهارا حلال افعل الخير وكونا للظالم خصما
وللمظلوم هونا ثم دعا محمدا ولده وقال له أما سمعت ما أوصيت به أخويك قال بلى قال فاني
أوصيك به وعليك ببر أخويك وتوقيرهم ما ودع رفقة فضلهم ما ولا تقطع أمر ادونهم ما ثم أقبل

عليهما وقال أوصيكما به خيرا فإنه أخوكما وابن أيسكما وإنما تعلمان أن أباه كان يحب فأجاباه
ثم قال يا بني أوصيكما بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد
في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعذر والعلم في النشاط والكسل والرضا عن الله
في المشقة والرخاء يا بني ما شرب بعده الجنة بشر ولا خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة
حقير وكل بلاء دون النار عافية يا بني من أبصر عيب نفسه استغل عن عيب غيره ومن رضى
بما قسم الله له لم يحزن على ما فاتته ومن سل سيف البغي قتل به ومن حفر لا خيبة بترأ وقع فيها
ومن هنك حجاب أخيه هتك عورات بنيه ومن نسي خطيئته استغظم خطيئته غيره ومن
أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الأذال
احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر ومن مزح استخف به ومن
أكرم من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر خطؤه ومن كثر خطؤه قل حياؤه ومن قل
حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بني الأدب ميزان
الرجل وحسن الخلق خير قرين يا بني العافية عشرة أجزاء تسعة منها في الصحة الآمن
ذكر الله تعالى وواجب ترك مجالسة السفهاء يا بني زينة الفقر الصبر وزينة
الغنى الشكر يا بني لاشرف أعلى من الاسلام ولا كرم أعز من التقوى ولا شفيع أنجح
من التوبة ولا لباس أجمل من العافية يا بني الحرص مفتاح التعب ومطية النصب *
ولما حضرت هشام بن عبد الملك الوفاة نظرت الى أهلي يكون حوله فقال جادلتم هشام بالدينا
وجدتم له بالكاء وترك لكم جميع ما جمع وتركتم عليه ما حمل ما أعظم منقلب هشام ان لم يغفر
الله له * وقال الاوزاعي للمصور في بعض كلامه يا أمير المؤمنين أما علمت انه كان سيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم جريرة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فأناه جبريل
عليه السلام فقال يا محمد ما هذه الجريرة التي سيدك أقذفها لالتلاقلوهم ربهم رعبا فكيف
بمن سفك دماء المسلمين واتهب أموالهم يا أمير المؤمنين ان المغفور له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر دعا الى القصاص من نفسه بخدشة خدشها أعرايا من غير تعمد يا أمير المؤمنين
لو أن ذنوبنا من النار صب ووضع على الارض لاحرقها فكيف بمن يتجرعه ولو أن
ثوبنا من النار وضع على الارض لاحرقها فكيف بمن يتقمصه ولو أن حلقة من سلاسل
جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف بمن يتسلسل بها ويردفصلها على عاتقه * وروى زيد بن
أسلم عن أبيه قال قلت لجعفر بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه وكان والي المدينة اخذ رآن
يا بني رجل غدا ليس له في الاسلام نسب ولا أب ولا جد فـ **ك**ون أولي بر رسول الله صلى الله
عليه وسلم منك كما كانت امرأة فرعون أولي بموسى وكما كانت امرأة نوح واهرا أولوط
أولي بفرعون ومن ابطاء به عمله لم يسرع به نسبه ومن اسرع به عمله لم يعطى به نسبه * وروى
زياد عن مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه قال لما بعث أبو جعفر الى مالك بن أنس وابن طاوس
قال دخلنا عليه وهو جالس على فرش ويديه أنماع قد بسطت وجلادون بأيديهم
السيوف يضربون الاعناق فأومأ اليه ان اجلسا فجلسنا فأنطق زمانا طويلا
ثم رفع رأسه والتفت الى ابن طاوس وقال حدثني عن أبيك قال سمعت ابي يقول قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيامة رجل اشرك الله تعالى في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه فأمسك ابو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه قال مالك فضمت ثيابي مخافة أن ينالها شيء من دم ابن طاوس ثم قال يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة فأمسك عنه فقال ما يمنعك أن تناولنيها قال أخاف أن تكتب بهام عصية فأكون شريكك فيها فلما سمع ذلك قال قوماعني فقال ابن طاوس ذلك ما كنا ينبغي قال مالك فما زلت اعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الاحبار يا كعب خوفنا قال أوليس فيكم كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم قال بلى يا كعب ولكن خوفنا فقال يا امير المؤمنين اعمل فأنك لو وافقت يوم القيامة بعمل سبعين نبيا لأذريت عملهم مما ترى فنكس عمر رضى الله عنه رأسه وأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال يا كعب خوفنا فقال يا امير المؤمنين لو فزع من جهنم قدر منخر نور بالشرق ورجل بالغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فنكس عمر ثم افاق فقال يا كعب زدنا فقال يا امير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيامة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثا على ركبتيه يقول يا رب لا أسألك اليوم الا نفسي * وقال سيمى الشيخ ابو بكر الطرطوشي رحمة الله تعالى عليه دخلت على الافضل بن امير الجيوش وهو امر على مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فردا السلام على فحو ما سالت رداجملا واكرمنى اكراما جزيلا وامرني بدخول مجلسه وامرني بالجلوس فيه فقلت ايها الملك ان الله تعالى قد احلك محلا عليا شامحا وارزك منزلا شريفا باذنا وملاك طائفة من ملكه واشركك في حكمه ولم يرض أن يكون امر احد فوق امرك فلا ترض أن يكون احد اولى بالشكر منك وليس الشكر باللسان وانما هو بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا واعلم أن هذا الذى اصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فائق الله فيما خولك من هذه الامة فان الله تعالى سائلك عن القليل والنقيب والقطمير قال الله تعالى قوربك لتسألنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكنى بنا حاسبين واعلم ايها الملك ان الله تعالى قد آتى ملك الدنيا بهذا فبرها سليمان بن داود عليهما السلام فسخر له الانس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم وسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عدها غوها ولا حسبها كرامة كما حسبوها بل خاف أن تكون استدراجا من الله تعالى ومكرابه فقال هذا من فضل ربي ليسلوني أشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل العجاب وانصر المظلوم وأغث الملهوف أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك كهفا للملهوف واما بالنفاق ثم أتممت المجلس بأن قلت قد رحلت البلاد شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارثتها اليها ولذت في الإقامة فيها غير هذه المملكة ثم أنشدته

والناس اكيس من أن يحمدوا رجلا * حتى يروا عنده آثارا لحسان
وقال الفضل بن الربيع ج هرون الرشيد سنة من السنين فبينما أنا نائم ذات ليلة إذ سمعت قرع
الباب فقلت من هذا فقال أجب أمير المؤمنين فخرجت مسرعا فقلت يا أمير المؤمنين لو أرسلت
إلى أئمتك فقال ويحك قد حاك في نفسي شيء لا يخرج به إلا علم فأنظر لي رجلا أسأله عنه فقلت
ههنا سفيان بن عيينة فقال امض بنا إليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت
أجب أمير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أئمتك فقال جئنا
جئنا له فحادثه ساعة ثم قال له أعليك دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه ثم انصرفنا
فقال ما أغنى عني صاحبك شيئا فأنظر لي رجلا أسأله فقلت ههنا عبد الرزاق بن همام
فقال امض بنا إليه فأتيناه فقرعت عليه الباب فقال من هذا قلت أجب أمير المؤمنين
فخرج مسرعا فقال يا أمير المؤمنين لو أرسلت إلى أئمتك فقال جئنا جئنا له فحادثه
ساعة ثم قال له أعليك دين قال نعم فقال يا أبا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما أغنى
عني صاحبك شيئا فأنظر لي رجلا أسأله فقلت ههنا الفضيل بن عياض فقال امض بنا إليه
فأتيناه فإذا هو قائم يصلي في غرفته يتلو آية من كتاب الله تعالى وهو يردد ما فقرعت عليه
الباب فقال من هذا فقلت أجب أمير المؤمنين فقال مالي ولا أمير المؤمنين فقلت سبحان
الله أمتجب عليك طاعته ففتح الباب ثم ارتقى إلى أعلى الغرفة فأطفا السراج ثم التجأ
إلى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسمعت كف الرشيد كفي إليه فقال آواه
من كف ما أليهنما أن نجث غدا من عذاب الله تعالى فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام
نقي من قلب نقي فقال جئنا جئنا له رحلك الله تعالى فقال وفيهم جئت جئت على نفسك
وجميع من معك جاؤا عليك حتى لو سألهم أن يتحملوا عنك شقضا من ذنب ما فعلوا ولكن
أشدهم حبالك أشدهم هربا منك ثم قال إن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لما ولي الخلافة دعا
سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني قد ابتليت بهذا البلاء
فأشبروا علي فعقدوا الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة فقال سالم بن عبد الله ان اروت
النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك في أعلى الموت وقال محمد بن كعب
ان أردت النجاة غدا من عذاب الله تعالى فليكن كبير المسلمين عندك أبأ وأوسطهم عندك أخا
وأصغرهم عندك ولدا فبرأ بك وارحم أخاك وتحنن على ولدك وقال رجاء بن حيوة ان أردت
النجاة غدا من عذاب الله تعالى فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك
ثم متى شئت مت وانى لا قول هذا وانى لا خاف عليك أشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك
رجل الله مثل هؤلاء القوم من يأمر بك بمنزل هذا فبكى هرون بكاء شديدا حتى غشي عليه
فقلت له ارفق يا أمير المؤمنين فقال يا ابن الربيع قتله أنت وأصحابك وأرفق به أنا ثم فارق
هرون الرشيد فقال زدني فقال يا أمير المؤمنين بلغني أن عاملا لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
شكا إليه سهرًا فكتب له عمر يقول يا أخى اذ كرسه ر أهل النار في النار واخلود الأبدان فان ذلك
يطرد بك إلى ربك نائما ويقظان وإياك أن تزل قدمك عن هذا السبيل فيكون آخر
العهد بك ومنقطع الرجاء منك فلما قرأ كتابه طوى البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر ما أقدمك

فقال له لقد خلعت قلبي بكائك لا وليت ولا ية أبدا حتى ألقى الله عز وجل فبكى هرون
بكاء شديدا ثم قال زدني قال يا أمير المؤمنين إن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاء
إليه فقال يا رسول الله أقرني أماره فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس نفس
تحبها خب من أماره لا تحبها إن الأماره حسرة وندامة يوم القيامة فإن استطعت أن لا تكون
أميرا فافعل فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال زدني يرعد الله فقال يا حسن الوجه أنت
الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار فافعل
وإياك أن تصبح وتغشى وفي قلبك غش لرعيك فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أصعب لهم
غاشم يرح را نحة الجنة فبكى هرون الرشيد بكاء شديدا ثم قال له أعلبك دين قال نعم دين ربي
يحاسبني عليه فالويل لي إن ناقصني والويل لي إن سألني والويل لي إن لم يلهمني حتى قال هرون
إنما أعنى دين العباد قال إن وبي لم يأمرني بهذا وإنما أمرني أن أصدق وعده وأطيع أمره
قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون
إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين فقال له هرون هذه ألف دينار نخذها وأنفقها على عيالك
وتقو بها على عبادة ربك فقال سبحانه الله أبادلتك على سبيل الرشاد فكأنني
أنت بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال لي هرون إذا دللتني
على رجل فدلتني على مثل هذا فإن هذا سيد المسلمين اليوم * وعلم أن الأمر بالمعروف والنهي
عن المنكر له شروط وصفات قال سليمان الخواص من وعظ أخاه فيما بينه وبينه فهي
نصيحة ومن وعظه على رؤس الأشهاد فأغابكته * وقالت أم الدرداء رضي الله تعالى عنها
من وعظ أخا مسرا فقد سره وزانه ومن وعظه علانية فقد ساءه وشانه * ويقال من وعظ
أخا مسرا فقد نصحه وسره ومن وعظه جهرا فقد فضحه وضره * وعن عبد العزيز بن أبي رواد
قال كان الرجل إذا رأى من أخيه شيئا أمره في سترونه أو في سترونه في ستره ويؤجر
في أمره ويؤجر في نهي * وعن عمر رضي الله تعالى عنه إذا رأيتم أظا كذا زلة فقوموه
وسددوه وادعوا الله أن يرجع به إلى التوبة فيتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشيطان على
أخيك وبالله التوفيق إلى أقوم طريق وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث عشر في الصمت وصون اللسان والنهي عن الغيبة والسعي بالنميمة ومدح العزلة
وذم الشهرة وفيه فصول

*(الفصل الأول في الصمت وصون اللسان) قال الله تعالى ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب
عتيد وقال تعالى إن ربك لبالمرصاد واعلم أنه ينبغي للعاقل المكلف أن يحفظ لسانه عن جميع
الكلام إلا كلاما ظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتر كفي المصلحة فالسنة الامسالك
عنه لأنه قديم الكلام المباح إلى حرام أو مكروه بل هذا كثير وغالب في العادة والسلامة
لابعاد لها شي وروينا في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت قال الشافعي
في الام إذا أراد أحدكم الكلام فعليه ان يفكر في كلامه فإن ظهرت المصلحة تكلم

وان شك لم يتكلم حتى تظهر وروينا في صحيح ما عن أبي موسى الاشعري رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل قال من سلم الناس من لسانه ويده وروينا في كتاب
الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله ما النجاة قال أمسك عليك
لسانك وليسع بك لسانك وروينا في كتاب الترمذي حديث حسن وروينا في كتاب
الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن
اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والاحاديث الصحيحة في ذلك كثيرة وفيما أشرت اليه كفاية لمن
وفقه الله تعالى * وأما الآثار عن السلف وغيرهم في هذا الباب فكثيرة لا تحصر لكن ننبه على
شيئ منها فمما جاء من ذلك ما بلغنا أن قس بن ساعدة وا كثر من صبيح اجتماع فقال أحدهما
لصاحبه كم وجدت في ابن آدم من العيوب فقال هي أكثر من أن تحصر وقد وجدت خمسة
ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها قال وما هي قال حفظ اللسان وقال الامام الشافعي
رضي الله عنه لصاحبه الربيع ياربيع لاتكلم فيما لا يعنك فانك اذا تكلمت بالكلمة
ملككتك ولم تملكها وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع ان لم يوثقه عدا عليك ولحقك شره
ومما أنشدوه في هذا الباب

احفظ لسانك أيها الانسان * لا يلدغ نك انه ثعبان
كف في المقابر من قبيل لسانه * كانت تهاب لقاء الشجعان

وقال الفارسي

لعمرك ان في ذنبي لشغلا * لنفسي عن ذنوب بني أمية
على ربي حسابهم اليه * تناهى علم ذلك لا اليه

وقال علي رضي الله عنه اذا تم العقل نقص الكلام وقال أعرابي رب منطلق صدع جعوا وسكوت
شعب صدعا وقال وهب بن الورد بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت والعاشر
في عزلة الناس وقال علي بن هشام رحمة الله تعالى عليه

لعمرك ان الحلم زين لاهله * وما الحلم الا عادة وتعلم
اذ لم يكن صمت الفتى عن ندامة * وعي فان الصمت أولى وأسلم

وقال ابن عيينة من حرم الخير فليصمت فان حرمها ما فاما موت خير له وعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم أنه قال لا يذري ذر رضي الله عنه عليك بالصمت الامن خير فانه مطردة للشيطان
وعون على أمر دينك * ومن كلام الحكماء من نطق في غير خير فقد لغا ومن نظر في غير اعتبار
فقد سها ومن سكت في غير ضرورة فقد لها * وقيل لو قرأت صحيفةك لانعمت بصحيفةك
ولو رأيت ما في ميزانك نلت عن اسنانك * ولما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت
طال صمته فقبيل له ألا تتكلم فقال الكلام صيرني في بطن الحوت * وقال حكيم اذا أعجبك
الكلام فاصمت واذا أعجبك الصمت فتكلم * وكان يقال من السكوت ما هو أبلغ من الكلام
لان السفه اذا سكت عنه كان في اغتمام * وقيل لرجل به سادكم الاحنف فوالله ما كان
بأ كبركم سنا ولا با أكثركم الا فقال بقوة سلطانه على لسانه * وقيل الكلمة أسيرة في وثاق
الرجل فاذا اتاكم به اصار في وثاقها * وقيل اجتمع أربعة ملوك فتكلموا فقال ملك الفرس

ماندمت على ما لم أقل مرة وندمت على ما قلت مرارا وقال قصيرا ناعلي رد ما لم أقل أقدر
مضى على رد ما قلت وقال ملك الصين ما لم أنكم بكلمة ملكتها فإذا تكلمت بهام ملكتي وقال
ملك الهند العجب عن يتكلم بكلمة أن رفعت ضرت وإن لم ترفع لم تنفع * وكان بهرام جالسا
ذات ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طائر فرماه فأصابه فقال ما أحسن حفظ اللسان
بالطائر والإنسان لو حفظ هذا لسانه ما هلك * وقال علي رضي الله تعالى عنه بكثرة الصمت
تكون الهيبة * وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه الكلام كالدهاء إن أقلت منه تقع
وإن كثرت منه قتل * وقال لقمان لولده يا بني إذا افخخر الناس بحسن كلامهم فافخخر أنت
بحسن صمتك يقول اللسان كل صباح وكل مساء الجوارح كيف أنتن فيعلن بخبر إن تركتها
قال الشاعر

احفظ لسانك لاتقول قتبلى * إن البلاء موكل بالمنطق

(الفصل الثاني في تحريم الغيبة) اعلم أن الغيبة من أقبح القبايح وأكثرها انتشارا
في الناس حتى لا يسلم منها إلا القليل من الناس وهي ذكرك الإنسان بما يكره ولو بعافيه سواء كان
في دينه أو بدنه أو نفسه أو خلقه أو ماله أو ولده أو والده أو زوجته أو خادمه أو عمامته
أو نوبه أو مشيته أو حر كته أو بنشاشته أو خلاعته أو غير ذلك مما يتعلق به سواء ذكرته
بلفظك أو بكنايك أو رمزت إليه بعينك أو يدك أو رأسك أو نحو ذلك فأما الدين فكقولك
سارق خاش ظالم متهاون بالصلاة متساهل في العجاسات ليس بار أبوالديه قليل الأدب لا يضيع
الزكاة مواضعها لا يجتنب الغيبة وأما البدن فكقولك أعشى أو أعرج أو أعشى أو قصير
أو طويل أو أسود أو أصفر وأما غيره مما في قولك فلان قليل الأدب متهاون بالناس لا يرى
لاحد عليه حقا كثير النوم كثير الأكل وما أشبه ذلك وكقولك فلان أبوه فجار أو أسكاف
أو حداد أو حائك تريد تنقيصه بذلك أو فلان سبي الخلق متكبر مرأع مجرب جبار ونحو
ذلك أو فلان واسع الكرم طويل الذيل وسخ الثوب ونحو ذلك * وقد روي نافي صحيح مسلم وستن
أبي داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قبل وإن كان
في أخيك ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته قال الترمذي
حديث حسن صحيح وروى نافي سنن أبي داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت
للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى قصيرة فقال
لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته أي خالطته فخالطته يتغير بها طعمه وريحه لكثرة
قائها وروى نافي سنن أبي داود عن أنس رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما عرجي إلى السماء مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم
وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في
أعراسهم وروى عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا أيكم والغيبة
فإن الغيبة أشد من الزنا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل يني فيتوب فيتوب
الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها وعن أنس رضي الله تعالى عنه قال

من اغتاب المسلمين وأكل لحومهم بغير حق وسعى بهم إلى السلطان حتى به يوم القيامة من رقة عيناه ينادى بالويل والنبور يعرف أهله ولا يعرفونه وقال معاوية بن قرة أفضل الناس عند الله أسلمهم صدرا وأقلهم غيبة وقال الاحنف في خصلتان لا اغتاب جليسي إذا غاب عني ولا أدخل في أمر قوم لا يدخلونني فيه وقيل للربيع بن خيثم ما تراءى تغيب أحدا فقال لست عن نفسي راغبا فأترغ لذي الناس وأنشد

لنفسى أبكى لست أبكى لغيرها * لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

وقال كثير عزة

وسعى إلى تبعب عزة تسوة * جعل الإله خدودهن نعالها

وقال محمد بن حزم أول من عمل الصابون سليمان وأول من عمل السويق ذو القرنين وأول من عمل الحديس يوسف وأول من عمل خبز الجرادق عمرو وأول من كتب في القراطيس الحجاج وأول من اغتاب ابليس لعنه الله اغتاب آدم عليه السلام وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن المغتاب إذا تاب فهو آخر من يدخل الجنة وإن أصرفه أول من يدخل النار ويقال لأن من من كذب لك أن يكذب عليك ومن اغتاب عندك غيرك أن يغتابك عند غيرك وقيل للحسن البصري رضي الله تعالى عنه أن فلانا اغتابك فأهدى إليه طبقا من رطب فأناه الرجل وقال له اغتبتك فأهديت إلى فقال الحسن أهديت إلى حسناتك فأردت أن أكافئك وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال لو كنت مغتابا أحبا لا غتبت والذى لأنهم أحق بحسناتي وإذا حكي إنسان إنسانا بأن يمشي متعارجا ومتطاطئا أو غير ذلك من الهيئات يردتقبصه بذلك فهو حرام وبعض المتفقهين والمتعبدين يعرضون بالغبية تعريضا تفهم به كاتفهم بالتصريح فيقال لا حدهم كيف حال فلان فيقول الله يصلحنا الله بغير لنا الله يصلحه نسأل الله العاقبة فحمد الله الذي لم يبتلنا بالدخول على الظلمة نعوذ بالله من الكبر يعافينا الله من قلة الحياء الله يتوب علينا وما أشبه ذلك مما يفهم تنقبصه فكل ذلك غيبة محرمة * واعلم أنه كما يحرم على المغتاب ذكر الغيبة كذلك يحرم على السامع استماعها فيجب على من يستمع إنسانا يتدبى بغبية أن ينهأ أن لم يحض ضررا فإن خافه وجب عليه الانكار بقلبه ومقارفة ذلك المجلس أن تمكن من مفارقه فان قال بلسانه أسكت وقلبه يشتهي سماع ذلك قال بعض العلماء أن ذلك تفارق قال الله تعالى وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ومما أنشدوه في هذا المعنى

وسمعت من عن سماع القبيح * كصون اللسان عن النطق به

فأنك عند سماع القبيح * شريك لقائله فاتبه

وكم أزعج الحرص من طالب * فوافى المنية في مطلبه

(الفصل الثالث في تحريم السعاية بالنميمة) قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم الآية وحسبك بالتمام خسة وريذة سقوطه وضعته والهماز المغتاب الذي ياكل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصري هو الذي يغمز بأخيه في المجلس وهو

الهزمة السمزة وقال علي والحسن البصري رضي الله عنهما العتل القاحش السي الخلق
وقال ابن عباس رضي الله عنهما العتل القاتك الشديد المناق وقال عبيد بن عمير العتل
الأكول الشروب القوى الشديد بوضع في الميزان فلا وزن شعيرة وقال الكلبي هو الشديد
في كفره وقيل العتل الشديد الخصومة بالباطل والزئيم هو الذي لا يعرف من أبوه قال
الشاعر

زئيم ليس يعرف من أبوه * بقي الامة ذو حسب لثيم

وروي في صحيح البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يدخل الجنة غمام وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم مرتب بغيرين فقال انهما ليعذبان
وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتره من بوله
قال الامام أبو حامد الغزالي رحمة الله تعالى عليه النميمة انما تطلق في الغالب على من ينم
قول الغير الى القول فيه كقوله فلان يقول فذلك كذا فينبغي للانسان أن يسكت عن كل
ما رآه من أحوال الناس الا ما في حكايته فائدة لمسلم أو دفع معصية وينبغي لمن حملت اليه
نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا أن لا يصدق من نم اليه لان النمام فاسق وهو مردود الخبر
وأن ينهيه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ويغضه في الله تعالى فانه يغض عند الله والبغض
في الله واجب وأن لا يظن بالمنقول عنه السوء لقول الله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان
بعض الظن اثم وسعى رجل الى بلال بن أبي بردة برجل وكان أمير البصرة فقال له
انصرف حتى أكشف عنك فكشف عنه فاذا هو ابن بغي يعني ولد زنا قال أبو موسى
الاشعري رضي الله عنه لا ينم على الناس الا ولد بغي وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ألا أخبركم بشراكم قالوا بلى يا رسول الله قال شراركم المشائون بالنميمة المفسدون
بين الاحبة الباغون العيوب وروي أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ملعون ذوالوجهين ملعون ذواللسانين ملعون كل شغاز ملعون كل قتات ملعون كل غمام
ملعون كل منان والشغاز المحرش بين الناس يلتقي بينهم العداوة والقتات النمام والمنان
الذي يعمل الخبوين به وأما السعاية الى السلطان والى كل ذي قدرة فهي المهلكة
والخالقة لانها تجمع الخصال الذميمة من الغيبة وشتم النميمة والتغريب بالنفوس والاموال
في النوازل والاحوال وتسلب العزيز عزه وتحط المحكين عن مكانته والسيد عن مرتبته
ففيكم دم أراقه سعي ساع وكم حريم استبيح بنميمة غمام وكم من صفيين تباعدوا وكم من
متواصلين تقاطعوا وكم من محبين افتروا وكم من الفين تهاجروا وكم من زوجين تظالفا فليست
الله ربه عز وجل رجل ساعدته الايام وتراخت عنه الاقدار أن يصغي اساع أو يستمع لتمام
ووجد في حكم القدماء أبعض الناس الى الله المثلث قال الاصمعي هو الرجل يسعى بأخيه الى
الامام فيهلك نفسه وأطاه وامامه وقال بعض الحكماء احذروا أعداء العقول ولصوص
المودات وهم السعاة والتمامون اذا سرق للصوص المتاع سرقوا هم المودات وفي
المثل السائر من أطاع الواشي ضيع الصديق وقد تقطع الشجرة قنبت ويقطع اللحم
السيف فيندمل واللسان لا يندمل جرحه * ودفع انسان رقعة الى صاحب بن عباد يحثه

فبها على أخذ مال يقيم وكان مالا كثيرا فكتب اليه على ظهرها النعمة قبضة وان كانت
صحبة والميت رحمه الله واليتيم جبر الله والساعي لعنه الله ولا حول ولا قوة الا بالله وروينا
في كتاب أبي داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا فاني أحب أن أخرج اليكم وأنا سليم الصدر
ومن الناس من يتلون ألوانا ويكون وجهين لسانين فيأتي هؤلاء بوجه وهو لا يوجه
وذو الوجهين لا يكون عند الله وجهها قال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

قل الذي لست أدري من تلونه * أناصح أم على غشٍ ساجي
اني لا كثر عما ستمتني بهجا * يد تشج وأخرى منك تأسوني
تغتابي عند أقوام وقد حسني * في آخرن وكل عنك يأتيني
هذان شيان قد نافيت بينهما * فاكف لسانك عن شتي وتزييني

وقيل لالف لوح جوح خير من واحد متلون وكان يشبه المتلون بأبي براقش وأبي قحون
فأبو براقش طائر منقطع بالوان النقوش يتلون في اليوم ألوانا وأبو قحون ضرب من ثياب الحرير
ينسج بالروم يتلون ألوانا ويقال للطائش الذي لا ثبات معه أبو رياح تنسجها بشل فارس من
نحاس بمدينة حصص على عمود حديد فوق قبة يباب الجامع بدور مع الريح وينسج بمدودة
وأصابها مضمومة الالسابية فاذا أشكل عليهم مهب الريح عرفوه بأنه يدور بأضع نسيم
يصيبه والذي يعمل الصبيان من قرطاس على قصبة يسمى أبارياح ايضا ويقال اخلاق الملوك
مثل في المتلون قال بعضهم

ويوم كآخلاق الملوك تلونا * فصحو وتغييم وطل ووابل

أشبهه اياك يا من صفاته * دنو واعراض ومنع ونائل

وكم معاوية الاحنف في شيء بلغه عنه فأحكره لا - نف فقال له معاوية بلغني عنك الثقة
فقال له الاحنف ان الثقة لا يبلغ مكرهما وكان الفضل بن سهل يغض السعاية واذا أناء ساع
يقول له ان صدقة الأب ضالك وان كذبنا عاقبتك وان اسدقتنا أقتلاك وكتب في جواب
كتاب ساع فمخ نرى أن قبول السعاية ثمر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس
من دل على شيء وأخبر به كمن قبله وأجازة فاتقوا الساعي فانه لو كان في سعياته صادقا لكان في
صدقه لئما اذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة وقيل من سعى بالنعمة حذره الغريب ومقتنه
القريب وقال المأمون النعمية لا تقرب مودة الأفسدتها ولا عداوة الاجددها ولا جماعة
الابتدتها ثم لا بد لمن عرف بها ونسب اليها أن يجتنب ويخاف من معرفته ولا يوثق بمكانه
وأنشد بعضهم

من تم في الناس لم تؤمن عقاربهم * على الصديق ولم تؤمن أفاعيه

كالسيل بالليل لا يدري به أحد * من أين جاء ولا من أين ياتيه

الويل للعهد منه كيف ينقضه * والويل للوؤم منه كيف يقنيه

وقال آخر

يسعى عليك كبابي البك فلا * تأمن غوائل ذي وجهين يكاد

وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله تعالى

من يخبرك بشتم عن أخ * فهو الشاتم لامن شتمك
ذالشيء لم يواجهك به * انما اللوم على من أعلمك

وقال آخر

ان يعلموا الخير اخفوه وان علموا * شرا اذاعوا وان لم يعلموا كذبوا

وقال آخر

ان يسمعوا ربة طاروا بها فرحا * منى وما سمعوا من صالح دفنوا

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم اذنوا

وقال الحسن ستر ما عانت أحسن من اشاعة ما ظننت وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله
تعالى عنه من سمع بفاحشة فافشاها فهو كاذبى آناها

(ومما جاء فى النهى عن اللعن)

ماروينافى صحيحى البخارى ومسلم عن ثابت بن الضحالك رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن كقتله وروينافى صحيح مسلم أيضا عن أبي الدرداء رضى الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون للعائون نفعاه ولا شهداء يوم القيامة وروينا
فى سنن أبى داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد
اذا هن شيا صعدت اللعنة الى السماء فتعلق أبواب السماء دونها ثم تهبط الى الارض فتعلق
أبوابها دونها ثم تأخذ عيسا وشمالا فاذا لم تجد مساعرا رجعت الى الذى لعن ان كان اهلا لذلك
والارجعت الى قاتلها ويجوز لعن أصحاب الاوصاف المذمومة على العموم كقوله لعن الله
الظالمين لعن الله الكافرين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الفاسقين لعن الله المصورين
ونحو ذلك وثبت فى الاحاديث الصحيحة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة
والمستوصلة وأنه قال لعن الله آكل الربا وأنه قال لعن الله المصورين وأنه قال لعن الله من
لعن والديه وأنه قال لعن الله من ذبح لغير الله وأنه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا
قبورا أنبياءهم مساجد وأنه قال لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء
بالرجال وجبى هذه اللفاظ فى البخارى ومسلم وبعضها فيهما وبعضها فى أحدهما والله
أعلم

(ومما جاء فى العزلة ومدح الخمول وذم الشهرة)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمول نعمة وكل يتبرأ والظهور نقمة وكل يتقى وقال
بعضهم

تلحف بالخمول نعش سلما * وجالس كل ذى أدب كريم

وقال جعفر بن القراء

من أخل النفس أحياءها وروحها * ولم يبت طابوا منها على فخر

ان الريح اذا اشتدت عواصفها * فليس ترى سوى العالى من الشجر

وقال أعرابي رب وحدة أنفع من جليس ووحشة أنفع من أنيس وكان أبومعاوية الضمير

يقول في خصلتان ما يسرني به ما رآه بصري فله الإعجاب بنفسي وخلو قلبي من اجتماع الناس اليّ وقال عمر رضي الله عنه خذوا حظكم من العزلة وصعد حسان على أطعم من أطام المدينة ونادى بأعلى صوته يا صـباحاه فأجعت الخرج فقالوا ما عندك قال قلت بيت شعر فأحبيت أن تسمعه قالوا هات يا حسان فقال

وانّ امرأ أسمى وأصبح سالماً * من الناس الا ما جنى لسعيد

ولما جنى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه منزله بالعقيق قيل له تركت منازل اخوانك وأسواق الناس ونزلت بالعقيق فقال رأيت أسواقهم لا غنية وبجالسهم لاهية فوجدت الاعتزال فيها هنالك عافية وقيل لعروة أخي مرداس لم لا تتخذ ثياب بعض ما عندك من العلم فقال أكره أن يعيل قلبي باجتماعكم الى حب الرئاسة فأخسر الدارين وقال سفيان بن عيينة دخلنا على الفضل في مرضه نعوذ به فقال ما بكم والله لو لم تجيئوا لكان أحب اليّ ثم قال نعم الشئ المرض لولا العبادة وقيل للفضل ان ابنك يقول وددت لو أني بالمكان الذي أرى الناس فيه ولا يروني فقال ويح ابني لم لا تعما فقال لأراهم ولا يروني وقال عليّ رضي الله تعالى عنه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته وأكل قوته واشتغل بطاعته وبكى على خطيئته فكان من نفسه في شغل والناس منه في راحة وقال سفيان الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس وقيل لأهب في ضومعته ألا تنزل فقال من شئ على وجه الأرض غير والكلام في مثل هذا كثير وقد اكتفينا بهذا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الرابع عشر في الملك والسلطان وطاعة ولاية أمورا الاسلام وما يجب للسلطان على الرعية وما يجب لهم عليه

روى عن الحسن أنه قال للحجاج سمعت ابن عباس رضي الله عنه ما يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرروا السلاطين وبعجلوهم فانهم عز الله وظله في الأرض اذا كانوا عدولا فقال الحجاج ألم تكن فيهم اذا كانوا عدولا قال قلت بلى وعن عمر رضي الله تعالى عنه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم أخبرني عن هذا السلطان الذي ذات له الرقاب وخضعت له الاجساد ما هو قال ظل الله في الأرض فاذا أحسن فله الاجر وعليكم الشكر واذا أساء فعليه الاصر وعليكم الصبر وعنه عليه الصلاة والسلام أيما راع استرعى رعيته ولم يحطها بالامانة والنصيحة من ورائها الاضافت عليه رجة الله تعالى التي وسعت كل شئ وقال مالك ابن دينار رضي الله تعالى عنه وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى أنا ملك الملوكة رقاب الملوكة يبدى فغن أطاعني جعلتهم عليه رجة ومن عصاني جعلتهم عليه نعمة لا تشغلوا ألفتكم بسب الملوكة ولكن توبوا الى الله يعطفهم عليكم وقال جعفر بن محمد رجة الله تعالى عليه كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان وقال كسرى لسيرين ما أحسن هذا الملك لودام فقال لودام لاحد ما اتقل البنا ومر طارق الشرطيّ بابن ثبيرة في موكبه فقال

أراها وان كانت تحب فانها * مصابة صيف عن قليل تقشع

وجلس الاسكندر يومئذ فرفع اليه حاجته فقال لا أعد هذا اليوم من أيام ملكي وقال الجاحظ ليس شيء ألد ولا أأسر من عز الامر والنهي ومن الظفر بالاعداء ومن تقليد المن أعناق الرجال لان هذه الامور تصيب الروح وحظ الذهن وقصة الناس وقيل الملك خليفة الله في عباده وان يستقيم أمر خلافته مع مخالفته وقال الجاحج سلطان تخافه الرعية خبير من سلطان يخافها وقال أردشير لابنه يابن الملوك والذين اخوان لا غنى لاحدهما عن الآخر فالدين أس والمالك حارس ومالم يكن له اس فهدوم ومالم يكن له حارس فضايع قيل لما دنت وفاة هرمز وأمر أنه حامل عقد السلاج على بطنها وأمر الوزراء بتدبير المملكة حتى ولده ولد فملك وأغار العرب على نواحي فارس في صباه فلما أدرك ركب وانتخب من أهل النخدة فرسانا وأغار على العرب فاتهمهم بالقتل ثم خلع أكتاف سبعين ألفا وقيل له ذوالا كفاف وأمر العرب حينئذ بارتداء الشعور ولبس المصبغات وأن يسكنوا بيوت لشعر وأن لا يركبوا الخيل الاعراة * وقيل من أخلاق الملوك حب التنفرد كان أردشير اذا وضع السلاج على رأسه لم يضع أحد على رأسه قضيب ويحان واذا لبس حلة لم ير على أحد مثله واذا تختم بخاتم كان حراما على أهل المملكة أن يتختموا بمثله وكان سعيد بن العاص بمكة اذا اعتم لم يعتم أحد بمثل عمامته مادامت على رأسه وكان الجاحج اذا وضع على رأسه عمامة لم يجترأ أحد من خلق الله أن يدخل عليه بمثلها وكان عبد الملك اذا لبس الخف الاصفر لم يلبس أحد مثله حتى ينزعه وأخبرني من سافر الى اليمن أنه لا يأكل الاوز بهاء أحد غير الملك وقيل من حق الملك أن يفحص عن أسرار الرعية فخص المراجعة عن ابنها وكان أردشير متى شاء قال لا رفع أهل مملكته وأوضعهم كان عندك في هذه الليلة كبت وكبت حتى كان يقال يأتيه ملك من السماء وما ذاك الا تنفعه بوقته وكان علم عمر رضي الله عنه بن نأى عنه كعله بن بات معه على وساد واحد ولقد اقبني معاوية أثره وتعزف الى زياد رجل فقال أتعزف الى وأنا أعرف بك من أليك وأملك وأعرف هذا البرد الذي عليك ففرع الرجل حتى ارتعد من كلامه وعن بعض العباسيين قال كلمت المأمون رجه الله تعالى في امرأة خطبتها وسألته النظر اليها فقال يا أباة لان من قصتها وحليتها وفعالها وشأنها كبت وكبت فوالله ما زال يصفها ويصف أحوالها حتى أجهتني

(ومما جاء في طاعة ولاة أمور الاسلام)

أمر الله تعالى بذلك في كتابه العزيز على لسان نبيه الكريم فقال تعالى يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الامر منكم وروينا في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله الانصاري رضي الله عنه ما قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله واقام الصلاة وآتاه الزكاة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم وسئل كعب الاحبار عن السلطان فقال ظل الله في أرضه من ناصحه اهتدى ومن غشه ضل وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لا تسبوا السلطان فانه ظل الله في الارض به يقوم الحق ويظهر الدين وبه يدفع الله الظلم ويهلك الفاسقين وقال عمر بن عبد العزيز

لمؤدبه كيف كانت طاعتي لك قال أحسن طاعة قال فأطعني كما كنت أطيعك خذ من شاربك حتى تبد وشفتاك ومن ثوبك حتى تبد وعقبالك * وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع أمرى فقد أطاعني ومن عصى أمرى فقد عصاني وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالسمع والطاعة لولي الأمر ومناصحته ومحبه والدعاه ولو تتبع ذلك لطل الكلام لكن أعلم أرشدني الله وإياك الى الاتباع وجنبنا الزيف والابتداع أن من قواعد الشريعة المطهرة والملة الحنيفة المحزنة أن طاعة الأئمة فرض على كل الرعية وأن طاعة السلطان تؤلف شمل الدين وتنظم أمور المسلمين وأن عصيان السلطان يهدم أركان الملة وأن أرفع منازل السعادة طاعة السلطان وأن طاعته عصمة من كل قسنة وبطاعة السلطان تقام الحدود وتؤدى القروض وتحقق الدماء وتؤمن السبل وما أحسن ما قالت العلماء إن طاعة السلطان هدى لمن استضاء بنورها وإن الخارج عن طاعة السلطان منقطع العصمة يرى من الذمة وإن طاعة السلطان جبل الله المتين ويديه اقويم وإن الخروج منها خروج من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ومن غش السلطان ضل وزل ومن أخلص له المحبة والنصح حل من الدين والديناني أرفع محل وإن طاعة السلطان واجبة أمر الله تعالى بها في كتابه العظيم المنزل على نبيه الكريم وقد اقتصرنا من ذلك على ما أوردناه وكتفينا بما بيناه ونسأل الله تعالى أن يلهنا رشدنا وأن يعيذنا من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا وأن يصلح شأننا أنه قريب مجيب وحسبنا الله ونعم الوكيل صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الباب الخامس عشر فيما يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته)

(أما محبة السلطان) فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما قال لي أبي يابني اني أرى أمير المؤمنين يستخيلك ويستشيرك ويقدّمك على الأكابر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واني أرى ضيقك بخلال ثلاث لا تفشين له سرا ولا تجرين عليه كذبا ولا تغتابن عنده أحدا قال الشعبي رحمه الله تعالى قلت لابن عباس كل واحدة منهن خير من ألف فقال اي والله ومن عشرة آلاف وقال بعض الحكماء اذا زادك السلطان تأييدا فزده اجلالا واذا جعلك أخا فاجعله أبا واذا زادك احسانا فزده فعل العبد مع سيده ولذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فأخذوا في الثناء عليه فعليك بالدعاه ولا تنكسر في الدعاه عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة * وقال مسلم بن عمران خدّم السلطان لا تغتر بالسلطان اذا أدناك ولا تغير منه اذا أفصاك * وروى أن بعض الملوك استعجب حكيمًا فقال له أحبك على ثلاث خصال قال وما هن قال لاتبتهك لي سترًا ولا تشتم لي عرضًا ولا تقبل في قول قاتل حتى تستشيرني قال هذا لك فماذا لي عليك قال لا أفشي لك سرا ولا أذخر عنك نصيحة ولا أؤثر عليك أحدا قال نعم الصاحب للمستعجب أنت وقال بزرجمهر اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه في معصية خالفك فان احسانه اليك فوق احسان الملك وابقاعه بك أغلظ من ابقاعه * وقالوا اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا عن الناس

لقيام الهيبة فلا تترك الهيبة وان طال أنسك بهم تردد نغما * وقالوا لهم السلطان وكانك تتعلم منه وأشر عليه وكانك تستشيريه وإذا أحلك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويثق بك فأياك والدخول بينه وبين بطاته فانك لا تدري متى يتغير منك فيكونون عونا عليك وإياك أن تعادي من إذا شاء أن يطرح ثيابه ويدخل مع الملك في ثيابه فعل وفي الامثال القديمة أحذروا زمارة المخدّة وفيه قيل بيت مفرد

ليس الشفيع الذي يأتيك تترأ * مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا
وقال يحيى بن خالد إذا صحبت السلطان فدار مدراة المرأة العاقلة لصعبة الزوج الاحق * (وأما ما جاء في التحذير من حجة السلطان) * فقد اتفقت حكماء العرب والحجج على النهي عن حجة السلطان قال في كتاب كليله ودمنه ثلاثة لا يسلّم عليها الا القليل. ل حجة السلطان واتقان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة * وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر وأعظم منه خطرا من صحب السلطان وكان بعض الحكماء يقول أحق الامور بالثبث فيها أمور السلطان فان من صحب السلطان به يرعقل فقد لبس شعار الغرور * وفي حكم الهند حجة السلطان على ما فيه من العز والثرة عظيمة الخطر * وقيل للعنابي لم لا تعجب السلطان على ما فيك من الادب قال لا في رأيه يعطى عشرة آلاف في غير شي ويرى من السور في غير شي ولا يرى أي الرجلين أكون * وقال معاوية لرجل من قريش إياك والسلطان فانه بغضب غضب الصبي ويطش بطش الاسد * وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز يا ميمون احفظ عني أربعاً لا تعجب السلطان وان أمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ولا تتخلون بأمرأة وان أقرأتم القرآن ولا تصل من قطع رجه فانه لك أقطع ولا تتكلم بكلام اليوم تعتذر منه غدا * وكمرأيتنا وبلغنا من صحب السلطان من أهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه ففسده وبه فكان كما قيل

عدوى البلدي الى الجليل سريعة * والجري يوضع في الرماد فيخمده
ومثل من صحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقم حائطاً ما لا فاعده عليه ليقمه فخر الحائط عليه فأهلكه قال الشاعر

ومعاشرا السلطان شبه سفينة * في البحر ترجف دائماً من خوفه

ان أدخلت من مائه في جوفها * يغتالها مع ماها في جوفه

وفي كتاب كليله ودمنه لا يسعد من ابتلى بحجة الملوك فانهم لا عهد لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حميم ولا يرغبون فيك الا أن يطمعوا في ما عندك فيقتروك عند ذلك فاذا قضوا حاجتهم منك تركوك ورفضوك ولا ود للسلطان ولا اخاء والذنب عنده لا يغفر * وقالت الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسدي يخافه الناس وهو لمركوبه أخوف * وقال محمد بن واسع والله لسف التراب ولقضم العظم خيراً من الدق من أبواب السلاطين * وقال محمد بن السماك الذباب على العذرة خيراً من العابر على أبواب الملوك * وقيل من صحب السلطان قيل ان يتأذّب فقد غرر بنفسه * وقال ابن المعتز من شارك السلطان في عز الدنيا شاركه في ذل الاخرة وعنه اذا زادك السلطان تأيسوا وكراما فزده تهيبوا واحتشاماً * وقال أبو علي

الصفا في آيالك والملوك فإن من والاهم أخذوا ماله من عاداهم أخذوا رأسه وقيل مكتوب على باب قرية من قرى بلخ اسمها بارأوب الملوك تحتاج الى ثلاثة عقل وصبر ومال ويحتمه مكتوب كذب عدو الله من كان له واحد منها لم يقرب باب السلطان * وقال حسان بن ربيع الجيري لا تنقن بالملك فانه ملول ولا بالمرأة فانه خاؤون ولا بالداية فانه شامرد * وقال عبيد ابن عمير ما ازداد رجل من السلطان قريبا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت آتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثر ماله الا كثر حسابه وقال ابن المبارك رحمه الله

أرى الملوك بأدنى الدين قد قهوا * ولأراهم رضوا في العيش بالدون

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

وقال بعضهم في ولاية بني مروان

إذا ما قطعتم ليلكم بداركم * وأفتنقروا أيامكم ببنام

فمن ذا الذي يغشاكم في ملعة * ومن ذا الذي يغشاكم بسلام

رضيت من الدنيا بأيسر بلغة * بلتم غلام أو بشرب مدام

ولم تعلموا أن اللسان موكل * بمدح كرام أو بدم لشام

نمت الحكماء عن خدمة الملوك فقالوا ان الملوك يستعظمون في الثواب رذ الجواب ويستقلون في العقاب ضرب الرقاب * وقيل شر الملوك من أمه الجري وخافه البرى * والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب السادس عشر في ذكر الوزراء وصفاتهم وأحوالهم وما أشبه ذلك) *

قال الله تعالى حاكيا عن موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من أهلى فلو كان السلطان يستغنى عن الوزراء لكان أحق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران عليه السلام ثم ذكر حكمة الوزارة فقال الله أزرى وأشركه في أمري دلته هذه الآية على أن الوزارة تشدقواعد المملكة وأن يفوض اليه السلطان اذا استكمل فيه الخصال المحمودة ثم قال كفى نسجك كسيرا وذكر كفى كسيرا دلته هذه الآية على أن يصحبه العلماء والصالحين وأهل الخبرة والمعرفة تنظم أمور الدنيا والآخرة ويحتاج أشجع الناس الى السلاح وأفره الخيل الى السوط وأحد الشفار الى المسن كذلك يحتاج أجمل الملوك وأعظمهم وأعلمهم الى الوزير * وروى أبو سعيد الخدري رضى الله عنه قال ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطايتان بطايتاهما بال معروف وتخصه عليه وبطايتان تأمره بالشر وتخصه عليه والمعصوم من عصمه الله * وقال وهب بن منبه قال موسى لفرعون آمن ولك الجنة ولك الملك قال حتى أشاورها ما فشاورة في ذلك فقال له هانم بينا أنت اله تبعنا اذ صرت نعبد فأنت واستكبر وكان من أمره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج بن يزيد بن مسلم لا يألوه خبالا ولبس القراة شرقرين لشرخدين وأشرف منازل الأديبين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة * وفي الامثال نعم الظهير الوزير وأول ما يظهر نيل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله في انتخاب الوزراء واستنقاء المجلساء ومحادثة العقلاء فهذه ثلاث خلال

تدل على كماله وبهذه الخلال يجمل في الخلق ذكره وترسخ في النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه * وكان يقال حلية الملوك وزينتهم ووزراؤهم وفي كتاب كلبه ودمنه لا يصلح السلطان الا بالوزراء والاعوان * وقال شريح بن عبيد لم يكن في بني اسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم اذا رآه غضبان كتب اليه بخطاف في كل صحيفة ارحم المسكين واختر الموت واذا كرا لاخرة فكما غضب الملك ناو له الحكيم صحيفة حتى يسكن غضبه ومثل الملك الخبير والوزير السوء الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدتومنه كالماء الصافي فيه التماسيح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان ساجدا الى الماء محتاجا * ومثل السلطان كمثل الطبيب وممثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والاطباء فاذا كذب السفير بطل التدبير وكما ان السفير اذا اراد ان يقتل احدا من المرضى وصف للطبيب نقيض دائه فاذا سقاء الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك فمن ههنا شرط في الوزير ان يكون صدوقا في لسانه عدلا في دينه مأمونا في أخلاقه بصيرا بأمرور الرعية وتكون بطانة الوزير أيضا من أهل الامانة والبصيرة * وليحذر الملك أن يولي الوزارة لشيما فالتيه اذا ارتفع جنشا فأقاربه وأنكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل ودخل بعض الوزراء على بعض الخلفاء وكان الوزير من أهل العقل والادب فوجد عنده رجلا ذميا كان الخليفة يميل اليه ويقره فقال الوزير منشدا

يا ملكا طاعته لازمه * وجهه مقترض واجب
ان الذي شرفت من أجله * يزعم هذا انه كاذب

وأشار الى الذي قاسأه يا أمير المؤمنين عن ذلك فسأله فلم يجديدا من أن يقول هو صادق فاعترف بالاسلام وكان بعض الملوك قد كتب ثلاث رقاع وقال لوزيره اذا أتيت غضبان فادفع الى رقعة بعد رقعة وكان في الاولى انك لست بالله وانك ستموت وتعود الى التراب فبأكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض يرحك من في السماء وفي الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك ولما كانت أمور المملكة عائدة الى الوزراء وأزمة الملوك في أكف الوزراء سبق فيهم من العقلاء الممثل السائر فقالوا لانغتر بمودة الامير اذا غشك الوزير واذا أحبك الوزير فم ولا تحس الامير ومثل السلطان كالدراو الوزير بابها من أي الدار من بابها وبلغ ومن أناه من غير بابها الزعيم وموقع الوزارة من المملكة كوقع المرأة من البصر فكما أن من لم ينظر في المرأة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يعلم محاسن دولته وعيوبها ومن شروط الوزير أن يكون كثير الرحمة للخلق رؤفا بهم واعلم أنه ليس للوزير أن يكرم عن السلطان نصيحة وان استقلها وموضع الوزير من المملكة كموضع العينين من الرأس وكما أن المرأة لا تترك وجهك الا بصفا جواهرها وجودة صقلها ونقاها من الصدا كذلك السلطان لا يكمل أمره الا بجودة عقل الوزير وصحة فهمه ونقاء قلبه والله تعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

* (الباب السابع عشر في ذكر الحجاب والولاية وما فيها من القبر والخطر) *

(أما الحجاب) فقد قيل لاشئ أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب وقيل إذا سهل الحجاب اجمعت الرعية عن الظلم وإذا عظم الحجاب هجمت على الظلم * وقال ميون بن مهران كنت عند عمر بن عبد العزيز فقال لحاجبه من الباب فقال وجل أناخ ناقته إلا أن يزعم أنه ابن بلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن له أن يدخل فلما دخل قال حدثني أبي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولي شيئا من أمور المسلمين ثم سب عنه سببه حجه الله عنه يوم القيامة فقال عمر لحاجبه الزم بيتك فاروى على يابه بعد ذلك حاجب وكان خالد ابن عبد الله القسبري يقول لحاجبه إذا أخذت مجلسي فلا تنجس عني أحدا فان الوالي لا يجنب الا ثلاث عيب يكره أن يطلع عليه أحد أو ريبة يخاف منها أن تظهر أو يخل يكره معه أن يسأل شيئا * وكانت الهجم تقول لاشئ أضيع للمملكة من شدة حجاب الملك ولاشئ أهيب للرعية وأكف لهم عن الظلم من سهولته وقيل لبعض الحكماء ما المرح الذي لا يندمل قال حاجة الكرم الى التميم ثم رده بغير قضائها قيل فما الذي هو اشتد منه قال وقوف الشريف يسيب الدني ثم لا يؤذن له ووقف عبد الله بن العباس بن الحسن العلوي على باب المأمون يوما فنظر اليه الحاجب ثم أطرق فقال عبد الله لقوم معه أنه لو أذن لنان لدخلنا ولو صرفنا لانصرفنا ولو اعتذر اينا قبلنا وأما النظرة بعد النظرة والتوقف بعد التعريف فلا فمهم معناه ثم تنثل بهذا البيت

وما عن رضى كان الجار مطبى * ولكن من عشى سعى بماركب
ثم انصرف فبلغ ذلك المأمون فضرب الحاجب ضربا شديدا وأمر لعبد الله بصلته بجزيلة وعشر دواب قال الشاعر

رأيت أناسا يسرعون تبادرا * إذا فتح البواب يابك اصعبا
وتحن جالوسا كتون رزانه * وحلما الى أن يفتح الباب أجمعا
ووقف رجل خراساني ياب ابي دلف الجبلي حينما لم يؤذن له فكتب رقعة وتلطف في وصولها اليه وفيها

إذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على التميم
فأجابه أبو دلف بقوله

إذا كان الكريم قليل مال * ولم يعذر نعل بالحجاب
وابواب المسولة محجبات * فلا تستنكرن حجاب بابي
ومن محاسن النظم في ذم الاحتجاب قول بعضهم

سأهجركم حتى يلين حجابكم * على أنه لا بد سوف يلين
خذوا حذركم من صفوة الدهرانها * وان لم تكن خانت فسوف تخون
وقال آخر

ماذا على بواب داركم الذي * لم يعطنا اذنا ولا يستأذن
لوردة ناردا جبالا عنكم * او كان يدفع بالتي هي أحسن

وقال آخر

أمرت بالتسهيل في الأذن لي * ولم ير الحاجب أن يأذنا
فلن تراني بعدها عائدا * ولن ترأه بعد مستأذنا

وقال آخر

ولقد رأيت يباب دارك جفوة * فير الحسن صنيعك التكدير
ما بال دارك حين تدخل جنة * ويباب دارك منكرو فكبر

وقال آخر

إذا حيت ألتى عند بابك حاجبا * محيا من فسرط الجهالة حالك
ومن عجب مغناك جنة قاصد * وحاجبها من دون رضوان مالك

وقال آخر

سأترك بابا أنت تملك أذنه * ولو كنت اعشى عن جميع المسالك
فلو كنت بواب الجنان تركتها * وحولت رجلى مسرعا نحو مالك

وقال آخر

ماذا يفيدك أن تكون عجيبا * والعبد بالباب الكريم يلوذ
ما أنت إلا في الحصار معي فلا * تنعب فكل محاصر مأخوذ

وقال أبو تمام

سأترك هذا الباب مادام أذنه * على ما أرى حتى يلين قليلا
فحاجب من لم يانه متعمدا * ولا فاز من قد نال منه وصولا

إذا لم نجد للأذن عندك موضعا * وجدنا إلى ترك المحجى سبيلا

واستأذن رجل على أمير فقال للحاجب قل له إن الكرى قد خطب إلى تقسى وانما هي
هجمة وأهب فخرج الحاجب فقال له الرجل ما الذي قال لك قال ككلاما لا أفهمه وهو
يريد أن لا ياذن لك وقال على بن أبي طالب رضي الله عنه انما مهمل فرعون مع دعواه
الالوهية لسهولة أذنه وبذل طعامه وقال عمرو بن مرة الجهني لما يؤيه سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من أمير يغلق بابه دون ذوى الحاجة والخلعة والمستثله إلا أغلق
الله أبواب السموات دون حاجته وخلته ومستثله وجاء النابى الشاعر لبعض الأمراء
فحجبه فقال

سأصبران جفوت فكم صبرنا * لمثلك من أمير أو وزير
وجونا هم فلما اخلقونا * تمادت فيهم غير الدهور
فتننا بالسلامة وهي غنم * وباتوا في المحاسن والقبور
ولما لم تنل منهم سرورا * رأينا فيهم كل السرور

وأنشدوا في ذلك أيضا

قل للذين تحجبوا عن راغب * بمنازل من دونها الحجاب
إن حال عن لقياكم بوابكم * قاله ليس لبابه بواب

واستأذن سعد بن مالك على معاوية فخبجه فنهتف بالبكاء فأقنى إليه الناس وفيهم كعب فقال ومايكليك يا سعد فقال وما لي إلا بكى وقد ذهب الاعلام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعاوية يلعب بهذه الامة فقال كعب لا تبك فان في الجنة قصر امن ذهب يقال له عدن أهله الصديقون والشهداء وأنا أرجو أن تكون من أهله * واستأذن بعضهم على خليفة كريم وساجبه لثيم فخبجه فقال

في كل يوم لي بياك وقصة * اطوى اليه سائر الابواب
واذا حضرت رغبته عنك فانه * ذنب عقوبته على البواب

(وأما ذكر الولايات وما فيها من الخطر العظيم) فقد قال الله تعالى لداود عليه السلام يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب جاء في التفسير ان من اتباع الهوى أن يحضر الخصمان بين يديك فتود أن يكون الحق للذي في قلبك خبجه خاصة وبهذا سلب سليمان بن داود ملكه قال ابن عباس رضي الله عنهما كان الذي أصاب سليمان ابن داود وعليهما السلام أن ناسا من أهل جرادة امرأته وكانت من أكرم نسائه عليه فحاكوا اليه مع غيرهم فأحب أن يكون الحق لاهل جرادة فيقضى لهم فوقع بسبب ذلك حيث لم يكن هو اه فيه واحدا وروى عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسأل الامارة فانك ان اعطيتهما من غير مسئلة أعنت عليهما وان اعطيتهما عن مسئلة وكلت اليها وقال معقل بن يسار رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يسئره الله رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة وفي الحديث من ولي من أمور المسلمين شيئا لم يحطهم بنصيحة كما يحوط أهل بيته فليتبوأ مقعده من النار وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى عاصم يستعمله على الصدقة فابى وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيامة يؤتى بالوالى فيقف على جسر جهنم فيأمر الله تعالى الجسر فينقض انتفاضة فيزول كل عضو منه عن مكانه ثم يأمر الله تعالى بالعظام فترجع الى أمائها فان كان لله مطيعا أخذ بيده وأعطاه كفلين من رجنه وان كان قه عاصيا انخرقه الجسر فهوى به في نار جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر رضي الله عنه سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم ما لم أسمع قال نعم وكان سلمان وأبوذر حاضرين فقال سلمان أي والله يا عمر ومع السبعين سبعون خريفا في واد يلتهب الهم باق ضرب عمر رضي الله عنه بيده على جبهته وقال انا لله وانا اليه راجعون من يأخذ هابما فيها فقال سلمان من أرغم الله انقه وألصق خذته بالارض * وروى أبو داود في السنن قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أبي عريف على الماء واني أسألك أن تجعل لي العرافة من بعده فقال النبي عليه الصلاة والسلام العرافاء في النار * وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أشد الناس عذابا يوم القيامة الامام الجائر * وقالت عائشة رضي الله عنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى من شدة الحساب

ما يؤد أنه لم يقض بين اثنين في غمرة. وقال الحسن البصري ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن ممره يستعمله فقال يا رسول الله خذني فقال اقم عندني بشك وقال أبو هريرة رضي الله عنه ما من أمير يؤمر على عشرة إلا جئ به يوم القيامة مغلولاً أتجابه له أو أهلكه وقال طاوس لسليمان بن عبد الملك هل تدري يا أمير المؤمنين من أشد الناس عذاباً يوم القيامة قال سليمان قل فقال طاوس أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشرك الله في ملكه بخار في حكمه فاستلقى سليمان على سريره وهو يبكي فما زال يبكي حتى قام عنه جلساؤه وقال ابن سيرين جاء صبيان إلى أبي عبيدة السلماني يتغيرون إليه في ألواحهم فلم ينظر إليهم وقال هذا حكم لا أتولى حكماً أبداً وقال أبو بكر بن أبي مريم حج قوم فمات صاحب لهم بأرض فلاة فلم يجدوا ماء فأتاهم رجل فقالوا له دلنا على الماء فقال احلقوا لي ثلاثاً وثلاثين عيماً فإنه لم يكن صراً فافلوا مكاساً ولا عريفاً وبروى ولا عراً فاولوا بريداً وأنا أدلكم على الماء فحلقوا له ثلاثاً وثلاثين عيماً كما قال فدلهم على الماء فقالوا له أعنا على غسله فقال لا حتى تحلقوا لي ثلاثاً وثلاثين عيماً كما تقدم فحلقوا له فأعناهم على غسله ثم قالوا له تقدم فصل عليه فقال لا حتى تحلقوا لي ثلاثاً وثلاثين عيماً كما تقدم فحلقوا له فصل عليه ثم التفتوا فلم يجدوا أحداً فكلوا يرون أنه انقضض عليه السلام وقال أبو ذر رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أبا ذر اني أحب لك ما أحب لنفسى وانى أرا لك ضعيفاً فلا تكثر على اثنين ولا تلبس مال يقيم * ومن غريب ما اتفق وعجيب ما سبق ما حكى أن ملكاً من ملوك الفرس يقال له أردشير وكان ذا مملكة متسعة وجند كثير وكان ذا بأس شديد قد وصف له بنت ملك بجزيرة أردن بالجمال البارع وأن هذه البنت بذكر ذات خدر فسير أردشير يخطبها من أيها فامتنع من إجابته ولم يرض بذلك فعظم ذلك على أردشير وأقسم بالإيمان المغلظة ليغزو الملك أبا البنت وليقتله هو وابنته ثم قتله وليثنت بهما أخبث مثله فسار إليه أردشير في جيوشه فقاتله فقتله أردشير وقتل سائر خواصه ثم سأل عن ابنته المخطوبة فبرزت إليه جارية من القصر من أجل النساء وكل البنات حسنات وجالا وقد أوعتدالا فبهت أردشير من رؤيته إياها فقالت له أيها الملك اني ابنة الملك القلاني ملك المدينة القلانية وان الملك الذي قتله أنت قد غزا بلدنا وقتل أبي وقتل سائر أصحابه قبل أن تقتله أنت وأنه أسرى في جلة الاسارى وأتى به في هذا القصر فلما رأني ابنته التي أرسلت تخطبها أحببتني وسألت أباها أن يتركني عندها لتأمر بي فتركتني لها فكنيت أما وهي كانت أرواحاً في جسد واحد فلما أرسلت تخطبها خاف أبوها عليها منك فأرسلها إلي بعض الجزائر في البحر الملح عند بعض أقارب من الملوك فقال أردشير وددت لو أني ظفرت بها فكنيت أقتلها ثم قتله ثم تأمل الجارية فراها فاتقة في الجمال فحالت نفسه إليها فأخذها للتسرى وقال هذه أجنبية من الملك ولا أحت في عيبي بأخذها ثم أنه واقعها وأزال به كارتها فحملت منه فلما ظهر عليها الحمل اتفق أنها تحدث معه يوماً وقد رآته منشراح الصدر فقالت له أنت غلبت أبي وأنا غلبتك فقال لها ومن أبوك فقالت له هو ملك بجزيرة أردن وأنا ابنته التي خطبتها مني وسمعت أنك أقسمت لتقتلني فحملت عليك بما سمعت والآن هذا ولدك في بطني فلا تهيأ لك

قتلى فعظم ذلك على أردشير إذ قهرته امرأة وتبعته عليه حتى تخلصت من يديه فأتته
وخرج من عندها مغضبا وعول على قتلها ثم ذكر لوزيريه ما اتفق له معها فلما رأى
الوزير عزمه قويا على قتلها خشي أن تتحدث الملوكة عنه بمثل هذا وأنه لا يقبل فيها
شفاعة شافع فقال أيها الملك ان الرأي هو الذى خطر لك والمصلحة هي التى رأيتها أنت
وقتل هذه الجارية فى هذا الوقت أولى وهو عين الصواب لانه أحق من أن يقال
ان امرأته قهرت رأى الملك وحنته فى عينه لاجل شهوة النفس ثم قال أيها الملك ان
صورتها مرحومة وجعل الملك معها وهي أولى بالستر ولا أرى فى قتلها أستروا أهون عليها
من العرق فقد لى الملك نعم ما رأيت خذها غرقها فأخذها الوزير ثم خرج بها ليلا الى بحر
الاردن ومعه ضوء ورجال وأعوان فحبل الى أن طرح شيئا فى البحر وأهم من كان معه
انهم الجارية ثم انه أخفاها عنده فلما أصبح جاء الى الملك فأخبره انه غرقها فشكره على ما فعل
ثم ان الوزير ناول الملك حقا محتموما وقال أيها الملك انى نظرت مولدى قرأت أجلى قد دنا
على ما يقتضيه حساب حكماء القرس فى النجوم وان لى أولادا وعندى مال قد ادخرته من
نعمتك نخذه اذا أتت ان رأيت وهذا الحق فيه جوهر أسأل الملك أن يقسمه بين أولادى
بالسوية فانه ارثى الذى قد ورثته من أبى وليس عندى شئ اكتسبته منه الا هذا
الجوهر فقال له الملك بطول الرب فى عمرك ومالك لا ولادك سواء كنت حيا وميتا فألح
عليه الوزير أن يجعل الحق عنده ودبعة فأخذ الملك وأودعه عنده فى صندوق ثم مضى أشهر
بجارية فوضعت ولدا ذكر اجميلا حسن الخلقة مثل قلقة القمر فلاحظ الوزير جانب الادب
فى تسميته فرأى انه ان اخترع له اسما وسماه به وظهر لوالده بعد ذلك فيكون قد أساء الادب
وان هو تركه بلا اسم لم يتهيا لذلك فسماه شاه بور ومعنى شاه بور بالفارسية ابن ملك فان شاه
ملك وبور ابن ولغتهم مبنية على تأخير المتقدم وتقديم المتأخر وهذه تسمية ليس فيها مؤاخذة
ولم يرل الوزير بلاطف الجارية والولاد الى أن بلغ الولد حدة التعليم فعلم كل ما يصلح لأولاد
الملوك من الخط والحكمة والفروسية وهو يوههم انه مملوك له اسمه شاه بور الى أن راهق
البوغ هذا كله وأردشير ليس له واد وقد طعن فى السن وأقعده الهرم فرض وأشرف على
الموت فقال للوزير أيها الوزير قد هرم جسمى وضعفت قوى وانى أرى أنى ميت لا محالة
وهذا الملك يأخذ من بعدى من قضى له به فقال الوزير لوشاء الله أن يكون للملك ولد
كان قد ولى بعده الملك ثم ذكره بأمر بنت ملك بحر الاردن وبجملتها فقال الملك لقد ندمت على
تفريقها ولو كنت أبقيتها حتى تضع فلعل حملها يكون ذكرا فلما شاهد الوزير من الملك الرضى
قال أيها الملك انه عندى حنة ولقد وضعت ولدا ذكرا من أحسن الغلمان خلقا وخلقا فقال
الملك أحق ما تقول فأقسم الوزير أن نعم ثم قال أيها الملك ان فى الولد روحانية تشهد بأبوة الاب
وفى الود روحانية تشهد ببنوة الابن لا يكاد ذلك ينحرم أبدا وانى آتى بهذا الغلام بين عشرين
غلاما فى سنه وهيته ولباسه وكلهم ذو آباء معروفين خلاه وانى أعطي كل واحد منهم
صوبنا وكرة وأمرهم أن يلعبوا بين يديك فى مجلسك هذا ويتأمل الملك صورهم وخلقتهم
وشما ثلهم فكل من مالت اليه نفسه وروحانيته فهو هو فقال الملك نعم التدبير الذى قلت

فأحضرهم الوزير على هذه الصورة ولعبوا بين يدي الملك فكان الصبي منهم إذا ضرب الكرة وقربت من مجلس الملك تمنعه الهيبة أن يتقدم ليأخذها إلا شاه بور فإنه كان إذا ضربها وجاءت عندهم تبة أيه تقدم فأخذها ولا تأخذه الهيبة منه فلا حظ أردشير ذلك منه مرارا فقال له أيها الغلام ما اسمك قال شاه بور فقال له صدقت أنت ابني سقنم صم البه وقبله بين عيني فقال له الوزير هذا هو ابنك أيها الملك ثم أحضر بقية الصبيان ومعهم عدول فأنبت لكل صبي منهم والدا بحضرة الملك فتحقق الصدق في ذلك ثم جاءت الجارية وقد تضاعف حسنها وجمالها فقبلت يد الملك فرضى عنها فقال الوزير أيها الملك قد دعت الضرورة في هذا الوقت إلى إحضار الحق المختوم فأمر الملك بإحضاره ثم أخذ الوزير وفك ختمه وفتحها فإذا فيه ذكر الوزير وأتياه مقطوعة مصانة فيه من قبل أن يتسلم الجارية من الملك وأحضر عدولا من الحكماء وهم الذين كانوا يفعلوا به ذلك فشهدوا عنه الملك بأن هذا الفعل فعلناه به من قبل أن يتسلم الجارية بلبلة واحدة قال فدعش الملك أردشير وبهت لما أبداه هذا الوزير من قوة النفس في الخدمة وشدة مناصحته فزاد سروه وتضاعف فرحه لصيانة الجارية وثبات نسب الولد ولحوقه به ثم إن الملك عوفى من مرضه الذي كان به وصرح جسمه ولم يزل يتقلب في نعمه وهو سرور بأنه إلى أن حضرته الوفاة ورجع الملك إلى ابنه شاه بور بعد موت أبيه وصار ذلك الوزير يخدم ابن الملك أردشير وشاه بور ويحفظ مقامه ويرعى منزلته حتى توفاه الله تعالى والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

الباب الثامن عشر فيما جاء في القضاء وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق بالديون وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول

(الفصل الأول فيما جاء في القضاء وذكر القضاة وأحوالهم وما يجب عليهم) قال الله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وقال تعالى فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وقال تعالى ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حكم بين اثنين تماكأ إليه وارتضاه فلم يقض بينهما بالحق فعليه لعنة الله * وعن أبي حازم قال دخل عمر على أبي بكر رضوان الله عليه ما فسلم عليه فلم يرده عليه فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف أخاف أن يكون وجد على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم عبد الرحمن أبا بكر فقال أثنى وبين يدي خصمان قد فترغت إلهما قلبي وسمعي وبصري وعلت أن الله سألني عنهما وبعثاهما لا قلت * وأدعي رجل على علي عند عمر رضي الله عنهما وعلى جالس فالتفت عمر إليه وقال يا أبا الحسن قم فاجلس مع خصمك فقام جلس مع خصمه فساظرا وانصرف الرجل ورجع على إلى مجلسه فبين عمر التغير في وجهه على فقال يا أبا الحسن مالي أراك متغيرا أكره ما كان قال نعم قال وما ذلك قال كنتي بحضرة خصمي هل لا قلت يا علي قم فاجلس مع

خصلكم فاخذ عمر برأس علي رضي الله عنهما فقبله بين عيني ثم قال بأبي انتم بكم هذا أنا الله وبكم اخرجنا من الظلمات الى النور وعن أبي حنيفة رضي الله عنه القاضي كالغريق في البحر الا خضر الى متى يسبح وان كان سابجا وأراد عمرو بن هبيرة أن يولي ابا حنيفة القضاء فأبى فخلع ليضربه بالسباط وليسجنه فضر به حتى انتفخ وجهه أبي حنيفة ورأسه من الضرب فقال الضرب بالسباط في الدنيا أهون علي من الضرب بمقامع الحديد في الآخرة وعن عبد الملك بن عمر عن رجل من أهل العين قال أقبل سليل بالعين في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فكشف عن باب مغلق فظنناه كنزا فكبتنا الى أبي بكر رضي الله تعالى عنه فكتب اليه لا تحركوه حتى يقدم اليكم كافي ثم فتح فاذا برجل على سرير عليه سبعون حلة منسوجة بالذهب وفي يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان

اذا خان الامير وكاتباه * وقاضى الارض داهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل * لقاضى الارض من قاضى السماء

واذا عند رأسه سيف أشد خضرة من البقلة مكتوب عليه هذا سيف عاد بن ارم وعن ابن أبي أوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله مع القاضي ما لم يجز فاذا جاز يرى الله عنه ولزمه الشيطان وقال محمد بن حريث بلغني أن نصير بن علي راودوه على القضاء بالبصرة واجتمع الناس اليه فكان لا يجيبهم فلما أطوا عليه دخل بيته ونام على ظهره وألقى ملاقة على وجهه وقال اللهم ان كنت تعلم اني لهذا الامر كاره فاقبضني اليك فقبض وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم القضاء جسور للناس يمزون على ظهورهم يوم القيامة وقال حفص بن غياث لرجل كان يسأله عن مسائل القضاء لعلك تريد أن تكون قاضيا لا يدخل الرجل اصبعه في عينيه فيقلعهما ويرمي بهما خيره من أن يكون قاضيا * وقيل أول من أظهر الجور من القضاة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان أمير البصرة وقاضيا فيها وكان يقول ان الرجلين يتقدما الى فأجد أحدهما أخف على قلبي من الآخر فاقضى له وتقدم المأمون بن يزيد القاضي يحيى بن اكنم مع رجل ادعى عليه ثلاثين ألف دينار فطرح المأمون مصلي يجلس عليه فقال له يحيى لا تأخذ علي خصلك شرف المجلس ولم يكن للرجل ينة فأراد أن يحلف المأمون فدفع اليه المأمون ثلاثين ألف دينار وقال والله ما دفعت لك هذا المال الا خشية أن تقول العامة اني تناولت من جهة القدرة ثم أمر ليحيى بمال وأجر عطاءه * وقدم خادم من وجوه خدم المعتض بالله الى أبي يوسف ابن يعقوب في حكمه فارفع الخادم على خصره في المجلس فزجره الحاجب عن ذلك فلم يقبل فقال أبو يوسف قم أنوهم أن تقف بمساواة خصلك في المجلس فقتنع باغلام اتنى يعمر بن أبي عمرو النخاس فأنه ان قدم علي الساعة أمرته ببيع هذا العبد وجعل ثمنه الى أمير المؤمنين ثم ان الحاجب أخذ يديه حتى أقومته بمساواة خصره فلما انقضى الحكم رجع الخادم الى المعتض وبكى بين يديه وأخبره بالقصة فقال له لو باعك لا تجز بيعه ولم أر ذلك الى ملكي فليست منزلة عندى تزن رتبة المساواة بين الخصمين في الحكم فان ذلك عمود السلطان وقوام الاديان والله تعالى أعلم وقال الأبرش العكلى يمدح بعض القضاة

رفضت وعطلت الحكومة قبله * في آخرين وملها وأواضها
حتى اذا ما قام الف بينها * بالحق حتى جعت أوقاضها

وفي ضد ذلك قول بعضهم

أبكي وأندب مله الاسلام * اذ صرت تقعد مع تعدد الحكام
ان الحوادث ما علمت كثيرة * وأراك البعض حوادث الأيام

وتقدمت امرأة الى قاض فقال لها يا معك شهودك فسكتت فقال كاتبه ان القاضي يقول لك
جاء شهودك معك قالت نعم هلا قلت مثل ما قال كاتبك كبير سنك وقل عفاك وعظمت لحيتك
حتى غطت على لبك ما رأيت ميتا يقضى بين الاحياء غيرك وقيل المضروب بهم المثل
في الجهل وتحرير الاحكام قاضى منى وقاضى كسكر وقاضى أيدج وهو الذى قال فيه
ابو احمق الصابي

يارب عالج عالج * مثل البعير الا هو ج
رأيت مطلقا * من خلف باب مرج
وخلفه عذبة * تذهب طورا وتجي
فقلت من هذا ترى * فقيل قاضى أيدج

وقاضى شلبة وهو الذى قال فيه أبو الحسن الجوهري

وأنت رأسا كذبه * وحية كالمذبه
فقلت من أنت قل لي * فقال قاضى شلبة

وتقدمت امرأتان الى الشعبي فادعت عنده فقضى لهما فقال هذيل الاثمجي

* فتن الشعبي لما * رفع الطرف اليها
* فتنه بينان * كيف لورا معصمها
ومشت مشيا رويدا * ثم هزت منكبيها
فقضى جوارا على الخصم * ولم يقض عليها

فتناشدها الناس وتداولوها حتى بلغت الشعبي فضرب الاثمجي ثلاثين سوطا وحكى ابن
أبي ليلى قال انصرف الشعبي يوما من مجلس القضاء ونحن معه فخرنا بخادمة تغسل الثياب
وهي تقول فتن الشعبي لما فتن الشعبي لما ولم تعرف بقية البيت فلقنها الشعبي وقال رفع الطرف
اليها ثم قال أبعد الله اما انما قضيت الابالحق وأنشد بعضهم في أمين الحكم

تتلاقن اذا مشيت تخشعا * حتى تصيب ودعة ليتيم

(الفصل الثاني في الرشوة والهدية على الحكماء وما جاء في الديون) أما الرشوة فقد روى
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله الراشي والمرتشى وقال عمر بن الخطاب رضي
الله عنه لا تولوا اليهود ولا النصارى فانهم يقبلون الرشا ولا يحل في دين الله الرش قال
الشهيدى واحبنا اليوم اقبل الرشامنهم وفي نوايح الحكم ان البراطيل تنصر الاباطيل
وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال من شفع شفاعا ليرتبها حقاً ويدفع بها ظمأ فاهدى له

فقبل فذلك السحت فقبل له ما كثرى السحت الا الاخذ على الحكم قال الاخذ على الحكم كفر
وأشدد المبرد رجه الله تعالى

وكت اذا خاصمت خصما كيبته * على الوجه حق خاصمتي الدراهم
فلما تنازعنا الحكومة غلبت * على وقالت قسم فانك ظالم
(واما الدين وما جاء فيه نعوذ بالله من غلبة الدين وقهر الرجال)

فقد روى عن أبي امامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من تداين بدين
وفى نفسه وفاؤه ثم مات تجاوز الله عنه وأرضى غريمه بما شاء ومن تداين بدين وليس في
نفسه وفاؤه ثم مات اقتصر الله لغريمه منه يوم القيامة رواء الحياكم وروى عن علي بن أبي
طالب رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أتى له بجنابة لم يسأل عن شيء
من عمل الرجل ويسأل عن دينه فان قبل عليه دين كفى عن الصلاة عليه وان قبل ليس عليه
دين صلى الله عليه فأتى بجنابة فلما قام ليكبّر سأل صلى الله عليه وسلم هل على صاحبكم من دين
فقالوا لا يسارن يا رسول الله فعذر النبي صلى الله عليه وسلم عنه وقال صلوا على صاحبكم
فقال علي كرم الله وجهه هما علي يا رسول الله وهو يرى ممنهما اقتدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم فصلى عليه ثم قال لعلي رضى الله عنه جزأ الله عنه خيرا فلك الله رهانك كما
فككت رهان أخيك انه ليس من ميت يموت وعليه دين الا وهو صرتهن بدينه ومن فك
رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة وقال بهض الحكماء الدين هم بالليل وذلل بالنهار وهو
غل جعله الله في أرضه فاذا أراد الله أن يذل عبدا جعله طوقا في عنقه وجاء سعد بن أبي
وقاص رضى الله عنه يتقاضى دينه على رجل فقالوا اخرج الى الغزو فقال اشهد أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال لو أن رجلا قتل في سبيل الله ثم أحيى ثم قتل لم يدخل الجنة حتى
يقضى دينه وعن الزهري قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى على أحد عليه
دين ثم قال بعد أنا اولي بالموءنين من أنفسهم من مات وعليه دين فعلى قضاءه ثم صلى عليهم
وعن جابر لاهم الاهم الدين ولا ورجع الا ورجع العيين وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال من تزوج امرأة بصدق ينوى أن لا يؤدبه اليها فهو زان ومن
استمدان دينيا ينوى أن لا يقضيه فهو سارق وقال حبيب بن ثابت ما احتجت الى شيء
أستقرضه الا استقرضته من نفسي أراد أنه يصبر الى أن تمكن الميسرة ونظيره قول
القائل

واذا غلاشي على تركته * فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم أيضا

لقد كان القريض همير قلبي * فألهتني القروض عن القريض

وقال غيلان بن مرة التميمي

واني لأقضي الدين بالدين بعدما - يرى طالبي بالدين أن لست فاضيا

فأجابه ثعلبة بن عمار

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن ذال لغرم على غرم

واستقرض الاصحى من خليل له فقال حبا وكرامة ولكن سكن قلبي برهن يساوى ضعف ما طلبه فقال يا ابا سعيد ما تشي بي قال بلى وان خليل الله كان واثقا بربه وقد قال له ولكن ليطمئن قلبي اللهم آوف عبادك الدين بالميسرة ودين الآخرة بالمغفرة برحمتك يا ارحم الراحمين

(الفصل الثالث في ذكر القصاص والمتصوفة وما جاء في الرياء ونحو ذلك)

(أما ما جاء في ذكر القصاص والمتصوفة)

فقد روى عن خباب بن الارت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني اسرايل لما قصوا هلكوا وروى أن كعبا كان يقص فلما سمع الحديث ترك القصاص وقال ابن عمر رضي الله عنهما لم يقص أحد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عهد أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وانما كان القصاص حين كانت الفتنة وقال ابن المبارك سألت الثوري عن الناس قال العلماء قلت في الاشراف قال المتقون قلت في المبالغة قال الزهاد قلت في الغوغاء قال القصاص الذين يستأصلون أموال الناس بالكلام قلت في السفهاء قال الظلمة * قيل وهب رجل نقاص خائفا بلا فقص فقال وهب الله لك في الجنة غرفة بلا سقف وقال قيس ابن جبر النهمشلي الصعقة التي عند القصاص من الشيطان وقيل لعائشة رضي الله عنها ان اقواما اذا سمعوا القرآن صعقوا فقالت القرآن أكبر وأعظم من أن تذهب منه عقول الرجال * وسئل ابن سيرين عن اقوام يصعقون عند سماع القرآن فقال ميعاد ما بيننا وبينهم أن يجلسوا على حائط فيقرأ عليهم القرآن من أوله الى آخره فان صعقوا فهو كما قالوا * وكان يبر وقاص يبكي بواغظه فاذا طال مجلسه بالبكاء أخرج من كه ظنبورا صغيرا فيحركه ويقول مع هذا الغم الطويل يحتاج الى فرح ساعة * وقال بعضهم قلت لصوفي بعني جبتك فقال اذا باع الصياد شبكتك فباي شيء يصيد * وسئل بعض العلماء عن المتصوفة فقال أكلة رقصه * وعظ عيسى عليه السلام بني اسرايل فأقبلوا يزقون الثياب فقال ما ذنب الثياب أقبلوا على القلوب فعاتبوا

(وأما ما جاء في الرياء)

فقد قال الله تعالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ احذر أن يرى عليك آثار الحسين وأنت تخلو من ذلك فتخشم مع المرائين وقيل لو أن رجلا عمل عملا من البر فبكته ثم احب أن يعلم الناس انه كتمه فهو من أقبح الرياء وقيل كل ورع يجب صاحبه أن يعلمه غير الله فليس من الله في شيء وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك الا الصغير قالوا ما الشرك الا الصغير يا رسول الله قال الرياء وقيل بينما عابد يشي ومعه غمامة على رأسه تظله فجاء رجل يريد أن يستظل معه فغضه وقال ان أقيت معي لم يعلم الناس أن الغمامة تظلي فقال له الرجل قد علم الناس أنني لست بمن تظله الغمامة فقولها الله تعالى الى ذلك الرجل وقال عبد الاعلى السلمي يوما للناس يزعمون أنني مرء وكنت أمس والله صائما ولا أخبرتك بذلك

أحد الله صلح فساد قلوبنا واسترفضا تخنا برجتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع عشر في العدل والاحسان والانصاف وغير ذلك)

اعلم أرشدك الله أن الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه وتعالى أنه ليس كل النفوس تصلح على العدل بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال تعالى إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتا ذى القربى الآية فلو وسع الخلائق العدل ما قرن الله به الاحسان والعدل ميزان الله تعالى في الارض الذى يؤخذ به للضعيف من القوى والمحق من المبطل واعلم أن عدل الملك يوجب محبته وجوبه يوجب الافتراق عنه وأفضل الازمنة أيام العدل وروينا من طريق أبي نعيم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمل الامام العادل في رعيته يوما واحدا أفضل من عمل العابدين أهل مائة عام وخمسين عاما وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة وروينا في سنن أبي داود من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يقطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السماء وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال لكعب الاحبار أخبرني عن جنة عدن قال يا أمير المؤمنين لا يسكنها الا نبي أو صديق أو شهيد أو امام عادل فقال عمر والله ما أنا نبي وقد صدقت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الامام العادل فاني ارجو أن لا أجور وأما الشهادة فاني لى بها قال الحسن فجعله الله صديقا شهيدا حاكما عدلا وسأل الاسكندر حكام أهل بابل أيما يبلغ عندكم الشجاعة أو العدل قالوا اذا استعملنا العدل استغنيانا به عن الشجاعة ويقال عدل السلطان أنفع من خصب الزمان وقيل اذا رغب السلطان عن العدل رغب الرعية عن طاعته وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز يرضى الله عنه يشكو انه من خراب مدينته ويسأله ما لا يرمها به فكتب اليه عمر قد فهمت كتابك فاذا قرأت كتابي فحسن مدينتك بالعدل ونق طرقها من الظلم فإنه مرمرتها والسلام ويقال ان الحاصل من خراج سواد العراق في زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان مائة ألف ألف وسبعة وثلاثين ألف ألف فلم يزل ينقص حتى صار في زمن الحجاج ثمانية عشر ألف ألف فلما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ارتفع في السنة الاولى الى ثلاثين ألف ألف وفي الثانية الى ستمين ألف ألف وقيل أكثر وقال ان عشت لا بلغنه الى ما كان في أيام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فمات في تلك السنة ومن كلام كسرى لملك الابلانجند ولا جند الا بالمال ولا مال الا بالبلاد ولا بلاد الا بالرجال ولا رجال الا بالعدل * ولما مات سلمة بن سعيد كان عليه ديون للناس ولا أمير المؤمنين المنصور فكتب المنصور لعامله استوف لا أمير المؤمنين حقه ووزق ما بيني وبين الغرما فلم يلتفت الى كتابه وضرب للمنصور ربهم من المال كما ضرب لا أحد الغرما ثم كتب للمنصور اني رأيت أمير المؤمنين كأحد الغرما فكتب اليه المنصور ملئت الارض بك عدلا * وكان أحمد بن طولون والى مصر

محبيا بالعدل مع تجبره وسفكه لادماء وكان يجلس للمظالم وينصف المظلوم من الظالم
 (حكى) أن ولده العباس استدعى بغنية وهو يصطحب يوما فلقيا ببعض صالحي مصر ومعها
 غلام يحمل عودا فكسره فدخل العباس اليه واخبره بذلك فأمر باحضار ذلك الرجل
 الصالح فلما حضر اليه قال أنت الذي كسرت العود قال نعم قال أفعلت لمن هو قال نعم هو
 لابنك العباس قال أنما أكرمه لي فقال أكرمه لك بمعصية الله عز وجل والله تعالى يقول
 والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ورسول
 الله صلى الله عليه وسلم يقول لأطاعة لخلق في معصية الخالق فأتى طرق أحد بن طولون عند
 ذلك ثم قال كل منكر رأيته فغيره وأمان ورائك * ووقف به ودى لعبد الملك بن مروان
 فقال يا أمير المؤمنين إن بعض خاصتك ظلمني فأنصفني منه وأدقني حلا العبد فأعرض
 عنه فوقع له ناي فلم يلتفت اليه فوقع له مرة ثالثة وقال يا أمير المؤمنين أنا نتخذ في التوراة
 المترلة على كلام الله موسى صلوات الله وسلامه عليه أن الامام لا يكون شريكا في ظلم أحد حتى
 يرفع اليه فاذا رفع اليه ذلك ولم ير له فقد شاركه في الظلم والجور فلما سمع عبد الملك كلامه فزع
 وبعث في الحال الى من ظلمه فعزله وأخذ لليهودى حقه منه * وروى أن رجلا من العقلاء
 غصبه بعض الولاة ضبعة له فأتى الى المنصور فقال له اصلحك الله يا أمير المؤمنين أأذكر لك
 حاجتي أم أضرب لك قبله أم لا فقال بل أضرب المثل فقال ان الطفل الصغير اذا نابه أمر
 يكرهه فانما يفرغ الى أمه اذا يعرف غيرها وظن انه أن لا ناصر له غيرها فاذا ترعرع واشتد
 كان فرازه الى أبيه فاذا بلغ وصار رجلا وحدث به أمر شكاه الى الوالى لعله أنه أقوى من أبيه
 فاذا زاد عقه له شكاه الى السلطان لعله أنه أقوى عن سواه فان لم ينصفه السلطان شكاه
 الى الله تعالى لعله أنه أقوى من السلطان وقد نزلت بي نازلة وليس أحد فوقك أقوى منك الا
 الله تعالى فان أنصفته حتى والارفعت أمرى الى الله تعالى في الموسم فاني متوجه الى بيته
 وحرمة فقال المنصور بل تنصفك وأمر أن يكتب الى واليه برّد ضبعة اليه * وكان الاسكندر
 يقول يا عباد الله انما الهكم الله الذي في السماء الذي نصرنا بعد حين الذي يسقيكم الغيث
 عند الحاجة واليه مفزعكم عند الكرب والله لا يلغى ان الله تعالى أحب شيئا الا احبته
 واستعملته الى يوم أجلي ولا أبغض شيئا الا أبغضته وهجرته الى يوم أجلي وقد أنبت
 أن الله تعالى يحب العدل في عبادته ويغض الجور من بعضهم على بعض فويل للظالم من
 سبني وسوطي ومن ظهر منه العدل من عمالي فليستكي في مجلسي كيف شاء وليتقن على ما شاء
 فلن تحطئه أمنيته والله تعالى المجازي كلاب عمله * ويقال اذا لم يعمر الملك مملكته بالانصاف
 خرب مملكته بالعصيان * وقيل مات بعض الاكسرة فوجدوا له سبطا ففتح فوجد فيه حبة
 رمان كأنها كبر ما يكون من النوى معها رقعة مكتوب فيها هـ ذه من حب رمان عمل في خواجه
 بالعدل * وقيل تظلم أهل الكوفة من واليهم فشكوه الى المأمون فقال ما علمت في عمالي
 أعدل ولا أقوم بأمر الرعية وأعود بالرفق عليهم منه فقال رجل منهم يا أمير المؤمنين ما أحد
 أولى بالعدل والانصاف منك فان كان بهذه الصفة فعلى أمير المؤمنين أن يولي به بلدا بلدا حتى

يلحق كل بلد من عدله مثل الذي لحقنا وبأخذ بقسطه منه كما أخذنا وإذا فعل ذلك لم يصدا
منه أكثر من ثلاث سنين فضحك المأمون من قوله وعزله عنهم * وقدم المنصور والبصرة
قبل الخلافة فنزل بواصل بن عطاء وقال بلغني أبيات عن سليمان بن يزيد العدوي في العدل فقمينا
اليه فأشرف عليهم من غرفة فقال لو اصيل من هذا الذي معك قال عبد الله بن محمد بن علي بن
عبد الله بن عباس رضي الله عنهم فقال رحب علي رحب وقرب علي قرب فقال انه يحب أن يسمع
أبياتك في العدل فقال سمعاً وطاعة وأشد يقول

حتى متى لا نرى عدلاً نسرت به * ولا نرى لولاة الحق أعوانا

مستمسكين بحق قائمين به * اذا تلون أهل الجور ألوانا

بالرجال لداء لا دواء له * وفائد ذي عي يقناده عيانا

فقال المنصور وددت لو أني رأيت يوم عدل ثم مت * وقيل لما ولي عمر بن عبد العزيز أخذ
في رد المظالم فابتدأ بأهل بيته فاجتمعوا الى عمة له كان يكرمها وسألوها أن تكلمه فقال لها
إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك طريقاً فلما قبض سلك أصحابه ذلك الطريق الذي سلكه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أفضى الأمر الى معاوية تجره عينا وشمالا وإيم الله لئن مد
في عمري لأردنه الى ذلك الطريق الذي سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالت
له يا ابن أخي اني أخاف عليك منهم يوم أعصيا فقال كل يوم أخافه دون يوم القسيامة فلا
أمنيه الله * وقال وهب بن منبه اذا هم الوالي بالجور أو عمل به أدخل الله النقص في أهل
مملكته في الاسواق والزروع والضروع وكل شيء واذا هم بالخير والعدل أو عمل به أدخل
الله البركة في أهل مملكته كذلك * وقال الوليد بن هشام ان الرعية تصلح بصلاح الوالد وتفسد
بفساده * وقال ابن عباس رضي الله عنهما ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته متنكرا
فنزل على رجل له بقرة فحلب قدر ثلاث بقرات فتعجب الملك من ذلك وحدثته نفسه بأخذها
فلما كان من الغد حلبت له النصف مما حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلبها قص أرت
في غير مرعاه بالامس فقال لا ولكن أظن أن ملكك آراها وأوصله خبرها فهمم بأخذها
فقص لهنها فان الملك اذا علم أنهم بالظلم ذهب البركة فتاب الملك وعاهد ربه في نفسه أن لا
يأخذها ولا يحسد أحد من الرعية فلما كان من الغد حلبت عادت * ومن المشهور وبارض
المغرب أن السلطان بلغه أن امرأة لها حديقة فيها القصب الحلواني كل قصبة منها تعصر
قد حافز المالك على أخذها منها ثم آتاها وألها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم
يخرج منها نصف قدح فقال لها اين الذي كان يقال فقال هو الذي بلغك الا أن يكون
السلطان قد عزم على أخذها مني فارتفعت البركة منها فتاب المالك وأخلص لله النية وعاهد
الله أن لا يأخذها منها أبدا ثم أمرها فعصرت قصبة منها فجاءت مل قدح (وحكى) سيدي
أبو بكر الطرطوشي رحمه الله في كتابه سراج الملوك قال حدثني بعض الشيوخ عن كان يروي
الاخبار بعصر قال كان بعصر مصر نخلة تحمل عشرة أراذب ولم يكن في ذلك الزمان نخلة
تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل شيئا في ذلك العام ولا مرة واحدة وقال لي شيخ
من أشيخ الصعيد أعراف هذه النخلة وقد شاهدتها وهي تحمل عشرة أراذب ستين

وياسة وكان صاحبها يبيعها في سنى الغلاء كل وياسة بدينار (وحكى) أيضا رحمه الله تعالى قال شهدت في الاسكندرية والصعيد مطلق الرعية السمك يطفو على الماء لكثرة وكائن الاطفال تصيده بالخرق من جانب البحر ثم يحجزه الوالى ومنع الناس من صيده فذهب السمك حتى لا يكاد يوجد الى يومنا هذا وهكذا تتعدى سائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم الى الرعية ان خيرا فخير وان شرا فشر * وروى أصحاب التواريخ في كتبهم قالوا **كان الناس اذا أصبحوا في زمان الحجاج يتساءلون اذا اتلاقوا من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد ومن قطع وما أشبه ذلك** وكان الوليد بن هشام صاحب ضياع واتخاذ مصانع فكان الناس يتساءلون في زمانه عن البنيان والمصانع والضبياع وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولى سليمان بن عبد الملك وكان صاحب طعام وفكاح كان الناس يتحدثون ويتساءلون في الاطعمة الرفيعة ويتغالون في المنالك والسراير ويعمرن مجالسهم بذلك ولما ولى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن وكم وردك كل ليلة وكم يحفظ فلان وكم يحتم وكم يصوم من الشهر وما أشبه ذلك فينبغي للامام أن يكون على طريقة الصحابة والسلف رضى الله عنهم ويقتدى بهم في الاقوال والافعال فخر خالف ذلك فهو لا محالة هالك وليس فوق السلطان العادل منزلة الانبياء والمرسل أو ملك مقرب وقد قيل ان مثله كمثل الراح التي يرسلها الله تعالى نشر ابريدى رحته فيسوق بها السحاب ويجعلها القاحل للثمرات وروح العباد ولو تتبععت ما جاء في العدل والانصاف وفضل الامام العادل لآلفت في ذلك مجموعا جامع هذا المعنى ولكن اقتصرت على ما ذكرته مخافة أن يمله الناظر ويسأله السامع وبالله التوفيق الى أقوم طريق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب العشرون في الظلم وشؤمه وسوء عواقبه وذكر الظلمة وأحوالهم وغير ذلك)

قال الله تعالى **ألأعنة الله على الظالمين** وقال تعالى **ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون** قيل هذا نسبية للظالمين ووعيد للظالم وقال تعالى **انا عتدنا للظالمين نارا** أحاط بهم سرادقها وقال تعالى **وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون** وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع ظالم ليعينه وهو يعلم أنه ظالم خرج من الاسلام وقال أيضا صلى الله عليه وسلم رحم الله عبدا كان لا يخيه قبله مظلمة في عرض أو مال فأناه فنجلاه منها قبل أن يأتي يوم القيامة وليس معه دينار ولا درهم وقال أيضا صلى الله عليه وسلم من اقتطع حق امرئ مسلم أو وجب الله له النار وحرم عليه الجنة فقال له رجل يا رسول الله ولو كان شيئا يسيرا قال ولو كان قضيبا من أراك وعن حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى اني يا أخا المرسلين يا أخا المنذرين أنذر قومك فلا يدخلوا بيتا من بيوتى ولا حرم من عبادى عند أحد منهم مظلمة فاني ألغنه مادام قائما يصلى بين يدي حتى يرد تلك الظلامة الى أهلها فأكون سمعه الذي يسمعه وبصره الذي يبصره ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين

في الجنة وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اياك ودعوة المظلوم
فانما يسأل الله تعالى حقه وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من عبد ظلم فشنخص يصمره
الى السماء الا قال الله عز وجل لبنيك عبدى حقلا تصرونك ولو بعد حين وعنه أيضا أنه
قال الا ان الظلم ثلاثة ظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب فاما الظلم الذي لا يغفر
فالشرك بالله والعباد بالله تعالى قال الله تعالى ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضا وأما الظلم المغفور الذي لا يطلب
فظلم العبد نفسه * ومز رجل برجل قد صلبه الخجاج فقال يارب ان حلك على الظالمين قد أنسر
بالمظلومين فنام تلك الليلة فرأى في منامه أن القيامة قد قامت وكنه قد دخل الجنة فرأى
ذلك المصلوب في أعلى عليين واذا منادى نادى حلى على الظالمين أحل المظلومين في أعلى
عليين * وقيل من سلب نعمة غيره سلب نعمته غيره * وسمع مسلم بن بشار رجلا يدعوى على
من ظلمه فقال له كل الظالم الى ظلمه فهو أسرع فيه من دعاك ويقال من طال عدوانه زال
سلطانه وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم
على المظلوم * ورى لولح في أفق السماء مكتوب فيه لا اله الا الله محمد رسول الله وتحتة
هذا البيت

فلم أرمثل العدل للمرء رافعا * ولم أرمثل الجور للمرء واضعا
وقال الشاعر

كنت الصحيح وكنا منك في سقم * فان سقمت فانا السالمون غدا
دعت عليك اكف طالما ظلمت * ولن ترد يد مظلومة أبدا

وكان معاوية يقول انى لا استحي أن أظلم من لا يجده على ناصر الا الله * وقال أبو العيلاء كان لى
خصوم ظلمة فشكوتهم الى أحمد بن دواد وقلت قد تظافروا على وصاروا يدا واحدة فقال
يد الله فوق أيديهم فقلت له ان لهم مكرافقل ولا يحق المكر السي الأباهله قلت هم فئة كثيرة
فقال كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله * وقال يوسف بن اسباط من دعا الظالم بالبقاء
فقد أحب أن يعصى الله في أرضه * وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال أبو القاسم صلى
الله عليه وسلم من أشار الى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه وان كان أخاه لا يبه وأمه وقال
مجاهد يسلط الله على أهل النار الجرب فيحكون أجسادهم حتى تبد والعظام فيقال لهم هل
يؤذيكهم هذا فيقولون اى والله فيقال لهم هذا بما كنتم تؤذون المؤمنين * وقال ابن مسعود
رضى الله عنه لما كشف الله العذاب عن قوم يونس عليه السلام تراوا المظالم بينهم حتى كان
الرجل ليقلع الجرب من أساسه فبرده الى صاحبه وقال أبو ثور بن يزيد الجربى البنيان من غير
حله عربون على خرابه وقال غيره لو أن الجنة وهى دار البقاء أسست على حجر من الظلم لا وشت
أن تخرب وقال بعض الحكماء اذكر عند الظلم عدل الله فيك وعند القدرة قدرة الله عليك
لا يجيبك رحب الذراعين سفالة الدماء فان له قاتلا لا يموت وقال يحيون بن سعيد كان يزيد
ابن حاتم يقول ما هبت شيئا قط هبتي من رجل ظلمته وأنا أعلم أن لا ناصر له الا الله فيقول
حسبك الله الله بيني وبينك وقال بلال بن مسعود اتق الله فين لا ناصر له الا الله * وبكى

على من الاصل يوما فقيل له ما يبكيك قال أبكي على من ظلمني اذا وقف هذا بين يدي الله تعالى ولم تكن له حجة وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى اشتد غضبي على من ظلم من لا يجده ناصر اغيري * ونادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر يا سليمان اذكروم يوم الاذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل فقال له ما يوم الاذان فقال قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين قال فما ظلامتك قال أرضى لي بكم كذا وكذا أخذها وكيك فكتب الى وكيك ادفع اليه أرضه وأرضه وأرضه وروى أن كسرى أنوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى فاق في العلوم فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فمقد أنوشروان عليه فلما ولي الملك قال للمعلم ما جئت على ضرب من يوم كذا وكذا ظلمت فقال له لما رأيك ترغب في العلم رجوت لك الملك بعد أهلك فأجبت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم فقال أنوشروان زه زه * وقال محمد بن سويد وزير المأمون

فلاتأمن الدهر حرًا ظلمته * فبالحران ظلمت بناء

وروى أن بعض الملوك رقم على بساطه

لا تظن اذا ما كنت مقتدرا * فالظلم مصدره يفضى الى الندم

تنام عينك والمظلوم منتبه * يدعو عليك وعين الله لم تنم

وما أحسن ما قال الأشعر

أتهزأ بالدعاء وتزدرية * وما تدري بما صنع الدعاء

سهام الليل نافذة ولكن * لها أمد وللأمد انقضاء

فميسكها اذا ما شاء رى * ويرسلها اذا نفذ القضاء

وقال أبو الدرداء يا بك ودعوة اليتيم ودعوة المظلوم فأنه تسرى بالليل والناس نيام وقال الهيثم

ابن فراس اسأحي من بنى سامية بن أوى في الفضل بن مروان

تجبرت يا فضل بن مروان فاعتبر * فقبلك كان الفضل والفضل والفضل

ثلاثة أملاك مضوا لسيولهم * أبادهم الموت المشتت والقتل

يريد الفضل بن الربيع والفضل بن يحيى والفضل بن سهل * ووجدت فراس يحيى بن

خالد البرمكي رقعة مكتوب فيها

وحق الله ان الظلم لؤم * وان الظلم مرتعه وخيم

الى ديان يوم الدين غضى * وعند الله تجتمع الخصوم

ووجد القاسم بن عبيد الله وزير المكنى في مصلاه رقعة مكتوب فيها

بغى والبنى سهام تنتظر * أنفذ في الاحشاء من وخر الابر

سهام أيدى القاتنين في السحر

وقال المنصور بن المعقول ابن هبيرة حين أراد أن يولي به القضاء ما كنت لاني هذا بعد

ما حدثني ابراهيم قال وما حدثك ابراهيم قال حدثني عن علقمة عن ابن مسعود قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوان الظلمة

وأشباع الظلمة حتى من يرى لهم قلماً وألاق لهم دواء فيجمعون في تابوت من حديد ثم يرمي بهم في نار جهنم وروى هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات قال جلس أبي المظالم يوماً فلما انقضى المجلس رأى رجلاً جالساً فقال له ألك حاجة قال نعم أذنك إليك فاني مظلوم وقد أعوزني العدل والانصاف قال ومن ظلمك قال أنت ولست أصل إليك فأذكر حاجتي قال وما يحجبك وقد ترى مجلسي مسدوداً قال يحجبني عنك هيبتك وطول لسانك وفصاحتك قال فقيم ظلمتك قال في ضيعتي القلاية أخذها وكيك غصباً مني بغير عن فأذا وجب عليها خراج أذيت به باسي لثلاثين ثلث اسم في ملكها فيسطل ملكي فوكيك ياخذ غلظها وأنا أؤذي خراجها وهذا لم يسمع مثله في المظالم فقال له محمد هذا أقول تحتاج معه إلى مينة وشهود وأشياء فقال له الرجل أيؤمنني الوزير من غضبه حتى أجيب قال نعم قد أمنتك قال البينة هم الشهود وإذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شيء آخر فامعني قولك بينة وشهود وأشياء وأي شيء هذه الأشياء إن هي إلا الجور وعدوك عن العدل فضحك محمد وقال صدقت والبلاء موكل بالمنطق وأني لا أرى فيك مصطنعاً ثم وقع له برد ضيعته وأن يطلق له مائة دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصبره من أصحابه فكان قبل أن يتوصل إلى الانصاف وإعادة ضيعته له يقال له يا فلان كيف الناس فيقول بشرين مظلوم لا ينصرون ظالم لا ينتصرون فلما صار من أصحاب محمد بن عبد الملك ورد عليه ضيعته وأنصفه قال له ليل كيف الناس الآن قال بخيرة داعمة معهم الانصاف ورفعت عنهم الابحاف ورددت عليهم الغصوب وكشفت عنهم الكروب وأنا أبرجولهم ببقائك نيل كل مرغوب والنور بكل مطلوب * ومما نقل في الآثار الإسرائيلية في زمان موسى صلوات الله وسلامه عليه أن رجلاً من ضعفاء بني إسرائيل كان له عائلة وكان صياداً يصطاد السمك ويقوت منه اطفاله وزوجته فخرج يوماً للصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها ثم أخذها ومضى إلى السوق ليبيعها ويصرف عنها في مصالح عياله فلقيه بعض العوانية فرأى السمكة معه فأراد أخذها منه فنهض الصياد فرفع العوانية خشبة كانت بيده فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غصباً بلا عن فدعا الصياد عليه وقال الهي جعلتني ضعيفاً وجعلتني قوياً عني فافخذني بحق منه عاجلاً فقد ظلمني ولا صبر لي إلى الآخرة ثم إن ذلك الغاصب الظالم انطلق بالسمكة إلى منزله وسلمها إلى زوجته وأمرها أن تشويهاً فالتشويهاً قدمته له ووضعها بين يديه على المائدة ليأكل منها ففتحت السمكة فها هو تكزته في اصبع يده فذكره طار بهاء عقله وصار لا يقربها قراره فقام وشكا إلى الطبيب ألم يده ومأحل به فلما رآها قال له دواؤها أن تقطع الاصبع لثلاثين يسرى الألم إلى بقية الكف فقطع اصبعه فانتقل الألم والوجع إلى الكف واليد وازداد التألم وارتعدت من خوفه فرائصه فقال له الطبيب ينبغي أن تقطع اليد إلى المعصم لثلاثين يسرى الألم إلى الساعد فقطعها فانتقل الألم إلى الساعد فزال هكذا كلما قطع عضواً انتقل الألم إلى العضو الآخر الذي يليه فخرج هائماً على وجهه مستغيثاً إلى ربه ليكشف عنه ما نزل به فرأى شجرة فقصد هاها فخذ النور عندها فقام فرأى في منامه قال يقول له يا مسكين إلى كم تقطع أعضائك أمض إلى خصمك الذي ظلمته فأرضه فاتته من النوم وفكر في أمره فعلم أن الذي أصابه من جهة الصياد فدخل المدينة

وسأل عن الصباد وأقرب اليه فوقع بين يديه بترغ على رجله وطلب منه الاقالة عما جناه
ودفع اليه شيئا من ماله وتاب من فعله فرضى عنه خصمه الصباد فسكن في الحال ألمه وبات
تلك الليلة فرد الله تعالى عليه يده كما كانت ونزل الوحي على موسى عليه السلام يا موسى
وعزني وجلاني لولا أن ذلك الرجل أرضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته (وعما تضمنته
أخبار الاخيار) ما رواه أنس رضي الله عنه قال بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله
تعالى عنه قاعد اذ جاءه رجل من أهل مصر فقال يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك
فقال عمر رضي الله عنه لقد عدت عجيرا فاشأك فقال سأبقت بقري ابن العمرون العاص
وهو يومئذ أمير على مصر فجعل يقنعني بسوطه ويقول أنا ابن الاكرمين فبلغ ذلك عمر أباه
فخشي أن أتلك نخسني في السجن فأنقلت منه فهذا الحين أتيتك فكتب عمر بن الخطاب الى
عمرون العاص اذ أنا لك كافي هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان وقال لامصري أنهم حتى
يأتبك فأقام حتى قدم عمرو بنهم موسم الحج فلما قضى عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرون
العاص وابنه الى جانبه قام المصري فرمى اليه عمر رضي الله عنه بالدرّة قال أنس رضي الله
عنه فلقد ضربه ونحن نشتهي أن يضربه فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ماضيه وعمر
يقول اضرب ابن الاكرمين قال يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت قال ضعه على ضلع
عمر فقال يا أمير المؤمنين لقد ضربت الذي ضربني قال أما والله لو فعلت ما منعك أحد حتى
تكون أنت الذي تنزع ثم أقبل على عمرو بن العاص وقال يا عمر متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم
أمهاتهم أحرارا فجعل عمرو يعذّر اليه ويقول اني لم أشعر به هذا وقيل لما ظلم أحد بن طولون
قبل أن يعدل استغاث الناس من ظله وتوجهوا الى السيدة نفيسة يشكون اليها فقالت لهم
متى يركب قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت بها في طريقه وقالت يا أجد يا ابن طولون فلما رآها
عرفها فزجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فاذا فيها ملككم فأمرتم وقد رتم فقهرتم
وخولتم فغسقت وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاستحار نافذة غير
مخطفة لاسيما من قلوب أوجعتوها وأكاد جوعتوها وأجساد عرت بقرها فجعل أن يموت
المظلوم ويبقى الظالم اعلموا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واطمونا فانا الى
الله متطلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون قال فعبد لوقته * (وحكى) أن الحاج
حجس رجلا في حبسه ظمأ فكتب اليه رقعة فيها قدمضى من يؤسنا أيام ومن نعيمك أيام
والموعدة القيامة والسجن جهنم والحاكم لا يحتاج الى بيعة وكتب في آخرها
ستعلم يا نؤم اذا التقينا * غدا عند الله من الظلوم
أما والله ان الظلم لؤم * وما زال الظلوم هو المظلم
سيقطع التلذذ عن أناس * أداموه وينقطع النعيم
الى ديان يوم الدين نخسى * وعند الله تتجمع الخصوم

(وحكى) أبو محمد الحسين بن محمد الصالحى قال كثر حول سري المنة ضد بالله ذات يوم نصف
النهار فنام بهدأ أن كل فاقته منزجما وقال يا خدام فاسر عننا الجواب فقال ويلكم أعينوني
والحقوا بالاسط فأقول ملاح ترونه منحدرا في سفينة فارعة فاقبضوا عليه واتنوني به ووكلا

بالسفينه من يحفظها فأسرعنا فوجدنا ملاحا في سفينة منكسرة وهي فارغة فقبضنا عليه
وكلنا بها من يحفظها وصعدنا به الى المعتضد فلما رآه الملاح كاد يلف فصاح عليه المعتضد
صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال أصدقني يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التي
قتلتها اليوم والا ضربت عنقك قتلعتهم وقال نعم كنت سحرا في المشرفة الفلانية فنزلت امرأه
لم أر مثلها عليها ثياب فاخرة وحلي كثير وجواهر فطعمت فيها واحتلت عليها حتى سددت
فيها وغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها في الماء ولم أجسر على حمل سلبها الى دارى
لثلايقش والخبر على فقوت على الهروب والانحدار الى واسط فصبرت الى أن خلا الشط
في هذه الساعة من الملاحين وأخذت في الانحدار فتعلق بي هؤلاء القوم فحملوني اليك فقال
وأي الخلى والسلب قال في صدر السفينة تحت البوارى قال المعتضد على به الساعة
فخضروا به فأمر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة الى المشرفة
الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحلي فليخضر فخر في اليوم الثاني أهلها وأعطوا صفتها
وصفة ما كان عليها فلم ذلك اليهم قال فقلت يا مولاي من أعلمك أو أوصي اليك بهذه الحالة
وأمر هذه الصبية فقال بل رأيت في منامى رجلا شيخا أبيض الرأس والحية والثياب وهو
ينادى بأحد أقول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التي قتلتها اليوم ظلما
وسلبها ثيابها وأقم عليه الحد ولا يقتك فكان ما شاهدتم فبتعين على كل ولى أمر أن يعدل
في الأحكام وأن يتصرف في رعيته وعلى كل عاقل أن يكف يده عن الظلم ويسلك سبيل
العدل ويعامل بالصفة ويراقب الله في السر والعلانية ويعلم أن الله يجازى على الخير والشر
وبعاقب الظالم على ظلمه ويتصرف للمظلوم ويأخذ له حقه من ظلمه وإذا أخذ الظالم لم يفلته
والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول
ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

الباب الحادى والعشرون في بيان الشروط التي تؤخذ على العمال وسيرة السلطان
في استجباة الخراج وأحكام أهل الذمة وفيه فصلان

(الفصل الاول في سيرة السلطان في استجباة الخراج والاتفاق من بيت المال وسيرة العمال)
قال جعفر بن يحيى الخراج عماد الملوك وما استعز وامتثل العدل وما استنذروا بمثل الظلم
وأسرع الامور في خراب البلاد تعطيل الارضين وهلاك الرعية وانكسار الخراج من الجور
ومثل السلطان اذا أبغض بأهل الخراج حتى يضعفوا عن عمارة الارضين مثل من
يقطع لجه وبأكله من الجوع فهو ان شعب من ناحية فقد ضعف من ناحية أخرى وما أدخل
على نفسه من الضعف والوجع أعظم مما دفع عن نفسه من ألم الجوع ومثل من كلف
الرعية فوق طاقتهم كالذى بطين سطحه بتراب أساس ينه وإذا ضعف المزارعون عجزوا
عن عمارة الارضين فيترك كونها قنطرة الارض ويهرب المزارعون قنطرة العمارة
ويضعف الخراج وينتج من ذلك ضعف الاجناد وإذا ضعف الجنود طمع الاعداء في السلطان
وروى أن المأمون أرق ذات ليله فاستدعى سميرا يحدثه فقال يا مبرا المؤمنين كان

بالموصل بومة وبالبصرة بومة فخطبت بومة الموصل بنت بومة البصرة لانهما قتالت بومة
البصرة لاجب خطبة ابنك حتى تجعل لي في صداق ابني مائة ضيعة خربة فقالت بومة
الموصل لا أقدر عليها ولكن ان دام والينا سلمه الله علينا سنة واحدة نعلت ذلك قال فاستيقظ
لها المأمون وجلس للخطبة وأنصف الناس بعضهم من بعض ونفقداً أمور الولاية والعمال
والرعية وقال أبو الحسن بن علي الأسدي اخبرني أبي قال وجدت في كتاب قبطني باللغة
الصعيدية مما نقل بالعربية ان مبلغ ما كان يستخرج لفرعون في زمن يوسف الصديق صلوات
الله وسلامه عليه من اموال مصر لخارج سنة واحدة من الذهب العن أربعة وعشرون ألف
الف واربع مائة ألف دينار من ذلك ما ينصرف في حمارة البلاد كحفر الخيطان والاتفاق
على الجسور وسد الترع وتقوية من يحتاج الى التقوية من غير رجوع عليه بها لاقامة
العوامل والتوسعة في البلدان وغير ذلك من الآلات واجرة من يستعان به لحمل البذور
وسائر نفقات تطبيق الارض ثمان مائة ألف دينار ولما ينصرف للارامل والايام وان كانوا
غير محتاجين حتى لا يخلوا أمثالهم من بر فرعون اربع مائة ألف دينار ولما ينصرف لكتبتهم
وبيوت صلاتهم ما ثلث ألف دينار ولما ينصرف في الصدقات مما يصب صبا وينادي عليه برت
الزمن رجل كشف وجهه لفاقه ولم يحضر فيحضر لذلك جع كثير ما ثلث ألف دينار فاذا
فرقت الاموال على اربابها دخل امناء فرعون اليه وهنؤه بتفرقة الاموال ودعوا البطول
البقاء ودوام العز والنعماء والسلامة وانهم واليه حال الفقراء فقاموا بحضارهم وتغيير شعهم
وعملهم السملط فبأكلون بين يديه وبشربون ويستشفهم من كل واحد منهم عن سبب فاقته
فان كان ذلك من آفة الزمان زاد عليه مثل الذي كان له ولما ينصرف في نفقات فرعون الرتبة
في كل سنة ما ثلث ألف دينار ويفضل بعد ذلك مما يتسلمه يوسف الصديق عليه السلام للملك
ويجمع له في بيت المال لتوائب الزمان أربعة عشر ألف ألف وست مائة ألف دينار وقال
أبورهم كانت ارض مصر أرضاً مدبرة حتى ان الماء يجري تحت منازلها وأفنتها فيجبونه
حيث شاؤوا ويرسلونه حيث شاؤوا وذلك قول فرعون أليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري
من تحتي الآية وكان ملك مصر عظيماً لم يكن في الارض أعظم منه ملكاً وكانت الجنان
بحافتي النيل متصلة لا ينقطع منها شيء عن شيء والزروع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت
ارض مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعاً للماء بروا من جسورها وحافاتها والزروع ما بين
الجبلين من أولها الى آخرها وذلك قوله تعالى كم تر كوا من جنات وعميون وزروع ومقام
كريم وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما استعمل فرعون هامان على حفر خليج سر دوس
فاخذ في حفره وتدبيره فجعل اهل القرى يسألونه ان يجري لهم الخليج تحت قراهم ويعطوه
مالاً فكان يذهب به من قرية الى قرية من المشرق الى المغرب ومن الشمال الى القبلة ويسوقه
كيف اراد والى حيث قصد فليس خليج بمصر اكثر عطوفاً منه فاجتمع له من ذلك اموال عظيمة
جزيلة فحملها الى فرعون واخبره بالخبر فقال له فرعون انه ينبغي للسيد ان يعطف على عبده
ويفيض عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بأيديهم رد على اهل القرى اموالهم
فرد عليهم ما اخذ منهم فاذا كانت هذه سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو لقاءه ولا يخاف

عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف تكون سيرة من يقول لا اله الا الله محمد رسول الله
 ويوقن بالحساب والثواب والعقاب وقال ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى اجعلنى
 على خزانة الارض قال هي خزانة مصر ولما استوتق امر مصر ليوسف عليه السلام
 وكل وصارت الاشياء اليه وأراد الله تعالى أن يعرضه على صبره لما يرتكب محارمه
 وكانت مصر أربعين فرسخا في مثلها وما أطاع يوسف فرعون وهو الريان بن مصعب وناب
 عنه الابعد أن دعاه الى الاسلام فأسلم وكانت السنون التي حصل فيها الغلاء
 والجوع مات العزيز ومات يوسف واقترقت زليخا وعمرى بصرها فجعلت تسكتف الناس فقيل
 لها لو تعرضت للملك لعله يرجئك ويعينك ويغنيك فطالما كنت تحفظينه وتكرمينه ثم
 قيل لها لا تفعل لانه ربعا يذكرك ما كان منك اليه من المراودة والحبس فيسى اليك ويكافئك
 على ما سبق منك اليه فقالت انا أعلم بحاله وكرمه فخلست له على راية في طريقه يوم خروجه
 وكان يركب في زهاء مائة ألف من عظماء قومه وأهل مملكته فلما أحسب به قامت ونادت
 سبحان من جعل الملوك عبيدا لبعضهم والعبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف عليه السلام
 من أنت فقالت انا التي كنت أخدمك بنفسى وأرجل شعرك يدي وأكرم مشواك بجهدى
 وكان منى ما كان وقد ذقت وبال أمرى وذبحت قوتى وثالث مالى وعمرى بصرى وصرت
 أسأل الناس فمنهم من يرجئ ومنهم من لا يرجئ وبعد ما كنت مغبوبة أهل مصر كلها صرت
 من حوهم بل محرومهم وهذا جزاء المفسدين فبكى يوسف عليه السلام بكاء شديدا وقال
 لها هبل بنى في قلبك من حبك اباى شئ قالت نعم والذى اتخذ ابراهيم خليل الله لى حب
 الى من ملء الارض ذبا وفضة فغضى يوسف وأرسل اليها يقول ان كنت أجيأتزوجنك
 وان كنت ذات بعل أغنيك فقالت لرسول الملك أنا أعرف أنه يستترى بى هو لم ير دنى
 في أيام شبابه وجالى فكيف يقبلنى وأنا عجوز عيا فقيرة فأمر بها يوسف عليه السلام
 فجهزت وتزوجها وأدخلت عليه نصف يوسف عليه السلام قدمه وقام يصلى ودعا الله
 تعالى باسمه العظيم الاعظم فرد الله عليها حسنهما وجمالها وشبابها وبصرها كهيئتها يوم
 راودته فواقعها فاذا هي بكر فولدت له افرائيم بن يوسف ومنشأ بن يوسف وطاب في الاسلام
 عيشهما حتى فرق الموت بينهما فنبغى للقرى أن لا ينسى الضعيف والفقير أن لا ينسى الفقير
 فرب مظلوم يصير طالبا ومروءة فيه يصير راغبا ومسؤول يصير سائلا وراحم يصير مرحوما
 ففسأل الله تعالى أن يرجئ ابرجته ويغنيها بفضلها ولما ملك يوسف عليه السلام خزانة الارض
 كان يجوع ويأكل من خبز الشعيرة فقيل له أتجوع ويسدك خزانة الارض فقال أخاف أن
 أشبع فأنسى الجائع * ومن حسن سيرة العمال ما روى أن عمر رضى الله عنه استعمل على
 حص رجلا يقال له عمر بن سعد فلما مضت السنة كتب اليه عمر رضى الله عنه أن اقدم
 علينا فلم يشعر عرا الا وقد قدم عليه ماشيا حافيا عكازة بيده وادأوته ومن رده وقصعته على
 ظهره فلما نظر اليه عرفه قال يا عيرأأجبتنا أم البلاد بلاد سوء فقال يا أمير المؤمنين أمانها لك
 الله أن تجهز بالسوء وعن سوء الظن وقد جئت اليك بالدنيا أجزها بقرابها فقال له وما معك
 من الدنيا قال عكازة أو كاهلها وأدفع بها سعدوان لقيته ومن ردا أجمل فيه طعما
 وادأوته أجمل فيها ما لشر بى ولطه وروى وقصعة أو ناضا فيها وأغسل فيها رأسى وأكلى

فيما طعما في قوا الله يا أمير المؤمنين ما الدنيا بعد الاتبع لما معي قال فقام عمر رضي الله عنه من مجلسه الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر رضي الله عنه فبكى بكاء شديدا ثم قال اللهم ألحقني بصاحبي غير مقتضخ ولا مبتدل ثم عاد الى مجلسه فقال ما صنعت في عملك يا عمر فقال أخذت الابل من أهل الابل والجزية من أهل الذمة عن يد وهم صاغرون ثم قمعتا بين الفقراء والمساكين وأبناء السبيل فوالله يا أمير المؤمنين لو بقي عندي منها شيء لأتيتك به فقال عمر عد الى عملك يا عمر قال أنشدك الله يا أمير المؤمنين أن تردني الى أهلي فأذن له فأتى أهله فبعث عمر رجلا يقال له حبيب بمائة دينار وقال له اختبرني عمرا وانزل عليه ثلاثة أيام حتى ترى حاله هل هو في سعة أم ضيق فان كان في ضيق فادفع اليه المائة دينار فاتاه حبيب فبذل به ثلاثا فلم ير له عيشا الا الشعير والزيت فلما مضت ثلاثة أيام قال يا حبيب ان رأيت أن تتحول الى جبرائيل فاعلمهم أن يكونوا أوسع عيشا منا فأتانا والله وتالله لو كان عندنا غير هذا لأثرنا لك به قال فدفع اليه المائة دينار وقال قد بعثت يا أمير المؤمنين اليك فدعا بقر وخلق لا مرأته فجعل يصبر منها الخمسة ذنانير والستة والسبعة ويبيع بها الى اخوانه من الفقراء الى أن انقدها فقدم حبيب على عمر وقال جئتك يا أمير المؤمنين من عند ازيد الناس وما عندهم من الدنيا قليل ولا كثير فأمر له عمر بوسقين من طعام وثوبين فقال يا أمير المؤمنين اما الثوبان فأقبلهما واما الوسقان فلا حاجة لي بهما عنداهي صاع من بر وهو كافيه حتى ارجع اليهم وروى ان عمر رضي الله عنه صرأ برعمائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح ثم تربص عنده في البيت ساعة حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام اليه وقال له يقول لك يا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اجعل هذه في بعض حوائجك قال وصله الله ورحمه ثم دعا بجاريته وقال لها اذهبي بهذه السبعة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انقدها فرجع الغلام الى عمر وأخبره فوجدته قد عدت مثلها المعاذين جبل فقال له انطلق بها الى معاذين جبل وانظر ما يكون من امر مفضي اليه وقال له كما قال لابي عبيدة بن الجراح ففعل معاذ كما فعل أبو عبيدة فرجع الغلام فأخبر عمر فقال انهم اخوة بعضهم من بعض رضي الله تعالى عنهم أجمعين

(الفصل الثاني في أحكام أهل الذمة) روى عن عبد الرحمن بن غنم قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى اهل الشام بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من نصارى مدينة كذا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب انكم لما قدمتم علينا سألناكم الامان لانفسنا وذرارينا واماوالنا واهل ملتنا وشرطانا لكم على انفسنا ان لا نحدث في مدائننا ولا فيها حواشيها كنيسة ولا دبرا ولا قلبة ولا صومعة راهب ولا نبتدع ما خرب منها ولا ما كان محتطامنا في خطط المسلمين في ليل ولا في نهار وان نوسع أبوابنا للمار وابن السبيل وان ننزل من مرتبنا من المسلمين ثلاث ليل نطعمهم ولا نووي في كائنا ولا في منازلنا جاسوسا ولا نكتمه عن المسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا تظهر شرعنا ولا ندعوا اليه أحدا ولا نمنع أحدا من ذوى قرباتنا الدخول في دين الاسلام ان اراده وان نوفر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس وان لا تشبه بالمسلمين في شيء من ملابسهم من قلنسوة ولا

ولا عمامة ولا تعلين ولا تكلم بكلامهم ولا تسكني بكاهم ولا تركب في السروج ولا تقلد
 بالسيوف ولا تتخذ شيئا من السلاح ولا تفعله معنا ولا تنفس على خواتمنا بالعريسة ولا يبيع
 الخمر وأن نجزم مقدم رؤسنا ونلزم زيننا حينما كنا وأن نشهد الزنا على أوساطنا ولا تظهر
 صلبنا ولا كتبنا في شيء من أسواق المسلمين وطرقهم ولا نضرب بالنواقيس في كتائبنا
 الاضربا خفيفا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا تظهر النيران في شيء من طرق المسلمين
 ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نتطلع
 على منازلهم وقد شرطنا ذلك على أنفسنا وعلى أهل ملتنا وقبلنا عليه الايمان فان نحن خالفنا
 في شيء مما شرطنا لكم وضمناه على أنفسنا فلا ذمة لنا وقد حل بنا ما يحل بأهل المعادة
 والشقاق فكتب اليه عمر رضي الله عنه أن امض ما سأله وألحق فيه حرفين واشترطهما
 عليهم مع ما شرطوا على أنفسهم أن لا يشتروا شيئا من سبائا المسلمين ومن ضرب مسلما
 عمدا فقد دخل عهده وروى أن بني نعلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه
 فقالوا يا أمير المؤمنين ان اقوم من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا الى
 حجاج ما فقهوا الجز نواصبهم وشق من أردتهم حزم ما يحتمون بها وأمرهم أن لا يركبوا
 بالسروج وأن لا يركبوا على الأوكف من شق واحد وروى ان أمير المؤمنين الخليفة
 جعفر المتوكل أقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم وأذلهم وأبعدهم وخالف بين
 زعيم وزعيم المسلمين وقرب منه أهل الحق وأبعد عنه أهل الباطل فأحيا الله به الحق وأمات
 به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه مادامت الدنيا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
 يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم أهل رشا في دينهم ولا يحل في دين الله الرشا
 ولما استقدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ابا موسى الاشعري رضي الله عنه من البصرة
 وكان عاملا عليها للحساب دخل على عمرو وهو في المسجد فاستأذن لكتابه وكان
 نصرايا فقال له عمر فأتاك الله وضرب يده على فخذه وليت ذميا على المسلمين أما سمعت
 الله تعالى يقول يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم أولياء
 بعض الآية هل اتخذت حنيفيا فقال يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه فقال لا اكرمهم
 اذا هانهم الله ولا اعزهم اذا ذلهم الله ولا أدنيهم اذا أقصاهم الله وكتب بعض العمال
 الى عمرو رضي الله عنه ان العدو قد كثروا والجزية قد كثرت أنفسنا عينا بالاعاجم فكتب اليه
 انهم أعداء الله وانهم لنا غششة فانزلوهم حيث انزلهم الله ولما خرج رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الى بدر لحقه رجل من المشركين عند الحرة فقال اني اريد ان اتبعك واصيب
 معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن نستعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة
 فقال جئتك لاتبعك واصيب معك قال أتؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن نستعين
 بمشرك ثم لحقه عند ظهر البعده فقال له من ذلك فأجابته بمثل الاول فقال نعم فخرج به
 وفرج به المسلمون وكان له قوة وجلد وهذا أصل عظيم في ان لا يستعان بكافر وهذا
 وقد خرج ليقاتل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وبراق دمه فكيف استعملهم
 على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه الى عماله ان لا تولوا على اعمالنا

الأهل القرآن فكتبوا اليه انا قد وجدنا فيهم خيانة فكتب اليهم ان لم يكن في اهل القرآن
 خبير فاجدوا ان لا يكون في غيرهم قال أصحاب الشافعي ويزعمهم أن يتزوا في اللباس عن
 المسلمين وأن يلبسوا قلائس يميزونها عن قلائس المسلمين بالحجرة ويشدوا الزناثير على
 أوساطهم ويكون في وقايم خاتم من نحاس أو رصاص أو حرس يدخلون به الحمام وليس لهم
 أن يلبسوا العمام ولا الطيلسانات وأما المرأة فأنشد الزناير تحت الازاو وقيل فوقه الازار
 وهو الاول ويكون في عنقه خاتم تدخل به الحمام ويكون أحد خفيها سودا والاخر أبيض
 ولايركبون الخيل ولا البغال ولا الحمير الا بالاكف عرضا ولايركبون بالسروج ولا
 يتصدرون في الجمالس ولا يبدون بالسلام ويلجئون الى أضيق الطرق ويمنعون أن
 يتناولوا على المسلمين في البناء ويجوز المساواة وقيل لا تجوز وان غلکوا دارا علية اقتروا
 عليها ويمنعون من اظهار المنكر كالتحر والخنزير والناقوس والجره بالثوراة والاشجيل ويمنعون
 من المقام في أرض الحجاز وهي مكة والمدينة واليمامة وان امتنعوا من اداء الجزية
 والتزام أحكام أهل الملة انتقض عهدهم وان زنى أحد منهم بمسلمة أو أصابها بشكاح أو آوى
 عينا لله كفارا أو دل على عورة المسلمين أو فتن مسلما عن دينه أو قتله أو قطع عليه الطريق
 فتنقض ذمته وفي تقدير الجزية اختلاف بين العلماء منهم من قال انها مقدرة الاقل
 والاكثر على ما كتب به عمر رضي الله عنه الى عثمان بن خنيفة بالكوفة فوضع على الفتي
 ثمانية واربعين درهما وعلى من دونه اربعة وعشرين درهما وعلى من دونه اثني عشر درهما
 وذلك بمحض من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين ولم يخالفه احد وكان الصرف اثني عشر
 دينارا وهذا مذهب أبي حنيفة وأحد بن حنبل وأحد قولي الشافعي ويجوز للامام أن يزيد
 على ما قدره عمر ولا يجوز أن ينقص عنه ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين
 وأما الكائس فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن تهدم كل كنيسة بعد الاسلام
 ومنع أن تجدد كنيسة وأمر أن لا تظهر عليه خارجة من كنيسة ولا يظهر صليب خارج
 من كنيسة الا كسر على رأس صاحبه وكان عروة بن محمد يدمها بصنعا وهذا مذهب
 علماء المسلمين اجمعين وشدد في ذلك عمر بن عبد العزيز وأمر أن لا يترك في دار الاسلام بيعة
 ولا كنيسة مجال تدعية ولا حديثه والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب
 وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني والعشرون في اصطناع المعروف واغانة الملهوف وقضاء

حوائج المسلمين وادخال السرور عليهم

قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم من مشى في عون أخيه ومنفعتهم فله ثواب المجاهدين في سبيل الله
 وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اخلق كلهم عيال الله فأحب خلقه
 اليه أنفعهم لعيله رواء البرار والطبراني في معجمه ومعنى عيال الله فقراء الله تعالى واخلق
 كلهم فقراء الله تعالى وهو يعولهم وروينا في مسند الشهاب عن عبد الله بن عباس رضي
 الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال خير الناس أنفعهم للناس وعن كثير بن عبيد

ابن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس الى على نفسه أن لا يذهبهم بالنار فاذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحذثون الله تعالى والناس في الحساب وعن ابن عباس رضى الله عنه ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى ل أخيه المسلم في حاجة فقصبت له أولم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له براءة تان براءة من النار وبراءة من النفاق وعن نافع عن ابن عمر رضى الله عنه ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضى ل أخيه المسلم حاجة كنت واقفا عنده بزيارته فان ربح والاشتغلت له رواده أبو نعيم في الخلية وروى في مكارم الاخلاق لابي بكر الخراطي عن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فان قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فان مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب وعن ابن عباس رضى الله عنه ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه في حاجة فناصحه فيما جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق كما بين السماء والارض رواه أبو نعيم وابن أبي الدنيا وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عند أقوام نفع ما يقرها عندهم ما داموا في حوائج الناس ما لم يملوا فاذا ملوا نقلها الله الى غيرهم رواه الطبراني وروى من طريق الطبراني بأسناد جيد عن ابن عباس رضى الله عنه ما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد أنعم الله عليه نعمة فأسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس اليه فتمترم ففقد عرض تلك النعمة الزوال وعن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغاث مله وفاق كتب الله له ثلاثا وسبعين حسنة واحدة منها يصلح بها آخرته ودينه والباقي في الدرجات وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنذرون ما يقول الاسدي زئيره قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول اللهم لا تسلطنى على أحد من أهل المعرفة رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وعن ابن عمر رضى الله عنه ما قال قيل يا رسول الله أى الناس أحب اليك قال انفع الناس للناس قيل يا رسول الله فأى الاعمال أفضل قال ادخال السرور على المؤمن قيل وما سرور المؤمن قال اشباع جوعته وتيسر كربه وقضاء دينه ومن مشى مع أخيه في حاجة كان كصيام شهر واعتكافه ومن مشى مع ظالم يعينه ثبت الله قدمه يوم تزل الاقدام ومن كلف غضبه ستر الله عورته وان الخلق السبي يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقي أخاه المسلم بما يحب ليسر به بذلك سره الله يوم القيامة رواه الطبراني في الصغير بأسناد حسن وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا لم يرض الله له سرورا دون الجنة رواه الطبراني وعن جعفر ابن محمد عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أدخل رجلا على مؤمن سرورا الا خلق الله من ذلك السرور ملكا يعبد الله تعالى ويوحده فاذا

صار العبد في قبره أنه ذلك السرور فيقول له أما تعرفني فيقول له من أنت فيقول أنا السرور الذي أدخلتني على فلان أنا اليوم أو انس وحشتك وألقك بجنتك وأثبتك بالقول الثابت وأشهد مشاهدك يوم القيامة وأشفع لك إلى ربك وأريك منزلك في الجنة رواه ابن أبي الدنيا وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رفعه إذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس ويقرأ إذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران وآية الكرسي وأنا أنزلناه في ليلة القدر وأتم الكتاب فإن فيها حوائج الدنيا والآخرة وهو حديث مرفوع ومن كلام الحكماء إذا سألت كرميا حاجة فدهه يفكر فانه لا يفكر فانه لا يفكر الا في خير وإذا سألت لثيما حاجة فعاجله لثايشير عليه طبعه أن لا يفعل وسأل رجل رجلا حاجة ثم تواني عن طلبها فقال له المولى انمت عن حاجتك فقال ما نام عن حاجته من أهرك لها ولا عدل بها عن محبة النج من قصدك بها فحجب من فصاحته وقضى حاجته وأمر له بمال جزيل وقال مسلمة لنصيب سلفي فقال كفك بالعطية أبسط من لساني بالمسئلة فأمر له بألف دينار وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فوفت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها وعنه أيضا قال لا تكثر على أخيك الحوائج فان الجمل إذا أفرط في مص ندى أمه نطحت وقال ذو الرياستين لثامه بن أشرس ما أدري ما أصنع بكثرة الطلاب فقال زل عن موضعك وعلى أن لا يلقاك منهم أحد فقال له صدقت وجلس لهم في قضا حوائجهم وحدث أبو جعفر محمد بن القاسم الكرخي قال عرضت على أبي الحسن علي بن محمد بن القرات رقعة في حاجة لي فقرأها ووضعها من يده ولم يقع فيها بشئ فأخذتها وقت وأنا أقول ممثلا من حيث يسمع هذين البيتين

وإذا خطبت إلى كريم حاجة * وأبي فلانة قد عليه بمحاجب

فلربما منعه الكريم ومابه * بجمل ولكن سوء حظ الطالب

فقال وقد سمع ما قلت أرجع يا أبا جعفر فرب غير سوء حظ الطالب ولكن إذا سألتونا الحاجة فعادونا فإن القلوب بيد الله تعالى فأخذ الرقعة ووقع فيها بما أردت وسأل اسحق بن ربيعي اسحق بن ابراهيم المصبي أن يوصل له رقعة إلى المأمون فقال لكتابه ضمها إلى رقعة فلان فقال

تأن لحاجتي واشددعراها * فقد أضحيت بمنزلة الضياع

إذا شاركها بلبان أخرى * أضربها مشاركة الرضاع

وقال أبو دقافة البصري

أضحت حوائجنا إليك مذاخة * معقولة بربك الوصال

أطلق فديتك بالنجاح عقا لها * حتى تنور معابغ غير عقا

وقال سلم الخاسر

* إذا أذن الله في حاجة * أناله النجاح على رسله *

فلانسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

ولله در القائل حيث قال

أيها المادح العباد ليعطى * ان الله ما أبدى العباد
فاسأل الله ما طلبت اليهم * وارح فرض المقسم الجواد

وعن عبد الله بن الحسن بن الحسين رضي الله تعالى عنهم قال أتيت باب عمر بن عبد العزيز
في حاجة فقال اذا كانت لك حاجة الى فأرسل الى رسولاً واكتب لي كتاباً فاني لاستحيي
من الله أن يراني بسببي وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال والذي وسع سمعه
الاصوات ما من أحد أودع قلباً سروراً الا خلق الله تعالى من ذلك السرور طعفاً فاذا نزلت
به ناسية جرى اليها كالماء في النخس اودع حتى يطرد هاعنه كما تطرد غريسة الابل وقال الجابر بن
عبد الله الانصاري رضي الله عنهم ما جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس اليه
فان قام بما يجب لله فيه اعرضها للدوام والبقاء وان لم يقم فيها بما يجب لله عرضها للزوال
نحو ذب الله من زوال النعمة ونسأله التوفيق والعصمة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً كثيراً ائتماً ابدأ الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(* الباب الثالث والعشرون في محاسن الاخلاق ومساوئها *)

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فخص الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم من كريم الطباع ومحاسن الاخلاق من الحياء والكرم والصفح وحسن العهد
بما لم يؤنه غيره ثم ما انى الله تعالى عليه بشئ من فضائله بعث ما انى عليه بحسن الخلق فقال
تعالى وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن يغضب لغضبه
ويرضى لرضاه وكان الحسن رضي الله عنه اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
أكرم ولد آدم على الله عز وجل أعظم الانبياء عليهم الصلاة والسلام منزلة عند الله
أتى بفاتح الدنيا فاختار ما عند الله تعالى وكان يا كل على الارض ويجلس على الارض
ويقول انما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ولا يأكل متكئ ولا على
خوان وكان يا كل خبز الشعير غير مخول وكان يا كل القثاء بالرطب ويقول برده هذا يطفئ
حرته وكان أحب الطعام اليه اللحم ويقول هذا يزيد في السمع ولو سألت ربي أن يطعمني
كل يوم لفعل وكان يحب الدباء ويقول يا عائشة اذا طبختن قدرافاً كثروا فيه من الدباء فانها
تشدد قلب الحزين وكان يقول اذا طبختن الدباء فاكثر وامن مرقها وكان يتكحل بالاعغد ولا
يفارق في سفره فارورة الدهن والكحل والمرأة والمشط والابرة فيحيط ثوبه بيده وكان يضحك
من غير تهمة ويرى اللعب المباح ولا ينكره وكان يسابق أهله قالت عائشة رضي الله عنها
سابقته فسابقته فلما كثرت لحي سابقتها فسبقني فضرب بكفي وقال هذه تلك وكان له عبيد واماء
لا يرتفع على أحد منهم في مأكل أو مشرب ولا ملبس وهو أعمى لا يقرأ ولا يكتب نشأ في بلاد
الجهل والاصحارى يتيماً لا أب له ولا أم فعلمه الله تعالى جميع محاسن الاخلاق وكان أفصح
الناس من طفاً وأحلام كلاماً وكان يقول أنا أنصح العرب وقال أنس رضي الله عنه والذي
بعثه بالحق نبياً ما قال لي في شيء قط كرهه لم فعلته ولا في شيء لم أفعله لم لا فعلته ولا لا في شيء
من أهله الا قال دعوه انما كان هذا بقضاء وقدر وقال بعض مشايخنا رحمه الله تعالى

لامانع من أن النبي صلى الله عليه وسلم اذا هضم نفسه وتواضع لا ينع من المرتبة التي هي أعلى مرتبة من العبودية فالنبي صلى الله عليه وسلم أعطاه الله تعالى مرتبة الملك مع كونه عبدا له متواضعا لحاز المرتبتين مرتبة العبودية ومرتبة الملكية ومع ذلك كان يلبس المرقع والصوف ويرقع ثوبه ويخفف نعله ويركب الحمار بلا كاف ويردف خلفه ويأكل الخشن من الطعام وما شبع قط من خبز بر ثلاثة أيام متوالية حتى أتى الله تعالى من دعاه لباه ومن صالحه لم يرفع يده حتى يكون هو الذي يرفعها يعود المريض ويتبع الجنائز ويجالس الفقراء أعظم الناس من الله مخافة وأنعمهم الله عز وجل بدنا وأجدهم في أمر الله لاتأخذ في الله لومة لائم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ما والله ما كان تغلق من دونه الابواب ولا كان دونه حجاب صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة قط ولا خادما له ولا ضرب بيده شيئا إلا أن يجاهد في سبيل الله ولا خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما إلا أن يكون انما وقطبعة رحم فيكون أبعد الناس منه وقال ابراهيم بن عباس لو وزنت كلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الناس لرجت وهي قوله عليه الصلاة والسلام انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم وفي رواية أخرى فسعوهم ببسط الوجه وخلق الحسن وعنه صلى الله عليه وسلم حسن الخلق زمام من رحمة الله تعالى في أنفس صاحبه والزمام بيد الملك والملك يجزئه الى الخير والخير يجزئه الى الجنة وسوء الخلق زمام من عذاب الله تعالى في أنفس صاحبه والزمام بيد الشيطان والشيطان يجزئه الى الشر والشر يجزئه الى النار وقال بعض السلف الحسن الخلق ذو قرابة عند الاغنياء والسبي الخلق أجنبى عند أهل وقال الفضيل لان يصحبنى فاجر حسن الخلق أحب الى من أن يصحبنى عابد سبي الخلق لان القابح اذا حسن خلقه خف على الناس وأحبه والعابد اذا ساء خلقه مقتوه بيت مفرد

ادارام التخلق جاذبته * خلأقه الى الطبع القديم

قيل أبا الله سبي الخلق التوبة لانه لا يخرج من ذنب الادخل في ذنب آخر لسوء خلقه وعن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن الرجل شي لم يقل ما بال فلان ولكن يقول ما بال أقوام يقولون حتى لا ينضح أحدا وعنه صلى الله عليه وسلم ما شئ في الميزان أثقل من حسن الخلق وعنه أيضا صلى الله عليه وسلم قال ثلاث من كن فيه كن له من صدق لسانه زكاه عمله ومن حسنت نيته زيد في رزقه ومن حسن بره لاهل بيته زيد له في عمره ثم قال وحسن الخلق وكف الاذى يزيدان في الرزق وقيل سوء الخلق يعدي لانه يدعو الى أن يتبادل بمثله وكتب الحسن بن علي الى أخيه الحسين رضي الله عنهم في اعطائه الشعراء فكذب اليه الحسين أنت أعلم مني بأن خير المال ما وقي به العرض فانظر الى شرف أدبه وحسن خلقه كيف ابتداء كتابه بأنت أعلم مني وكان بينه وبين أخيه كلام فقيل له ادخل على أخيك فهو أكبر منك فقال اني سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أعيما اثنين جرى بينهما كلام فطلب أحدهما رضا الآخر كان سابقه الى الجنة وأنا أكره أن أسبق أخى الاكبر الى الجنة فبلغ ذلك الحسن فجاءه عاجلا رضى الله عنهما وأنشد

واني لالقي المرء أعلم انه * عدو وفي أحشائه الضغن كامن
فأمنحه بشرافير جمع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن
وسرق بعض حاشية جعفر بن سليمان جوهره نفيسة وباعها بمال جزيل فأنفذ إلى الجوهريين
بصفتهما فقالوا باعها فلان من مدة ثم إن ذلك الرجل الذي سرقها قبض عليه وأحضر بين يدي
جعفر فلما رأى ما ظهر عليه قال له أراك قد تغير لونك ألسنت يوم كذا طلبت مني هذه الجوهره
فوهبتها لك وأقسم بالله لقد أنسيت هذا ثم أمر الجوهري بمنها وقال للرجل خذها الآن
حالا لا طيبا وباعها بالثمن الذي يطيب خاطر له لا تبسح بيع خائف ودخل محمد بن عباد على
المأمون فجعل يعممه يده وجارية على رأسه تبسم فقال لها المأمون تم تضحكين فقال ابن عباد أنا
أخبرك يا أمير المؤمنين تتعجب من قبهي وإكرامك إياي فقال لا تنجي فان تحت هذه العمامة
كرما ومجدد قال الشاعر

وهل ينفع القيان حسن وجوهرهم * اذا كانت الاعراض غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتي * فما كل مصقول الحسد يدعي في
(وحكى) أن بهرام الملك خرج يوما للصيد فاتفرد عن أصحابه فرأى صيدا فتبعه طامعا في
لحاقه حتى بعد عن عسكره فنظر إلى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه ليبول وقال للراعي احفظ
على فرسي حتى أبول فعمد الراعي إلى العنان وكان ملبسا ذهبيا كثيرا فاستغفل بهرام وأخرج
سكينه فقطع أطراف اللجام وأخذ الذهب الذي عليه فرفع بهرام نظره إليه فرأه فغض
بصره وأطرق برأسه إلى الأرض وأطال المجلس حتى أخذ الرجل حاجته ثم قام بهرام
فوضع يده على عينيه وقال للراعي قد تم إلى فرسي فانه قد دخل في عيني من سافي الريح فلا
أقدر على فتحهما فقد تمه إليه فركب وسار إلى أن وصل إلى عسكره فقال لصاحب مراكبه
إن أطراف اللجام قد وهبتا فلا تتهمت بهما أحدا (وذكر) أن أنوشروان وضع الموائد للناس
في يوم نوروز وجلس ودخل وجوه أهل مملكته في الأيوان فلما فرغوا من الطعام جاؤا
بالشراب وأحضرت القوا كدوا المشموم في آنية الذهب والفضة فلما رفعت آنية المجلس أخذ
بعض من حضرات ذهب وزنه أنف منقش وخبأه تحت ثيابه وأنوشروان يراه فلما فقهده
الشمراحي صاح بصوت عال لا يخرجن أحد حتى يفتش فقال كسرى ولم فأخبره بال قضية
فقال قد أخذته من لا يرده ورأه من لا ينم عليه فلا تفتش أحد فأخذ الرجل اللجام ومضى
فكسره وصاغ منه منطقة وحلية لسيفه وجدد له كسوة جميلة فلما كان في مثل ذلك اليوم
جلس الملك ودخل ذلك الرجل تلك الحلية فدعاه كسرى وقال له هذا من ذال فقبل الأرض
وقال نعم أصلحك الله وقال عبد الله بن طاهر كنت عند المأمون يوما فنادى بالخادم
يا غلام فلم يجبه أحد ثم نادى ثانيا وصاح يا غلام فدخل غلام تركي وهو يقول ما ينبغي للغلام
أن يأكل ولا يشرب كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام يا غلام إلى كم يا غلام فنكس المأمون
رأسه طويلا فهاهنا ككت أنه يأمرني بضرب عنقه ثم نظرت إلى فقال يا عبد الله إن
الرجل إذا حسنت أخلاقه ساءت أخلاق خدمه وإذا ساءت أخلاقه حسنت أخلاق خدمه

وانا لا أستطيع أن أنسى ، أخلاقنا التحسن أخلاق خدمنا * وقال ابن عباس رضي الله عنهما
وردد علينا الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة والبا وكأن وجهه ورقته من ورق المصحف
فوالله ما تركنا فقيرا الا أغناه ولا مدبونا الا أدى عنه دينه وكان ينظر الدنيا بعين أرق من
الماء ويكلمنا بكلام أحلى من الحنئ ولقد شهدت منه مشهدا لو كان من معاوية لذكرته تغذينا
يوماعنده فأقبل القراش بصحفة فعثر في وسادة فوقعت الصحفة من يده فوالله ما ردها الا ذقن
الوليد وانكب جميع ما فيها في حجره فبقي الغلام مقملا واقماما معه من روحه الا ما يقم
رجليه فقام الوليد قد دخل فغير ثيابه وأقبل علينا تنرق أسارير جبهته فأقبل على القراش
وقال يا أباس ما أرانا الاروق عيناك اذهب فأنت وأولادك أحرار لوجه الله تعالى * ومرض
أجد بن أبي دواد فعاده المعتمض وقال نذرت ان عافاك الله تعالى أن أنصديق بعشرة آلاف
دينار فقال له أجد يا أمير المؤمنين فاجعلها في أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة
فقال نويت أن أنصديق بها على من ههنا وأطلق لاهل الحرمين مثلها فقال أجد مع الله الاسلام
وأهله بك يا أمير المؤمنين فانك كما قال النهرى لا يسك الرشد رجة الله تعالى عليه
ان المكارم والمعروف أودية * أحلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بأمين الله معتصما * فليس بالصلوات الخمس ينفع

وقيل للاحنف بن قيس ممن تعطلت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم بينما هو ذات يوم
جالس في داره اذا جاءته خادم له يسفود عليه شواحات فترعت السفود من اللحم وألقته
خلف ظهرها فوقع على ابن له فقتله لوقتة فدهشت الجارية فقال لا روع عليك أنت حرة
لوجه الله تعالى وكان ابن عمر رضي الله عنه اذا رأى أحدا من عبده يحسن صلاته يعتقه
فعر فوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلاة مرا آذله فكان يعتقهم فقيل له في ذلك فقال
من خدعنا في الله انخدعنا له وروى أن أبا عثمان الزاهد اجتاز بعض الشوارع في وقت
الهجرة فألقى عليه من فوق سطح طست وماد فقغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم في الملقى للرماد
فقال أبو عثمان لا تقولوا شيئا فان من استحق أن يصب عليه النار فصولح بالرماد لم يجزه له أن
يغضب وقيل لابراهيم بن أدهم نعمة الله تعالى برحمته هل فرحت في الدنيا قط فقال نعم مرتين
احدهما اني كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان فبال على والثانية كنت جالسا فجاء انسان
فصغني وروى أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا
فرا أم مضطجعا فقال أما تسمع يا غلام قال نعم قال فما جلتك على ترك جوابي قال أمنت عقوبتك
فتسكلت فقال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى (وحي) أن أبا عثمان الحيرى دعاه انسان
الى ضيافة فلما وافي باب الدار قال له الرجل يا استاذ ليس لي وجه في دخولك فانصرف وجهك
الله فانصرف أبو عثمان فلما وافي منزله عاد الرجل اليه وقال يا استاذ نذمت وأخذ يعتذر له
وقال احضر الساعة فقام معه فلما وافي داره قال له مثل ما قال في الاولى ثم فعل به ذلك أربع
مرات وأبو عثمان ينصرف ويحضر ثم قال له يا استاذ انما أردت بذلك اختبارك والوقوف
على أخلاقك ثم جعل يعتذر له ويمدحه فقال أبو عثمان لا تمدحني على خلق تجده في الكلاب
فان الكلب اذا دعى حضر واذا جوازجر * وقال الحارث بن قصى يعجبني من القراء

كل فصيح مضحك فأما الذي تلقاه ببشر ويلصاك بوجه عبوس فلا كثر الله في المسلمين مثله
ومن محاسن الاخلاق ما حكى عن القاضي يحيى بن ابي بكر قال كنت نائماً ذات ليلة عند
المأمون فغطس فامتنع أن يصيح بغلام يسقيه وأنا نائم فنبهني على تنوي قرأ بته وقد قام
يمشي على أطراف أصابعه حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان
نحو من ثلثمائة خطوة فأخذ منها كوزاً فشرب ثم رجع يمضي على أطراف أصابعه حتى قرب
من الفراش الذي أنا عليه فخطا خطوات خائف ثلاثين حتى صار إلى فراشه ثم رأيته آخر
الليل قام يبول وكان يقوم في أول الليل وآخره فقعد طويلاً يحاول أن أتحدثك فيصيح بالغلام
فلما تحركت وثب قائماً وصاح يا غلام وتأهب للصلاة ثم جاءني فقال لي كيف أصبحت يا أبا
محمد وكيف كان مبيتك قلت خير ميت جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين قال لقد استيقظت
للمصلاة ففكرت أن أصبح بالغلام فأزجحك فقلت يا أمير المؤمنين قد خصك الله تعالى بأخلاق
الأنبياء وأحب لك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فأمر لي بألف دينار
فأخذتها وانصرفت قال وبث عنده ذات ليلة فأتته وقد عرض له السعال فجعلت أرمقه
وهو يحشونه بكم قميصه يدفع به السعال حتى غلبه فسهل وأكعب على الأرض لثلاً
بعالوصوته فأتته قال يحيى وكنت معه يوماً في بستان نذور فيه فجعلنا نترار بالبحان
فأخذ منهُ الطاقة والطاقتين ويقول لقيم البستان أصلي هذا الحوض ولا تغرس في هذا
الحوض شيئاً من البقول قال يحيى ومثينا في البستان من أوله إلى آخره وكنت أنا
مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان يجذبني أن أتحوّل أنا في الظل ويكون
هو في الشمس فامتنع من ذلك حتى بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يحيى والله لتكونن
في مكانين ولا تكونن في مكانك حتى أخذت نصيباً من الشمس كما أخذت نصيبك وتأخذ
نصيبك من الظل كما أخذت نصيبك فقلت والله يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقبلك يوم الهول
بنفسي لفعلت فلم يزل بي حتى تحوّلت إلى الظل وتحوّل هو إلى الشمس ووضع يده على
عاتقي وقال بهيأتني عليك إلا ما وضعت يدي على عاتقي مثل ما فعلت أنا فإنه لا خير في محبة
من لا يصف فانظر إلى أخلاقهم رضي الله تعالى عنهم ما أحسنها وإلى أفعالهم ما أزيها
نسأل الله تعالى أن يحسن أخلاقنا وأن يبارك لنا في أرزاقنا أنه على ما يشاء قدير
وبالاجابة جدير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

(الباب الرابع والعشرون في حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزبارة وما أشبه ذلك)

اعلم أن المودة والاخوة والزبارة سبب التألف والتألف سبب القوة والقوة سبب التقوى
والتقوى حصن منيع وركن شديد يمانع الضيم وتسال الرغائب وتنج المقاصد وقد من الله
تعالى على قوم وذكرهم نعمته عليهم بأن جمع قلوبهم على الصفاء وردّها بعد الفقرة إلى
الائتلاف والاخاف فقال تعالى واذكروا نعمته الله عليكم اذكروا أعداءنا لنف بين قلوبكم فأصبحتم
بنعمته اخواناً ووصف نعيم الجنة وما أعد فيها لأولياؤه من الكرامة اذ جعلهم اخواناً على
سرر متقابلين وقد سن رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخاء ونذّب اليه وأخى بين الصحابة

رضى الله تعالى عنهم أجمعين وقد ذكر الله تعالى أهل جهنم وما يلحقون فيها من الألم اذ يقولون
 يا لنا من شاقين ولا صديق حميم وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم وجهه الرجل
 بلا أخ كشمال بلايين وأنشدوا في ذلك

* وما المرء الا باخوانه * كما يقبض الكف بالمعصم

ولا خير في الكف مقطوعة * ولا خير في الساعد الاجذم

وقال زياد خيرا ما كتب المرء الاخوان فانهم معونة على حوادث الزمان ونوايب الحداث
 وعون في السراء والضراء ومن كلام علي رضى الله عنه وكرم وجهه

عالمك باخوان الصفاء فانهم * عماد اذا استجدتهم وظهور

وان قليلا ألف خل وصاحب * وان عدوا واحدا لك كثير

وقال الاوزاعي الصاحب للصاحب كالرقعة في الثوب ان لم تكن مثله شاته وقال عبد الله
 ابن طاهر المال غادورائح والسلطان ظل زائل والاخوان كنوز وافرقة وقال المأمون
 للحسن بن سهل نظرت في اللذات فوجدتها كلها مملولة سوى سبعة قال وما السبعة يا أمير
 المؤمنين قال خبز الخنطة ولحم الغنم والماء البارد والثوب الناعم والزائحة الطيبة والقراش
 الوطى را النظر الى الحسن من كل شيء قال فأين أنت يا أمير المؤمنين من محادثة الرجال
 قال صدقت وهي أولاهن وقال سليمان بن عبد الملك أكلت الطيب ولبست اللين وركبت
 الفاره واقتضضت العذراء فلم يبق من لذاتي الا صديق أطرح معه مؤنة التحفظ وكذلك قال
 معاوية رضى الله عنه نكحت النساء حتى ما أفرق بين امرأة وحائط وأكلت الطعام حتى
 لا أجده ما أستمرقه وشربت الاشربة حتى رجعت الى الماء وركبت المطايا حتى اخترت
 نعلى ولبست الثياب حتى اخترت البياض فبقي من اللذات ما توق اليه نفسى الامحاشة أخ
 كريم وأنشدوا في معنى ذلك

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول

وقد كأنهم قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

وقال لبید

ما عاتب المرء اللبيب كنفسه * والمرء يصلحه المجلس الصالح

وقال آخر

اذا ما أتت من صاحب لك زاة * فكن أنت محملا لزلته عذرا

وقيل لابن السماك أى الاخوان أحق ببقاء المودة قال الوافر دينه الوافى عقله الذى لا يملك
 على القرب ولا ينسأ على البعدان دنوت منه داناك وان بعدت عنه وعاك وان استغنت به
 عضدك وان احتجبت اليه رفدك وتكون مودة فعله أكر من مودة قوله وأنشدوا
 في المعنى

ان أخاك الصدق من يسى معك * ومن يضر نفسه لينفعك

ومن اذا ريب الزمان صدعك * شتت فيك شمله ليجمعك

وقال غيره

وليس أخى من ودفى بلسانه * ولكن أخى من ودفى وهو غائب
ومن ماله مالى اذا كنت معدما * ومالى له ان اعوزنه النوائب

وقال أبو تمام

* من لى بانسان اذا أغضبه * وجهلت كان الحلم ردي جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من * أخلاقه وسكرت من آدابه
وتراء يصغى للحديث بطارفه * وبقلبسه ولعله أدرى به

وقيل لخالد بن صقوان أى أخوانك أحب اليك الذى يستخلى ويغفر ذنوبى وقيل عترقى
وقيل من لا يؤاخى الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرخص من صديقه الا بشاره على نفسه
دام سخطه ومن عاتب على كل ذنب ضاع عنه وكثر نعبه قال الشاعر

ومن لم يغمض عينه عن صديقه * وعن بعض ما فيه عيب وهو عاتب

وقال آخر

اذا كنت فى كل الامور معاتبا * صديقك لم تلق الذى لاتعاتبه
وان أنت لم تشرب مرارا على الاذى * ظلمت وأى الامن تصفوه مشاربته

وقالوا اذا رأيت من أخيك أمرا ~~تكرهه~~ واخذه لاحتها فلا تقطع حبله ولا تصرم وده ولكن
داوكلته واستر عورته وأبقه وابرا من حمله قال الله تعالى فان عصولك فى برى سمعنا عملون
فلم يامر به بقطعهم وانما أمر بالبراءة من عملهم السيئ وقال صلى الله عليه وسلم لا ارواح
أجناد مجندة فبما تعارف منها ائتلف وبما افتار منها اختلف وقال عليه الصلاة والسلام
ان روى المؤمن بين يلتصقان من مسير يوم وما رأى أحدهما صاحبه وفى ذلك قال
بعضهم

هو يتكلم بالسمع قبل لقائكم * وسمع الفتى بهوى لعمري كطرفه
وخبرت عنكم كل جود ورفعة * فلما التقينا كنتم فوق وصفه

وقال آخر

تبسم الثغر عن أوصافكم فغدا * من طيب ذكركم شررا فاحيانا
فن هنالك عشتقناكم ولم نركم * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

ما تحب اثنان فى الله الا ~~كان~~ فضلهم ما عند الله أشدهما حبيا صاحبه ما زار أخا
فى الله شوقا اليه ورغبة فى لقائه الا نادته ملائكة من ورائه طبت وطابت لك الجنة
وقالوا ليس سرور يعدل لقاء الاخوان ولا غم يعدل فراقهم وقالوا شر الاخوان الواصل
فى الرضا الخالذ عند الشدة وقالوا ان من الوفاء أن تكون لصديق صديقك صديقا
ولعدو صديقك عدوا وقالوا أعجب الاشياء وقعن بهودى وفظ من ندرانى ورياضة
من دهرى وكرم من أعجمى والحذر من الكبريم اذا أهنته وللثيم اذا كرمته والعاقل
اذا أخرجته والاحق اذا ما زحمته والفاجر اذا عاشرته وقالوا اصحب من لاخوان من أولئك
جائل كثيرة فكافاته بهيمة واحدة فتسى بثلثه وبقي شاكرنا شر اذا اكره الجيلة بوليك عليها

الاحسان الكثير الخزيل ويجعل أنه ما بلغ من مكافاة القلب وقال ابن عائشة لقاء الخليل
شفاء الغليل وقال بعض الحكماء اذا وقع بصرك على شخص فحسرت عليه فاحذره جهنم
قال عبدالله بن طاهر

خليلي لا بغضاء حال مينة * ولحب آثار ترى ومعارف *
فما تنكر العينان فالقلب منكسر * وما تعرف العينان فالقلب عارف
وقال آخر

وكنتم اذا الصديق أواد غمطي * وشرفني على ظماب ربي
غمرت ذنوبه وكطمت غمطي * مخافة أن أعيش بلا صديق
وقال آخر

وليس في القيان من جل همهم * صبور وان أمسى ففضل غبور
ولكن في القيان من راح أوغدا * لضمر عدو أو لنفع صديق

(وأما آداب المعاشرة) فاللباشاة والبشرو حسن الخلق والادب فعن جابر بن عبدالله رضي الله
عنه ما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من أخلاق النبيين والصديقين البشاشة اذا تراءوا
والمصافحة اذا اتلاقوا وكان القهقاع بن شورا الهذلي اذا اجالس به رجلا يجعل له نصيبا من
ماله ويعينه على حوائجه ويدخل يوما على معاوية فأمر له بألف دينار وكان هنالك رجل قد فرغ
له في المجلس فدفعها للذي فسح له فقال

وكنتم جلوس قهقاع بن شورا * وما يشقي قهقاع جلوس
فحول السنين ان نطقوا بخير * وعند الشر مطراق عبوس

وقال ابن عباس رضي الله عنه ما جلوس على ثلاث أن أرمقه بطرفي اذا قبل وأوسع له
اذا جلس وأصغى له اذا حدث ويقال لكل شيء محل ومحل العقل مجالسة الناس ومثل الجلوس
الحسن كالعطارة ان لم يصبك من عطره أصابك من رائحته ومثل الجلوس السوء مثل
الكبريت ان لم يحرق ثوبك بشاره أذ لك بدخانه وكانت تحية العرب صحبتك الانعمة وطيب
الاطعمة وتقول أيضا صحبتك الافالخ وكل طير صالح ووصف المأمون تمامة بحسن المعاشرة
فقال انه يتصرف مع القلوب تصرف السحاب مع الجنوب وقيل أقول ما يتعين على الجلوس
الانصاف في المجالسة بأن يلحظ بين الادب مكانه من مكان جلوسه فيكون لكل منهم ما في محله
وقال صلى الله عليه وسلم ذو العلم والسلطان احق بشرف المنزل وقال جعفر الصادق رضي الله
عنه اذا دخلت منزل أخيك فاقبل كرامته كلها ما عدا الجلوس في الصدر وينبغي للانسان أن لا
يقبل بمحذبه على من لا يقبل عليه فقد قيل ان نشاط المتكلم بقدر اقبال السامع ويتعين عليه
ان يحدث المستمع على قدر عقله ولا يمتدع كلاما لا يليق بالمجلس فقد قيل لكل مقام مقال
وخير القول ما رافق الحال وأوجبوا على المستمع انه اذا ردد عليه من المتكلم ما كان
مربحه أو لا أن لا يقطع عليه ما يقوله بل يسكت الى أن يستوعب منه القول وعدوا ذلك
من باب الادب ولعله اذا صبر وسكت استفاد من ذلك زيادة فائدة لم تكن في حفظه وقيل غاية
أن أهينوا فلا يلوموا الأنفهم هم الجالس في مجالس ليس له باهل والمقبل بمحذبه على

من لا يسمعهم والداخل بين اثنين في حديثهم ما لم يدع لافيه والمتمرض لما لا يعينه والمتأمر
على رب البيت في بيته والأتى الى مائدة بلادعوة وطالب الخير من أعدائه والمستحق
بقدر السلطان ويعين على المجلس أن يراعى ألفاظه ويحسب كون على حذر أن يعثر لسانه
خصوصا اذا كان جلوسه ذهفة فقد قيل رب كلمة سلبت نعمة وقال أبو العباس السفاح
ما رأيت أغزر من فكري أبي بكر الهذلي لم يعد على حديثنا قط وقيل ان أبا العباس
كان يحذره يوما اذا عصفت الريح فارقت طستنا من سطح الى المجلس فارتاع من حضر
ولم يترك الهذلي ولم تزل عينه مطابقة لعين السفاح فقال ما أعجب شأنك يا هذلي فقال
ان الله يقول ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وانما لي قلب واحد فلما غمره النور
بمحادثة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال فلما انقلب الخضر على القبر ما أحسست
بها ولا وجدت لها فقال السفاح ان بقيت لك لارفعن من كانك ثم أمر له بمال جزيل
وصلة كبيرة وكان ابن خارجة يقول ما غلبني أحد قط غلبة رجل يصغي الى حديثي
وفي نوايح الحكم أكرم حديث أخيك بانصافك ومنه من وصمة التفاتك وقيل من
حتى الملك اذا تشاب أو ألقى المروحة من يده أو مدر جلوسه أو غطى أو أتى أو فعل ما يدل
على كسله أن يقوم من محضره وكان اردشير اذا عطى قام سماره ومن حق الملك
أن لا يعاد عليه حديث وان طال الدهر قال روح بن زبباع أقت مع عبد الملك سبع عشرة
سنة فما عدت عليه حديثا الا مرة واحدة فقال لي قد سمعته منك وعن الشعبي قال
ما حدثت بحديث مرتين رجلا بعينه وقال عطاء بن أبي رباح ان الرجل يهذلي بالحديث
فأنصت له كأنني لم أسمع قط وقد سمعت به من قبل أن يولد وقبل المودة طلاقة الوجه والتودد
الى الناس وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه ان المسلمين اذا اتقوا فضعف كل واحد
منهم في وجه صاحبه ثم أخذ يدهم فحاث ذنوبهم ما كتمان ورق الشجر وقبل البشر يد على
السخاء كما يدل النور على النور وقبل من السنة اذا حدثت القوم أن لا تقبل على واحد منهم
واحد كن اجعل لكل واحد منهم نصيبا وقالوا اذا أردت حسن المعاشرة فالتق عدوك
وصديقك بالطلاقة ووجه الرضا والبشارة ولا تنظر في عطفك ولا تنكسر الالتفات ولا تقف
على الجماعات واذا جلست فلا تتكبر على أحد وتحفظ من تشبهك أصابعك ومن العبث
بجنتك ومن اللعب بخاتمك وتحليل أسنانك وادخال أصبعك في أنفك وكثرة بصاقت وكثرة
التعطى والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وليكن مجلسك هادئا وحديثك منظوما مرتبا
واصغ الى كلام مجالسك واسكت عن المصاحك ولا تصنع منع المرافة التزين ولا تلج
في الحاجات ولا تشجع أحدا على الظلم ولا تهزل أمتك ولا تعب نفسك فيسقط وقارك عندهما
واذا خاصمت فأ نصف وتحفظ من جهالك وتجنب جهاتك وتفكر في جنتك ولا تنكسر الاشارة
بيدك ولا الالتفات الى من ورائك وأهدى غضبك ونكلم واذا قربك سلطان فكن منه
على حذر واحذر انقلابه عليك وكلمه بما يشتهى ولا يحملك انطقه بك على أن تدخل
بينه وبين أهله وحشمه وان كنت لذلك مستحقا عنده وابل وصديق العافية فانه أعدى
الاعداء ولا تجعل مالك أكرم من عرضك ولا تجالس الملوك فان فعلت فالتمز ترك الغيبة

ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الخواص وتم هذيب الافاظ والمذاكر بأخلاق الملوكة
والحدود منهم وان ظهرت المودة ولا تتجشأ بحضورهم ولا تتخل أسنانك بعد الاكل
عندهم ولا تجالس العامة فان فعلت فآداب ذلك ترك الخوض في حديثهم وقلة الاصفا
الى أراجيفهم والتخافل مما يجرى من سوء أفاظهم وإياك أن تمزح لبيبا وسفها فان
اللييب يحقد عليك والسف فيه يجر عليك ولان المزح يحرق الهية ويذهب بماء الوجه
ويغيب الحقد ويذهب بجلالة الايمان والود ويشين فقهه الفقيه ويجري السفه ويميت
القلب ويساعد عن الرب تعالى ويكسب الغفلة والذلة ومن بلى في مجلس بمزاح أو لفظ
فليذكر الله عند قيامه فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من جلس في مجلس
فكثرت فيه لفظه فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله
الا أنت أسئته غفرك وأتوب اليك غفر له ما كان في مجلسه ذلك (وأما آداب المسيرة) فقد
روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تعقب هو وعلى بن أبي طالب كرم الله
وجهه ورجل آخر من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في سفر على بعير فكان اذا جاءت
نوبته في المشي مشى فبعز زمان عليه أن لا يمشي فبأبي ويقول ما أنتم بأقدر مني على مشي
وما أنا بأغنى منكم عن أجر وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا ظهور الدواب كراسي
وقبل لا تتقدم الاصاغر على الاكابر الا في ثلاث اذا ساروا بالبلا وأخاضوا سيلا أو واجهوا
خيلا

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لا يكون الصديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث في نكبته
وغيبته ووفاته

وأما ما جاء في الاخوان القليلي المواقاة العديمي المصافاة الذين ليس عندهم لصديق
مصافاة

فقال وهب بن منبه صحبت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلا غفرتي ذلة ولا أقالني عثرة
ولا سترتني عورة وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه اذا كان الغدر طبعها فالتقة بكل
أحد عجز وقيل لبعضهم ما الصديق قال اسم وضع على غير مسمى وحبوان غيره موجود
قال الشاعر

معنا بالصديق ولا نراه * على التحقيق يوجد في الانام
وأحسبه محال لقوه * على وجه المجاز من الكلام

وقال أبو الدرداء كان الناس زرقا لا شول فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه وقال جعفر الصادق
لبعض اخوانه أقلل من معرفة الناس وأكبر من عرفت منهم وان كان لك مائة صديق فاطرح
تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر وقيل لبعض الولاة كم لك صديق فقال أما في حال
الولاية فكثير وانشد

الناس اخوان من دامت لهم * والويل للمرء زلت به القدم
ولما نكب على بن عيسى الوزير لم ينظر بيابه أحدا من اصحابه الذين كانوا بالقوة في ولايته فلما
ردت اليه الوزارة وقف اصحابه بيابه ثانيا فقال

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها * فكلما انقلب يومه انقلبوا
يعظمون أمّا الدنيا فان وثبت * يوما عليه بما لا يشتهى وثبوا
وقال آخر

فما أكثر الاصحاب حين نعتهم * ولكنهم في الثائبات قليل
وقال البحتري

ايلا تغتر أو تتخذك بارقة * من ذي خداع يرى بشرا وأطافا
فلو قلبت جميع الارض فاطبة * وسرت في الارض اوساطا واطرافا
لم تاتي فيها صديقا صادقا أبدا * ولا أخا يسذل الانصاف ان صافى
وقال بعضهم في المعنى أيضا

خليلى جرت الزمان وأهله * فما نالني منهم سوى الهم والعنا
وعاشرت أبناء الزمان فلم أجد * خليلا يوفى بالعهود ولا أنا
وقال آخر

لما رأيت بغي الزمان ومابهم * خلّ وفي للشدائد أخطى
فعلت أن المستحيل ثلاثة * القول والعناء والخلّ الوفى
بيت مفرد

وكل خليل ليس في الله وده * فاني به في وده غير واثق
وقال آخر

اذا ما كنت متخذ اخليل * فلانا من خليلك أن يخونا
فانك لم يخنك اخ امين * واسكن قبلما تلقى آمينا
وقال آخر

تعب عدوى ثم تزعم أنني * أو قل ان الرأي عنك لعازب
وليس اخي من ودي بلسانه * ولكن اخي من ودي وهو غائب
ومن ماله مالي اذا كنت معدما * ومالي له ان اعوزته الثواب

ولما غضب السلطان على الوزير ابن مقلة وامر بقطع يده لما بلغه انه زور عنه كتابا الى اعدائه وعزله
لم يأت اليه احد ممن كان يعصبه ولا توجع له ثم ان السلطان ظهر له في بقية يومه انه يرى مما نسب
اليه فخلع عليه ورد اليه ونظافته فأنشد يقول هذه الايات

تخالف الناس والزمان * فغبت كان الزمان كانوا
عاداني الدهر نصف يوم * فأنكشف الناس لي وبانوا
يا أيها المعرضون هنا * عودوا فقد عادلي الزمان
ومثله في المعنى

اخولك اخولك من يدنو وزيرجو * مودته وان دى استجابا
اذا حاربك حارب من تعادى * وزاد سلاحه منك اقترابا

وقال ابو بكر الخالدي

وأخ رخصت عليه حتى ملق * والشئ يملول اذا ما يرخص
ما في زمانك من بعز وجوده * ان رمت الاصديق مخلص
فيحب على الانسان أن لا يصعب الامن له دين وتقوى فان المحبة في الله تنفع في الدنيا والآخرة
وما أحسن ما قال بعضهم

وكل محبة في الله تبقى * على الحالين من فرج وضيق
وكل محبة فيما سواه * فكل خافاء في لهب الحريق

فينبغي للانسان أن يجتنب معاشره الاشرار ويترك مصاحبة الفجار ويتم بجر من ساءت خلقته
وقبحت بين الناس سيرته قال الله تعالى الا تخلصوا هؤلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوا الا المتقين وقال تعالى
وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امنا لكم فأنبت الله المماثلة بيننا
وبين البهائم وذلك انما هو في الاخلاق خاصة فليس أحدهم من الخلق الا وفيه خلق من أخلاق
البهائم ولهذا تجد اخلاق الخلائق مختلفة فاذا رأيت الرجل جاهلا في خلقه فليظن في طبائعه
قويافي بدنه لا تؤمن ضغائنه فالحق به عالم النورة والعرب تقول أجهل من غمر واذا رأيت الرجل
هجماعا على أعراض الناس فقد ماثل عالم الكلاب فان دأب الكلب أن يحفوف من لا يحفوفه
ويؤذي من لا يؤذي فعامل به الكلب اذا نبح ألسنت تذهب وقتره واذا
رأيت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت نعم قال لا وان قلت لا قال نعم فالحق به عالم الجير
فان دأب الجمار ان أذنته بعدوان أبعدته قرب فلا تنفع به ولا يـ كـمك مقارنته وان
رأيت انسانا يهجم على الاموال والارواح فالحق به عالم الاسود وخذ خذركم من كذا ماخذ
خذركم من الاسود واذا بليت بانسان خبيث كثير الروغان فالحق به عالم الثعالب واذا
رأيت من عشي بين الناس بالنسيمة ويفرق بين الاحبة فالحق به عالم الظربان وهي دابة صغيرة
تقول العرب عند تفرق الجماعة مشى بينهم ظربان فتفرقوا واذا رأيت انسانا لا يسمع
الحكمة والعلم وينفر من مجاسة العلماء ويألف أخبار أهل الدنيا فالحق به عالم الخنافس
فانه يجمعها أكل العذرات وملاسة النجاسات وتنفر من ريح المسك والورد واذا شمت
الرائحة الطيبة ماتت لوقتها واذا رأيت الرجل يصنع بنفسه كما تصنع المرأة بعلها يبيض ثيابه
وبعدل عمامته وينظر في عطفيه فالحق به عالم الطواويس واذا بليت بانسان حقود لا ينسى
الهفوات ويجازي بعد المدة الطويلة على السقطات فالحق به عالم الجمال والعرب تقول
أحق قدم من جعل فتجنب قرب الرجل الحقود وعلى هذا النمط فليحتز العاقل من محبة
الاشرار وأهل الغدر ومن لا وفاء لهم فانه اذا فعل ذلك سلم من مكايدهم الخلق وأراح قلبه
وبدنه والله أعلم * (وأما الزيارة والاستدعاء اليها) * فقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول الله تعالى وجبت محبة للمحبين في المتبذلين في المتزاورين في اليوم أظلمهم
في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا أو زارا أو نادى مناد
أن طبت وطاب ممشاك وتبوات من الجنة منزلا وقيل المحبة شجرة أصلها الزيارة قال
الشاعر

زرم نحب وان شطت بك الدار * وحال من دونه محب وأستار

لا ينبغي ذلك بعد من زيارته * ان المحب لمن بهواه زوار
ولم يكن الزيارة غبا لقوله صلى الله عليه وسلم زرغبنا زدحبا قال الشاعر في معنى ذلك

عليك باغباب الزيارة انما * اذا كثرت صارت الى الهجر مسلكا
ألم تر أن الغيث بسأم دأئنا * ويسئل بالابدى اذا هو أمسكا
ويقال الاكثر من الزيارة على والاقلال منها محمل وكتب صديق الى صديقه هذا البيت
اذا ما تقاطعنا ونحن ببلدة * فما فضل قرب الادومنا على البعد
وقال آخر

وان مروى بالديار التي بها * سلمى ولم ألهم بها الخفاء
وقال آخر

قد أتانا من آل سعدى رسول * حبذا ما يقول لي وأقول
وقال آخر

أزور بيوتنا لاصقات بيئنا * وقلبي في البيت الذي لا أزوره
وزار محمد بن يزيد المهلبى المستعين ووهب له مائتى ألف درهم وأقطعهم أرضا فقال
وخصصتني بزيارة أضفى لنا * مجديها طول الزمان مؤثلا
وقضيت ديني وهودين وافر * لم يقضه مع جوده المتوكل
وكتب المأمون الى جاريته الخيزران يستدعيها للزيارة

نحن في أفضل السرور ولكن * ليس الا بكم يتم السرور
عجب ما نحن فيه بأهل دنى * أنكم غبتم ونحن حضور
فأجذبوا المسير بل ان قدرتم * أن تطيروا مع الرياح فطيروا

وقبل لى فيلسوف أى الرسل أنجى قال الذى له جمال وعقل وقيل اذا أرسلتم رسولا فى حاجة
فأخذوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لقمان لابنه يا بنى لا تبع رسولا جاهلا فان لم تجد
حكيماء عارفا فكن رسول نفسك وقال بعضهم

اذا أبطأ الرسول فقل نجاح * ولا تفرح اذا عمل الرسول

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس والعشرون فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم وفضل الشفاعة واصلاح
ذات لىن وفيه فصلان

(الفصل الاول فى الشفقة على خلق الله تعالى والرحمة بهم) قال الله تعالى لقد جاءكم رسول
من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم يا مؤمنين رؤوف رحيم ووصف الله سبحانه
وتعالى نفسه لعباده فقال عز وجل ان الله بالناس لرؤوف رحيم وقال تعالى الحمد لله رب العالمين
الرحمن الرحيم قال المفسرون الرحمن اسم رقيق يدل على العطف والرفقة واللطف والكرم
والمنة والحلم على الخلق والرحيم مثله وقبل يقال رحمن الدنيا ورحيم الآخرة وعن أنس بن
مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لا يرفع الله

الرجة الاعلى رحيم قلنا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الرحيم الذي يرحم نفسه وأهله خاصة ولكن الرحيم الذي يرحم المسلمين رواه أبو يعلى والطبراني وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهم ما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له وعنه صلى الله عليه وسلم قال ارحموا تزجوا واغفروا يغفر لكم وعن أبي بكر الصديق رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي رواه أبو محمد بن عدى في كتاب الكامل وروى شامى طريق الطبراني عن الشعبي عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في تراجهم وتواددهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضومنه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر قال الطبراني انى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فسأته عن هذا الحديث فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأشار بيده صحح صحح صحح ثلاثا وعن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مسح على رأس يقيم كان له بكل شعرة تمر عليها يوم القيامة ودخل عامل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فوجده مستلقيا على ظهره وصدياته يلعبون على بطنه فانكر ذلك عليه فقال له عمر كيف أنت مع أهلك قال اذا دخلت سكت الناطق فقال له اعتزل فانك لا ترفق بأهلك وولدت فكيف ترفق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم وروى عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان أبدال أمي لن يدخلوا الجنة بالأعمال ولكن يدخلونها بركة الله وسخاوة النفس وسلامة الصدر والرجة لجميع المسلمين

(الفصل الثاني فى الشفاعة واصلاح ذات البين) قال الله تعالى من يشفع شفاعته حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعته سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شئ مقبنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره فيقول له جعلت لك جاهيا فهل نصرت به مظلوما أو وقعت به ظالما أو أغنت به مكروبا وقال صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة أن تعين بها جاهك من لاجاله وعن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جاء فى طالب حاجة فاشفعوا له لكى تؤجروا ويقضى الله تعالى على لسان نبيه ما شاء وعن حمزة بن جندب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الأسير وتحقق بها الدماء وتجتر بها المعروف الى أخيك وتدفع عنه بها كربة رواه الطبراني فى المعكرم وقال على رضى الله عنه الشفيع جناح الطالب وقال رجل لبعض الولاة ان الناس يتوسلون اليك بغيرك فينالون معروفك ويشكرون غيرك وأنا أتوسل اليك ليكون شكرى لك لا غيرك وقيل كان المنصور محبا بمعاذة محمد بن جعفر بن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم وكان الناس لعظم قدره يفتخرون اليه فى الشفاعات فنقل ذلك على المنصور فحبه مدة ثم لم يصبر عنه فامر الربيع أن يكلمه فى ذلك فكلمه وقال اعف أمير المؤمنين لانه قل عليه فى الشفاعات نقبل ذلك منه فلما توجه الى الباب اعترضه قوم من قريش معهم رفاع فسالوه ايسالها الى

المتصور فقص عليهم القصة فأبوا الآن يأخذها فقال ائذفوها في كمي ثم دخل عليه وهو في الخضراء مشرف على مدينة السلام وما حوله من البساتين فقال له أما ترى إلى حسناتها يا أبا عبد الله فقال لها يا أبا عبد الله يا أبا عبد الله لك فيما آتاك وهناك يا نعمته عليك فيما أعطاك فما بنت العرب في دولة الاسلام ولا العجم في سالف الايام أحسن ولا أحسن من مدينتك ولكن سمعنا في عيني خصله قال وما هي قال ليس لي فيها ضيعة فنبسم وقال قد حسنت في عينك بثلاث ضياع قد أقطعكها فقال أنت والله يا أبا عبد الله يا أبا عبد الله شريف الموارد كريم المصادر فجعل الله تعالى باقي عمره كثر من ماضيه ثم أقام معه يومه ذلك فلما نهض ليقيم بدت الرقاع من كفه فجعل يرددها ويقول ارجع من حجابات خاسرات فضحك المتصور وقال بحق عليك ألا أخبرني وأعلمني بخبر هذه الرقاع فأعلمه وقال ما أتيت يا ابن معلم الخير إلا كرايا وتمثل بقول عبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر

استأوان احسانا كرمت * يوما على الاحساب تسكل

نبى كما كانت أوائلنا * تبني ونفعل مثل ما فعلوا

ثم نصفع الرقاع وقضى حوائجهم عن آخرها قال محمد فخرجت من عنده ردة ربيحت وأرجمت وقال المبردا أنا في رجل لا شفيع له في حاجة فأشددني لنفسه

اني قصدتك لأدلى بعرفة * ولا يقرب ولكن قد فتت نعمك

فبت حيران مستر وبأبورتني * ذل الغريب ويغشيني الكرى كرمك

مازلت أنكب حتى زلزلت قدمي * فاحتمل تشبيها لازلات قدمك

فلو همت بغير العرف ما علفت * به يدالك ولا انقادت له شيمك

قال فشفعت له وأنته من الاحسان ما قدرت عليه وكتب رجل الى يحيى بن خالد رقة فيها هذا البيت

البيت

شفي بي البك الله لاشئ غيره * وليس الى ردة الشفيع سبيل

فأمره بلزوم الدهليز فكان يعطيه كل يوم عند الصباح ألف درهم فلما استوفى ثلاثين ألفا ذهب الرجل فقال لي يحيى والله لو أقام الى آخر عمره ما قطعتم عنه شعر

وقد جئتكم بالصطفى متشفعا * وما خاب من بالمصطفى يتشفع

الى باب مولانا رفعت ظلاتي * عسى الهيم عني والمصائب ترفع

وقال آخر

نشفع بالنبي فكل عبد * يجار اذا نشفع بالنبي

ولا تجزع اذا ضاقت أمور * فكف الله من لطف خفي

وروى أن جبريل عليه السلام قال يا محمد لو كانت عبادتنا لله تعالى على وجه الارض

لعملنا ثلاث خصال سقى الماء للمسلمين واعانة أصحاب العيال وسقاة الدواب على المسلمين

اذا أذنوا اللهم استر ذنوبنا واغفر عنا بعتنا وصى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

وسلم

الباب السادس والعشرون في الحياء والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه

فصلان

(القصة ————— ل الأول في الحياء) قالت عائشة رضي الله تعالى عنها ما كرم الاخلاق عشرة
صدق الحديث وصدق اللسان وأداء الامانة وصلة الرحم والمكافاة بالصنيع وبذل المعروف
وحفظ الذمام للبجار وحفظ الذمام للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم الحياء شعبة من الايمان وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما أدرك الناس
من كلام النبوة الاولى اذ لم تستحي فاصنع ما شئت وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من
كسا بالحياء ثوبه لم ير الناس عيبه وعن زيد بن علي عن آيانه برفعونه من لم يستحي فهو ككافر
وقال أبو موسى الاشعري رضي الله عنه اني لا دخل البيت المظلم أعتمس في فيه من الجنابة
فأخفى فيه صايحي حياء من ربي وقال بهضم الوجه المصون بالحياء كالجوهر المكشوف
في الوعاء وقال الخواص ان العباد على اربع منازل على الخوف والرجاء والتعظيم
والحياء فأرفعها منزلة الحياء لما يقنوا أن الله يراهم على كل حال قالوا سواء علينا
رأينا أم لم نرنا وكان الحائر لهم عن معاصيه الحياء منه ويقال القناعة دليل الامانة
والامانة دليل الشكر والشكر دليل الزيادة والزيادة دليل بقاء النعمة والحياء دليل الخير
كله

(القصة ————— ل الثاني في التواضع وابن الجيات، وخفض الجناح) قال الله تعالى واخفض
جناحك للمؤمنين وقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض
ولا فسادا والعاقبة للمتقين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل العباد التواضع
وقال صلى الله عليه وسلم لا ترفعوني فوق قدرى فتهوتوا في ما قالت النصارى في المسيح
فان الله عز وجل اتخذني عبدا قبل أن يتخذني رسولا وأتاه صلى الله عليه وسلم رجل
فكلمه فأخذته رعدة فقال صلى الله عليه وسلم له هون عليك فاني لست بملك انما أنا ابن
امرأة من قريش تأكل القديد وكان صلى الله عليه وسلم يرفع ثوبه ويخفض فعله ويخدم
في مهنة أهله ولم يكن متكبرا ولا متكبيرا أشد الناس حياء وأكثرهم تواضعا وكان
اذا حدث بشئ مما أتاه الله تعالى قال ولا تخف وقال صلى الله عليه وسلم ان العفو
لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا عني عفاكم الله وان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا
يرفعكم الله وان الصدقة لا تزيد المال الا نماء فتصدقوا يزدكم الله وقال
عدي بن اربعة لا بأس بن معاوية انك لسريع المشية قال ذلك أبعدهم الكبر وأسرع
في الحاجة وخروج معاوية على ابن الزبير وابن عامر فقام ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال
معاوية لابن عامر اجلس فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أحب أن يتمثل
له الناس قيساما فليتبوأ مقعده من النار وقيل التواضع سلم الشرف وليس مطرف بن
عبد الله الصوفي وجلس مع المساكين فقبل له في ذلك فقال ان أبي كان جبارا فأحببت
أن أتواضع لربي لعله أن يحفف عن أبي تحبيرة وقال مجاهد ان الله تعالى لما أغرق قوم نوح
شخت الجبال وتواضع الجودي فرفعه فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال
الله تعالى لموسى عليه السلام هل تعرف لم كلمك من بين الناس قال لا يا رب قال لا رأيتك

تترغ بين يدي في التراب تواضعاً على وقيل من رفع نفسه فوق قدره استجلب مقت الناس
وقال أبو مسلم صاحب الذخيرة مائة الاوضاع ولا فخر الا لعل من تواضع لله رده الله
فسبحان من تواضع كل شيء لعز وجل عظمته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
(الباب السابع والعشرون في العجب والكبر والخيلة وما أشبه ذلك)

اعلم أن الكبر والاهجاب يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وحسبك من رذيلة تمنع
من سماع النصيحة وقبول التاديب والكبر يكسب المقت ويمنع من التأف قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جرت فوه خيلا لا ينظر الله اليه وقال الاحنف بن قيس مائة كبر
أحد الامن زلة يجدها في نفسه ولم تزل الحكمة تتحاشى الكبر وتأنف منه ونظر افلاطون
الى رجل جاهل محجب بنفسه فقال وددت أني مثلك في ظنك وأن أعدائي مثلك في الحقيقة
ورأى رجل رجلاً يحتمل في شبيهه فقال جعلني الله مثلك في نفسك ولا جعلني مثلك في نفسي
وقال الاحنف عجت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر ومرو بعض اولاد المهلب
بمالك بن دينار وهو يتجتر في مشيه فقال له مالك يا بني لو تركت هذه الخيلاء لكان أجلك
فقال أو ما تعرفني قال اعرفك معرفة جيدة أولاً نظفة مذرة وآخر كجيفة قدرة وأنت
بين ذلك تحمل العذرة فأرختي الفتى رأسه وكف عما كان عليه وقالوا لا يدوم الملك مع الكبر
وحسبك من رذيلة تسلب الرياسة والسيادة وأعظم من ذلك أن الله تعالى حرم الجنة على
المتكبرين فقال تعالى تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الارض ولا فساداً
فقرن الكبر بالفساد وقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق
قال بعض الحكماء ما رأيت متكبراً الا تحول ما به في بني أنكبر عليه واعلم أن الكبر يوجب
المقت ومن مقتته رجاله لم يستقم حاله والعرب تجعل جذبة الابرش غاية في الكبر يقال انه
كان لا ينادم أحداً ~~الكبر~~ ويقول اغما بناذمني الفرقدان وكان ابن عوانة من اقبح
الناس ~~كبرا~~ روى أنه قال لفلان ما اسقني ما فقال نعم فقال اغما بقول نعم من يقدر أن يقول
لا اصفعوه فضع ودعا ~~كبرا~~ اكارا فكامه فلما فرغ دعا بقاء فقصه مض به اسعة قد اذرا الخاطبة
وبقال فلان وضع نفسه في درجة لوسقط منها ~~كبرا~~ قال الجاحظ المشهورون
بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زارة بن
عدى ثم أما الاكاسرة فكانوا لا يعتدون الناس الا بعبداً وانفسهم الا بأرباباً وقيل لرجل
من بني عبدة الدار الا تأتي الخليفة فقال أخاف أن لا يتجمل الجدم شرقي وقيل للعجاج
ابن اربطة مالك لا تحضر الجماعة قال أخشى أن يراجني البساقون وقيل أني وائل بن حجر
الى النبي صلى الله عليه وسلم فاقطعه أرضاً وقال معاوية اعرض هذه الارض عليه واكتبها
له فخرج معه معاوية في هاجرة شديدة ومشي خلف ناقته فاحرقه حر الشمس فقال له
أردفني خلفك على ناقتك قال لست من أرداف الملوك قال فاعطني نعليك قال ما يجمل بمنعني
يا ابن أبي سفيان ولكن اكره أن يبلغ أقبال الين أنك لست نعلي ولا يمكن امش في نعل ناقتي
فحسبك بها شرفاً وقيل انه لحق زمن معاوية ودخل عليه فاقه فاقه معه على السرير وحدثه

وقال المسرور بن هند رجل أتعرفني قال لا قال أنا المسرور بن هند قال ما أعرفك قال فتعسا
ونكسما لم يعرف القمر قال الشاعر

قولا لا حقي يلوى التيه أخذه * لو كنت تعلم ما في التيه لم تته

التيه مفسدة للدين منقصة * للعقل مهلكة للعرض فاتية

وقيل لا يتكبر الاكل وضيع ولا يتواضع الاكل رفيع والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه وسلم

(الباب الثامن والعشرون في الفخر والمفاخرة والتفاضل والتفاوت)

فمن شواهد المفاخرة قوله تعالى أن من كان مؤمنا مكن كان فاسقا لا يستورون نزلت في علي بن
أبي طالب كرم الله وجهه وعقبة بن أبي معيط وكانا تنافرا وقوله تعالى أن من يلق في النار
خير أثن ياق أمنا يوم القيامة نزلت في أبي جهل وعمار بن ياسر والنسب إلى سيدنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف الانساب وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد
آدم ولا تخفوقد نزلت في الفخر بالانساب بقوله تعالى أن أكرمكم عند الله أتقاكم
فالفخر في الاسلام بالتقوى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبيكم واحد وان
أباكم واحد وانه لا فضل لعربي على عجمي ولا لأجرعي أسود الا بالتقوى الأهل
بلغت وقال الأصمعي بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة إذ رأيت شابا متعلقا باستار الكعبة
وهو يقول

يا من يجيب دعا المضطر في الظلم * يا كاشف الضر والباوى مع السقم

قد نام وفدك حول البيت واتبها * وأنت يا حي يا قيوم لم ننم *

أدعوك ربى حزينا هائما قلنا * فأرحم بكافى بحق البيت والحرم

ان كان جودك لا يبرجوه ذوسقمه * فمن يجود على العاصمين بالكرم

ثم يكي بكاشف الضر وأنت يقول

ألا أيها المقصود في كل حاجة * شكوت اليك الضر فأرحم شكاي

ألا يا رجاى أنت تكشف كربى * فهبل ذنوبى كلها واقض حاجتى

أنت يا مهال قباح رديئة * وما فى الورى عبد جنى بكناي

أفخرقنى بالنار يا غاية المني * فابن رجاى ثم أين مخافى *

ثم سقط على الارض مغشيا عليه فدفنوا منه فاذا هوزين العابد بن علي بن الحسين بن
علي بن أبي طالب رضى الله عنهم أجمعين فرفعت رأسه في حجرى وبكى فقطرت دموعه
من دموى على خده ففتح عينيه وقال من هذا الذى يهجم علينا قلت عبيدك الأصمعي
سيدى ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا فقال هيأت هيأت
يا أصمعي ان الله خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو
كان حرا قرشيا أليس الله تعالى يقول فاذا نفع في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا
ينساء لون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين

خسر وانفسهم في جهنم خالدون والفخر وان نهت عنه الاخبار النبوية ومجته العقول
الذكية الا ان العرب كانت تقف عيناها من البيان طبعالات تكلفا وجيلة لانها لم يكن لهم
من ينطق بفضلهم الا هم ولا ينه على مناقبهم سواهم وكان كعب بن زهير اذا انشد شعرا
قال لنفسه احسنت وجاوزت والله الاحسان فيقال له اختلف على شعرك فيقول نعم لاني
أبصر به منكم وكان الكعب اذا قال قصيدة صنع لها خطبة في الثناء عليها
ويقول عند انشادها أي علم بين جنبي وأی لسان بين فكي وقال الجاحظ لو لم يصف
الطبيب مصلح دوائه لله عاجل ما وجد له طالب ولما أبدع ابن المقفع في رسالته التي سماها
باليتمية تنزيها لها عن المثل سكنت من النفوس موضع ارادته من تعظيمها ولو لم ينحلها هذا
الامم لكانت كسائر رسائله وسند ذكر في هذا الباب ان شاء الله تعالى شيئا من
نظم البلغاء ونثرهم في الافتخار ومن تفاخر منهم بعون الله وفضله وتيسيره قال أبو بكر
الهدلي سايرت المنصور فعرض لنا رجل على ناقة جراء تطوى الفلاة وعليه جبة خرو عمامة
عديسة وفي يده سوط بكاديس الارض فلما رآه المتصور أمرني بأحضاره فعدعونه وسألته
عن نسبه وبلاده وعن قومه وعشيرته وعن ولادة الصدقة فأحسن الجواب فأعجبه ما رأي
منه فقال أنشدني شعرا فأنشده شعرا لأوس بن حجر وغيره من الشعراء من بني عمرو بن
تميم وحده حين أتى على بيت شعر لطريف بن تميم وهو قوله

ان الامور اذا أوردتها صدرت * ان الامور لها ورد واصدار

فقال ويحك ما كان طريف فيكم حيث قال هذا البيت قال كان ائقل العرب على عدوه
وطأة واقراهم لضيقه وأحوطهم من وراء جاره اجتمعت العرب بعكاظ فكلهم اقترأوا له
بهذه الخلال فقال له والله يا أخا بني تميم لقد أحسنت اذ وصفت صاحبك ولكني احق
ببيته منه ومن شعر أبي الطحان

واني من القوم الذين هم هم * اذ مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غاب كوكب * بدا كوكب ناوى اليه كواكبه
امضاء لهم أحسابهم ووجوههم * دبح الليل حتى نظم الخزع ثاقبه
وما زال فيهم حيث كان مسود * تسير المنايا حيث سارت ركائبه

ولما قدم معاوية المدينة سعد المنبر فخطب وقال من ابن علي رضي الله تعالى عنه فقام الحسن
فحمد الله وأثنى عليه ثم قال ان الله عز وجل لم يبعث بعثا الا جعل له عدوا من الجرمين فانا
ابن علي وأنت ابن خنجر وأما هند وأخي فاطمة وجدتك قبله وجدتي خديجة فلعن الله
الأمناء حسبا وأجلنا ذكرا وأعظمنا كفرا وأشدنا نقا فافصح اهل المسجد آمين آمين
فقطع معاوية خطبته ودخل منزله وروى أن معاوية خرج خارجا فمر بالمدينة ففرق على
أهلها أموالا ولم يحضر الحسن بن علي رضي الله عنهما فلما خرج من المدينة اعترضه
الحسن بن علي فقال لمعاوية مر حبا برجل تركنا حتى تقدمنا عندنا وتعرض لنا باليخلنا
فقال له الحسن ولم يقدم عندك وخارج الدنيا يجي اليك فقال معاوية اني قد أمرت
لك بمثل ما أمرت به لاهل المدينة وأنا ابن هند فقال الحسن قد رددته عليك وأنا ابن

فاطمة ودخل الحسين يوم اعلى يزيد بن معاوية فجعل يزيد يقتصر ويقول نحن ونحن ولنا من
الفخر والشرف كذا وكذا والحسين ساكت فأذن المؤذن فلما قال أشهد أن محمداً رسول
الله قال الحسين يا يزيد جئت من هذا الخيل يزيد ولم يرتجوا وبأني وفي ذلك يقول علي بن محمد بن
جعفر

لقد فاخرتنا من قريش عصابة * بمطخود وامتداد اصابع
فلما تنازعنا الفخار قضى لنا * عليهم بما نهوى نداء الصوامع
ترانا سكونا والشهيد بفضلنا * عليهم جهير الصوت من كل جامع
وله أيضا

اني وقوي من انساب قومهم * كسجد الخفيف من محبوبه الخفيف
ماعتق السيف منا بابن عاشر * الاوهمة أمضى من السيف
وتفاخر العباس بن عبد المطلب وطه بن شيبه وعلى بن أبي طالب فقال العباس أنا صاحب
السقاية والعاقم عليها وقال طه أنا خادم البيت وحيي فتناحاه فقال علي ما أدري ما تقول أنا
صليت الى هذه القبلة قبل كما بستة أشهر فنزلت أجمعتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كن
آمن بالله واليوم الآخر الآية وتفاخر رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال أحدهما أنا
فلان بن فلان حتى عدت تسعة آباء مشركين فقال الآخر أنا ابن فلان ولولا أنه مسلم ما ذكرته فأوحى
الله تعالى الى موسى عليه السلام أما الذي عدت تسعة آباء مشركين فحق على الله أن يجعل عائلتهم
في النار والذي انتسب الى آب مسلم فحق على الله أن يجعله مع أبيه المسلم في الجنة قال
سلمان الفارسي

أبي الاسلام لأب لي سواء * اذا افتخر وابتغى أوتيم
وتفاخر جبريل والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك فقال الفرزدق أنا ابن يحيى الموقى فأنت كر سليمان
قوله فقال يا أمير المؤمنين قال الله تعالى ومن أحباها فكا نأحبا الناس جميعا وحدثني فدى
الموودات فاستحيها فن قال سليمان انك مع شعرك لفقير وكان صعمة جد الفرزدق أول من
فدى الموودات وللعباس بن عبد المطلب

ان القبايل من قريش كلها * لبرون انا هام أهل الابطح
وترى لنا فضلا على ساداتها * فضل المنار على الطريق الاوضح
وكتب الحكم بن عبد الرحمن المرواني من الاندلس الى صاحب مصر يقتض
ألسنا بن مروان كيف تبدت * بنا الحال أودارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهلات * له الارض واهتزت اليه المنابر

وكتب اليه كتابا يبرجوه فيه ويسببه فيكتب اليه صاحب مصر أما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا
ولوعرفتنا لا جبننا والسلام وكان أبو العباس السفاح يعجبه السمر ومنازعة الرجال
بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخزومة الكندي وخالد بن صفوان بن الاثم
نخاضوا في الحديث وتذاكروا مضروبا بين فقال ابراهيم بن مخزومة يا أمير المؤمنين ان أهل
اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخر اعن

أقول منهم النعمان والمندور ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل
سفينة غصباً وليس من شيء لمخطر إلا إليه - من ينسب أن سئلوا أعطوا وإن نزل بهم -
ضيف قروءه فيهم العرب العاربة وغيرهم المتعربة فقال أبو العباس ما أظن التيمم رضى
بقولك ثم قال ما تقول أنت يا خالد قال إن أذن لي أمير المؤمنين في الكلام تكلمت قال تكلم
ولا تهب أحداً قال أخطأ المقصود بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم
السن فصيحة ولا لغة صحيفة نزل بهم ساكتاً ولا جات به أسنة يفخرون علينا بالنعمان
والمندور وتفخر عليهم بخير الانام وأكرم الكرام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام
فقلته المنسوبة علينا وعليهم فمنا النبي المصطفى والخليفة المرتضى واما البيت المعمور
وزمزم والحطيم والمقام والحجابه والبطحاء وما لا يحصى من المآثر ومننا الصديق والقاروق
وذو النورين والرضا والولي وأسدا الله وسيد الشهداء وبنا عرفوا الدين وأنهم
البقيين فمن زاجنا زاجنا ومن عادانا اصطلمناه ثم أقبل خالد على إبراهيم فقال ألك علم
بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين عندهم قال الجمجمة قال فما اسم السن قال المبدن
قال فما اسم الأذن قال الصنارة قال فما اسم الأصابع قال الشناتير قال فما اسم الذنب
قال الكنع قال أفعالم أنت بكاب الله عز وجل قال نعم قال فإن الله تعالى يقول أنا أنزلناه
قرأنا عريياً وقال تعالى بل إن عريى مبين وقال تعالى وما أرسلنا من رسول إلا بلسان
قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا أنزل أنزل أن الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل والجمجمة
بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والمبدن بالمبدن وقال تعالى والاذن بالاذن ولم
يقول والصنارة بالصنارة وقال تعالى يجعلون أصابعهم في آذانهم ولم يقل شناتيرهم
في صناراتهم وقال تعالى فأكله الذنب ولم يقل فأكله الكنع ثم قال لإبراهيم أي أسألك
عن أربع إن أقررت بين قهوت وإن جحدتهن كفرت قال وما هن قال الرسول منا أو منكم قال
منكم قال فالقرآن أنزل علينا أو عليكم قال عليكم قال فالتبريتنا أو فيكم قال فيكم قال فالبيت
لنا أو لكم قال لكم قال فاذبح فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما أنتم إلا سائس قرد أو
دابع جلد أو ناسج برد قال فضحك أبو العباس وأقر خالد وحباها ما جميعاً وقال بشار بن برد
يفخر

إذا نحن صلنا صولة مضرية * هتك حجاب الشمس أو قطرت دما
إذا ما أعزنا سيداً من قبيلة * ذرا منبر صلى علينا وسلم
وقال الهيمو أن بن عاديا

إذا المرء لم يندس من الزم عرضه * فكل رداء يرتديه جميل
وان هو لم يجعل على النفس ضمها * فليس الحسب انثناء سميل
تعبيراً أنا قليل عددينا * فقلت لها ان الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياها مثلنا * شباب تهاوى للعلا وكهول
وما ضرنا أنا قليل وجارنا * عزيز وجار لا كثرين ذليل
لنا جبل يحمله من نجيره * منيع يرذ الطرف وهو وكيل

رسا أصله تحت الثرى وسمايه * الى التجم فرع لا يزال طويل
وانا أناس لا ترى القتل سمية * اذا ما رآته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا * وتكرهه آجالهم فتطول
ومامات مناسيد حنف أنفه * ولاضل منا حيث كان قبيل
تسيل على حد الطبات نفوسنا * وليست على غير الطبات تسيل
ونحن كما المزن ما في نصائبنا * ككها م ولا فينا بعد تجيل
وتكران شئنا على الناس قولهم * ولا ينكرون القول حين نقول
اذا اسيد منا خلا قام سيد * قول بما قال الكرام فعول
وما جدت نار لنا دون طارق * ولا ذمنا في النازلين نزيل
وأيا منا مشهورة في عدونا * لها غير ومشهورة وجول
وأيا منا في كل شرق ومغرب * بهما من قراع الدارين فلول
معوذة أن لا تسيل نصالها * فتعتمد حتى يستباح قبيل
سلي ان جهات النام عنا وعنهم * فليس سوا عالم وجهول
فانابى الريان قطب لقومهم * تدور رحاهم حولهم وتجول

ولما قدم وفد قديم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم خطيبهم وشاعرهم خطب خطيبهم
فأفطر فلما سكت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس أن يخطب جمع في
ما خطب به خطيبهم فخطب ثابت بن قيس فأحسن ثم قام شاعرهم وهو الزبرقان بن بدر
فقال

نحن الملول فلاحى يقاخرنا * فينا العلام وفيما تنصب البيع
ونحن نطعمهم في القحط ما اكوا * من العبيط اذا لم يؤنس الفزع
ونهر الكوم عبطا في أرومتنا * للنازلين اذا ما أنزلوا شعبوا
تلك المكالم حزنناها مقارعة * اذا الكرام على أمثالها اقترعوا

ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طسان بن ثابت قم فقام فقال

ان الدواب من فهورا خوتهم * قد بينوا سفنا للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريره * تقنوى الاله وبالا امر الذى شرعوا
قوم اذا حاربوا ضرر واعدوهم * وأحاولوا المنقع في أشياهم نفعا
سحبة تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع
لو كان في الناس سباقون بعدهم * فكل سبق لأذى سبعة تبع
لا يرفع الناس ما أوهت اكفهم * عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا
ولا يضمنون عن جار بفضلهم * ولا يسهم في مطمع طمع
خدمهم ما أوعفوا اذا عطفوا * ولا يكن همك الامر الذى منعوا
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم * اذا انفرت الاهواء والشيع

فقال التميميون عند ذلك وروى بكم ان خطيب القوم أخطب من خطيبنا وان شاعرهم أشعر

من شاعرنا وما اتصفنا ولا قاربنا وقال شاعر من بني تميم
أيحي آل شداد علينا * وما رعى لشدة انفصال
فان تعمد مناصلتنا تجدها * غلاطاني أمان من يصول
وقال سالم بن أبي وابصة

عليك بالقصد فيما أنت فاعله * ان التخلق بأخي دونه الخلق
وموقف مثل حد السيف قتبه * أحبي الذمار وترميني به الحدق
فما زلت ولا أبديت فاحشة * اذا الرجال على أمثالها زلة وا
(وأما التفاضل والتفاوت)

فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نظر لخاله بن الوليد وعكرمة بن أبي
جهل قال يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي لانهم ما كانا من خيار الصحابة
وأبواهما أعدى عدو لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ومن كلام علي رضي الله عنه لمعاوية
رضي الله عنه أما قولك ان ابن عبيد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية * هاشم ولا حرب
كعب يد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب وقال أحمدة بن سهل الرجل ثلاثة سابق ولا حق
وما حق فالسابق الذي سبق به ضله واللاحق الذي لحق بأبيه في شرفه والملاحق الذي يحق
شرف آبائه * وقيل ان عائشة بنت عثمان كفلت أبا الزناد صاحب الحديث وأشعب الطماع
وربهم ما قال أشعب فكنت اسفل وكان يعاود حتى بلغت انا وهو هاتين الغايتين وقال أبو العوادل
زكريا بن هرون

على وعبد الله بينهما أب * وشتان ما بين الطبائع والفعل
ألم تر عبد الله يلحق على النداء * عليا ويطلبه على على البخل
وج أبو الاسود الدؤلي بامرأته وكانت شابة جميلة فعرض لهما عمر بن أبي ربيعة فغازلها فاخبرت
أبا الاسود فأتاه فقال

واني ليهناني من الجهل والحناء * وعن شتم أقوام خلائق أربع
حياء واسلام وتقوى وأني * كريم ومثلي من يضرت وينقع
فشتان ما بيني وبينك انني * على كل حال أستقيم وتضلع

وقال ربيعة البرقي

لشتان ما بين يزيد بن في الندا * يزيد سليم والاعز بن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفقى * فقي الازد للاموال غير مسلم
فهتم الفقي الازدي اتلاف ماله * وهتم الفقي القيسي جمع الدراهم
فلا يحسب القيسي أني هجونه * وليكني فضلت أهل المكارم

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في أخيه الحسين

يقول أنا الكبير فعظموني * ألا تكتلك أمتك من كبير
اذا كان الصغير أعم نفعا * وأجلد عند نائبة الامور
ولم يأت الكبير يوم خبير * ففاضل الكبير على الصغير

واقفه أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الباب التاسع والعشرون في الشرف والسودد وعلاو المهمة) *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رزقه الله ما لا يقبل معروفه وكف اذا فذلك السيد وقيل لقيس بن عاصم سمى سدت قومك قال لم أخاصم أحدا الا تركت الصلح موضعا وقال سعيد ابن العاص ما شأنت رجلا مذ كنت رجلا لاني لم أشاتم الا أحد رجلين اما كريم فانا أحق أن أجله واما لثيم فانا أولى أن أرفع نفسي عنه وقالوا من نعت السيد أن يكون يملا العين جمالا والسمع مقالا وقيل قدم وفد من العرب على معاوية وفيهم الاحنف بن قيس فقال الحجاب ان أمير المؤمنين يعزم عليكم أن لا يتكلم منكم أحد الا لنفسه فلما وصلوا اليه قال الاحنف لولا عزم أمير المؤمنين لا تخبره أن رادفة ردت ونازلة نزلت ونائبة نابت والكل بهم - بحاجة الى المعروف من أمير المؤمنين فقال له معاوية حسبك يا أباجر فقد كفيته الشاهد والغائب وقال رجل للاحنف سمى سدت قومك وما أنت بأشرفهم يتناولوا أصحابهم وجها ولا أحسنهم خلقا فقال بخلاف ما فبك قال وماذا قال تركي من امرك ما لا يهني كجاعتك من أمرى ما لا يعينك وقيل السيد من يكون للاولاء كالغيث القادى وعلى الاعداء كالثلث العادى وكان سبب ارتفاع عرابة الاوسى وسودده أنه قدم من سفر بجمعه والشمخ بن ضرار المزني الطريق فقعدا فقال له عرابة ما الذى أقدمك المدينة يا شمخ قال قدمتها لانا متار منها فلا له عرابة رواحه بزاو عرا وأنقعه نصف غير ذلك فأنشد يقول

رأيت عرابة الاوسى يسعو * الى الخيرات منقطع القرين

اذا ما راية رفعت بمجد * تلقاها عرابة بالعين

(* وأما علاو المهمة فهو أصل الرئاسة) *

فمن علت همته وشرفت نفسه عمارة بن حجرة قيل انه دخل يوما على المنصور وقعد في مجلسه فقام رجل وقال مظالم يا أمير المؤمنين قال من ظلمك قال عمارة بن حجرة غصني ضيعة فقال المنصور يا عمارة قم فاقعد مع خصمك فقال ما هو لي بخصم ان كانت الضيعة فاستأنازه فيها وان كانت لي فقد وهبتها ولا أقوم من مقام شرفي به أمير المؤمنين ورفعتى وأقعد في أدنى منه لاجل ضيعة وتحدث السفاح هو وأم سلمة يوما في نزاهة نفس عمارة وكبره فقالت ادع به وأنا هب له سبجي هذه فان شهاخون ألف دينار فان هو قبلها علمنا أنه غير نزه النفس فوجه اليه فحضر فحادثته ساعة ثم رمت اليه بالسجدة وقالت هي من الطرف وهي لك فجعلها عمارة بين يديه ثم قام وتركها فقالت له لعل نسيمها فبعث بها اليه مع خادم فقال للخادم هي لك فرجع الخادم فقال قد وهبتها الى فاعطت أم سلمة للخادم ألف دينار واستعادتها منه وأهدى عبيد الله بن السري الى عبد الله بن طاهر لما ولى مصر مائة وظيف مع كل وظيف ألف دينار ووجه اليه بذلك ليلافقه وكتب اليه لو قبلت هديتك ليلالقتها نهارا وما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون وكان سبب فتح المعتصم عورية أن امرأة من الثغر سبت فزادت واحمداء واعتصمها فبلغه الخبر فركب لوقته وتبعه الجيش فلما فتحها قال لبيك أيها المنادية وكان سعيد بن عمرو بن العاص

ذا الغفوة وهمة قبل له في مرضه ان المريض يستريح الى الاثنين والى شرح ما به الى الطبيب فقال أما الاثنين فهو جرح وعار والله لا يسمع الله مني أنينا فاكون عنده جزوعا وأما وصف ما لي الى الطبيب فوالله لا يصحكم غير الله في نفسي ان شاء أمسكها وان شاء قبضها ومن كبر النفس ما وري عن قيس بن زهير أنه أصابته الفاقة واحتاج فكان يأكل الحنظل حتى قتله ولم يخبر أحدًا بحاجته ومن الشرف والرياسة حفظ الجوار وحسب الثمار وكانت العرب ترى ذلك دينا تدعو اليه وحقا واجبا تحافظ عليه وكان أبو سفيان بن حرب اذا نزل به جار قال يا هذا انك اخترتني جارا واخترت داري دارا فغنايتك علي دونك وان جنت عليك يد فاحتمكم حكم الصبي على أهله وكان الفرزدق يجير من عاذ بقبر أبيه غالب ابن صعصعة فممن استجار بقبر أبيه فاجاره امرأة من بني جهم فربن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بني جهم فأرسلهم وينسبها فعادت بقبر أبيه فلم يذكر لها اسمها ولا نسبها ولكن قال

يجوز تصلي الخس عاذت بغالب * فلا والذي عاذت به لا أضيرها

وقال مروان بن أبي حفصة

هم ينعون الجار حتى كأنما * لجارهم بين السما كبن منزل

وقال ابن نباتة

ولو يكون سواد الشعر في ذمم * ما كان للشيب سلطان على القمم

وقيل ان الجراح أخذ بن زيد بن المهلب بن أبي صفرة وعذبه واستأصل موجوده ومجنه فنوصل بن زيد بحسن تلافقه وأرقب السجبان واستماله وهرب هو والسجبان وقصد الشام الى سليمان بن عبد الملك بن مروان وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك فلما وصل بن زيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك أكرمه وأحسن اليه وأقامه عنده فكتب الجراح الى الوليد يعلمه أن بن زيد هرب من السجبان وأنه عند سليمان بن عبد الملك أخى أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين وأن أمير المؤمنين أهل رأيا فكتب الوليد الى أخيه سليمان بذلك فكتب سليمان الى أخيه يقول يا أمير المؤمنين اني ما جرت بن زيد بن المهلب الا لانه هو أبوه واخوته من صنائعنا قديما وحديثا ولم أجرحه والامير المؤمنين وقد كان الجراح قصده وعذبه وأغرمه أربعة آلاف ألف درهم ظلما ثم طالبه بعد هاتلثة آلاف ألف درهم وقد صار الى واستجار بي فأجرته وأنا أغرم عنه هذه الثلاثة آلاف ألف درهم فان رأى أمير المؤمنين أن لا يهزني في ضمني فليفعل فانه أهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد أنه لا بد أن ترسل الى بن زيد مغلا ومقيدا فلما ورد ذلك على سليمان أحضر ولده أيوب فقيده ودعا بن زيد بن المهلب فقيده ثم شد قيده هذا الى قيده هذا بسلسلة وغلها جميعا بغلن وأرسلها الى أخيه الوليد وكتب اليه أما بعد يا أمير المؤمنين فقد وجهت اليك بن زيد وابن أخيك أيوب بن سليمان ولقد هممت أن أكون ثالثهما فان هممت يا أمير المؤمنين بقتل بن زيد فبأله عليك ابدأ بأيوب من قبله ثم اجعل بن زيد ثانيا واجعلني اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل بن زيد بن المهلب وأيوب بن سليمان في سلسلة واحدة اطرق الوليد استحياء وقال

لقد أسأنا إلى أبي أيوب إذ بلغنا به هذا المبلغ فأخذ يزيد ليتهكم ويحجج لنفسه فقال له الوليد ما يحتاج إلى كلام فقد قبلنا عذرنا وعلمنا ظلم الجحاج ثم أنه أحضر حقدنا وأزال عنهم ما الحديدي وأحسن إليهما ووصل أيوب ابن أخيه بثلاثين ألف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين ألف درهم وردتهما إلى سليمان وكتب كتابا إلى الجحاج يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فإياك أن تعادوني فيه بعد اليوم فسار يزيد إلى سليمان بن عبد الملك وأقام عنده في أعلى المراتب وأرفع المنازل * وحكى أن رجلا من الشيعة كان يسعى في فساد الدولة فجعل المهدي لمن دل عليه أو أتى به مائة ألف درهم فأخذه رجل من بغداد فأيس من نفسه فخر به معن بن زائدة فقال له يا أبا الوليد أجرني أجارك الله فقال معن للرجل مالك وما له فقال إن أمير المؤمنين طالبه قال خل سبيله قال لا أفعل فأمر معن غلامه فأخذه وخصب وأردفه بعضهم خلفه ومضى الرجل فأخبر أمير المؤمنين المهدي بالقصة فأرسل خلف معن فأحضره فلما دخل عليه قال له يا معن أتجبر على قال نعم يا أمير المؤمنين قتلت في يوم واحد في طاعةكم خمسة آلاف رجل هذا مع أيام كثيرة تقدمت فيها طاعتني أغتاروني أهلا أن تجبروا إلى رجل واحد استجارني فاستجبت المهدي وأطرق طريقا ثم رفع رأسه وقال قد أجرتنا من أجرت يا أبا الوليد قال إن رأي أمير المؤمنين أن يصل من استجارني فيكون قد أجاره وجاهه قال قد أمرت له بمخمسين ألف درهم فقال معن يا أمير المؤمنين ينبغي أن تكون صلات الخلفاء على قدر جنابيات الرعية وإن ذنب الرجل عظيم فإن رأي أمير المؤمنين أن يجزل صلته فليفعل قال قد أمرت له بمائة ألف درهم فرجع معن إلى منزله ودعا بالرجل ودفع له المال ووعظه وقال له لا تتعرض لمساخط الخلفاء * وكان جعفر بن أبي طالب يقول لا يه يا أبت اتى لاستحى أن أطمع طعما ما وجبراني لا يقدر على مثله فكان أبوه يقول اتى لارجو أن يكون فيك خلف من عبد المطالب * وسقط الجراد قريبا من بيت بعض العرب فجاء أهل الحى فقالوا نريد جارك فقال أما إذ جعلتموه جاري فوالله لا تصلون إليه وأجاره حتى طار فسيحجر الجراد وقيل هو أبو حنبل والحكايات في معنى ذلك كثيرة والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثلاثون في الخير والصالح وذكر السادة الصغابة وذكر الأولياء والصالحين رضي الله عنهم

أجمعين

اعلم أن أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين وفضائلهم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر وإنى والله أحبهم وأحب من يحبهم وأسأل الله أن يمتني على محبة نبي محمد صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وأن يحشر نافي زمرتهم ويحشر أوليهم أنه على ما يشاء قد ير وبالاجابة جدير (شعر)

اتى أحب أبا حفص وشيعته * كما أحب عنيقا صاحب الغار
وقد رضيت عليا قدوة علما * وما رضيت بقتل الشيخ في الدار
كل الصغابة سادتي ومعتقدي * فهل على به هذا القول من عار

وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصبح منهكم

اليوم صائما فقال أبو بكر يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فن أطمع اليوم
منكم مسكينا فقال أبو بكر أنا قال فن عاد منكم اليوم مريضا قال أبو بكر أنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما جتمعن في أحد إلا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لو كان بعدى
نبي لكان عمر وقال له النبي صلى الله عليه وسلم والذي بعثني بالحق بشيرا ما سلكت وأديا إلا
سلكت الشيطان وأديا غيره ولما أسلم رضى الله عنه قال يا رسول الله ألسنا على الحق قال بلى قال
والذي بعثك بالحق نبيا لا نعد الله سرا بعد هذا اليوم ولما قدم عمر رضى الله عنه الشام وقف
على طور سيناء فأرسل البطريرق عظيمهم وقال انظر الى ملك العرب فأراه على فرس وعليه
جبة صوف مربعة مسطرة قبل الشمس بوجهه ومخلاته في قربوس السرج وعمر يدخل يده فيها
ويخرج فلق خبز يابس يحسها من التبن ويلوكها فومضه للبطريق فقال لا ترى بمحاربة هذا
طاقة أعطوه ما شاء * وأما أمير المؤمنين عثمان رضى الله تعالى عنه ففضائله كثيرة ومنها
شبهه فهو جامع القرآن ومن استحمت منه ملائكة الرحمن رضى الله عنه وقال جميع بن عمار
دخلت على عائشة رضى الله عنها فقلت لها أخبريني من كان أحب الناس الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالت فاطمة قلت انما سألت عن الرجال قالت زوجها فوالله لقد كان صواما
قواما فلو قد سالت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده فتردها الى فيه قلت فما حلك على
ما كان فأرسلت خمارها على وجهها وبكت وقالت أمر قضي علي وقال معاوية لضرار بن حزمة
الكناني صف لي عليا فاستعفى فالح عليه فقال أما اذن فلا بد أنه والله كان بعهد المدى شديد
القوى يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها
ويستأنس بالليل وظلمة كان والله غزير العبرة طويل الفكرة يقلب كفه وروما نفعه
يعجبه من اللباس ما قصر ومن الطعام ما خشن وكان والله يجيئنا اذا سألناه ويأتينا
اذا دعواناه ونحن والله مع تقريره لنا وقر به منا لانك كلمة هيسة له يعظم أهل الدين ويحب
المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا يأس الضعيف من عدله فاشهد الله لقد رأيته
في بعض مواقفه وقد ربح الدليل سدوله وغارت نجوده وقدمت في محرابه قابض على لحيته
يتحمل ثقل الخائف ويكي بكاء الحزين فكان في الآن اسمعه قول يادنيا الى تعرضت ام الى
تشوقت هيئات هيئات غزى غيري لقد أبتك ثلاثا لا رجعة لي فيك فعمد لك قصير وعيشك
حسير وخطر لك كبير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق قال فوكفت دموع معاوية حتى
ما علكها على لحيته وهو يحسها وقد اختنق القوم بالبكاء وقال رحم الله أبا الحسن كان
والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزنني عليه والله حزن من ذبح ولدها في حجره
فلا ترق أعبرتها ولا تسكن حيرتها ثم قام فخرج * وقيل أول من سل سيفا في سبيل الله تعالى
الزبير بن العوام رضى الله عنه وذلك أنه صاح على أهل مكة له الا صائح فقال قتل محمد فخرج
متجردا وسيفه معه صلتا فمات له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل مالك يا زبير قال سمعت
انك قتلت قال فماذا أردت أن تصنع قال أردت والله أن استعرض أهل مكة وروى
اخبط بسيفي من قدرت عليه فضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه واعطاه ازاراله
فاستبرد وقال له أنت حواربي ودعالة قال الا واعي كان للسزبير أنف مملوك يؤدون
الضريبة لا يدخل بيت ماله منها درهم بل كان يتصدق بها وياع داراله بسقاية ألف

درهم فقيل ليا بأعبد الله غنيت قال كلا والله اني لم اغن اشهدكم انما في سبيل الله تعالى
وهبط جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فقال من جئت على
ظهوره وكان جملة على ظهره طلحة حتى استقل على الصخرة قال طلحة قال اقرئه السلام واعلمه
اني لا ارا يوم القياسمة في هول من أهوالها الا استنقذته منه من هذا الذي عن يمينك قال
المفسد ابن الاسود قال ان الله يحبه ويأمر له أن تحبه من هذا الذي بين يديك يتقى عنك قال
عمار بن ياسر قال بشره بالجنة حرمت النار على عمار ومروا بوذر على النبي صلى الله عليه وسلم
ومعه جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي فلم يسلم فقال جبريل هذا أبوذر لوسلم
لرددنا عليه فقال أتعرفه يا جبريل قال والذي بعثك بالحق نبيا هو في ملكوت السموات السبع
أشهر منه في الأرض قال بسم نال هذه المنزلة قال بزهد في هذه الحطام القانية وقال ابن عمر
رضي الله عنهم ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليدفع بالمسلم الصالح من ألف
بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الآية وقال أبو بكر
السفاح لا يكره هذا الذي يبلغ الحسن ما بلغ قال جمع كتاب الله تعالى وهو ابن اثني عشر سنة
لم يحيا وزسورة الى غير هاتحي يعرف تأويلها ولم يتب درهم ماقط في تجارة ولم يل علما لسلطان
ولم يأمر بشي حتى يفعله ولم ينه عن شي حتى يدعه قال السفاح بهذا بلغ وقال الجاحظ كان
الحسن يستنى من كل غاية فيقال فلان أزهد الناس الا الحسن وأفقه الناس الا الحسن
وأفصح الناس الا الحسن وأخطب الناس الا الحسن وقال بعضهم كان عمر بن عبد العزيز
أزهد من أويس لان عمر ملك الدنيا فزهد فيها وأويس لم يملكها ففعل كما فعل
عمر فقال ليس من لم يجرب كن جرب وقال انس في ثابت البناني ان للخير مفااتيح وان ثابتا من
مفااتيح الخير وكان حبيب القارسي من أخبار الناس وهو الذي اشترى نفسه من ربه أربع
مئات باربعين ألفا كان يخرج البدره فيقول يا رب اشترى نفسي منك بهذه ثم يصدق بها
وكان أيوب السخيتاني من أزهد الناس وأورعهم ذكر عند أبي حنيفة رحمه الله تعالى فقال
رحم الله أيوب لقد شهدت منه مقاما عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم لأذكر ذلك المقام الا
اقشعر جلدي وقال سفيان الثوري جهدت جهدي على أن أكون في السنة ثلاثة أيام
على ما عليه ابن المباركة فلم أقدر وكان الخليل بن أحمد النحوي من أزهد الناس وأعلاهم نفسا
وكان المولوك يقصدونه ويذلون له الاموال فلا يقبل منها شيئا وكان يحج سنة ويفرز سنة
حتى مات رحمه الله وقال ابن خزيمة جالست ابن عوف بن عشرين سنة فما أظن الملكين كتابا
عليه شيأ وروى أنه غسل كرز بن برة فلم يوجد على جسده مثقال لحم وعن محمد بن الحسن
قال كان أبو حنيفة واحدا زمانه لو انشقت عنه الأرض لانشقت عن جبل من الجبال في العلم
والكرم والزهد والورع ووج وكيع بن الجراح أربعين حجة ورايط في عبادان أربعين
ليلة وختم بها القرآن أربعين ختمه وتصدق باربعين ألفا وروى أربعة آلاف حديث
وما روى واضعا جنبه قط ووقف عمر بن عبد العزيز على عطاء بن أبي رباح وهو أسود مقلقل
الشعر يفتي الناس في الحلال والحرام فتمثل يقول تلك المذكرة لافعبان من ابن ومن
مشايخ الرسالة رضوان الله عليهم أجمعين سمى أبو عبد الله محمد بن اسمعيل المغربي استاذ
ابراهيم بن شيخان كان عجيب الشأن لم يأكل مما وصلت اليه أيدي بني آدم سنين كثيرة وكان

أكله من أصول العشب شيئا ثم قد أكله * ومنهم سبيدي فتح بن شحرف بن داود يكنى أبا نصر
من الزاهد بن الورع بن ليأكل الخبر ثلاثين سنة قال أحمد بن محمد الجبار سمعت أبي يقول
صحت فتح بن شحرف ثلاثين سنة فلم أره رفع رأسه إلى السماء ثم رفعها يوما فقال طال
شوقي إليك فجل قدومي عليك وقال محمد بن جعفر سمعت أنسا يقول غسنا فتح بن شحرف
فأرأيت ما كنتو با على نخذه لا اله الا الله فتوه مناهم كتبوا واذا هو عرق داخل الجلد ومات
بيغدا فنصلى عليه ثلاثا وثلاثين مرة أقل قوم كانوا يصلون عليه كانوا فحوا من خمسة
وعشرين ألفا إلى ثلاثين ألفا * ومنهم سبيدي فتح بن سعيد الموصل يكنى أبا نصر
من أقران بشر الحافي وسرى السقطي كبير الشأن في باب الورع والجاهدات قال
ابراهيم بن فوح الموصل رجع فتح الموصل إلى أهله بعد صلاة العتمة وكان صائما فقال عشو
فقالوا ما عندنا شيئا نعيش بك به فقال ما بالكم جلوس في الظلمة فقالوا عندنا شيء
نسرجه به فجعل يبكي من الفرح ويقول الهى مثلى بترك بلاعشاء ولا سراج بأى يد كانت
منى فما زال يبكي إلى الصباح وقال فتح رأيت بالبادية غلاما يبلغ الحلم وهو عيش وحده
ويحرك شفتيه فقلت عليه فرد على السلام فقلت إلى أين فقال إلى بيت ربي عز وجل فقلت
بماذا تحرك شفتيك قال أنا لو كلام ربي فقلت انه لم يجر عليك قلم التكليف قال رأيت الموت
ياخذ من هو أصغر سنما مني فقلت خطا قصيرة وطريقا بعيدة فقال انما على نقل الخطا
وعليه البلاغ فقلت أين الزاد والراحلة قال زادى يقينى وراحلى رجلاى فقلت أسألك عن
الخبر والماء قال يا عماه أرأيت لو دعاك مخلوق إلى منزله أكان يجمل بك أن تحمل زادك إلى منزله
قلت لا فقال ان سبدي دعا عباده إلى بيته وأذن لهم في زيارته فحملهم ضعيف يقينهم على حمل
أزوادهم وإنى استقيحت ذلك فحفظت الأدب معه أفترأى بضغنى فقلت حاشا وكل ثم غاب عن
بصرى فلم أره إلا بمكة فلما رآنى قال أنت أيها الشيخ بعد على ذلك الضعف من اليقين * ومنهم
سبيدي أبو عثمان سعيد بن اسمعيل الجبري صاحب الكرمات ويحيى بن معاذ الرازى
وكان يقال في الدنيا ثلاثة لأربع لهم أبو عثمان الجبري بن سبأور والنجيد بيغدا وأبو
عبد الله الحلاج بالشام ومن كلامه لا يكمل الرجل حتى يستوى في قلبه أربعة أشياء المنع
والعطاء والعز والذل وقال منذ أربعين سنة ما أقامنى الله تعالى في حال فكرهته ولا نقلنى إلى
شيء فخطبته * ومنهم سبيدي سليمان الخواص يكنى أبا تراب كان أحد الزهاد المعروفين والعباد
الموصوفين سكن الشام ودخل بيروت وكان أكثر مقامه بيت المقدس قيل اجتمع
حذيفة المرعشى وابراهيم بن آدم ويوسف بن اسباط قنذا كروا الفقر والغنى وسليمان ساكت
فقال بعضهم الغنى من كان له بيت يسكنه وثوب يستره وسداد من عيش يكفه عن فضول
الدنيا وقال بعضهم الغنى من لم ينجح إلى الناس فقبل سليمان ما تقول أنت في ذلك فبكي
وقال رأيت جوامع الغنى في التوكل ورأيت جوامع الفقر في القنوط والغنى حق الغنى
من أسكن الله في قلبه من غناه يقينا ومن معرفته توكلوا ومن قسمته رضا فذلك الغنى حق
الغنى وإن أمسى طاريا وأصبح معوزا فبكي القوم من كلامه * ومنهم سبيدي أبو سليمان
ابن عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني أحد رجال الطريقة قدس الله مره كان من

أجل السادات وأرباب البلد في الجهادات ومن كلامه من أحسن في نهارة كفى في ليله ومن
أحسن في ليله كفى في نهارة ومن صدق في ترك شهوة ذهب الله به من قلبه والله تعالى أكرم
من أن يعذب قلبا بشهوة تركت له وقال لكل شيء علامة وعلامة الخذلان ترك البكاء وقال
لكل شيء صدا وصدا نور القلب شبع البطن وقال أجدين أي الحواويش سكوت إلى أبي سليمان
الوسواس فقال إذا أردت أن ينقطع عنك فأي وقت أخذت به فافرح فانك إذا فرحت به
انقطع عنك لانه لا شيء أبغض إلى الشيطان من سرور المؤمن وإذا اغتمت به زادك وقال
ذوالنون المصري رحمه الله تعالى اجتمعوا ليلا على أبي سليمان الداراني فسمعوه يقول يارب
ان طابتي بسر يرق طابتي بوجهك وان طابتي بذنوبي طابتي بكرمك وان جعلتني من
اهل النار خبرت اهل النار يحيي اياك وقال علي بن الحسين السديني أسألت أبا سليمان بقاء شيء
تعرف الا برأ قال بكتمان المصائب وصيانة الكرامات وروى عنه انه قال نعمت ليله عن وردى
فاذا حوراء تقول لي تمام وانا اربى لك في الخلدور منذ خمسة عايم * ومنهم سيدي ابو محمد
عبد الله بن حنيفة من زهاد المتصوفة كوفي الاصل ولكنه سكن انطاكية ومن كلامه لا نغتم
الامن شيء يضرك غدا ولا تفرح الا بشئ يسرك غدا وله كرامات ظاهرة وبركات متواترة
* ومنهم سيدي ابو عبد الله محمد بن يوسف البناء اصماني الاصل كتب عن سماعة شيخ ثم غلب
عليه الانفراد وانخلو إلى ان خرج إلى مكة بشرط التصوف وقطع البادية على التجريد وكان
في ابتداء امره يكسب في كل يوم ثلاثة دراهم وثلاثا فيأخذ من ذلك لنفسه دانقا ويتصدق
بالباقى ويختم مع العمل كل يوم خقة فاذا وصل العتقة في مسجده خرج إلى الجبل إلى
قريب الصبح ثم يرجع إلى العمل وكان يقول في الجبل يارب امان تهبلى معرفتك اوتامر
الجبل ان ينطبق على قفاني لا يريد الحياة بلامعرفتك * ومنهم سيدي يحيى بن معاذ الرازي
قدس الله سره يكنى ابا زكرياء احد رجال الطريق كان اوحدا وقته ومن كلامه لا تكن ممن
يقضه يوم موته ميراثه ويوم حشره ميراثه وقال ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال ان لم
تتقعه فلا تضره وان لم تسره فلا تنمعه وان لم تمدحه فلا تذمه وقال الصبر على الحلاوة من
علامات الاخلاص وقال بنس الصديق صديقا يحتاج إلى ان يقال له اذكرني في دعائك وقال
على قدر حبك لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله تهلك الخلق وعلى قدر شغلك بالله
تشتغل في امرك الخلق وقال من كان غناه في كبسه لم يزل فقيرا ومن كان غناه في قلبه لم يزل
غنيا ومن قصد مجوارحه الخلق لم يزل محروما وروى انه قدم شيئا من ثياب الجبل ثم علم على
الناس في علم الامور ارقاه امرأه من نسائها فقالت لكم تريد ان تأخذ من هذه البلدة
قال ثلاثون الف اصرفها في دين على تجراسان فقالت لك على ذلك على ان تأخذها وتحجز
من ساعتك فرضي بذلك فحملت اليه المال فخرج من الغد فعميت تلك المرأة فيما فعلت
فقالت انه كان يظهر اسرا ووليا الله تعالى للسوقة والعامة فغرت على ذلك * ومنهم
سيدي يوسف بن الحسين الرازي يكنى ابا يعقوب كان وحيدا وقته في اوقات التصنيع عالما
أديا صاحب ذالنون المصري وابتاراب النفس في كلامه اذا اردت ان تعلم العاقل من
الاحق فخذته بالحال فان قبل فاعلم انه احق وقال اذا رأيت المريد يشغل بال رخص فاعلم

انه لايجي منه شيء وقال لأن ألقى الله تعالى بجميع المعاصي أحب إلى من أن ألقاه بذرة من التصنع وقال أبو الحسن الدراج قصدت زيارة ابن الحسين الرازي من بغداد فلما دخلت بلده سألت عن منزله فكل من سألته يقول أي شيء تريد من هذا الزنديق فضيقوا صدرى حتى عزمت على الانصراف فبغت تلك الليلة في مسجد ثم قلت في نفسي جئت هذه البلدة فلا أقل من زيارته فلم أزل أسأل عنه حتى وصلت إلى مسجده فوجدته جالسا في الخراب وبين يديه مصحف يقرأ فيه فدنوت منه وسلت عليه فرد على السلام وقال من أين قلت من بغداد فقال أحسن من قولهم شيئا قلت نعم وأنشدته

وأيك تبني دائما في قطيعي * ولو كنت ذا حزم لهدمت ما بنيت

فأطبق المصحف ولم يزل يكي حتى أثبت لحبسه ونوبه ورجته من كثرة بكائه ثم التفت إلى وقال يا بني أنا لوم أهل البلدة على قولهم يوسف بن الحسين زنديق وها أنا ذا من وقت صلاة الصبح أقرأ القرآن ولم تقطر من عيني قطرة وقد فامت على القيامة بهذا البيت * ومنهم سيدي حاتم بن علوان الأصم قدس الله سره يكنى أبا عبد الرحمن من كبار مشايخ خراسان محب شقيقا للجنى * ومن كلامه الزم خدمة مولاك تأتلك الدنيا راغمة والاخرة راغبة وقال من ادعى ثلاثا غير ثلاث فهو كذاب من ادعى حب الله تعالى من غير ورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى محبة النبي صلى الله عليه وسلم من غير محبة الفقرفهو كذاب ومن ادعى حب الجنة من غير اتفاق ماله فهو كذاب وسأله رجل علام بنيت أمرك في التوكل على الله عز وجل قال على أربع خصال هلت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمه أنت به نفسى وعلت أن على لا يعمل غيري فأنا مشغول به وعلت أن الموت يأتي بى بغتة فأنا أبادره وعلت أنى لا أخلو من عين الله عز وجل حيث كنت فأنا أستحي منه وسبب تسميته بالأصم ما حكاه أبو علي الدقاق أن امرأة جاءت تسأله عن مسئلة فاتفق أنه يخرج منها صوت ريح فحجبت المرأة فقال حاتم ارفعى صوتك وأراها أنه أصم فسررت المرأة بذلك وقالت انه لم يسمع الصوت فغاب عليه هذا الاصم رحمة الله تعالى عليه * ومنهم الحسن بن أجد الكاتب من كبار مشايخ المصريين صاحب أبا بكر المصرى وأبا على الروزبارى وكان أوحدا مشايخ وقته من كلامه رواه نسيم المحبة نفوح من الهبين وان كفوها وتظهر عليهم دلائلها وان أخفوها وتدل عليهم وان ستروها وأنشدوا في هذا المعنى

إذا ما أسرّت أنفس الناس ذكره * تبينه فيهم ولم يتكلموا

نطيب به أنفسهم قنذيعها * وهل سرّ مسك اودع الريح يكتم

ومن كلامه أيضا اذا انقطع العبد الى الله تعالى بالكلمة فأول ما يفيد به الاس تغنايه عن الناس وقال محبة الفساق داء وداؤها مفارقة لهم وقال اذا سكن الخوف في القلب لا ينطق اللسان بما لا يفنيه * ومنهم سيدي جعفر بن نصر الخلدى يكنى بابي محمد بغدادى المتشا والمولد محب الجنيد وانتهى اليه ورج قريسا من ستمين حجة وروى أنه مر بمقبرة الشونيزية وامرأة على قبر تندب وبكى بكاء بمرقة فقال لها ما لك تبكين فقالت شكلى بولدى فأنشأ يقول

يقولون شكلي ومن لم يذق * فراق الاحبة لم يشك
لقد جرت عني ليل القراق * شرباً أتر من الخنظل

وروي أنه كان له فص فوقه منه يوم في الدجلة وكان عنده دعاء محجرب لرد الضالة اذا دعا به عادت فدعا به فوجد القص في وسط أوراق كان يتصفحها وصورة الدعاء أن تقول يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع علي ضالتي وقد روي أنه يقرأ قبله سورة والنهي ثلاثاً وروي الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخه قال ودعت في بعض حجاتي المزين الكبير الصوفي فقلت زودني شيئاً فقال ان فقدت شيئاً أو اردت أن يجمع الله بيني وبينك أو بينك وبين انسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع بيني وبين كذا فان الله يجمع بينك وبين ذلك الشيء أو الانسان * ومنهم سيدي معروف بن فريوز الكرخي قدس الله سره يكنى ابا محفوظ من كبار المشايخ بحباب الدعوة وهو أستاذ السري وكان أبواه نصرانيين فأسلماه الى موتهم وهو مسيحي فكان المؤذنب يقول له قل هو ثالث ثلاثة فبقول بل هو الواحد الصمد فضر به المؤذنب على ذلك ضرباً موبعاً فرب منه فكان أبواه يقولان ليسه يرجع البناء على أي دين شاء فنوافقه عليه فرجع الى أبويه فذق الباب فقبل من الباب فقال معروف فقبل على أي دين فقال على دين الاسلام فاسلم أبواه وكان مشهوراً باباجية الدعوة ومن كلامه رضى الله عنه اذا أراد الله بعبد خيراً ففتح له باب العمل وأغلق عليه باب الفرة والكسل وكان يعاتب نفسه ويقول يا سيدي كمن تكبي وتندب أخلص تخلص وقال سري سألت معروفا عن الطائعين لله بأي شيء قد روي على الطاعات لله عز وجل قال بخروج حب الدنيا من قلوبهم ولو كانت في قلوبهم لما صحت لهم سجدة ومن انشاده

الماء يغسل ما بالثوب من درن * وليس يغسل قلب المذنب الماء

وقال ابراهيم الاطروش كان معروف قاعداً يوماً على الدجلة يتغدا فتر بناصبيان في زورق يضربون بالسلاهي ويشرّبون فقال له اصحابه أمتري هؤلاء يعصون الله تعالى على هذا الماء فداع عليهم فرفع يديه الى السماء وقال الهى وسيدي كما فترحتهم في الدنيا أسألك ان تفرحهم في الآخرة فقال له اصحابه انما قلنا لك ان تدعو عليهم ولم نقبل لك ادع لهم فقال اذا فترحتهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا ولم يضركم ذلك وقال سري رأيت معروفاً في المنام كأنه تحت العرش والله تعالى يقول ملائكتنا من هذا فقلوا انت أعلم يا رب قال هذا معروف الكرخي سكر بحبي لا يفيق الا بلقائي وقيل له في مرضه أوص فقال اذا مت فتصدّقوا بعميضي هذا فاني أحب ان أخرج من الدنيا عريان كما دخلت اعريان وقال ابو بكر الخطيب رأيت في المنام كأنني دخلت المقابر فاذا أهل القبور جلوس على قبورهم وبين أيديهم الريحان واذا أنا بمعروف الكرخي بينهم يذهب ويحيي فقلت يا أبا محفوظ ما فعل الله بك وأليس قدمت قال بلى ثم أنشد يقول

موت التي حياة لا تغاد لها * قدمات قوم وهم في الناس أحياء

* ومنهم قاسم بن عثمان الكرخي يكنى ابا عبد الملك من اجلاء المشايخ صاحب آبا سليمان الداغاني وغيره وكان من أقران السري والحارث المحاسب وكان ابو تراب النخشي

بصبره ومن كلامه من أصل فيما بقي من عمره غفر له ما مضى وما بقي ومن أفسد فيما بقي من
عمره أخذ ببناء ضى وما بقي وقال السلامة كلها في اعتزال الناس والفرح كله في الخلوة بالله
عز وجل وسئل عن التوبة فقال التوبة رداً لمظالم وترك المعاصي وطلب الحلال وأداء
الفرائض وقال لأصحابه أوصيكم بخمس إن ظلمتم فلا تقلموا وإن مدحتم فلا تفرحوا وإن
ذمتم فلا تحزنوا وإن كذبتم فلا تغضبوا وإن خانوكم فلا تخونوا وقال محمد بن القريج سمعت
قاسم بن عثمان يقول إن لله عبداً قصداً الله بهم معهم فأفردوه بطاعتهم واكتفوا به
في نوكهم ورضوا به عوضاً عن كل ما خطر على قلوبهم من أمر الدنيا فليس لهم حبيب غيره
ولا قربة عن الأفيما قرب إليه وكان يقول قليل العمل مع المعرفة خير من كثير العمل
بلا معرفة ثم قال اعرف وضع رأسك وتم فاعبد الله الخلق بشئ أفضل من المعرفة وروى
عنه أنه قال رأيت في الطواف حول البيت رجلاً فمترت منه فاذا هو لا يزيد على قوله اللهم
قضيت حاجة المتحاجين وحاجتي لم تقض فقلت له ما لك لا تزيد على هذا الكلام فقال
أحدثت كمناسبة رفقاء من بلاد شتى غزونا أرض العدو فاستأسرونا كلنا فاعتزل
بنا لتضرب أعناقنا فنظرت إلى السماء فاذا سبعة أبواب مفتحة عليها سبع جوار
من الحور العين على كل باب جارية فقطم رجل منا فضربت عنقه فرأيت جارية في يدها منديل
قد هبطت إلى الأرض فضربت أعناق الستة وبقيت أنا وبنى باب وجارية فلما قدمت
لتضرب عنقي استوهبني بعض خواص الملك فوهبني له فسمعته يقول بآى شئ فأفانك
هذا يا محروم وأغلقت الباب فأنا يا أخى متحسر على ما فاتنى قال قاسم بن عثمان أراه
أفضلهم لأنه رأى ما لم يروا وترك يعمل على الشوق * ومنهم سبى أبو بكر دلف بن
محمد الرشبي كان جليل القدر مالكي المذهب عظيم الشأن صاحب الجنييد ومن في عصره
وكان يبالغ في تعظيم الشريعة المطهر وكان إذا دخل شهر رمضان المعظم جث في الطاعات ويقول
هذا شهر عظمه ربي فأنا أولى بتعظيمه وسئل عن قول النبي صلى الله عليه وسلم خير عمل المرء
كسب عيینه فقال إذا كان الليل فخذ ما وتبها للصلاة وصل ما شئت ومديديك ورسلك الله
عز وجل فذلك كسب عيئك ولما حج ورأى مكة المشرفة شرّ فيها الله تعالى وقع مغشياً عليه
فلما أفاق أنشد يقول

هذه دارهم وأنت محب * ما بقا الدموع في الآفاق

وروى أنه قال كنت يوماً جالساً فجري في خاطري أنى بجيبل فقلت مهمما فتح الله عليّ به اليوم
ادفعه إلى أول فقير يلتقى قال فينما أنا متفكراً دخل على شخص معه خمسة دنانير
فقال اجعل هذه في مصالحك فأخذتها وخرجت وإذا أنا بفقيه مكثوف بين يدي مزين
يحاق رأسه فقطمت إليه وناولته الصرة فقال لي ادفعها للمزين فقلت له أنها دنانير فقال
إنك لجيبل قال فناولته للمزين فقال المزين أن من عادتنا أن الفقير إذا جلس بين أيدينا
لأننا أخذناه أجراً قال فرميتني بالدجلة وقلت ما أعزك أحد إلا أنه الله تعالى * ومنهم
سبى زرقان بن محمد أخذ في النون المصري صاحب سياحة كان يجيبل لبنان
(حكى) عن يوسف بن الحسين الرازي قال بينما أنا بجيبل لبنان أدور إذا بصرت زرقان

أخذى النون المصرى جالساً على عين ماء وقت صلاة العصر فسلمت عليه وجلست من ورائه فالتفت الى وقال ما حاجتك فقلت يتشاعر سمعت ما من أخيك ذى النون المصرى اعرضه ما عليك فقال قل فقلت سمعته يقول

قد بقينا مذبذبين حيارى * نطلب الوصل ما ليه سبيل

فدواى الهوى تحق علينا * وخلاف الهوى علينا ثقل

فقال زرقان ولكنى أقول

قد بقينا مذهلين حيارى * حبنا بنا ونعم الوكيل

حيثما التفوز كان ذلك منا * واليه فى كل أمر نكيل

فعرضت أنوالها على طاهرى المقدسى فقال رحم الله ذا النون المصرى رجع الى نفسه فقال ما قال ورجع زرقان الى ربه فقال ما قال وقال أبو عبد الرحمن السلمى زرقان بن محمد أخوذى النون المصرى وأظن أنه أخوه مؤاخاة لأخوة نسب وكان من أقرانه ورفقائه * ومنهم سيمى أبو عبد الله النباجى سعيد بن بريد كان من أقران ذى النون المصرى ومن أقران أسنادى أحمد بن أبي الخوارى له كلام حسن فى المعرفة وغيرها روى عنه أنه قال أصابنى ضيق وشدة فبت وأنا مفكر فى المسير الى بعض اخواني فسمعت قائلاً يقول فى النوم يجمل بالحر المريد اذا رجع عند الله ما يريد أن يعمل بقلبه الى العبيد فانتبهت وأنا من أغنى الناس * ومنهم سيمى بشر بن الحارث الحافى قدس الله روحه يكنى أبا نصر أحد رجال الطريقة أصله من مرو وسكن بغداد وكان من كبار الصالحين وأعيان الاتقياء المتورعين بحب الفضل بن عياض وروى عن سري السقطلى وغيره ومن كلامه لا تكون كاملاً حتى يأمنك عدوك وكيف يكون فيك خير وأنت لا يأمنك صديقك وقال أول عقوبة يعاقبها ابن آدم فى الدنيا مفارقة الاحباب وقال غنيمه المؤمن غفلة الناس عنه وخفاء مكانه عنهم وقال التكمى على المتكبر من التواضع وسئل عن الصبر الجليل فقال الصبر الجليل هو الذى لا شكوى فيه الى الناس وقيل انه لى رجلاً سكران فخلص الرجل يقبل يد بشرى يقول يا سيمى يا أبا نصر وبشر لا يدفعه عن نفسه فلما لوى الرجل تفرغت عينا بشرى وجعل يقول رجل أحب رجلاً على خير توهمه لعل الهب قد نجا والحبوب لا يدري ما حاله وروى أن امرأته جاءت الى أحمد بن حنبل تساله فقالت انى امرأه اغزل بالليل والنهار وأبيعه ولا أبن غزل الليل من غزل النهار فهل على فى ذلك شئ فقال يجب أن تبقى فلما انصرفت قال احمد لابنه اذهب فانظر أين تدخل فرجع فقال دخلت دار بشرى فقال قد عجت ان تكون هذه السائلة من غير بيت بشرى لما مرض مرضه الذى مات فيه قال له اهله نزع ماء لالى الطبيب قال انابعين الطبيب يفعل بي ما يريد فالحوا عليه فقال لاخته ادفعى اليهم الماء فدفعته اليهم فى قارورة وكان بالقرب منهم طبيب نصرانى فدفعوا اليه القارورة فقال حرصوا الماء فتر كوه فقال ضعه وضعه فقالوا اله ما به ذا اوصفت لنا قال وبما ذا اوصفت لكم قالوا اوصفت بأنك أحق أهل زمانك فى الطب قال هو كما وصفت لكم ان هذا الماء ان كان ماء نصرانى

فهو ماء رهاب قد فتت الخوف كبدته وان كان ماء مسلم فام بشر الحافي لان ما في زمانه اخوف
منه قالوا هو ماء بشر فقال انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فلما رجعوا
الى بشر قال لهم اسلم الطبيب قالوا له ومن اعلمك بهذا قال لما خرجتم من عندي نوديت يا بشر
ببركة ما ذلك اسلم الطبيب توفي سنة سبع وعشرين ومائتين * ومنهم سيدي أبو يزيد
طيفور بن عيسى البسطامي من اجل المشايخ كبير الشأن ومن كلامه ما زلت اسوق الى الله
تعالى نفسي وهي تبكي الى ان سقطت اوهي تضحك وسئل بأي شيء وجدت هذه المعرفة فقال
بيطن جائع وبدن غار وقيل له ما أشد ما لقيت في سبيل الله تعالى فقال لا يمكن وصفه فقيل
له ما أهون ما لقيته نفسك منك فقال أما هذا فتم دعوتها الى شيء من الطاعات فلم تجبني
فتمت المائنة وقال الناس كلهم يهربون من الحساب ويتجافون عنه وأنا أسأل الله
تعالى أن يحاسبني فقيل له لم فقال له يقول فيما بين ذلك يا عبدي فأقول ليك فقوله لي يا عبدي
أحب الى من الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك يفعل ما يشاء وقال له رجل دلتني على عمل أتقرب
به الى ربي فقال أحب أولياء الله ليحبوك فان الله تعالى ينظر الى قلوب أوليائه فاعمله ينظر الى
اسمك في قلب ولي فيغفر لك وسئل عن الهبة فقال استقلال الكثير من نفسك
واستكثار القليل من حبيبك توفي سنة احدى ومائتين ومائتين رجا الله تعالى * ومنهم شيخ
الطائفة سيدي أبو القاسم الجنيد بن محمد القواريري شيخ وقته وفريد عصره أصله من
نهاوند ومولده ومنشؤه ببغداد صحب جماعة من المشايخ وصحب خاله السري والحارث
الحاسبى ودرس الفقه على أبي نور وكان يقف في مجلسه بحضوره وهو ابن عشرين سنة ومن
كلامه رضى الله عنه علامة اعراض الله تعالى عن العبد أن يشغله بما لا يعنيه وقال
الادب أدبان أدب السر وأدب العلانية فأدب السر طهارة القلب وأدب العلانية حفظ
الجوارح من الذنوب ورؤى في يده يوما سحجة فقيل له أنت معتمدك وشرفك تأخذ
بيدك سحجة فقال نعم سبب وصلنا به الى ما وصلنا لا نتركه أبدا وقال حسن بن محمد
السراج سمعت الجنيد يقول رايت ابليس في منامى وكنانه عريان فقلت له ألا تسجي
من الناس فقال بالله هؤلاء عندك من الناس لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما تلاعب
الصبيان بالكرة ولكن الناس عندي ثلاثة نفر فقلت ومن هم قال هم في مسجد الشونيزي
قد أضنوا قلبي وأنجلوا جسدى كلما هممت بهم اشاروا الى الله عز وجل فاكاد ان أحرق
قال الجنيد فانتهمت من نوحى وابست ثيابى وجمت الى مسجد الشونيزي بلبس فلما دخلت
المسجد اذا أنا بثلاثة أنفس جلوس وروفسهم في مرقعاتهم فلما أحسوا بى قد دخلت اخرج
أحدهم رأسه وقال يا أبا القاسم أنت كلما قبلت لثيى تقبل قيل ان الثلاثة الذين كانوا
في مسجد الشونيزي أبو جزة وأبو الحسن الثوري وأبو بكر الدقاق رضى الله عنهم وقال
محمد بن قاسم القارى بات الجنيد دليله العبد في الموضع الذى كان يعتمد فى البرية
فاذا هو وقت السحر يشاب ملتقى عبادة وهو يكي ويقول

بجرمة غريقتي كم ذاك الهدود * ألا تنهون على الاتجود
سرورا لعبد قد عم النواحي * وحزننى فى ازدياد لا يبيد

فان كنت اقدرت خلال سوء * فعذرى في الهوى ان لا اعود

نوفى الجنيده رحمه الله تعالى سنة سبع وتسعين ومائتين بيغداد وصى عليه نحو ستين ألفا رضوان الله عليهم أجمعين * وعن صحبته وانتفعت بصحبته وفاضت الخيرات على ببركته سيدى الشيخ الامام العالم العامل أبو المعالي وأبو الصدق أبو بكر بن عمر الطريخي المالكي قدس الله سره وروحه ونور ضريحه كان أوحده زمانه في الزهد والورع قامة عالاهل الضلال والبدع وله أسرار ظاهرة وبركات متواترة قد أطاع أمره الخلائق عجميا وعربيا وانتشر ذكره في البلاد شرقا وغربا وأنت الملوك الى بابيه واختاروا أن يكونوا من جله أصحابه ما أناه مكروب الافترج الله كبريته ولا طالب حاجة الا قضى الله حاجته كان محافظا على التوافل ملازما للقرض وكان أكثرأكله من المباح من نبات الارض لم يمتنع نفسه في الدنيا بالمأككل والمشارب اللذيذة بل قبل انه غضب على نفسه مرة فغنها شرب الماء شهورا عديدة وكان رضى الله عنه كثير الشفقة والحنو على أصحابه نصوحا لجمع خلق الله من اعدائه وأحبابه يدخل اليه اعدى عذوه فيقبل ببشره وبره عليه فيخرج من عنده وهو أحب الناس اليه كما قال بعضهم

وانى لآلى المرء أعلم انه * عدوى وفي أحشائه الضغن كامن

فأمنحه بشرى فيرجع قلبه * سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وكانت جملة أهل زمانه عليه وأحوالهم في كل أمر راجعة اليه وكنت كثيرا ما أجمعه يتنزل بهذا البيت

وما جالنى الضيم الا حمله * لاني محب والمحب جلول

وكان رضى الله عنه كثير المصافاة عظيم الموافاة شأنه الحلم والستر لم يمتك حرمة مسلم ولا فضحه وما استشاره أحد في أمر الا أرشده الى الخير ونصح به صحبته رضى الله عنه نحو خمس عشرة سنة فكانهم من طيها كانت سنة ما قطع بره يوما واحدا عنى حتى كنت أظن ان ليس عنده أخص منى وكان ذلك فعله مع جميع أصحابه قاطبة يرض الله وجهه في القيامة وبلغه من فضل ربه ما ربه وكان رضى الله عنه فقيها في مذهب الامام مالك كبير لم ير له في زمانه من شبيهه ولا نظير وله في علم الحقيقة أقوال وكبر رأيه من مكاشفات وأحوال ولوتبعت مناقبه لاتسع الكلام ولكني أقول كان اوحده عصره والسلام عاش رضى الله عنه نيفا وستين سنة وكان الناس في زمانه في عيشة راضية وأحوال حسنة وكان رضى الله عنه كثير الامر اض والاسقام حصل له في آخر عمره ضعف شديد أقام به نحو سنة ثم تزايد مرضه في العشر الاقل من ذى الحجة الحرام فلما كانت ليلة الحادى عشر اشتد به الامر واحتضر ولم يزل في التزع الى ثلث الليل الاقل من الليلة المذكورة ثم توفي رحمه الله تعالى سريعا جديدا في ليلة الجمعة حادى عشر ذى الحجة الحرام سنة سبع وعشرين وعثمانية ولما أخبر الناس بوفاته عظم مصابه على المسلمين ووقع النوح والبكاء والاسف في اقطار البلدان حتى طوائف المخالفين للملة من النصارى وغيرهم وصاروا يهكون ويتوجعون ويتأسفون على فراقه وكييف لا وهو امام العصر علامة الدهر حتى فيه

حلف الزمان ليأتين بمنله * حننت عينك يا زمان فكفر

رضي الله عنه ورضي عنه ونفعنا ببركته في الدين والدنيا والآخرة فشرعوا في تجهيزه وغسله فكنت ممن حضر غسله ولكن لم يكن ذهني معي في تلك الساعة لما جرى علينا من المصيبة بفقدته كيف لا وقد كان لي والدًا شفيقًا وبارًا محسنًا عشتوا فلما انتهى غسله رضي الله عنه جاء القضاة والنواب والكشاف والولاة وحملوه على أعناقهم ومضوا به إلى جامع الخطبة بالحلة فضاقت بهم الجامع على سعته وضافت الشوارع والسكك والطرق من كثرة الناس فلم ير أكثر جمعًا ولا أغزر دمعًا من ذلك اليوم وهذا دليل على أنه كان قطب أهل زمانه * قال الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه يئسنا وبينهم الجنائز يريد بذلك اجتماع الناس والله أعلم فارتفع فحسه على أعناقهم وتقدم للصلاة شيخه العارف بالله تعالى سيدي سليمان الدواخلي فنعنا الله ببركته ودفن يوم الجمعة بزوايته التي أنشأها بسند فامع والده الشيخ الامام العالم العلامة مفتي المسلمين سراج الدين أبي حفص عمر الطريخي المالكي في قبر واحد فنعنا الله ببركته وجعل الجنة منقلبته ومثواه وحشرنا وإياه في زمرة سيده الأولين والآخرين محمد خاتم النبيين وأفضل المرسلين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ونسأله لنا التوفيق والاعانة وأن يجمع المسلمين بطول بقاء أخيه سيدنا ومولانا الشيخ شمس الدين محمد الطريخي أدام الله أيامه للمسلمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

(الباب الحادي والثلاثون في مناقب الصالحين وكرامات الاولياء ورضي الله عنهم)

اعلم أن كرامات الاولياء لا تنكر ومناقبهم أكثر من أن تحصر نسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم في زمرة تبييننا محمد صلى الله عليه وسلم يوم المحشر أنه على ما يشاء قد بر وبالأجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل * (حكاية) قال مالك بن دينار رحمه الله تعالى احتبس عنا المطر بالبصرة فخرجنا نستسقي مرارًا فلم نزل الإجابة أثرًا فخرجت أنا وعطاء السلمي وثابت البناني ويحيى البجكاء ومحمد بن واسع وأبو محمد السخيتاني وحبيب الفارسي وحسان بن ثابت بن أبي سنان وعتبة الغلام وصالح المزني حتى إذا صرنا إلى المصلى بالبصرة خرج الصبيان من المكاتب ثم استسقينا فلم نزل الإجابة أثرًا حتى انتصف النهار وانصرف الناس وبقيت أنا وثابت البناني بالمصلى فلما أظلم الليل إذا أنا بعبدة أسود مليح رقيق الساقين عليه جبة صوف قومت ما عليه بدرهمين فجاءهم فتوضأ ثم جاء إلى المحراب فصلى ركعتين خفيفتين ثم رفع طرفه إلى السماء وقال الهي وسيدي ومولاي إلى كم تر ذعبادك فيما لا يتفعدك نفد ما عندك أم نقص ما في خزائنك أقسمت عليك بجيك لي إلا ما أسقيتنا غيثك الساعة قال فخاتم كلامه حتى تغيرت السماء وجاءت بطر ككافوا القرب قال مالك فتعترضته وقلت له يا أسود أمانتني مما قلت قال وما قلت قلت قولك بجيك لي وما يدري أن بجيك قال تخعني يا من اشتغل عنه بنفسه أفتراء بداني بذلك الالتهبه إياي ثم قال محبته لي على قدره ومحبتني له على قدري فقلت له يرجك الله رفوق قليلًا فقال اني بمولوك وعلى

فرض من طاعة مالكي الصغير قال فانصرف وجعلنا نقتفوا أثره على البعد حتى دخل دار
نخاس فلما اصبحنا أتينا النخاس فقلت يرحمك الله عندك غلام تبعه من الخدمة قال نعم عندي
مائة غلام للبيع فجعل يعرض علينا غلاما بعد غلام حتى عرض علينا سبعين غلاما فلم ألق
حبيبي فيهم فقال عودا الى في غير هذا الوقت فلما أردنا الخروج من عنده دخلنا بحجرة خربة
خلف داره واذا بالاسود قائم يصلي فقلت حبيبي ورب الكعبة فجلست الى النخاس فقلت
له بمعنى هذا الغلام فقال يا أبا يحيى هذا غلام ليست له همة في الليل الا بالبيكاه وفي النهار
الا بالولة والوحدة فقلت له لا بد من أخذه منك ولك الثمن وما عليك منه فدعاه فجاءه
وهو يتعاس فقال خذ به ماشئت بعد ان تبرئني من عيوبه كلها فاشتريته منه بعشرين
دينارا وقلت له ما اسمك قال ميمون فأخذت بيده أريد المنزل فالتفت الى وقال
يا مولاي الصغير لماذا اشتريته وأنا لا أصلح لخدمة الخلقين فقلت له والله يا سيدي انما
اشتريتك لا لخدمك بنفسى قال ولم ذلك فقلت ألسنت صاحبنا البارحة بالمصلي قال بلى
وقد اطاعت على ذلك قلت نعم وأنا الذي عارضتك البارحة في الكلام بالمصلي قال فجعل
يمشي حتى أتى الى مسجد فاستأذنى ودخل المسجد فصلى فيه ركعتين خفيقتين
ثم رفع طرفه الى السماء وقال الهى وسيدى ومولاي سر كان بينى وبينك أطلعت
عليه غيرك فكيف يطيب الا نعيشى أقسمت عليك بك الا ما قبضتني اليك الساعة
ثم سجد فانتظرته ساعة فلم يرفع رأسه فجلست اليه وحزرت كتمته فاذا هو قدمات رحمة الله
تعالى عليه قال فددت يديه ورجليه فاذا هو ضاحك مستبشر وقد غلب البياض على
السواد ووجهه كالقزلية البدر واذا شاب قد دخل من الباب وقال السلام عليكم ورحمة
الله وبركاته أعظم الله أجورنا وأجوركم في أخينا ميمون هاكم الكفن فناولني ثوبين ما رأيت
مثلهما قط فغسلناه وكفنناه فيهما ودفناه قال مالك بن دينار فبقبره نستسقى الى الان
ونطلب الحوائج من الله تعالى رحمة الله عليه * (وحكى) عن حذيفة المرعشى رضى الله عنه
وكان قد خدم ابراهيم الخواص رضى الله عنه وصحبه مدة فقبل له ما يحب ما رأيت منه
فقال بقين في طريق مكة أياما لم نأكل طعاما فدخلنا الكوفة فأوينا الى مسجد خرو
فنظر الى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك أثر الجوع فقلت هو كما ترى فقال عني بدواة
وقرطاس فأحضرتهما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود بكل حال والمشار
اليه بكل معنى ثم قال

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر * أنا جائع أنا ضائع أنا عارى

هى ستة وأنا الضمين لنصفها * فكن الضمين لنصفها يا بارى

مدحى لغيرك لهب نار خضتها * فأجر عبيدك من لهيب النار

قال حذيفة ثم دفع الى الرقعة وقال اخرج بها ولا تعلق قلبك بغير الله تعالى وادفعها الى
أول من يلقاك قال فخرجت فأقول من لقينى رجل على بغلة فناولته الرقعة فأخذها فقرأها
وبكى وقال ما فعل بصاحب هذه الرقعة قلت هو فى المسجد القلاني فدفع الى صرة فيها ستائة
درهم فاخذتها ومضيت فوجدت رجلا فسالته من هذا الراكب على البغلة فقال هو رجل

نصراني قال لجنت ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تنس الدراهم فان صاحبها يأتي الساعة فلما كان بعد ساعة أقبل النصراني راكبا على بغلة فترجل على باب المسجد ودخل فأكب على ابراهيم يقبل رأسه ويديه ويقول أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله قال فبكى ابراهيم الخواص فرحابه وسرورا وقال الحمد لله الذي هدانا لهذا السلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام * (وحكى) أن بعضهم كان ملاحا بهر النيسل المبارك بمصر قال كنت أعدي من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي ومن الجانب الشرقي الى الجانب الغربي فبينما أنا ذات يوم في الزورق اذا بشيخ مشرق الوجه عليه مهابة فقال السلام عليك فرددت عليه السلام فقال أتجملني الى الجانب الغربي لله تعالى فقات نعم فطلع الى الزورق وعدت به الى الجانب الغربي وكان على ذلك الفقير مرقعة ويده ركوة وعصا فلما أراد الخروج من الزورق قال اني أريد أن أحلك أمانة قلت وما هي قال اذا كان غد وقت الظهر تجددني عند تلك الشجرة مينا وستبى فاذا الهمت فأتني وغسلني وكفني في الكفن الذي تجده عند رأسي وصل على وادفني تحت الشجرة وهذه المرقعة والعصا والركوة بآتيك من يطعم اهلك فادفعها اليه ولا تحتقره قال الملاح ثم ذهب وتركني فتهيجت من قوله وبنت تلك الليلة فلما أصبحت انتظرت الوقت الذي قال لي فلما جاء وقت الظهر نسيت فماتت كرت الاقرب العصر فسررت سرعة فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا جديدا عند رأسه تفوح منه رائحة المسك فغسلته وكفنته فلما فرغت من غسله حضر عندي جماعة عظيمة لم أعرف منهم أحد افاضلنا عليه ودفنته تحت الشجرة كما عهد الي ثم عدت الى الجانب الشرقي وقد دخل الليل فمضت فلما طلع الفجر وبات الوجوه اذا بابشاب قد أقبل على تحققت النظر في وجهه فاذا هو من صبيان الملاهي كان يخدعهم فأقبل وعابه ثياب رفاق وهو محضوب الكفين وطاره تحت ابطه فلم على فرددت عليه السلام فقال يا ملاح أنت فلان بن فلان قلت نعم قال هات الوديعة التي عندك قلت ومن أين لك هذا قال لانسا لقلت لا بد أن تحبني فقال لا أدري الا أني البارحة كنت في عرس فلان التاجر فسهر نازق وصفتني الى أن ذكر الله الذاكرون على المآذن فمضت لاستريح واذا برجل قد أيقظني وقال ان الله تعالى قد قبض فلا مالولي وأقامك مقامه فسر الى فلان بن فلان صاحب الزورق فان الشيخ أودع لك عنده كتب وكتب قال قد فعلت الخلع أنابه الرفاق ورمى بها في الزورق وقال تصدق بها على من شئت وأخذ الركوة والعصا ولبس المرقعة وسار وتركني أتخرق وأبكي لما حرمت من ذلك وأقت يومى ذلك أبكى الى الليل ثم فمت فرأيت رب العزة جل جلاله في النوم فقال يا عبدي أثقل عليك أن مننت على عبد عاص بالرجوع الى انما ذلك فضلى أوتيته من أشا من عبادي وأنا ذو الفضل العظيم * (وحكى) أبو اسحق الصمعي قال خرجت سنة الى الحج فبينما أنا في البادية تائه وقد جن الليل وكانت لبلبة مقمرة اذ سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا أبا اسحق قد انتظرتك من الغداة قد نوت منه فاذا هو شاب نحيف الجسم قد أشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها أعرف ومنها لا أعرف فقلت له من أنت ومن أين أنت قال من مدينة

شمشاط كنت في عزة ورفعة فطالبتني نفسي بالغربة والعزلة فخرجت وقد اشرفت الان على الموت فدعوت الله تعالى أن يقض لي وليا من أوليائه وأرجو أن تكون أنت هو فقلت ألك حاجة قال نعم لي والدة واخوة وأخوات فقلت هل اشتقت اليهم قط قال لا الا اليوم اشتقت أن أشم ريحهم فهممت أريدهم فاحتموتني السباع والهوام وبكين معي وجالوا الى هذه الرياحين التي تراها قال أبو اسحق فبينما أنا معه برق له قلبي وإذا بحية عظيمة في فمها باقة نرجس كبيرة فقالت دع ولي الله تعالى فإن الله يغار على أوليائه قال فغشي عليه وغشى على تمام ففت الا وهو قد خرجت روحه رحمه الله قال فدخلت مدينة شبساط بعد ما سمعت فاستقبلتني امرأة سيد هار كوة مارأت أشبه بالشباب منها فلما رأني ناديت يا أبا اسحق ما شأن الشاب الغريب الذي مات غريبا فاني منتظرك منذ كذا وكذا فذكرت لها القصة الى أن قلت لها اشم ريحهم فصاحت أهواءه وأودع قلبه والله الشتم ثم شهقت شهقة خرجت روحها فخرج اليها بنات أترب عليهن مرقات ومروط فكنن أمرها وتولين دفنها وهن مستترات رضوان الله على الجميع (شعر)

يا نسيما هب من وادي قبا * خبريني كيف حال الغربا
كم سألت الدهر أن يجمعه منا * مثل ما كماله فأنبي

(وحكي) أن رجلا كان يعرف بدينار العيار وكان له والدة صالحة تعظه وهو لا يتعطف فتر في بعض الايام بمقبرة فأخذ منها عظما ففتت في يده ففكر في نفسه وقال ويحك يا دينار كاني بك وقد صار عظمك هكذا فانا والجسم ترا با قدم على تزيطه وعزم على التوبة ورفع رأسه الى السماء وقال الهى وسيدى ألقيت اليك قال اليد امرى فاقبلني وارحنى ثم أقبل نحو أمه متغير اللون منكسر القلب فقال يا أماء ما يصنع بالعبد الا بئى اذا أخذه سبيده قالت يحشن ملبسه ومطعمه ويغل يديه وقدميه فقال أريد جبة من صوف واقراصا من شعير وغلين وافعل بي كما يفعل بالعبد الا بئى لعل مولاي يرى ذلى فيرحني ففعلت به ما أراد فـ كان اذا جن عليه الليل أخذ في البكاء والعويل ويقول لنفسه ويحك يا دينار ألك قوة على النار كيف تعرضت للغضب الجبار ولا يزال كذلك الى الصباح فقالت له أمه يا بئى ارفق بنفسك فقال دعيني أتعب قليلا لعلى أستريح طويلا يا أماء انى غدا مو قفا طويلا بين يدي رب جليل ولا أدري أبومرئى الى ظل ظليل أو الى شرم مقبل قالت يا بئى تخذل نفسك راحة قال لست للراحة أطلب كائنك يا أماء غدا بالخللاق يساقون الى الجنة وأنا أساق الى النار مع أهلها فتر كتمه وما هو عليه فأخذ في البكاء والعبادة وقراءة القرآن فقرأ في بعض الليالى فوربك للناس النهم أجمعين عما كانوا يعملون ففكر فيها وجعل يبكي حتى غشى عليه فجاءت أمه اليه فنادته فلم يجبها فقالت له يا حبيبي وقرة عيني أين الملقى فقال بصوت ضعيف يا أماء ان لم تجديني في عرصات القيامة فأسألك ما لك كـ خازن النار عني ثم شفق شهقة فمات رحمه الله تعالى فغسلته أمه وجهزته وخرجت تنادى أيها الناس هلموا الى الصلاة على قبيل النار فجاء الناس من كل جانب فلم يرا أكثر جمعا ولا أعز ردمعا من ذلك اليوم فلما دفنوه نام بعض أصدقائه تلك الليلة فراه يتجتر في الجنة وعليه حلة خضراء وهو يقرأ الآية فوربك لنسأنهم أجمعين عما كانوا يعملون

ويقول وعزته وجلاله سألني ورجني وغفر لي وتجاوز عني ألا أخبروا عني والدني بذلك
 * (وحكى) عن الحسن البصري قال نزل سائل عبيد فقال الناس أن يطعموه كسرة
 فلم يطعموه فقال الله تعالى الملك الموت أقبض روحه فانه جائع فقبض روحه فلما جاء المؤذن
 رأه ميتا فأخبر الناس بذلك فتعاضوا على دفنه فلما دخل المؤذن المسجد وجد الله كفن
 في الهراب مكتوب عليه هذا الكفن مردود عليكم بنس القوم أنتم استطعمتمكم فقبر فلم تطعموه
 حتى مات جوعا من كان من أحببنا لا نكاه الى غيرنا * (وحكى) أبو علي المصري قال كان لي
 جار شيخ يغسل الموتى فقلت له يوما حدثني بأعجب ما رأيت من الموتى فقال جاءني شاب
 في بعض الأيام مليح الوجه حسن الثياب فقال لي أنفسل لنا هذا الميت قلت نعم فقبضته حتى
 أوقفني على باب فدخل هنيئة فاذا بجارية هي أشبه الناس بالشاب قد خرجت وهي تسمع
 عنينا فقلت انت الغاسل قلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
 العظيم فدخلت الدار واذا أنا بالشاب الذي جاءني بما لجمه من كرات الموت وروحه في لبتيه
 وقد شخص بصره وقد وضع كفه وحنوطه عند رأسه فلم أجلس اليه حتى قبض فقلت سبحان الله
 هذا ولي من أولياء الله تعالى حيث عرف وقت وفاته فأخذت في غسله وأنا ارتعد فلما
 أدرجته أتت الجارية وهي أخته فقبلته وقالت أما لي سألحق بك من قريب فلما أودت
 الانصراف شكرت لي وقالت أرسل الى زوجتك ان كانت تحسن ما تحسنه أنت فارتعدت
 من كلامها وعلت أنها الاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلي فقصصت عليها القصة
 وأتيت بها الى تلك الجارية فوقف الباب واستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك
 فدخلت زوجتي واذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت دفناتها زوجتي وأنزلتم اعلی أخيا
 رحمة الله عليهما (شعر)

أحبابنا بنم عن الدار فاشتكت * لبعدم آصاها وضحاها
 وفارقت الدار الايسة فاستوت * رسوم مباتيها وفاح كلاها
 كأنكم يوم العراق رحلت * بنوى فعبني لاتصيب كراها
 وكنت شهجاً من دموى بقطرة * فقد صرت سمها بعدكم بدماها
 يراني بساما خليلي يظن بي * سرورا وحشاى اسقام ملاها
 وكم خصكة في القلب منها حارة * يشب لظاها لو كشفت غطاها
 رعى الله أياما بطيب حديثكم * تقضت وحياها الحياوس قاهها
 فما قلت ايها بعد ما المسامر * من الناس الا قال قلبي آها *

(وحكى) سرى السقطي رحمه الله تعالى قال أرقت ليله ولم أقدر على النوم فلما طلع الفجر صليت
 فلما أصبحت دخلت الماوسنة فاذا أنا بجارية مقيدة مغلولة وهي تقول
 تغل يدي الى عنقي * وما خانت وما سرقت
 وبين جوانحي كبد * احس بها قد احترقت
 قال فقلت للقيم ما هذه الجارية قال هذه جارية اخذت عقلها فحبست لعلها تصلح فلما سمعت
 كلامه تبسمت وقالت

معشر الناس ما جئفت ولكن * اناس كرائة وقلبي صاحي
لم غلبتم يدي ولم آت ذنبا * غير هتكي في حبه واقضاحي
* انما فتونة بحب حبيب * لست أبغى عن يابه من براح
ماعلى من أحب مولى الموالى * وارضاء لنفسه من جناح

قال فلما سمعت كلامها بكبت بكاء شديدا فقالت يا سري هذا بكائك من الصفة فكيف لو عرفته
حق المعرفة قال فبينما هي تسكمنى اذ جاء سيدها فلما رآني عظمى فقلت والله هي أحق منى
بالتعظيم فلم فعلت بها هذا قال لتقصيرها في الخدمة وكثرة بكائها واشدة حنينها وأنيها كأنها
تسكى لانتام ولا تدعنا انتام وقد اشتريتها بعشرين ألف درهم لصناعتها فانها مطربة قلت فما كان
بدها قال كان العود في حجرها يوا ما فجعلت تقول

وحقك لا تقضت الدهر عهدا * ولا كذرت بعد المصفوذا
ملائن جواني والقلب وجدا * فكيف أقترى اسكنى وأهدا
فيا من ليس لي مولى سواء * ترأى رضى عنى بالبواب عبدا

فقلت لسيدتها أطلقها وعلى ثمنها افصاح وافقرام من أين لك عشرون ألفا يا سري فقلت لا تنجل
على فقال تكون في المارستان حتى يوفيني ثمنها فقلت نعم قال سري فانصرفت وعيني تدمع
وقلبي يحترق وأنا والله ماعندي درهم من ثمنها فبت طول ليلتي أنضرع الى الله تعالى فاذا بطارق
يطرق الباب ففتحت فدخل على رجل ومعه مئة من الخدم ومعهم خمس بدر فقال أنعرفني
يا سري قلت لا قال أنا أحمد بن المني كنت نائما فنهتني هاتف وقال لي يا أحمد هل لك
في معاملتنا فقلت ومن أولى مني بذلك فقال احمل الى سري السقطى خمس بدر من أجل الجارية
القلانية فان لنا بها عناية قال سري فسجدت لله شكرا وجلست أنوقع طلوع الفجر فلما طلع
صلينا واذكرنا وانصرفنا نحوها فسمعناها تقول

قد نصبرت الى أن * عيل من حبك صبرى
ضاق من غلى وقيدى * وامتهانى منك صدرى
ليس يخفى عنك أمرى * يامنى قلبى وذخرى
* أنت قد تعق رقى * وتفلك اليوم أسرى *

قال سري فبينما أنا أسمعها واذ اذعولها قد دجا وهو يبكي فقلت لاباس عليك قد جئناك برأس
مالك وبيع عشرة آلاف درهم فقال والله لانعلت ذلك قلت نزيديك قال والله لو أعطيتني
ما بين الخافقين ما فعلت وهي حرة لوجه الله تعالى قال فتعجبت من ذلك وقلت ما كان هذا
كلامك بالامس فقال حبيبي لانو بخنى فالذى وقع لي من التوبيع كفاني وأشهدك اني
قد خرجت من جميع مالي صدقة في سبيل الله تعالى وانى هارب الى الله تعالى فبالله لا تردني
عن صحبتك فقلت نعم ثم التفت فرأيت صاحب المال يبكي فقلت ما يبكيك قال يا أسد اذى
ما قبلني مولاي بلما بدنى اليه ورد على ما بذلت أشهدك أني قد خرجت من جميع ما أملك لله
تعالى في سبيل الله وكل عبدا أملكه وجارية أحرار لوجه الله تعالى قال سري فقلت ما أعظم
بركتك يا جارية قال فترعنا الغل من عنقه ها والقبض من رجلها وأخرجناهما من المارستان

فزعزت ما كان عليه من ناعم الثياب ولبست نجارا من صوف ومدرعة من شعر وولت
قال سري قوجهت أنا ومولاهما وصاحب المال الى مكة فيبينا نحن نطوف اذ سمعنا صوتا
فتبعناه فاذا هي امرأة كالحبال فلما راى قالت السلام عليك يا سري فقلت لها وعليك
السلام ورجة الله وبركاه من أنت فقالت لا اله الا الله وقع الشك بعد المعرفة فتأملت ما اذا
هي الجارية فقلت لها اما الذي أفادك الحق بعد ان قرأك عن الخلق فقالت أنسى به ووحشتي
من غيره ثم توجهت الى البيت وقالت الهى كم تخلفنى في دار لا أرى فيها أنيسا قد طال شوقى
اليك فبعل قدوى عليك ثم شفت شهقة وخزت مينة رجمة الله تعالى عليها فلما نظر اليها
مولاهما بكى وجعل يدعو ويضعف كلامه الى أن خراى جانبها مبتارحة الله عليه فدفنهما
في قبر واحد (شعر)

بحرمة ما قد كان بنى وينسكم * من الوذا لا ما رجعت الى وصلى
ولا تحرمونى نظرة من جمالكم * فلن تجدوا عبدا ذليلا لكم مثلى
فوالله ما بهوى فوادى سواكم * ولور شقوه بالاسنة والنيل

(وحكى) انه كان في زمن بنى اسرائيل رجل من العباد الموصوفين بالزهد وكنان قد سخر
الله له صحابه تسير معه حيث يسير فاعتراه فتور في بعض الايام فأزال الله عنه هابته وجب
اجابته فكثر لذلك حزنه وشعبونه وطال كده وأبينه وما زال يشاق الى زمن الكرامة ويكي
ويتأسف ويتعسر ويتلهف فقام ليلة من الليالى فصلى ماشاء الله وبكى وتضرع ودعا الله
تعالى ونام فقبيل له في المنام اذا أردت أن يرث الله تعالى عليك صحابتك فانت الملك القلانى
في بلد كذا واسأله أن يدعو الله لك أن يرث عليك صحابتك قال فصار الرجل يقطع الارض
حتى وصل الى تلك البلد التي ذكرت له في المنام فدخلها وسال من يرشده الى قصر الملك فجاء
الى القصر واذا عند باب غلام جالس على كرسى عظيم من الذهب الاحمر مرصع بالدر
والجوهر والناس بين يديه يسألونه حوائجهم وهو بصرف الناس فوقه الرجل الصالح بين
يديه وسلم عليه فقال له الغلام من أين أنت وما حاجتك فقال من بلاد بعيدة وقصدي
الاجتماع بالملك فقال له الغلام لا سيبل لك اليه اليوم فسل حاجتك أقضها لك ان استطعت
فقال ان حاجتى لا يقضيها الا الملك فقال الغلام ان الملك ليس له الا يوم واحد في الجمعة يجتمع
اليه الناس فيه فاذهب حتى يأتى ذلك اليوم فانصرف الرجل الى مسجد دائر وأقام يعبد الله
تعالى فيه وأتذكر على الملك لاحتجابه عن الناس فلما كان ذلك اليوم الذي يجلس فيه الملك
جاء الى القصر فوجد دخلها كثيرا عند الباب ينتظرون الاذن فوقف مع جملة الناس
فلما خرج الوزير أذن للناس في الدخول فدخل أرباب الحوائج ودخل صاحب الصحابة معهم
واذا بالملك جالس وبين يديه أرباب دولته على قدر مراتبهم فجعل رأس النوبة يقدم الناس
واحد بعد واحد حتى وصلت النوبة لصاحب الصحابة فلما نظر اليه الملك قال مرحبا
بصاحب الصحابة اجلس حتى أفرغ من حوائج الناس وأنظر في أمرتك قال فتخير صاحب
الصحابة في أمره فلما فرغ الملك من حوائج الناس قام من مجلسه فأخذ بيد صاحب الصحابة
وأدخله معه الى قصره ثم مشى به في دهليز القصر فلم يجد في طريقه الا مملوكا واحدا

فساربه حتى انتهى الى باب من جريد واذا به بنام مهدوم وحيطان مائلة ويبت خرب فيه برش
وليس هنالك ما يساوي عشرة دراهم الا بصادة خلقه وقدح للوضوء وحصى بركة وشئ من
الخرص فافتح الملك من ثياب الملك ولبس مرقعة من صوف وجعل على رأسه قلنسوة من
شعر ثم جلس وأجلس صاحب السحابة ونادى يا فلانة هات لي بك قال أتدريين من هو الليلة
ضيقتنا قالت نعم هو صاحب السحابة فدعاهما بالحاجة فخرجت فاذا هي امرأة كالشن البالي
عليها مسح من شعر خشن وهي شابة صغيرة قال الرجل فالتفت الى الملك وقال يا أخى نطلعك
على حالنا ونقضى حاجتك وتنصرف فقلت والله لقد شغلني حالكم عما جئت بسببه فقال
الملك الله يعلم انه كان في هذا الامر آباء كرام صالحون يتوارثون المملكة كبار عن كبار
فلما توفوا الى رحمة الله تعالى ووصل الامر الى بغض الله الى الدنيا وأهلها ان اردت أن أسبح
في الارض وأترك الناس يتظرون لهم من يسوس أمرهم فعملكونه عليهم تخفت عليهم
دخول الفتنة وتضييع الدين والشرائع وتبديد شمل الدين فبايعوني وأنا والله كاره فتركت
أمرهم على ما كانت عليه وجعلت السماء على عادته والخراس على حالها والممالك على
دأبها ولم أغير شياً وأقعدت الممالك على الابواب بالصلاح ارهاباً لاهل الشر وروى عن
أهل الخبر وتركت القصر من بنا على حاله وفتحت له باباً وهو الذي رأيته يوصلني الى هذه
الخربة فأدخل فيها وأخرج ثياب الملك وألبس هذا وأضفر الخوص وأبيعه وأتقوت من غنمه
أنما وزجتي هذه التي رأيته وهي ابنة عمي زهدت في الدنيا كرهدي واجتهدت حتى صارت
كالشن البالي والناس لا يعلمون ما نحن فيه ثم اني آقت لي نائباً ينوب عني طول الجمعة وعلمت
اني مسئول فجعلت لي يوماً في الجمعة ابرز للناس فيه وأكشف عن مظالمهم كما رأيت وأنا على
هذه الحالة مدة فأقم عندنا يرحك الله حتى يسبح خويصنا وتباع من غنمنا طعاماً وقفطر
معنا وتبيت عندنا الليلة ثم تنصرف بجحمتك ان شاء الله تعالى فلما كان آخر النهار دخل
عليها غلام خماسي العمر فأخذ ما علمه من خوص وساربه الى السوق فباعه واشترى من
غنمه خبزاً وقللاً واشترى بياض غنمه خوصاً فلما كان عند الغروب أظفرا وأظفرت معهما
وبت عندهما قال فقاما في نصف الليل يصليان ويبيكان فلما كان عند السحر قال الملك
اللهم ان عبدك هذا يطلب منك ردمه باسمه وانك قد دللته علينا اللهم ارددناه عليه انك
على كل شئ قدير والمرأة تؤمن على دعائه واذا بالسحابة قد طلعت من قبل السماء فقال لي لك
البشارة بقضاء حاجتك ونجيب اجابتك قال فودعتهما وانصرفت والسحابة معي كما كانت
فأباعد ذلك لأسأل الله تعالى بسرهما شيئا الا اعطاني اياه رحمة الله تعالى عليهما (شعر)

استعمل الصبر فنجني بعده العسلا * ولازم الباب حتى تبلغ الاملا

ومرغ الخلد في أعتابه سحرا * واجعل لمرضاته في الحب كل بلا

* فمافوز بوصول يا أخى سوى * صب لنقل الهوى والوجد قد جلا

هذا الحبيب ينادى في الدجى سحرا * فانمض وكن رجلاً بالسحر قد وصل

(وحكي) عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال خرجت الى مكة حاجاً فبينما أنا سائر إذ رأيت
شاباً سائلاً كالأبكر الله تعالى فلما جئت الليل رفع وجهه نحو السماء وقال يا من لا تسره الطاعات

ولا تضرة المعاصي هب في ما لا يسرك واغفر لي ما لا يضرك ثم رأيت به ذى الخليفة وقد لبس
 احرامه والناس يلبون وهو لا يلبى فقلت هذا جاهل قد نوت منه فقلت له يا فتى قال ليلى قلت
 لم اتلبى فقال يا شيخ وما تغنى التلبية وقد بارزته بذنوب سالفات وجرام مكشوبات والله انى
 لا خشى أن أقول ليلى فيقول لا ليلى ولا سهديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك فقلت له
 لا تنقل فانه حليم اذا غضب رضى واذا رضى لم يغضب واذا وعد وفى ومتى توعده فاقال يا شيخ
 أنت خير على بالتلبية قلت نعم فبادر الى الارض واضطجع ووضع خدته على التراب وأخذ يحجرا
 فوضعه على خدته الآخر وأسبل دموعه وقال ليلى اللهم تليك قد خضعت لك وهذا
 مصرى بين يدك فاقام كذلك ساعة ثم مضى فخارأيت به الابن وهو يقول اللهم ان الناس
 قد ذنبوا وغفروا وتقرّبوا اليك وليس لى شئ أن تقرّب به اليك سوى نفسى فقبلها منى ثم شق
 شهقة وغرّمتها رحمة الله تعالى عليه * (وحكى) انه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بأبى
 عبد الله الاندلسى وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وكان يقرأ القرآن بجميع الروايات فخرج في بعض السنين الى
 السباحة ومعه جماعة من أصحابه مثل الجنيد والشبلى وغيرهما من مشايخ العراق قال
 الشبلى فلم نزل في خدمته ونحن مكرمون بعناية الله تعالى الى ان وصلنا الى قرية من قرى
 الكفار فطلبنا ماء فتوضأ به فلم نجد فجلنا ند وربك القرية واذا نحن بكائس وجهنا شامة
 وسقاسة وورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا منهم ومن قلة عقلهم ثم انصرفنا
 الى بئر في آخر القرية واذا نحن بجواريس تتقن الماء على البرزوينين جارية حسنة الوجه
 مافين احسن ولا أجل منها وفي عنقها قلاند الذهب فلما راها الشيخ تغير وجهه وقال هذه
 ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه القرية فقال الشيخ فلم لا يدللها أبوها ويكرمها ولا يدعها
 تستقى الماء فقيل له أبوها يفعل ذلك بها حتى اذا تزوجها رجل أكرمته وخدمته ولا تنجبها
 نفسها فجلس الشيخ ونكس رأسه ثم أقام ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ولا يكلم أحدا غير أنه
 يؤذى القرىضة والمشايخ واقفون بين يديه ولا يدرون ما يصنعون قال الشبلى فتقدمت اليه
 وقلت له يا سيدى ان أصحابك ومريدك يتعجبون من سكوتك ثلاثة أيام وأنت ساكت
 لم تكلم أحدا قال فأقبل علينا وقال يا قوم اعلوا أن الجارية التي رأيتها بالأمس قد شفقت
 بها حبا واشتغل قلبى بها وما بقيت أقدر فأرق هذه الارض قال الشبلى فقلت له يا سيدى
 أنت شيخ أهل العراق ومعروف بالزهد فى سائر الآفاق وعدد مريدك اثنا عشر ألفا
 فلا نفخنا واباهم بجمرة الكتاب العزيز فقال يا قوم حرى القلم بما حكم ووقعت في بشار العدم
 وقد انفلتت عنى الولاية وطويت عنى أعلام الهداية ثم انه بكى بكاء شديدا وقال يا قوم
 انصرفوا فقد نفذ القضاء والقدر فتعجبنا من أمره وسألنا الله تعالى أن يحبرنا من مكره
 ثم بكينا وبكى حتى أروى التراب ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس الى لقائه
 ومريدوه في جملة الناس فلم يروفسا لواعنه فعرّفتناهم بما جرى فأت من مريد به جماعة
 كثيرة حزن عليه وأسفا وجهه على الناس يكون ويتضرعون الى الله تعالى ان يرده عليهم
 وغلقت الرباطات والزوايا والخوانق وخلق الناس حزن عظيم فأقننا سنة كاملة وخرجت

مع بعض أصحابي نكشف خبره فأتيناه القرية فسألنا من الشيخ فقبل لنا أنه في البرية برعى الخنازير قلنا وما السبب في ذلك قالوا أنه خطب الجارية من أيها فأبى أن يتزوجها إلا من هو على دينها ويلبس العباة ويشد الزنار ويخدم الكائن ويرى الخنازير ففعل ذلك كله وها هو في البرية برعى الخنازير قال الشبلي فأنصدمت قلوبنا وانهم ملت بالبكاء عيوننا وسرنا إليه وإذا به قائم قد دام الخنازير فلما رأنا ~~كسر~~ رأسه وإذا عليه قلنسوة النصارى وفي وسطه زنار وهو متوكئ على العصا التي كان يوكأ عليها إذا قام إلى الهرب فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا يا شيخ ماذا وماذا وما هذه الكروب والهموم بعد تلك الأحاديث والعلوم فقال يا اخواني وأصحابي ليس لي من الأمر شيء سبدي لصرف في كيف شاء وحيث أراد أبعدي عن أبيه بعد أن كنت من جملة أحبائه فالخذر الخذر يا أهل وداده من صده وابعاده والخذر الخذر يا أهل المودة والصفا من القطيعة والنفاء ثم رفع طرفه إلى السماء وقال يا مولاي ما كان ظني فيك هذا ثم جعل يستغيث ويكي ونادي يا شبلي اتعظ بغيرك فتأدى الشبلي بأعلى صوته بك المستعان وأنت المستغاث وعليك التكلا انك كشف عنا هذه الغمة بملك فقدهم منا أمر لا كشف له غيرك قال فلما سمعت الخنازير بكاءهم وضجيجهم أقبلت إليهم وجهت تمرغ وجوهها بين أيديهم وزعقت زعقة واحدة دويت منها الجبال قال الشبلي فظننت أن القيامة قد قامت ثم أن الشيخ بكى بكاء شديدا قال الشبلي فقلنا له هل لك أن ترجع معنا إلى بغداد فقال كيف لي بذلك وقد استرعت الخنازير بعد أن كنت أرى القلوب تقات يا شيخ كنت تحفظ القرآن وتقرؤه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيئا فقال نسبته كله إلا آيتين قلت وما هما قال قوله تعالى ومن بين الله فالله من مكرم الله يفعل ما يشاء والثانية قوله تعالى ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل فقلت يا شيخ كنت تحفظ ثلاثين ألف حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل تحفظ منها شيئا قال حديثا واحدا وهو قوله صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاتمه قال الشبلي فتركناه وانصرفنا ونحن متعجبون من أمره فسرنا ثلاثة أيام واذ نحن به أمامنا قد تطهر من نهر وطلع وهو يشهد شهادة الحق ويحسد إسلامه فلما رأينا أنه لم يترك أن نفسه من الفرح والسرور فنظر إلينا وقال يا قوم أعطوني ثوبا طاهرا فأعطيناه ثوبا فللبسه ثم صلى وجلس فقلنا له الحمد لله الذي وذلك علينا وجمع ثمننا بك فصف لنا ما جرى لك وكيف كان أمرك فقال يا قوم لما وليتم من عندي سأله بالوداد القديم وقلت له يا مولاي أنا المذنب الجاني فعفا عني بجلوده وبستره غطاني فقلنا له بالله نسألك هل كان لحضرتك من سبب قال نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنائس قلت في نفسي ما قدر هؤلاء عندي وأنا مؤمن موحدة فوديت في سرى ليس هذا منك ولو شئت عزفتك ثم أحسست بطارقة خروج من قلبي فكان ذلك الطائر هو الإيمان قال الشبلي فقر حنا به فرحا شديدا وكان يوم دخولنا يوما عظيما مشهودا وفقت الزوايا والرباطات والخوانق ونزل الخليفة للقاء الشيخ وأرسل إليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع علمه أربعون ألفا وأقام على ذلك زمانا طويلا ورذاقه عليه ما كان نسبته من القرآن والحديث وزاده على ذلك فبينما نحن جلوس عنده في بعض الأيام بعد صلاة الصبح واذ نحن بطارق

بطرف باب الزاوية فنظرت من الباب فإذا شخص ملقب بكساء أسود فقات له ما الذي تريد فقال قل لشيخكم أن الجارية الرومية التي تركتها بالقرية الثلاثية قد جاءت طلب خدمتك قال قد خلت فعرفت الشيخ فاصفرت لونه وارتعد ثم أمر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكاء شديدا فقال لها الشيخ كيف كان بحبك ومن أوصاك إلى ههنا قالت يا سيدي لما وليت من قريتنا جاءني من أخبرني بك فبكت ولم يأخذني قرار فرأيت في منامي شخصا وهو يقول إن أحببت أن تكوني من المؤمنات فأتري ما أنت عليه من عبادة الاصنام واتبعي ذلك الشيخ وادخلي في دينه فقلت وما دينه قال دين الاسلام فأت وما هو قال شهادة أن لا إله الا الله وأن محمدا رسول الله فقلت وكيف لي بالوصول إليه قال أغض عيني وأعطيني يدك ففعلت فغنى قلبه لا ثم قال افتحي عينيك ففهم ما فإذا أنا بشاطئ الدجلة فقال امضي إلى تلك الزاوية وأقري الشيخ معنى السلام وقولي له إن أخاك الخضر يسلم عليك قال فأدخلها الشيخ إلى جواره وقال تعبدى ههنا فكانت أعبد أهل زمانهم انصوم النهار وتقوم الليل حتى فعل جسمها وتغير لونها ففرضت مرض الموت وأشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يرها الشيخ فقالت قولوا للشيخ يدخل علي قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما رآته بكت فقال لها لا تسكي فإن اجتماعنا بعد في القيامة في دار الكرامة ثم انتقلت إلى رحمة الله تعالى فلم يلبث الشيخ بعدها إلا أياما ثلث حتى مات رحمة الله تعالى عليه قال السجلى فرأيت في المنام وقد تزوج بسبعين حورا وأقول ما تزوج بالجارية وهما مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثاني والثلاثون في ذكر الاشراذ والفيادار وما يرتكبون من القواحش والوقاحة والسفاهة

عن النواس بن سميان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قبل قيام الساعة يرسل الله رجلا باردة طيبة فتقبض روح كل مؤمن ويبقى شرار خلق يتهارجون تهارج الحمير وعليهم تقوم الساعة وقال مالك بن دينار رحمه الله تعالى كفى بالمرء شرا أن لا يكون صالحا ويقع في الصالحين وقال لقمان لابنه يا بني كذب من قال الشر بطيئ الشمر فان كان صادقا فليؤد نارين ثم ينظر هل تطفى احدها ما الاخرى وانما يطفى الشمر الخبير كما يطفى الماء النار ووصف بعضهم رجلا من أهل الشمر فقال فلان عرى من حلة التقوى وهجى عنه طابع الهدى لا تنبيه المراقبة ولا تنكفه خيفة المحاسبة وهو لا عاظم دينه مضيع ولدواعى شيطانه مطيع (شعر)

كأنه التيس قد أودى به هرم * فلا لحم ولا صوف ولا ثمر

وقيل من فعل ما شاء لقي مأساء وقيل زنى رجلا بجارية فأحبها فقالوا له يا عدو الله هلا إذا ابتليت بفاحشة عزلت قال قد بلغني أن العزل معكروه قالوا فما بلغك أن الزنا حرام وقيل لأعرابي كان يتعشى في قينة ما يضره لو اشتتر بها بعض ما تنفق عليه فقال فني لي إذ ذاك بلدة الخلة وبقاء المسارقة وانتظار الموعد وقال أبو العيناء رأيت جارية

مع الخناس وهي تحلف أن لا ترجع لمولاها فسألتها عن ذلك فقالت يا سيدي انه واقع في من قيسام ويسلي من قعود ويستقي باعراب ويلحن في القرآن ويصوم الخسيس والاشنين ويفطر رمضان ويصلي النخعي ويترك القرض فقلت لا أكثر الله في المسلمين مثله وكانت ظلة القواد وهي صغيرة في المكتب تسرق دويات الصبيان وأقلامهم فلما شئت زنت فلما كبرت قادت وقال صاحب المسالك والممالك ان عامة ملوك الهند يرون الزنا مباحا خلا لملك قمار قال الرخشمري رحمه الله أفت بقمار سمين فلم أر ملكا أغير منه وكان يعاقب على الزنا وشرب الخمر بالقتل وقار بنسب اليها العود القماري كما ينسب الى مندل قال مسكين الدارمي

ولا ذنب للعود القماري انه * يحرق ان غت عليه روائحه .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما هدت الناس وهو اهم تباع لاديانهم وان الناس اليوم اديانهم تباع لاهوائهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم (ما جاء في الوفاة والسفاهة وذكر الغوغاء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تسخ فاصنع ماشئت وفي ذلك قيل

اذ لم تصن عرضا ولم تخش خالقا * وتسخ مخلوقا فاشتت فاصنع

وقال ابن سلام العاقل شجاع القلب والاحق شجاع الوجه وذم رجل قومافقال وجوههم وأيديهم حديد أي وفاح بخلاص وصف رجل وقافقال لودق الحجارة بوجهه برضها ولو خلا بأنا الكعبة لسرقها قال الشاعر

لو أن لي من جلد وجهك رقعة * بلعلت منها حاقرا لا شهب

وقال آخر

اذا رزق الفتى وجهها وقاحا * تقب في الامور كما يشاء

وقال أنوشروان أربعة قبائح وهي في أربعة أقبج الخجل في الملوك والكذب في القضاة والحسد في العلماء والوفاة في النساء ويقال من جسر أيسر ومن هاب خاب قال الشاعر

لا تكون في الامور رهوبا * فالى خيبة يصير الهبوب

وقال علي رضي الله عنه اذا هبت أمر افقع فيه فان شر توقيه أعظم مما تخاف منه وقال رضي الله عنه الغوغاء اذا اجتمعوا ضروا واذا افتروا نفعوا فقبل قد علمنا مضرة اجتماعهم فاما منفعة افتراقهم قال يرجع أهل المهن الى مهنتهم فينتفع الناس بهم كرجوع البناء الى بنائه والنساج الى منسجه والخباز الى مخبزه وقال بعض السلف لا تسبوا الغوغاء فانهم يطفئون الحريق ويخرجون الغريق وقال الاحنف ما قل سفهاء قوم الاذلوا وقال حكيم لا يخرجن أحد من بيته الا وقد أخذ في حجره قيراطين من جهل فان الجاهل لا يدفعه الا الجهل أراد السعفة قال الشاعر

ألا لا يجهلن أحد علينا * فجهل فوق جهل الجاهلينا

وقيل الجاهل من لا جاهل له أي من لا سفيه له يدفع عنه وقيل بيننا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه جالس ادعاء اعرابي فطمعه فقام اليه واقر بن عمر فجلده الارض فقال عمر ايس

بعض من ليس في قومه سفيه وقال الشاعر
ولا يلبث الجهال أن يتهموا * أبا الحلم عالم يستعن بجهول
وقال صالح بن جناح

إذا كنت بين الجهل والحلم قاعدا * وخبرت ألى شئت فالعلم أفضل
ولكن إذا أنصفت من ليس منصفاً * ولم يرض منك الحلم فالجهل أمثل
وقال الاحنف بن قيس

وذى ضغن أبت القول عنه * بحلم فاستتر على المقال
ومن يحلم وليس له سفيه * يلاقى المضلات من الرجال
وقال آخر

فان كنت محتاجا الى الحلم انى * الى الجهل في بعض الاحايين احوج
ولى فرس للخير بالخير ملجم * ولى فرس للشر بالشر مسرج
* فمن رام تقوي فاني مقوم * ومن رام تعويبي فاني معوج
وقال آخر

فان قيل حلم قلت العلم موضع * وحلم النقي في غير موضعه جهل
اللهم نانه وذاك أن يجهل أو يجهل علينا برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الثالث والثلاثون في الجود والسخاء والكرم ومكارم الاخلاق
واصطناع المعروف وذكر الامجاد واحاديث الاجواد

اعلم أن الجود بذل المال وأنفعه ما صرف في وجه استحقاقه وقد نذب الله تعالى اليه في قوله
تعالى لن تناووا البر حتى تنفقوا مما تحبون قيل ان الجود والسخاء والايتار بمعنى واحد وقيل
من أعطى البعض وأمسك البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل الاكثر فهو صاحب جود
ومن آثر غيره بالحاضر وبقي هو في مقاساة الضرر فهو صاحب ايتار وأصل السخاء هو
السماحة وقد يكون المعطى بخيالا اذا صعب عليه البذل والممسك سخيا اذا كان لا يتصعب
العطاء (فمن الايتار ما حكى) عن حذيفة العدي أن قال انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن
عمتي في القتلى وسعى شئ من الماء وأنا أقول ان كان به رمق سقيته فاذا أنا به بين القتلى فقلت له
أسقيك فأشار الى أن نعم فاذا برجل يقول آم فأشار الى ابن عمي أن أنطلق اليه وأسقيه فاذا هو
هشام بن العاص فقلت أسقيك فأشار الى أن نعم فسمع آخر يقول آم فأشار الى أن أنطلق اليه
فختمه فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد
مات (ومن عجائب ما ذكر في الايتار) ما حكاه أبو محمد الأزدي قال لما احترق المسجد بدمر وظن
المسلمون أن النصارى أحرقوه فأحرقوا خاناتهم فقبض السلطان على جماعة من الذين أحرقوا
الخانات وكتب رقاعا فيها القطع والجلد والقتل وقترها عليهم فن وقع عليه رقعة فعزل به ما فيها
فوق رقعة فيها القتل بسدر رجل فقال والله ما كنت أبالي لولا أمتي وكان يجنبه بعض
القيان فقال له في رقعة الجلد وليس لي أمت فخذ انت رقعتي وأعطى رقعة فتعزل فقيل ذلك

الفتي وتخلص هذا الرجل وقيل اقيس بن سعد هل رأيت قط اسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية
على امرأة فجاء من وجهها فقالت له انه نزل بنا ضيفان فجاء بناقة فحجروا وقالوا انكم فلما كان
من الغد جاء بأخرى فحجروا وقالوا انكم فقلنا ما كنا من التي فحجرت الباردة الا القليل فقال
اني لا أطمع ضيفاني البات فبقينا عنده أياما والسما تظمر وهو يفعل كذلك فلما أوردنا الرجل
وضعهما منديا في بيته وقلنا للمرأة اعطدي انسا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار وإذا برجل يصيح
خلقنا فقموا أيها الركاب الا انما أعطيتمونا نحن قرانا ثم انه لحقنا وقال خذوها ولا طعنكم برحمتي
هذا فاخذناها وانصرفتنا وقال بعض الحكماء أصل المحاسن كلها الكرم وأصل الكرم نزاهة
النفس عن الحرام وسخاؤها بما تملك على الخاص والعامة وجميع خصال الخير من فروعه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجاؤروا عن ذنب السخى فان الله أخذ بيده كلما عثر وفاقم
له كلما افقر وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال ما مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
قط فقال لا وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال السخى قريب من الله قريب من الناس قريب
من الجنة بعيد من النار والنجيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار
ولما هل سخي " أحب " الى الله من عابد ينجيد وقال بعض السلف منع الموجد سوء ظن
بالمعبود وتلا قوله تعالى وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وقال الفضيل
ما كانوا يعدون القرص معروفًا وقال الحكماء من صنف صاحب المعروف لا يقع وإن وقع
وجده مستكاث وقيل للحسن بن مسلم لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير فقلب اللفظ
واستوفى المعنى ووجد مكنو با على حجر انهم القرص عند امكانها ولا تحمل نفسك هم
ما لم يأنك واعلم أن تقيرك على نفسك توفير لئلا تترك فيكم من جامع لبعول حليته وقال على
رضي الله عنه ما جعت من المال فوق قوتك فانما أنت فيه خازن لغيرك وقال النعمان بن
المنذر يوم ما جلسنا من أفضل الناس عيشا وأنعمهم بالآل وأكرمهم طبعا وأجلهم في النفوس
قد رافسكت القوم فقام فتى فقال آيت اللعن أفضل الناس من عاش الناس في فضله فقال
صدقت وكان أسما بن خارجة يقول ما أحب أن أردأ حيدا عن حاجة لانه ان كان كريما
أصون عرضه أوليما أصون عنه عرضي وكان مورك الهجلي تلتطف في ادخال السرور والرفق
على اخوانه فبضع عندهم البسرة ويقول له امسكها حتى أعود اليك ثم يرسل يقول له
أنت منها في حل وقال الحسن رضي الله عنه ياع طلحة بن عثمان رضي الله عنه أرضا
بسبع مائة ألف درهم فلما جاءه المال قال ان رجلا لييت هذا عنده لا يدري ما يطرقه لغير بالله
تعالى ثم قسمه في المسلمين ولما دخل المنكدر على عائشة رضي الله عنها قال لها يا أم المؤمنين
أصابني فاقة فقالت ما عندى شيء فلو كان عندى عشرة آلاف درهم لبعت بها الملك فلما خرج
من عندها جاءته عشرة آلاف درهم من عند خالد بن أسيد فأرسلت بها اليه في أثره فأخذها
ودخل بها السوق فاشترى جارية بألف درهم فولدت له ثلاثة أولاد فكانوا عباد المدينة وهم
محمد وأبو بكر وعمر بنو المنكدر وأكرم العرب في الاسلام طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه
جاء اليه رجل فسأله برحمته بينه وبينه فقال هذا حاطي بك كان كذا وكذا وقد أعطيت فيه مائة
ألف درهم يراح الى المال العتسية فان شئت فالمال وان شئت فالخياط وقال زياد بن جبر

رأيت طلحة بن عبيد الله فترق مائة ألف في مجلس وأنه ليخيط ازاره بيده وذكر الامام أبو
علي القالي في كتاب الامالي أن رجلاً جاء الى معاوية رضي الله عنه فقال له سألتك بالرحم
التي بيني وبينك الاما قضيت حاجتي فقال له معاوية أم من قريش أنت قال لا قال فأى رحم
يبنى وبينك قال رحم آدم عليه السلام قال رحم محمودة والله لا كون أول من وصلها ثم قضى
حاجته (وروى) أن الأشعث بن قيس أرسل الى عدى بن حاتم يستعير منه قدورا كانت
لايه حاتم فلا هاما لا وبعث بها اليه وقال انا لانغيرها فارغة وكان الاستاذ أبو سهل الصعلوكي
من الاجواد لم يتناول أحد شياً وانما كان يطرحه في الارض فيتناوله الاخذ من الارض
وكان يقول الدنيا اقل خطر من أن ترى من أجلها يذوق يد أخرى وقد قال النبي صلى الله
عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهما عن
الكرم فقال هو التبرع بالمعروف قبل السؤال والرافة بالسائل مع البذل وقدم رجل من
قريش من سفر فخر على ورجل من الاعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر وأضر به
المرض فقال له يا هذا أعنا على الدهر فقال له لعلنا ما بقي معك من التفتة فادفعه اليه فصب
في حجره أربعة آلاف درهم فهم لم يقوم فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما لي بك
لعلك استقلت ما دفعناه اليك فقال لا والله ولكن ذكرت ما ناكل الارض من كرمك فأبكاني
وقال بعضهم قصد رجل الى صديق له فدق عليه الباب فخرج اليه وسأله عن حاجته فقال علي
دين كذا وكذا فدخل الدار وأخرج اليه ما كان عليه ثم دخل الدار باكية فقالت له زوجته
هلا قتلت حيث شئت عليك الاجابة فقال انما أبكي لاني لم أفقد حاله حتى احتاج الى ان سأني
ويروي أن عبيد الله بن أبي بكر وكان من أجود الاجواد عطش يوماً في طريقه فاستسقى من
منزل امرأة فأخرجت له كوزاً وقامت خلف الباب وقالت تنوعا عن الباب وليأخذ بعض
غلمانكم فاني امرأة عزب مات زوجي منذ أيام فشرب عبيد الله الماء وقال يا غلام اجل اليها
عشرة آلاف درهم فقالت سبحان الله استخري فقال يا غلام اجل اليها عشرين ألفاً
فقالت أسأل الله العافية فقال يا غلام اجل اليها ثلاثين ألفاً فأسأمت حتى كثر خطاها
وكان رضي الله عنه يتفق على أربعين داراً من جيرانه عن يمينه وأربعين عن يساره وأربعين
أمامه وأربعين خلفه وبيع اليهم بالاضاحي والكسوة في الاعباد وبعث في كل عيد مائة
مملوك رضي الله عنه ولما مرض قيس بن سعد بن عباد استبطأ أخوانه في العبادة فسأل
عنهم فقيل له انهم يستحيون مما لك عليهم من الدين فقال أخرى الله ما يمنع عني الاخوان من
الزيارة ثم أمر نادياً بنادي من كان اقبس عنده مال فهو منه في حل فمكسرت عتبة بابه
بالعشي لكثرة العواد وكان عبد الله بن جعفر من الجود بالمكان المشهود وله فيه أخبار بكاد
سامعها يشكرها بعد هاجن اليهود وكان معاوية يعطيه ألف ألف درهم في كل سنة فيفترقها
في الناس ولا يرى الا وعلية دين وسمن رجل بهيمة ثم خرج به البيعة فخر بعبد الله بن جعفر
رضي الله عنه فقال يا صاحب البهيمة أتبيعها قال لا ولكنها هي لك بهيمة ثم تركها له وانصرف
الى بيته فلم يلبث الا يسيراً واذا بالجمالين على بابه عشرين نفراً عشرة منهم يحملون خنطة
وخمسة لحما وكسوة وأربعة يحملون فاكهة وثلاثة واحد يحمل مالا فأعطاه جميع ذلك

واعذر اليه رضى الله عنه ولما مات معاوية رضى الله عنه وقد عبد الله بن جعفر على يزيد
 ابنه فقال كم كان أمير المؤمنين معاوية يعطيك فقال كان رجه الله يعطيني ألف ألف
 فقال يزيد قد زدناك لترجك عليه ألف ألف فقال بأبي وأمي أنت فقال ولهذه ألف ألف
 فقال أما نى لا أقولها ل أحد بعدك فقبل ليزيد أعطيت هذا المال كله من مال المسلمين
 لرجل واحد فقال والله ما أعطيت له إلا جميع أهل المدينة ثم وكل به يزيد من محبه وهو لا يعلم
 لينظر ما يفعل فلما وصل المدينة فترقى جميع المال حتى احتاج بعد شهر الى الدين وخرج رضى
 الله عنه هو والحسنان وأود حبة الانصارى رضى الله عنهم من مكة الى المدينة فأصابهم
 السماء بظرف فجاءوا الى خباء أعرابي فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء فذبح لهم
 الاعرابي شاة فلما ارتحلوا قال عبد الله للاعرابي ان قدمت المدينة فسل عنا فأحتاج
 الاعرابي بعد سنة من فقالت له امرأته لو أتيت المدينة فلقيت أوثك الفتيان فقال قد نسيت
 أسماءهم فقالت سل عن ابن الطيار فأتى المدينة فلقى سيدنا الحسن رضى الله عنه فأمر له بجمانة
 ناقة بفعلها ورعا ثم أتى الحسين رضى الله عنه فقال كفنانا أبو محمد مؤنة الابل فأمر له
 بالشفاة ثم أتى عبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقال كفانى اخوانى الابل والشياه فأمر له
 بجمانة ألف درهم ثم أتى بأدحية رضى الله عنه فقال والله ما عدى مثل ما أعطوك ولكن اتنى
 بابل فأقرها لك ثم أفلم يزل اليسار في عقب الاعرابي من ذلك اليوم وقال الحسن والحسين
 يومما العبد الله بن جعفر رضى الله عنهم انك قد أسرفت في بذل المال فقال باى انتمان
 الله عز وجل عودنى أن يتفضل على وعودته أن أتفضل على عبادته فأخاف أن أقطع العادة
 فيقطع عنى المائة وامتدحه نصيب فأمر له بخيل وأثاث ودنانير ودرهم فقال له رجل مثل
 هذا الاسود تعطى له هذا المال فقال ان كان أسود فأن شاء أبيض ولقد استحق بما قال أكثر
 مما نال وهل أعطيتناه الا نيباتى وما لا يقنى وأعطانا مدحاروى وشاء ينى وخرج عبد الله
 رضى الله تعالى عنه يوما الى ضيعة له فنزل على حائط به نخيل لقوم وفيه غلام أسود يقوم عليه
 فأتى بقوة ثلاثة أقراص فدخل كب فذنا من الغلام فرمى اليه بقصر فأكبه ثم رمى اليه
 بالثانى والثالث فأكلهما وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رأيت قال
 فلم آثر هذا الكب قال أرضنا ما هى بأرض كلاب وأنه جاء من مسافة بعيدة جائعا
 فكبره أن أردّه قال فما أنت صانع اليوم قال أطوى بوى هذا فقال عبد الله بن جعفر ألام
 على السخاء وان هذا الاسخى منى فاشتري الحائط وما فيه من النخيل والآلات واشترى الغلام
 ثم أعتقه ووهبه الحائط بما فيه من النخيل والآلات فقال الغلام ان كان ذلك لى فهو فى سبيل
 الله تعالى فاستعظم عبد الله ذلك منه فقال يجوز هذا وأبخل ان لا كان ذلك أبدا وكان عبد الله
 ابن عباس رضى الله عنهما من الاجواد أناه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال يا ابن
 عباس ان لى عندك يد اوقد احتجت اليها فصد فيه بصره فلم يعرفه فقال ما بك قال رأيتك واقفا
 بفناء زمزم وغلامك يمشى لك من مائى والشمس قد صهرتك فظلمت بك بفضل كسانى حتى شربت
 فقال أجل انى لا ذك ذلك ثم قال لغلامه ما عندك قال ما شاديتا وعشرة آلاف درهم فقال
 ادفعها اليه وما أراها حتى يحق يده وقدم عبد الله بن عباس رضى الله عنهما على معاوية

مرة فاهدى اليه من هدايا التورود حلالا كثيرة ومسكرا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها فقال له هل في نفسك مناشئ قال ثم والله ان في نفسي منها ما كان في نفس يعقوب من يوسف عليه ما السلام فتمحك عبد الله وقال خذها فهي لك قال جعلت فداك أخاف أن يبلغ ذلك معاوية فيمقد على قال فاختمها بخاتمك وسلمها الى الخازن فاذا كان وقت خروج جناحناها اليك ليلا فقال الحاجب والله لهذه الحيلة في الكرم أكثر من الكرم وحسن معاوية عن الحسين بن علي رضي الله عنهما صلواته فقبل له لو وجهت الى ابن عمك عبد الله بن عباس فانه قدم بنحو ألف ألف فقال الحسين واني تقع ألف ألف من عبد الله فوالله لهو اجد من الریح اذا عصفت وأسخي من البحر اذا زخر ثم وجه اليه مع رسوله بكتاب يذكر فيه حسن معاوية صلواته عنه وضيق حاله وانه يحتاج الى مائة ألف درهم فلما قرأ عبد الله كتابه انهم مات عيناه وقال وبلك يا معاوية أصبحت ابن المهادر فيع العماد والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ثم قال لو كبد اجل الى الحسين نصف ما أملكه من ذهب وفضة ودواب وأخبره اني شاطرته فان كفاه والا اجل اليه النصف الثاني فلما أتاه الرسول قال ان الله واننا اليه راجعون ثقلت والله على ابن عمي وما حسبت أنه يسمح لنا بهذا كله رضوان الله عليهم أجمعين وجاء رجل من الانصار الى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فقبل له يا ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم انه ولى في هذه الليلة مولود واني سميت به باسمك تبركا بك وان أمه ماتت فقال له بارك الله لك في الهبة واجرك على المصيبة ثم دعا بوكيله وقال له انطلق الساعة فاستر لامولود جارية تحضنه وادفع لايه ما تقي دينار لينفقها على تربيته ثم قال للانصارى تعد اليها بعد أيام فانك جئتنا وفي العيش يس وفي المال قلة فقال الانصارى جعلت فداك لو سبقت حاتما يوم ما ذكرته العرب وقال أبو جهم بن حذيفة يوم للمعاوية أنت عندنا بأمر المؤمنين كما قال ابن عبد كلال

بقينا ما نخاف وان ظننا * به خبرا أراناه يقينا

نميل على جوانبه كأننا * اذا ما لنا غيل على آيينا

فقلبه لنخبر حاله * فخير منهما كراما ولبنا

فأمر له بمائة ألف درهم وأنشد عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما

بلوت الناس قرنا بعد قرن * فلم أر غير خصال وقال

ولم أر في الخطوب أشد وقعا * وامضى من معاداة الرجال

وذقت مرارة الاشياء طرا * فاشئ أمر من السؤال

فاعطاه مائة ألف درهم ودخل عليه الحسن يوما وهو مضطجع على سريره فسلم عليه وأقعده عند رجليه وقال له ألا تعجب من قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تزعم اني لست للخلافة أهلا ولا لها موضعا فقال له الحسن أو عجباً مما قالت قال كل العجب قال الحسن وأعجب من هذا كله جلوسى عند رجلين فاستحيا معاوية واستوى جالسا ثم قال أقسمت عليك يا أبا محمد الاما أخبرني كم علمك ديننا قال مائة ألف درهم فقل يا غلام أعطأ أبا محمد ثلثمائة ألف درهم مائة ألف يقضى به دينه ومائة ألف يفرقها على مواليه

ومائة ألف يستعين بهم على نوابه وسوغها اليه الساعة وكان معن بن زائدة من الاجواد وكان عاملا على العراق بالبصرة قيل انه أتى اليه بعض الشعراء فاقام بيانه مدة يريد الدخول عليه فلم يتبأله ذلك فقال يوما لبعض الخدم اذا دخل الامير البستان فعزني فلما دخل أعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا وثقه على خشبة وألقاها في الماء الذي يدخل البستان وكان معن جالسا على القناة فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فاذا فيها بيت مفرد

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي * فليس الى معن سوال شفيع
فقال من الرجل صاحب هذه فاني به اليه فقال كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشر بدر فاخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثاني أخرجهما من تحت البساط ونظر فيها وقال على بالرجل صاحب هذه فاني به فقال له كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشر بدر فاخذها وانصرف ووضع معن الخشبة تحت بساطه فلما كان في اليوم الثالث أخرجهما ونظر فيها وقال على بالرجل صاحب هذه فاني به اليه فقال له كيف قلت فانشده البيت فامر له بعشر بدر فاخذها وثقه في نفسه وخاف أن يأخذ منه ما أعطاه فخرج من البلد بجمعه فلما كان في اليوم الرابع طلب الرجل فلم يجده فقال معن لقد ساء والله ظنه واقد هممت أن أعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار وفيه يقول القائل

يقولون معن لازكاه لماله * وكيف يزكي المال من هو باذله
اذا حال حول لم تجد في دياره * من المال الا ذكره وبجائله
تراه اذا ماجتته فتمللا * كأنك تعطيه الذي أنت نائله
تعود بسط الكف حتى لو انه * أرا د انقباضا لم تطعه أنامله
فلو لم يكن في كفه غير نفسه * لجاد بها فليتيق الله سائله

ومن قول معن

دعيني انهب الاموال حتى * أعف الاكرمين عن اللثام

وكان يزيد بن المهلب من الاجواد الاحتياؤه له أخبار في الجود بحبيبة من ذلك ما حكاه عقيب بن أبي طالب رضي الله عنه قال لما أراد يزيد بن المهلب الخروج الى واسط أتته فقلت ايها الامير ان رأيت أن تاذن لي فاحببك قال اذا قدمت واسط فانتنا ان شاء الله تعالى فسا فرأيت فقال لي بعض اخواني اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف قالوا أتريد من يزيد جوابا أكثر مما قال قال فسمرت حتى قدمت عليه فلما كان في الليل دعيت الى السمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجوارى فالتفت الى يزيد وقال ايه يا عقييل فقلت

افاض القوم في ذكر الجوارى * فاما الاعز بون فلن يقولوا

قال انك لم تنق عز بانما رجعت الى فنزلي اذا انما بخادم قد أتاني ومعه جارية وفرش بيت وبدره عشرة آلاف درهم وفي الليلة الثانية كذلك فمكنت عشر ليال واناعلى هذه الحالة فلما رأيت ذلك دخلت عليه في اليوم العاشر فقلت ايها الامير قد والله اغنيت واقتيت فان رأيت ان تاذن لي في الرجوع فاصكبت عدوى واسر صديقي فقال انما اخبرك بين

خلفين اما ان تقيم فتولييك أو ترحل فتغنيك فقلت أولم تغني أيها الأمير قال انما هذا اثاث المنزل ومصلحة القدر فوالى من فضله مالا أقدر على وصفه وحدث أبو البقطان عن أبيه قال حج يزيد بن المهلب فطلب حلاقا فحلق رأسه فجاءه بحلاق خلق رأسه فأمر له بخمسة آلاف درهم فقصير الحلاق ودعش وقال آخذ هذه الخمسة آلاف وأمضى إلى أم فلان أخبرها أنى قد استغنيت فقال أعطوه خمسة آلاف أخرى فقال امرأته طالق ان حلفت رأس أحد بعدك وقيل ان الحجاج حبسه على خراج وجب عليه مقصداره مائة ألف درهم فجمعت له وهو في السجن فجاء الفرزدق بزوره فقال للعاجب استأذن لي عليه فقال انه في مكان لا يمكن الدخول عليه فيه فقال الفرزدق انما أتيت متوجعا لما هو فيه ولم آت ممتدحاً فاذن له فلما أبصره قال

أبا خالد ضاقت خراسان بعدكم * وقال ذوو الحاجات أين يزيد
فما طرقت بالشرق بعدك فطيرة * ولا اخضر بالمروين بعدك عود
ومال سرور بعد عزك بهجة * وما لجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للعاجب ادفع اليه المائة ألف درهم التي جعت لنا ودع الحجاج ولجى يفعل فيه ما يشاء فقال الحجاج للفرزدق هذا الذي خفت منه لما منعك من دخولك عليه ثم دفعها اليه فأخذها وانصرف ومز يزيد بن المهلب عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بجوز أعرابية فذبحته له عتزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسر وهي لا تعرفك قال ان سكان راضيها اليسر فأنالا أرضى الابالكثير وان كانت لا تعرفني فأنا أعرف نفسي وقال مروان بن أبي الحبيب الشاعر أمر لي المتوكل بمائة وعشرين ألفا وخمسين فوبا ورواحل كثيرة فقلت أيانا في شكره فلما بلغت قولي فأمسك ندى كصبك عني ولا تزد * فقد خفت أن اطغى وأن أتجبرا

فقال والله لأمسك حتى أغرقك بجودي وأمر له بضماخ تقوم بالف ألف وقال أبو العيناة تذاكروا السخاء فاتفقوا على آل المهلب في الدولة مروانية وعلى البرامكة في الدولة العباسية ثم اتفقوا على أن أحمد بن أبي دؤاد أسخى منهم جميعا وأفضل وسئل اسحق الموصلي عن سخاء أولاد يحيى بن خالد فقال أما الفضل فيرضيك فعله وأما جعفر فيرضيك قوله وأما محمد فينهمل بحسب ما يجد وفي يحيى يقول القائل

سألت الندى هل أنت حر فقال لا * ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثه * توارثني من والد بعد والد

وفي الفضل يقول القائل

اذنزل الفضل بن يحيى ببلدة * رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سبل حاجة * ولا بمكب في ترى الارض يشكت

وفي محمد يقول القائل

سألت الندى والجود مالى أراكما * تسدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن الجدا مسمى مهتما * فقالا أصبنا بن يحيى محمد

فقلت فهو لا متبا بعد موته * وقد كنتما عبده في كل مشهد
فقال أقنا كي نعزيز بفقده * مسافة يوم ثم تسالوه في غد
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكترم وجهه من كانت له إلى حاجة فليرفعهما إلى
في كتاب لاصون وجهه عن المسئلة وجاءه رضي الله عنه أعرابي فقال يا أمير المؤمنين ان إلى
اليك حاجة الحياء يمنعني أن أذكرها فقال خطها في الأرض فكتب اني فقير فقال يا قنبر ا كسه
حلتى فقال الاعرابي

كسوتني حلة تبلى محاسنها * فسوف أكسول من حسن الثنا حلالا
ان نلت حسن الثنا فذلت مكرمة * وليس تبغى بما قد مت به بدلا
ان الشاء ليحيي ذكرك صاحبه * كالغيث يحيي نداء السهل والجبل
لاتزهد الدهر في عرف بدأت به * كل امرئ سوف يجزي بالذي فعلا
قال يا قنبر زده مائة دينار فقال يا أمير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لاصلحت بها من شأنهم فقال
رضي الله عنه صه يا قنبر فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن أثنى عليكم
واذا أناكم كرم قوم فأكرموه ولعبد الله بن جده ان

اني وان لم ينل مالي مدا خلتي * وهاب ما ملكت كفي من المال
لأحبس المال الا حيث أنفعه * ولا يغيب ربي حال الى حال
وقال بعض العرب لولده ياني لاتزهدن في معروف فان الدهر ذو صرف فكم راغب كان
مرغوبا اليه وطالب كان مغالوبا بالديه وكن كما قال القائل
وعتد من الرجن فضلا ونعمة * عليك اذا ما جاء الخير طالب
ولا تهمن اذا حاسه جاء راغبا * فانك لاتدري متى أنت راغب

وقال بعضهم

أيت خبص البطن عريان طاويا * وأثر بالزاد الرفيق على نفسي
وامحه فرشي وأقرش الثرى * وأجعل ستر الليل من دونه لبسي
حذار أحاديث المحافل في غد * اذا ضمني يوما الى صدره رمسي
وقال يحيى البرمكي أعط من الدنيا وهي مقبلة * فان ذلك لا ينقصك منها شيئا واعط منها وهي
مدبرة فان منعك لا يبق عليك منها شيئا فإفكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول لله دره
ما أطبعه على الكرم واعلمه بالدنيا وقد أمر يحيى من نظمه فقال

لاتبخلن بدنيا وهي مقبلة * فليس ينقصها التبذير والسرف
فان نوات فاحرى أن تجود بها * فليس تبقى ولكن شكرها خلف
وقال يحيى لولده جعفر ياني مادام قلما يرعد فأمر معروف وقال بعضهم
لاتكثري في الجود لا تثنى * واذا بخلت فاكثري لومي
كفي فليست بجمال أبدا * ما عشت هم غدا الى يومى

وقال علي رضي الله عنه وكترم وجهه لا تستحي من عطاء القليل فالحرمان أقل منه وسئل
اسحق الموصلي عن الخلو فقال كان أمره كله يجبا كان لا يبالى ابن ربه قد مع جلسائه

وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عنده سليمان بن أبي جعفر يوما فأراد الرجوع الى أهله فقال له سفر البر أحب اليك أم سفر البحر قال البحر أين علي فقال أوقروا له زورقه ذهباً وأمر له بألف ألف درهم وشهد سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان موسى شهوداً الى سليمان بن عبد الملك وقال قد هجاني يا أمير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا أملك أن تهجو سعيداً قال يا أمير المؤمنين أخبرك الخبر عشقت جارية مدنية وأنت سعيداً فقلت اني أحب هذه الجارية وان مولاهما أعطيت فيها مائتي دينار وقد أتيتك فقال لي بورك فيك فقال سليمان ليس هذا موضع بورك فيك قال فأنت يا أمير المؤمنين سعيد بن خالد فذكرت له حالي فقال يا جارية هاتي مطراً فأتته بمطرف خرفصر لي في كل زاوية مائتي دينار فخرجت وأنا أقول

أما خالد أعنى سعيد بن خالد * أنا العرف لا أعنى ابن بنت سعيد
ولكنني أعنى ابن عائشة الذي * أبو أبويه خالد بن أسيد *
عقيد الندي ما عاش يرضى به الندي * فان مات لم يرض الندي بعقيد
ذروه ذروه انكم قدر قدتمو * وما هو عن احسانكم برقود
فقال سليمان قل ما شئت وكتب كل يوم من عمر الى بعض الكرام رقعة فيها
اذاتكرهت أن تعطى القليل ولم * تقدر على سعة لم ينظر الجود
بث النوال ولا تنفعك قلتسه * فكل ما سدت فقر افهوجمود

فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفردة نعله وباع عبد الله بن عتبة بن مسعود أرضاً
بثمانين ألفاً فقيل له لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخر ا فقال بل اجعله ذخر اى واجعل الله
ذخر الولد وقسمه بين ذوى الحاجات وكان ابن مالك القشيري من الاجواد قيل انه أنهب
الناس ماله بعكاز ثلاث مرات فعاتبه خاله فقال

يا خال ذرني ومالي ما فعلت به * وخذ نصيبك منه اني مودى
فلن أطيعك الآن فخلدني * فانظر بكيدك هل تستطيع تخليدي
الحمد لا يشترى الابكرمة * ولن أعيش بمال غدير محمود

وقال المهلب عجبت لمن يشتري المالك بـماله كيف لا يشتري الاحرار بفعاله ونزل بأبي
البحري وهب بن وهب القرشي ضيقاً فاسار عبيده الى انزاله وخدموه أحسن خدمة
وفعلوا به كل جميل فلما هم بالرحيل لم يقربه أحد منهم وتجنبوه فأنكر ذلك عليهم فقالوا نحن
اغنائين النازل على الاقامة ولا نعبئه على الرحيل ووفدت ليلى الاخيلية على الحاج
فقاتلته فيه

اذا ورد الحاج أرضاً مريضة * تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العضال الذي بها * غلام اذا هز القنات شفاها

فقال لا تقولى غلام ولكن قولى همام يا غلام اعطها خمسة مائة فقالت أيها الأمير اجعلها نعمة
فجعلها ابلاً انا ما وقال أبو القياض الطبري

والعز ضيف لا يراه بربعه * من لا يرى بذل التلاد نلاد

والجود أعلى كعب كعب قبلنا * فغضى جواد يوم مات جوادا
وقال آخر

أيقنت أن من السماح شعبة * وعلمت أن من السماحة جودا

وقال أحمد بن حمدون النديم حملت أم المستعين بساطا على صورة كل حيوان من جميع
الاجناس وصورة كل طائر من ذهب وأعينهم يواقيت وجواهر أنفقت عليه مائة ألف ألف
دينار وثلاثين ألف دينار وسأله أن يقف عليه وينظر إليه ففعل ذلك اليوم عن رؤيته
قال أحمد بن حمدون فقال لي ولا ترجع الهاشمي اذهب فانظرا إليه وكان معنا الحاجب فضينا
ورأىناه فوالله ما رأينا في الدنيا شيئا أحسن منه ولا شيئا حسنا الا وقد عمل فيه فحدث أنا نأبدي
الى غزال من ذهب عيناها ياقوتتان فوضعت في كفي ثم جئتناه فوضعتنا له حسن ما رأينا به فقال
اترجع يا أمير المؤمنين انه قد سرق منه شيئا ونغزه على كفي فأرسته الغزال فقال بجماني عليكما
ارجعان فذاما أحيتنا فضينا فلا نأكلنا ما رأينا قبينا وأقبلنا غشي كالحبال فلما رأنا ضحك
فقال ببيعة الجلوس ونحن فنادينا يا أمير المؤمنين فقال قوموا واخذوا ما شئتم ثم قام فوقف على
الطريق ينظر كيف يعملون ويضحك ونظر يزيد المهلبى سطلا من ذهب مملوا مسكافا فآخذه
سده وخرج فقال له المستعين الى أين فقال الى الحمام يا أمير المؤمنين فضحك من قوله
وأمر الفزاشين والخادم أن يذهبوا الباقي فاستهوه فوجهت إليه أمة تقول سر الله أمير
المؤمنين لقد كنت أحب أن يراه قبل أن يفترقه فأنى أنفقت عليه مائة ألف ألف وثلاثين
ألف دينار فقال يحمل اليها مثل ذلك حتى تعيد مثله ففعلت ومضى حتى رآه وفعل به كفعله
بالاقل ودخل طلحة بن عبد الله بن عوف السوق يوموافق فيه الفرزدق فقال يا أبا فراس
اختر عسرا من الابل ففعل فقال ضم اليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال
هي لك فقال

يا طلع انت اخو الندى وعقيدته * ان الندى مامات طلحة ماتا

ان الندى التي اليك رحاله * فحيث بت من المنازل باتا

وقدم زياد الاجهم على عبد الله بن الحشرج بنيسابور فأكرمه وأنعم عليه وبعث اليه بألف
دينار فقال

ان السماحة والرواة والندى * في قبة ضربت على ابن الحشرج

فقال زدي فقال كل شيء وغنه ووفد ابو عطاء السدي على نصر بن سيار بجوارسان مع رفيقين له
فأثرله وأحسن اليه ويقال ما عندنا يا أبا عطاء فقال وما عسى أن أقول وأنت أشعر العرب غير أني
قلت بيتين قال هات ما قلت فقال

يا طالب الجود ما كنت تطلبه * فاطلب على باب نصر بن سيار

الواهب الخيل تغدو في أعنتها * مع القيان وفيها ألف دينار

فأعطاه ألف دينار ووصاف وكساه كسوة جميلة ففعل ذلك بين رفيقيه ولم يأخذ منه شيئا
فبلغ ذلك نصر فقال ياله فأناله الله من سبيل ما أضخم قدره ثم امر له بمثله وقال العتيبي أشرف
عمر بن هبيرة يوم ما من قصره فاذا هو بأعرابي يرقل قلو صه فقال عمر والحاجبه ان ارادني هذا

الاعرابي فأوصله الى قبا وصل الاعرابي سأله الحاجب فقال أردت الامير فدخل به اليه فلما مثل بين يديه قال له ما حاجتك فأنشد الاعرابي يقول

أصلحك الله قل ما يسدى * ولا طيق العبال اذ كثروا

انا خدري على كلكه * فارسلوني اليك وانتظروا

فأخذت عمرا الاربعية فجعل يهتري مجلسه ثم قال أرسلوك الى وانتظروا اذن والله لا تجلس حتى ترجع اليهم ثم أمره بالف دينار * وقيل أراد ابن عامر أن يكتب لرجل بمخمسين ألف درهم فجري القلم بمخمس مائة ألف فراجعته الخازن في ذلك فقال أنفذه فخابني الانفاذه وان خروج المال أحب الي من الاعتذار فاستشرفه الخازن فقال اذا أراد الله بعبد خيرا صرف القلم عن مجرى ارادة كاتبه الى ارادته وأنا أردت شيئا وأراد الجواد الكريم أن يعطي عبده عشرة أضعافه فكانت ارادة الله الغالبة وأمره النافذ * ووقف أعرابي على ابن عامر فقال يا قر البصرة وشمس الحجاز وبنا بن ذروة العرب وابن بطعامكة برحت في الحاجة وكنت في الآمال الابفناك فامضني بقدر الطاقة لا بقدر الجهد والشرف والهمة فأمره بما تاتي ألف درهم وسمع المأمون قول عمارة بن عقيل

أترن ان قلت دراهم خالد * زيارته اني اذا للشم

فقال أوقلت دراهم خالد اجلوا اليه مائة ألف درهم فبعثها خالد بن يحيى الى عمارة بن عقيل وقال هذه قطرة من صهباك * ولما عزل عبد الرحمن بن الضحاك عن المدينة بكي ثم قال والله ما بكائي جزع من العزل ولا أسفا على الولاية ولكن أخاف على هذه الوجوه أن يلي أمرها من لا يعرف لها حقا * وأراد الرشيد أن يخرج الى بعض المقترجات فقال يحيى بن خالد لرجاء ابن عبد العزيز وكان على نفقائه ما عند وكلا ثمان الاموال قال سبع مائة ألف درهم قال فأقبضها اليك يا رجاء فلما كان من الغد دخل عليه رجاء فقبل يده وعنده منصور بن زياد فلما خرج رجاء قال يحيى لمنصور قد ظننت أن رجاء نوههم انا قد وهبنا المال له وانما أمرناه بقبضه من الوكلاء ليحفظه علينا لاحتنا اليه في وجهنا هذا فقال منصور أنا استخبرتك هذا فقال يحيى اذن يقول لك قل له يقبل يدي كما قبلت يده فلا تقبل له شيئا فقد ترككم الله * وقيل ان الرشيد وصل في يوم واحد بألف وثلثمائة ألف وخمسين ألفا ووصل المنصور في يوم واحد لبني هاشم ووجوه قواده بعشرة آلاف ألف دينار على ما ذكر * وعن الاخفش الصغير قال كان أسيد بن عتقاء الفزاري من أكبر أهل زمانه قد راوا أكثرهم أدب وأفصحهم لسانا وأثبتهم جنانا فطال عمره ونكبه دهره فخرج عشية فقتل لاهله فربه عجيبة الفزاري فلم عليه وقال ما أشارك يا عم الى ما أرى فقال بجمل مثلك بماله ووصون وجهي عن مسئلة الناس فقال واقه لئن بقيت الى غد لا غيرن ما أرى من حاتم فرجع ابن عتقاء الى أهله فأخبرها بما حاله عجيبة فقالت له لقد غرتك كلام غلام في جنح ليل قال فكأنما ألغمت فاه حجرا وبات متعالا بين رجاء ويأس فلما كان وقت الدهر سمع نغاء الابل وصهيل الخيل تحت الاموال فقال ما هذا قالوا عجيبة قد قسم ماله لشرطين وبعث اليك بشرطه فأنشأ يقول

وأتى على ماني عميلة فاشتكى * الى ماله حالي قوامي وما هجر *
ولما رأى المجد استعيرت ثيابه * تردى رداء سابغ الذيل واوتر *
غلام حياء الله بالحسن يا فعا * له سميما لا تشق على البصر *
كان الثريا علقت في جبينه * وفي أنفه الشعري وفي جبهه القمر *
وكان عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي من الاجواد قيل انه كان لرجل جارية
يهاها فاحتاج اليها فابتاعها منه ابن معمر بمال جزيل فلما قبض منها أنشأت
تقول

هنيأ لك المال الذي قد قبضته * ولم يبق في كفي غير التمسر
ابو يمحزون من فراقك مودع * أنا حبي به صدر اطويل التفكير
فأجابهم يا قول

ولو لا قعود الدهري عنك لم يكن * يفرقنا شي سوى الموت فاعذري
عليك سلام لا زيارة يننا * ولا وصل الا نباء ابن معمر
فقال ابن معمر قد شئت وقد وهبتك الجارية وعتها فخذها وانصرف * ووفد أبو الشعمق الى
مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام فلما دخلها توجه الى منزله فوجده في دار الخراج يطالب
فدخل عليه يتوجه له فلما رآه محمد قال

ولقد قدمت على رجال طامنا * قدم الرجال عليهم فقولوا
أخني الزمان عليهم فكأنما * كانوا بأرض اقمرت فيقولوا
فقال أبو الشعمق

الجود أفسهم وأذهب ما لهم * فاليدوم ان راموا السماحة يبخلوا
قال نخلع محمد نوبه وخاتمته ودفعها اليه فكتب بذلك مستوفي الخراج الى الخليفة فوقع
الى عام له باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام في تلك السنة واسقط ما عليه من البقايا
وأمر له بمائة ألف درهم معونة له على مروأته * وقال أبو العيناء حصلت لي ضيقة شديدة فكنتها
عن أصدقائي فدخلت يوم اعيى يحيى بن أكرم القاضي فقال ان أمير المؤمنين المأمون
جلس للمظالم وأخذ القصص فهل لك في الحضور قلت نعم فضيت معه الى دار أمير المؤمنين
فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسني ثم قال يا أبا العيناء بالالفه والمحبة ما الذي جاء بك في هذه
الساعة فأشدته

لقد رجوتك دون الناس كلهم * وللرجاء حقوق كلها تحب
ان لم يكن لي أسباب أعيش بها * ففي العلل أخلاق هي السبب

فقال يا سلامة انظر أرى شي في بيت المال دون مال المسلمين فقال بقبصة من مال قال فادفع له منها
مائة ألف درهم وابعث له بمثلها في كل شهر فلما كان بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فبكي عليه
أبو العيناء حتى تقرحت أبطفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال يا ابتاه بعد ذهاب العين
ماذا يتبع البكاء فأنشأ أبو العيناء يقول

شيان لو بكت الدماء عليهم * عيناى حتى يؤذنا بذهاب

لم يبلغا العشار من حقيقهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب
وكان أحد بن طولون كثير الصدقة وكان راتبه منها في الشهر ألف دينار سوى ما يطرأ عليه من
نذر أو صلة وسوى ما يطبخ في دار الصدقة وكان الموكل بصدقه سليم الخادم فقال له سليم يوما
أيها الأمير اني اطوف القبائل وأدق الابواب لصدقاتك وان المتمدن الى وفيها الحناء وربما كان
فيها الخاتم الذهب والسوار الذهب فأعطى ام أردت قال فأطرق طويلاً ثم قال كل يدا متدنت
اليك فلا ترتدها * وقال سلمة بن عياش في جعفر بن سليمان

ومائتم أنفي ربح كف شمعتها * من الناس الاربح كفك أطيّب
فأمر له بالف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر * وكان عبد العزيز بن عبد الله
جوادا مضيقا فتعذّى عنده أم عرابي يوما فلما كان من الغد مرّ على بابها فرأى
الناس في الدخول على هيتهم بالامس فقال أوكل يوم يطعم الأمير الناس قالوا نعم فانشأ
يقول

كل يوم كأنه عبد أخفى * عند عبد العزيز أو عبد فطر
وله ألف جفنة مترعات * كل قدر يدها ألف قدر
وتعنى الناس لبسة عند سعيد بن العاص فلما خرجوا باني فتى من الشام قاعدا فقال له سعيد
ألك حاجة وأطفا الشبعة كراهة أن ينجل الفتى فدكر أن أباه مات وخلف ديناً وعيالا وسأله
أن يكتب له كتابا الى أهل دمشق ليقوموا ببعض اصلاح حاله فدفع له عشرة آلاف دينار
وقال له لا أدعك تقامى الذل على أبوابهم * ودخل رجل على علي بن سليمان الوزير فقال له
سألتك بالله العظيم ونبه الكريم الامأ جرتني من خصمي فقال ومن خصمك حتى جبرك منه
فقال الفقير فأطرق الوزير ساعة وقال قد أمرت لك بمائة ألف درهم فأخذها وانصرف
فبينما هو في الطريق اذا امر الوزير برده اليه فلما رجع قال له سألتك بالله العظيم ونبه الكريم
متى أتاك خصمك معناه فارجع اليها متظلماً وقال الاعشى كانت عندي شاة فرضت وفقدت
الصبيان لبها فكان خيمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسألني هل استوفت
علقها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا والبها وكان يخفى لدا جلس عليه فكان اذا خرج يقول
خذ ما تحت اللبد حتى وصل الى من علة الشاة أكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت
ان الشاة لم تبرأ (وحكي) ابو قدامة انشيري قال كنا مع يزيد بن مزيد يوما فسمع صائحا
يقول يا يزيد بن مزيد فطلبه فاني به اليه فقال ما جئتك على هذا الصباح قال فقدت دابتي وفقدت
نفقتي وسمعت قول الشاعر

اذا قيل من الجود والمجد والندى * فنادى بصوت بايزيد بن مزيد
فأمر له بفرس ابلق كان محبوبا به ومائة دينار وخلعة سنية فأخذها وانصرف (وحكي) ان
قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض اصحابهم يزورونه فباتوا عند قبره فرأى رجل منهم صاحب
القبر في المنام وهو يقول له هل لك ان تبعني بعيرك بنجيبي وكان الميت قد خلف نجيبياً وكان
لرائي بعير سمين فقال نعم وباعه في النوم بعيره بنجيبيه فلما وقع بينهما عقد البيع عمد صاحب
القبر الى البعير فخره في النوم فاتبعه الرائي من نومه فوجد الدم يسبح من نحر بعيره فقام وأتم

نحore و قطع لجه و طبعوه و أكلوا ثم رحلوا و ساروا فلما كان اليوم الثاني و هم في الطريق
سأثرون استقبلهم ركب قنقذهم منهم شاب قنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال
صاحب البعير نعم ها أنا فلان بن فلان فقال هل بعث من فلان الميت شيأ قال نعم بعثه
بعيرى نجيبه في النوم فقال هذا نجيبه نخذه و أنا ولده و قد رأيت به في النوم و هو يقول
ان كنت ولدى فادفع نجيبى الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف أكرم
أضبا فبه بعد موته * و روى عن الهيثم بن عدى أنه قال تمارى ثلاثة نفر في الاجواد
فقال رجل أسخى الناس في عصرنا هذا عباد الله بن جعفر فقال الا آخر أسخى الناس
قيس بن سعيد بن عباد فقال الا آخر بل أسخى الناس اليوم عرابة الاوى قتناز عوا
بقضاء الكعبة فقال لهم رجل لقد أفرطتم في الكلام فليض كل واحد منكم الى صاحبه
يسأله حتى ننظر بم يعود فنحسكم على العيان فقام صاحب ابن جعفر فوافاه و قد وضع رجله
في ركاب راحلته يريد ضيعة له فقال الرجل يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن سبيل
و منقطع به قال فأخرج رجله و قال ضع رجلك و استوعلى الناقة و خذ ما في الحقيبة و كان فيها
مطارف خزانة أربعة آلاف دينار و مضى صاحب قيس فوجدته نائما فقالت له جارية لقيس
ما حاجتك فقال ابن سبيل و منقطع به فقالت له الجارية حاجتك أهون من ان يعاظه هذا اكس
فيه سبع مائة دينار ما في دار قيس اليوم غيرها و امض الى معاطن الابل نخذ راحلة من روادله
و ما يصلحها و عباد و امض اشألك قيل ان قيسا لما اتته أخبرته الجارية بما صنعت فاعتقها
و لو لم تعلم أن ذلك يرضيه ما جسرت ففعله فخلق خدم الرجل مقتبس من خلقه قال بعض
الشعراء

و اذا ما اخترت و قد صدق * فاختبر و دمه من الغلمان

و مضى صاحب عرابة فوجدته قد خرج من منزله يريد الصلاة فقال يا عرابة ابن سبيل و منقطع به
و كان معه عبدان فصفق بيده اليمنى على اليسرى و قال آواه و آواه و الله ما أصبح و لا أمسى الليلة
عند عرابة شئ و لا تركت له الحقوق ما لا و لكن خذ هذين العبدين فقال الرجل و الله ما كنت
بالذى يسألك عبيدك فقال ان أخذتهم ما و الا فهـ ما حتران لوجه الله تعالى فان شئت نخذ
وان شئت فأعترق فأخذ الرجل العبدين و مضى ثم اجتمعوا و ذكروا قصة كل واحد فحكوا
لعرابة لانه أعطى على جهد * قيل ان شاعر اقصدا ليد بن يزيد فأنشده شعرا يقول فيه

سألت الندى بالجو دحزان أنما * فقال لا يقينا اننا لعبيد

فقلت ومن مولاك ما قنطاولا * الى وقال خالد و يزيد

فقال يا غلام أعطه مائة ألف درهم و قل له ان زدتنا زدنا لك فأنشد يقول

كريم كريم الاتهامات مهذب * تدفق كفاء الندى و شما اله

هو البحر من أى الجهات أتته * فليجته المعروف و الجود ساحله

جواد بسط الكف حتى لو أنه * دعاها لقمض لم تجبه أناسله

فقال يا غلام أعطه مائة ألف درهم و قل له ان زدتنا زدنا لك فأنشد يقول

تبرعت لي بالجود حتى نعشتنى * وأعطيتنى حتى حسبتك نلعب

وأثبت ريشا في الجناحين بعد ما * تساقط منى الريش أو كاذب ذهب
فأنت الندي وابن الندي وأخو الندي * حليف الندي ما للندي عنك مذهب

فقال يا غلام اعطه مائة ألف درهم وقل له ان زدتنا زد فالك فقال حسب الامر ما سمع وحسبي
ما أخذت وانصرف * وأما الذين انتهى اليهم الجود في الجاهلية فهم حاتم بن عبد الله
الطائي وهرم بن سنان وخالدين عبيد الله وكعب بن مامة الايادي وضرب المنسل بهاتم
وكعب وحاتم أشهرهما فأما كعب بن جناد بن قيس وأثر رقيقه بالماء في المقازة ومات عطشا
وليس له خبر مشهور وأما خالدين عبيد الله فإنه جاء اليه بعض الشعراء ووجد له في الركاب
يريد الغزو فقال له اني قلت فيك بيتين من الشعر فقال في مثل هذا الحال قال نعم فقال هاتهما
فأنشده يقول

يا واحد العرب الذي * ما في الانام له نظير
لو كان مثلك آخر * ما كان في الدنيا فقير

فقال يا غلام اعطه عشرين ألف دينار فأخذها وانصرف وأما حاتم فأخباره كثيرة
وأثارة في الجود شهيرة ويكنى بأب سفانة وأباعدى وكان يسير في قومه بالرباع والمرباع وربيع
الغنمية وكان ولده عدى يعادى النبي صلى الله عليه وسلم فبعث النبي صلى الله عليه وسلم
عليه الى طي فهرب عدى بأهله وولده وطلق بالشأم وخلف أخاه سفانة فأسرته ما خيل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما أتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم قالت يا محمد هلك الوالد وغاب
الرافد فان رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فان أبي كان سيد قومه يفتك العاني
ويقتل الجاني ويحفظ الجار ويحمي الزمار ويفترج عن المكروب ويظم الطعام ويفشى
السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر وما أتاه أحد في حاجة فردته خائبا أنابت حاتم
الطائي فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفات المؤمنين فقالوا كان أبوك
مسلمًا لترجعنا عليه خلوا عنها فان أباهما كان يحب مكارم الاخلاق وقال فيها الرجوع اعرى راذل
وغنما افتقر وعالم اضاع بين جهال فأطلقها ومن عليها فاستأذنته في الدعاء فاذن لها
وقال لصحابه اسمعوا وعوا فقلت أصاب الله ببركته موافقه ولا جعل لك الى لثيم حاجة ولا
سلب نعمة عن كريم قوم الا جعلك سببا في ردها عليه فلما أطلقها صلى الله عليه وسلم رجعت
الى قومها فأنت أختها عديا وهو يدومة الجندل فقالت له يا أختي انت هذا الرجل قبل
أن تعلقك حبائله فاني قد رأيت هديا ورأيت غلب أهل الغلبة رأيت خصالا تعجبني رأيت
يجب الفقير ويقتل الاسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير وما رأيت أجود ولا أكرم
منه صلى الله عليه وسلم واتى أن تلقى به فانك تدينا فالسابق فضله وانك ملكا فلن نذل
في عز الين فقدم عدى الى النبي صلى الله عليه وسلم فالتى له وسادة محشوة ليفا وجلس
النبي صلى الله عليه وسلم على الارض فاسلم عدى بن حاتم وأسلمت أخته سفانة بنت حاتم
المتقدم ذكرها وكانت من أجود نساء العرب وكان ابوها يعطيها الضريبة من ابله فتمتها
ويعطيها الناس فقال لها ابوها يا بنسة ان الكرمين اذا اجتمعوا في المال أنفقاه فاما ان أعطى
وتسكى واما ان أمسك وتعطى فإنه لا يبقى على هذا شي فقالت له منك تعلمت مكارم

الاختلاف قال ابن الاثير كان حاتم الطائي من شعراء الجاهلية وكان جوادا يشبهه جوده
 شعره ويصدق قوله فعلمه وكان حبشاً نزل بحرف منزله وكان مظهر اذا قاتل غلب واذا سئل
 وهب واذا سابق سبق واذا أسراً طلق وكان اذا أهل رجب الذي كانت تعظمه مضر
 في الجاهلية فمهر كل يوم عشرين الابل وأطعم الناس واجتمعوا اليه وكان قد تزوج ماوية
 بنت عفير وكانت تلومه على اتلاف المال فلا يلتفت لقولها وكان لها ابن عم يقال له مالك
 فقال لها يوما ما تصنعين بهاتم فوالله لئن وجدت ما لا يلتفت له وان لم يجد ليكن كلفن ولئن مات
 ليركن أولاده عالة على قومك فقالت ماوية صدقت انه كذلك وكانت النساء يطلقن
 الرجال في الجاهلية وكان طلاقهن أن يكن في بيوت من شعر فان كان باب البيت من قبل
 المشرق حوله الى المغرب وان كان من قبل المغرب حوله الى المشرق وان كان من
 قبل اليمين حوله الى الشمال وان كان من قبل الشمال حوله الى اليمين فاذا رأى الرجل
 ذلك علم أنها طلقته فلم يأتها ثم قال لها ابن عمها طلق حاتم وأنا خير لك
 منه وأكثراً مالاً وأنا أمسك عليك وعلى ولدك فلم ير لها بها حتى طلقته فأتاها حاتم
 وقد حولت باب النخلاء فقال حاتم لولده يا عدي ما ترى ما فعلت أمتك فقال قد رأيت ذلك
 قال فأخذ ابنه وهبط بطنه وادفنز فيه فجاء قوم فنزلوا على باب النخلاء كما كانوا ينزلون
 وكانت عدته هم خمسين فارساً فصاقت بهم ماوية ذرعاً وقالت لجاريةها اذهبي الى ابن عمي
 مالك وقولي له ان أضيافاً لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلاً فارسل الينا بشئ نقرهم
 ولبن نسقيم وقالت لها انظري الى جبينه وفمه فان شافهك بالعروف فاقبلي منه وان ضرب
 بطيخته على زوجه ولطم رأسه فاقبلي ودعيه فلما أتته وجدته متوسداً وطباً من لبن فأيقظته
 وأبقت له الرسالة وقالت له اغامهي الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم فطم رأسه بيده
 وضرب بطيخته وقال اقربي السلام وقولي لها هذا الذي أمرتك أن تطلقى حاتم لا اجله
 وما عندى لبن يكفي أضيافاً حاتم فرجعت الجارية فأخبرتها بمرات وبما قال لها فقالت
 لها اذهبي الى حاتم وقولي له ان أضيافاً قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا مكانك فأرسل
 الينا بناقة نقرهم ولبن نسقيم فأتت الجارية حاتم فصاحت به فقال ابيك قريباً دعوت
 فأخبرته بما جاءت بسببه فقال لها حبا وكرامة ثم قام الى الابل فأطلق اثنتين من
 عقاليهما وصاح بهما حتى أتيا النخلاء ثم ضرب عراقيهما فطقت ماوية تصيح هذا الذي
 طلقك بسببه تترك أولادنا وليس لهم شئ فقال لها ويحك يا ماوية الذي خلقهم وخلق الخلق
 متكفل بأرزاقهم وكان اذا اشتد البرد وغلب الشتاء أمر غلماناً بنار فريوقدونها في بقاع
 الارض لينظروا اليها من ضل عن الطريق لئلا يفقدوها ولم يكن حاتم يسكن شيئاً ما عدا فرسه
 وسلاحه فانه كان لا يجود به سماً ثم جاد بفرسه في سنة مجدية (حكى) ان ملكاً ابن أخي ماوية
 قال قلت لها يوما ما حدة ثبني ببعض عجائب حاتم وبعض مكارم أخلاقه فقالت يا ابن أخي
 أعجب ما رأيت منه أصابت الناس سنة أذهبت الخف والطف وقد أخذني واياهم الجوع
 وأمهراً فأخذت سفانة وأخذت عدياً وجعلنا نلعلها حتى ناما فأقبل على يحدثنى ويعلمنى
 بالحديث حتى أدام فرقة به لما به من الجوع فأمره عن كلامه لينام فقال لي

أنت فلم أجبه فسكت وتطرق في فناء الحياء فاذا شئ قد أقبل فرقع رأسه فاذا امرأه فقال ما هذا
فقلت يا أبا عدى أنتك من عند صبية تعاوون كالكلاب أو كالذئاب جوعا فقال لها أحضري
صبياتك فوالله لاشبعنهم فقامت سرية لاولادها فرفعت رأسي وقلت لها يا حاتم بماذا تشبع
أطفالك فوالله ما نام صبياتك من الجوع الا بالطين فقال والله لاشبعنك وأشبعن صبياتك
وصبياتها فلما جاءت المرأة نهض قائما وأخذ المديونة بيده وعمد الى فرسه فذبحه ثم أخرج نارا
ودفع اليها شفرة وقال طهي واشوي وكلّي وأطعمي صبياتك فأكلت المرأة واشبعن صبياتها
فأبقت أولادى وأكلت وأطعمتهم فقال والله ان هذا هو اللوم تأكلون وأهل الحي
حالهم مثل حالكم ثم أتى الحي يتنايتا يقول لهم انهم ضوا عليكم بالنار فاجتمعوا حول الفرس
وتنقع حاتم بكسائه وجلس ناحية فوالله ما أصبحوا على وجه الارض منها قليل ولا كثير
الا لعظم والخافر ولوالله ما ذاقها حاتم وانه لاشد هم جوعا وأخباره كثيرة مشهورة
ومن شعره

أماوى ان المال غادر رائح * ويبقى من المال الاحاديث والذكر

وقد علم الاقوام لو ان حاتما * أراد ثراء المال كان له وفر

واغار قوم على طي فركب حاتم فرسه وأخذ رمحه ونادى في جيشه وأهل عشيرته ولقى القوم
فهزمهم وتبعهم فقال له كبيرهم يا حاتم هب لي رحلك فومى به اليه فقيل لحاتم عرضت نفسك
للهلك ولو عطف عليك لقتلك فقال قد علمت ذلك ولكن ما جواب من يقول هب لي ولما مات
عظم على طي موته فاذا نعى أخوه أنه يخلفه فقالت له أنه هبنا شتان واقه ما بين خلقك وضعته
فبقى واقه سبعة أيام لا يرضع حتى ألقمت احدى ثديي طفلا من الجيران وكنت أنت ترضع ثديا
ويذكر على الاخر فأتى لك ذلك قال الشاعر

يعيش النداماعاش حاتم طي * وان مات قامت للسخط ما تتم

وكانت العرب تسمى الكلب داعي الضمير ومقيم النعم ومشيد الذكركمما يجب من الاضياف
ببإحائه والضمير الغريب وكافوا اذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تشب النيران فزقوا الكلاب
حوالى الحي وربطوها الى العمد لتستوحش فتنبع فتتدى الضلال وتأتى الاضياف على
نباحها والحكايات في ذكر الاجواد والكرماء والاضياء وأهل المعروف وما كانوا عليه
من السخاء والكرم أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر ففى مثل هذه المناقب فليتنافس
المتنافسون ولتلهل فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الآخرة وحسن الصيت
وخلود جميل الذكر فانالم نجد شيأ ينقى على عر الدهر الا الذكر حسنا كان أو قبيحا
وقد قال الشاعر

ولاشئ يدوم فكنا حديثنا * جميل الذكر فالدينا حديث

فانهم زفرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا تذكر بالصالحات
كما ذكروا وادخل نفسك فى القمامة كما ادخلوا واعلم ان المأكول للبدن والموهوب
للمعاد والمترك للعبد وفاخر أئى السلا شئت وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

* (الباب الرابع والثلاثون في البخل والشح وذكر البخلاء وأخبارهم وما جاء عنهم) *

قال الله تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال البخل جامع لمساوي القلوب وهو زمام يقاذه إلى كل سوء وقالت أُمّ البنين أخت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما إن البخل لو كان قبصا ما لبسته أو كان طريقا ما سلكته * وقيل بخل البخلاء أربعة الخطيئة وحديد الارقط وأبو الأسود الدؤلي وشالد ابن صفوان فأما الخطيئة فخر به انسان وهو على باب داره ويسد عصارها قال أناصيف فأشار إلى العصا وقال لكعاب الضيفان أعدتها وأما حديد الارقط فكان هجاء للضيفان فحاشا عليهم نزل به مرة أضياف فأطعمهم ثم أوجهاهم وذكر أنهم أكلوه بنواه وأما أبو الأسود فتصدق على سائل بقرة فقال له جعل الله نصيبك من الجنة مثلها وكان يقول لو أطعنا المساكين في أموالنا كنا أسوأ حالا منهم وأما خالد بن صفوان فكان يقول للدرهم إذا دخل عليه يا عيار كم تعبر وكم تطوف وتطير لا طيلن حبسك ثم يطرحه في الصندوق ويقفل عليه وقيل له لم لا تنفق ومالك عريض فقال الدهر أعرض منه وأتشد بعضهم

وهبني جعت المال ثم خزنته * وحانت وفاقي هل أزد به عمرا

إذا خزن المال البخل فانه * سيورته غمار يعقبه وزرا

واسأذن حنظلة على صديق له بخيل فقيل هو محجوم فقال كلا بين يديه حتى يعرق وكتب سهل ابن هرون كتابا في مدح البخل وأهداه إلى الحسن بن سهل فوقع على ظهره قد جعلنا ثوابك عليه ما أمرت به فيه وقال ابن أبي فتن

ذري واتلاني مالي فاني * أحب من الاخلاق ما هو أجل

وان أحق الناس باللوم شاعر * يلوم على البخل الرجال وبخل

وكان عمر بن يزيد الاسدي ينجس لاجدا أصابه القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل ما في بطنه في الطست فقال لغلامه اجمع الدهن الذي نزل من الحقنة وأسرجه به وكان المنصور شديد البخل جذا مته به مسلم الحادي في طريقه إلى الحج فخلاله يوما بقول الشاعر

أغر بين الحاجبين نوره * يزيه حياؤه وخيره

ومسكه يشوبه كفوره * إذا تغذى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المجل ثم قال يارب أعطه نصف درهم فقال مسلم نصف درهم يأمر المؤمنين والله لقد حدثت له شام فأمر لي بثلاثين ألف درهم فقال تأخذ من بيت مال المسلمين ثلاثين ألف درهم ياربيع وكل به من يستخلص منه هذا المال قال الربيع فما زلت أمشي بينهم وأروضه حتى شرط مسلم على نفسه أن يمدد له في ذهابه وإيابه بغير مؤنة * وكان أبو العناهيم ومروان بن أبي حفصة ينجس بضرب بخلهما المثل قال مروان ما فرحت بشئ أشد مما فرحت بمائة ألف درهم وهبها إلى المهدي فوزنتها فربحت دوهما فاشتريت به لحما واشترى يوما لحما بدرهم فلما وضعه في القدح دردها صديقه فرد اللحم على القصاب

بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادى على اللحم ويقول هذا لحم مروان واجتاز به وما
 باعراية فأضافته فقال ان وهب لي أميرا المؤمنين مائة ألف درهم وهبت لك درهمين فوهبه
 سبعين ألف درهم فوهبها أربعة دنانير ومن الموصوفين بالجل أهدل مرويه قال ان من
 عادتهم اذا توافوا في سفر ان يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشهوها في خيط
 ويجمعون اللحم كله في قدر ويصنع كل واحد منهم طرف خيطه فاذا استوى جز كل منهم
 خيطه وأكل لحمه وتغاسموا المرق وقيل ليعمل من أشجع الناس قال من سمع وقع
 أخراس الناس على طعامه ولم تنشق مرارته وقيل لبعضهم أما يكسوك محمد بن يحيى
 فقال والله لو كان له بيت مملوء ابروا جاء يعقوب ومعه الانبياء شفعا والملائكة ضمنا يستعير
 منه ابرة ليعيط بها يقص يوسف الذي قدم دبر ما عاره اياها فكيف يكسوك وقد نظم
 ذلك من قال

لو أن دارك أثبت لك واحتشت * ابرايضيقهم افناء المنزل

وأناك يوسف يستعيرك ابرة * ليعيط فتقصمه ثم تفعل

وكان المتعجب بخيلاجتد امده انسان بقصة جيدة فقال له كم أملت منا على مدحك قال عشرة
 دنانير قال له والله لو نذفت قطن الارض بقوس السماء على جباه الملائكة ما دفعت لك دافعا
 وقال دعيل كذا عند سهل بن هرون فلم يرح حتى كاد يموت من الجوع فقال ويلك يا غلام آتنا
 غداء فأتني بقصة فيم اديك مطبوخ تحتته تريد قليل فنأثل الديك فراه بغير رأس فقال
 لغلامه وأين الرأس فقال رميته فقال والله اني لا أكره من يرى برجله فكيف برأسه ويحك
 أما علمت أن الرأس رئيس الاعضاء ومته يصبح الديك ولولا صوته ما أريد وفيه فرقه الذي يتبرك
 به وعينه التي يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ودماغه عجيب لوجع الكلبة ولم تر
 عظما أهش تحت الانسان من عظم رأسه وهيك ظننت أني لا آكله أما قلت عنده من يأكله
 انظر في أي مكان رميته فأتني به فقال والله لا أدري أين رميته فقال لكني أنا أعرف أين رميته
 رميته في بطنك الله حسبك وقيل من الناس من يعجل بالطعام ويجود بالمال وبالعكس قال
 بعضهم في أبي دلف

أبو دلف يضيع ألف ألف * ويضرب بالحسام على الرغيف

أبو دلف لطبخه قنار * واسكن دونه سل السيف

واشتهى رجل مروزي صدره من سعال فوصفوا له سويق اللوز فاستنقل النفقة ورأى
 الصبر على الوجع أخف عليه من الدواء فبينما هو يطال الايام ويدافع الآلام اذا ناه بعض
 أصدقائه فوصف له ماء النخالة وقال انه يجلو الصدر فأمر بالنخالة فطبخ له وشرب من مائها
 فجلا صدره ووجد له بعض فلما حضر غداؤه أمر به فرفع الى العشاء وقال لامرأته اطبخي
 لاهل بيتنا النخالة فأتني وجدت ماء هاهنا ويجلو الصدر فقالت لقد جمع الله لك بهذه
 النخالة بين دواء وغذاء فالحمد لله على هذه النعمة وعن خاقان بن صبيح قال دخلت على
 رجل من أهل خراسان ليلافأنا بمرجة فيما قيله في غاية الرقة وقد علق فيها عودا يجيظ
 فقلت له ما بال هذا العود مريوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم تحفظه احتجنا الى غيره

فلا تجد الا عود اعطشتا وتخشى أن يشرب الدهن قال فيينا أنا أنجب وأسأل الله العافية
اذ دخل علينا شيخ من أهل مصر فنظر الى العود فقال للرجل يا فلان لقد فرت من شئ ووقعت
فيما هو شر منه أما علمت أن الريح والشمس يأخذان من سائر الاشياء وينشقان هذا العود
لم لا اتخذت مكان هذا العود ابرة من حديد فان الحديد أملس وهو مع ذلك غير يشاف والعود
أيضاً ريمته خلق به شعرة من قطن القنبلة فينقصةها فقال له الرجل الخراساني أو شدك الله وتقع
بك فلقد كنت في ذلك من المسفرفين وقال الهيثم بن عدي نزل على أبي حفصة الشاعر رجل من
اليمامة فأخلى له المنزل ثم هرب مخافة أن يلزمه قراء في هذه الليلة فخرج الضيف واشترى
ما احتاج اليه ثم رجع وكتب اليه

يا أيها الخارج من بيته * وهارباً من شدة الخوف

ضيفك قد جاء بزداله * فارجع وكن ضيفاً على الضيف

واشترى رجل من الصلاداراً وتعل إليها فوق يابه سائل فقال له فبح الله عليك ثم وقف
ثان فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته فقال لها ما أكثر السؤال
في هذا المكان قالت يا أبت مادمت مستسكاً بهم بهذه الكلمة فأتالي كثروا أم قلوا وألا ثم
اللتام وأجملهم جيد الأرقط الذي يقال له هجاء الاضياف وهو القائل في ضيف له يصف أكله
بهذا البيت من قصيدة له

ما بين لقمته الاولى اذا فعدرت * وبين أخرى تليها قيداً ظفور

وقال فيه أيضاً

تجهز كفاه ويحدر حلقه * الى الزور ما ضمت عليه الانامل

وأكل أعرابي مع أبي الاسود طرباً فأكثر ومد أبو الاسود يده الى رطبة ليمأخذها
فسبقه الاعرابي إليها فسقطت منه في التراب فأخذها أبو الاسود وقال لأدعها
للشيطان يأكلها فقال الاعرابي والله ولا للجبريل وميكائيل ولا نزل من السماء ما تركتها
وقال أعرابي لتزِيل نزل به نزلت بوا دغير عطور ورجل بك غير مسرور فأقم به دم أو ارحل
بدم وللمحمدوني

رأيت أبا ذرارة قال يوماً * لحاجبه وفي يده الحسام

لئن وضع الخوان ولا شخص * لا تخطفن رأسك والسلام

فقال سوى أهلك فذا الشيخ * بغيض ليس يردعه الكلام

فقام وقال من حنق اليه * بيت لم يرد فيه القيام

أبي وابنا أبي والكلب عندي * بمنزلة اذا حضر الطعام

وقال له ابن لي يا ابن كلب * على خبزي أصادراً وأضام

اذا حضر الطعام فلا تحق * على لوالدي ولا ذمام

فما في الارض أجمع من خوان * عليه الخبز يحضره الزمام

فابن هذا من القائل

جنيل يرى في الجود عاراً وانما * يرى المرء عاراً أن يضن وبخل

إذا المرء أترى ثم لم يرج نفعه * صديق فلاقته المنية أولاً
وقال آخر

وأمره بالبخل قلت لها أقصرى * فليس إليه ما حيت سبيل
أرى الناس أخوان الكرم وما أرى * بخيلاً له في العالمين خليل
وقالوا إذا سألت لثيماً شيئاً فعاجله ولا تدعه يفكر فإنه كلما فكر أزداد بعداً وقال رب
الهمداني

جعت مشوف المال من كل وجهة * وما نلتها إلا بكف كريم
والى لا رجوان أموت وتنقضى * حباتى وما عندى بدلتهم
وأنشد الجاحظ لابي الشعثم

من تعلمت هذا * أن لا تجود بشئ
أما مررت بعبد * لعبد حاتم طي

ومما قاله الشعراء في البخل وطعاهم فمن أهجى ما قيل فيهم بيت جرير في بني تغلب
والثعلبي إذا تنحخ للقرى * حكاسته وتمثل الامثالا
وله أيضاً فيهم

قوم إذا أكلوا أخفوا كلامهم * واستوثقوا من رناج الباب والدار
قوم إذا استبح الضيفان كلهم * قالوا لا تمهم بولى على النار
فتمنع البول شحاً أن تجوده * وما تبول له — م الابعقار
والخبز كالغبير الهندي عندهم * والقمح خسون اردباً دينار
فأين هؤلاء من الذي قال فيه الشاعر

أبلغ بين حاجبيه نوره * إذا تغدى رفعت ستوره
وقال بعضهم في بخيل

أنا ما بخيل — ل بخيل * كمثل الدراهم في رفته
إذا مات نفس حول الخوان * تطاير في البيت من خفته
وقال آخر

تراهم خشية الاضفاف خرسا * يقعون الصلاة بلا أذان
وقال آخر وقد بات عند بخيل

فبتنا كأننا بينهم أهل مأتم * على ميت مستودع نطن ملحد
يحدث بعضاً بعضاً به صابه * ويأمر بعضاً بعضاً بالتجلد
وقال آخر

وجيرة لا ترى في الناس مثلهم * إذا يكون لهم عيد وفاطار
ان يؤقدوا بوسعونا من دنانهم * وليس يلغسنا طنج النار
وقال آخر وأجاد

فصدق إيمانه أن قال مجتهدا * لاوالرغيف فذل البر من قسه
فان هممت به فاعبت بجزئه * فان موقعها من لجبه ودمه
قد كان يحجبني لو أن غيرته * على جرادقه كانت على حرمه
وقال آخر

ذهب الكرام فلا كرام * وبقي العضارب اللثام
من لا يقبل ولا ينسل * ولا يشم له طعم
وقال آخر

خليل من كذب أعيننا أحاكما * على دهره ان الكريم معين
ولا تبخل بجل ابن قرعة انه * مخافة أن يرجي نداء حزين
اذا جنته في حاجة سديابه * فلم تلقه الا وأنت كمين
وقال آخر

له يومان يوم ندى ويوم * يسل السيف فيه من القراب
فأما جوده فعلى تخاب * وأما سيفه فعلى الكلاب
وقال آخر

زفقت الى نهان من صفو فكرتي * عروسا غدا بطن الكتاب لها صدرا
فقبلها عشرا وهام بجها * فلما ذكرت المهر طلقها عشرا
وقال آخر

لوعبر البحر بأمواجه * في لهـلة مظلمة بارده
وكفه عـلـوة خردلا * ماسقطت من كفه واحده
وقال آخر

يا قائما في داره قاعـدا * من غير معنى لا ولا فائدة
قدمات أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائدة
وقال آخر

فوالك دونه شول القتاد * وخبرك كالترياق البعاد
فلو أبصرت ضيقا في منام * لحزمت الرقاد الى المعاد
وقال آخر

لانجيبن الخـبز زلـ من يده * فالنكوكب النخس يسقى الارض أحيانا
وقال ابن أبي حازم

وقالوا قدم دحت فتى كريما * فقلت وكيف لي بنقى كريم
بلوت ومررتي خسون حولا * وحسبك بالمجرب من علم
فلا أحد يعد ليوم خير * ولا أحد يدع ليوم عديم

ومن رؤساء أهل البخل محمد بن الجهم وهو الذي قال وددت لو أن عشرة من الفقهاء وعشرة

من الخطباء وعشرة من الشعراء وعشرون من الادباء نواطوا على ذمتي واستقسموا شتمتي
حتى يتشرد ذلك في الاقفاق فلا يمتد الى أمل أمل ولا يسط نحوى رجاء راج وقال له أصحابه
يوما أنا نخشى أن نقعد عندك فوق مقدار شمتوك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت
استئناك لجا استنا فقال علامة ذلك أن أقول يا غلام هات الغداء * وقال عمر بن ميعون
مررت ببعض طرق الهك وكوفة فاذا أنا برجل يخاصم جاره فقلت ما باليك فقال أحدهما
إن صديقي زارني فاشتري رأسا فاشتريته وتغدينا وأخذت عظامه فوضعتها على باب
داري أتجمل بها الخاء هذا فأخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس أنه هو الذي اشتري
الرأس * وقال رجل من البخلاء لا ولاده اشتروا لي لحافا شتروه فأمر بطبخه فلما استوى
أكله جميعه حتى لم يبق في فيه الا عظمة وعيون أولاده ترمقه فقال ما أعطى أحدا
منكم هذه العظمة حتى يحسن وصفأ كلها فقال ولده الا كبرأ مشمشها يا أبت وأمصها
حتى لا أدع للذرة فيها مقبلا قال است بصاحبها فقال الا وسط الوكها يا أبت وألحسها
حتى لا يدري أحد لعام هي أم لعامين قال لست بصاحبها فقال الا صخر يا أبت أمصها
ثم أدفها وأسفها سقا قال أنت صاحبها وهي لك زادك الله معرفة وحرما * ووقف أعرابي
على أبي الاسود وهو يتغذى فسلم فرد عليه ثم أقبل على الاكل ولم يعزم عليه فقال له
الاعرابي أما اني قد مررت بأهلك قال كذلك كان طريقك قال واهرا أنت حبيبي قال كذلك
كان عهدى بها قال قد ولدت قال كان لا بد لها أن تلد قال ولدت غلامين قال كذلك
كانت أمتها قال مات أحدهما قال ما كانت تقوى على ارضاع اثنين قال ثم مات الآخر
قال ما كان ليبي بعد موت أخيه قال وماتت الام قال حزنا على ولديها قال ما أطيب
طعامك قال لاجل ذلك أكلته وحدي ووالله لا ذقتة يا اعرابي * وقيل خرج أعرابي قد ولده
الحجاج بعض النواحي فأقام بهامدة طويلة فلما كان في بعض الايام ورد عليه أعرابي
من حبه فقدم اليه الطعام وكان اذا نجا نجا فاسأله عن أهله وقال ما حال ابني عمر قال على
ما تحب قد ملا الارض والحى رجالا ونساء قال فافقت أم عمر قال صالحة أيضا قال فما
حال الدار قال عامرة بأهلها قال وكبنا ايقاع قال قد ملا الحى نجا قال فما حال جلى
زريق قال على ما يسر لك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابي
ثم أقبل عليه يسأله وقال يا مبارك النامية أعد على ما ذكررت قال سئل عما به لك
قال فما حال كلبى ايقاع قال مات قال وما الذى أماته قال اختنق بعظمة من عظام جلك
زريق مات قال أو مات جلى زريق قال نعم قال وما الذى أماته قال كثره نقل الماء
الى قبر أم عمر قال أو مات أم عمر قال نعم قال وما الذى أماتها قال كثرة بكائها على عمر
قال أو مات عمر قال نعم قال وما الذى أماته قال سقطت عليه الدار قال أو سقطت الدار قال
نعم قال فقام له بالعصا ضاربا فولى من بين يديه هاربا (وحكى) بعضهم قال كنت في سفر
فضلت عن الطريق فرأيت بيتا في الفلاة فأتيته فاذا به اعرابية فلما رأته قالت من
تكون قلت ضيف قالت أهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة قال فنزلت
فقدمت لي طعاما فأكلت وما فشربت فيمنأ ما على ذلك اذا قبل صاحب البيت فقال

من هذا فقالت ضيف فقال لأهلا ولا مرحبا مالنا والضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتي وسرت فلما كان من الغد رأيت يتأني الغلاة فقصدته فاذا فيه أعراية فلما رأته قالت من تكون قلت ضيف قالت لأهلا ولا مرحبا بالضيف مالنا والضيف فبينما هي تسلمني اذا قبل صاحب البيت فلما رأته قال من هذا قالت ضيف قال مرحبا وأهلا بالضيف ثم أتى بطعام حسن فأكلت وماء فشربت فتذكرت ما مررتي بالامس فتبسمت فقال هم تبسمك فقصدت عليه ما اتفق لي مع تلك الاعراية وبعلمها وما سمعت منه ومن زوجته فقال لانجب ان تلك الاعراية التي رأيتها هي أختي وان بعلمها أخو امرأتى هذه فغلب على كل طبع أهله وحكايات هؤلاء وأمثالهم كثيرة وأخبارهم ونواديرهم شهيرة وفيما ذكرته كفاية وأسأل الله تعالى التوفيق والهداية انه على ما يشاء قدير وبالأجابة جدير ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الخامس والثلاثون في الطعام وآدابه والضيافة وآداب المضيف والضيف
وأخبار الاكلة وما جاء عنهم وغير ذلك

* (أما باحة الطيب من المطاعم) * فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلين وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرم الحلال كحلل الحرام وقال عليه الصلاة والسلام ان الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده في مأكله ومشربه وكان الحسن يقول ليس في اتخاذ الطعام سرف وسئل الفضل عن ترك الطيبات من اللحم والخبيص للزهد فقال مال للزهد وأكل الخبيص ليس تأكل وتنتي الله ان الله لا يكره أن تأكل الحلال اذا اتقيت الحرام انظر كيف تركوا الباطل وصلوا للرحم وكيف عطفوا على الجبار وكيف رحمتك للمسلمين وكيف كظمك للغيظ وكيف عفوكم عن ظلمكم وكيف احسانكم الى من أساء اليك وكيف صبركم واحتمالكم للاذى أنت الى احكام هذا أخرج من ترك الخبيص * (وأما نعت الاطعمة وما جاء فيها) * فقد نقل عن الرشيد أنه سأل ابا الحرث عن الفالوذج والوزنج أيهما أطيب فقال يا أمير المؤمنين لا أقضي على غائب فأحضرهما اليه فجعل يأكل من هذا القمة ومن هذا القمة ثم قال يا أمير المؤمنين كلما أردت أن أقضي لأحدهما أتى الاخر بحجته واختلف الرشيد وأتم جعفر في الفالوذج والوزنج أيهما أطيب فحضر أبو يوسف القاضي فسأله الرشيد عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين لا يقضي على غائب فأحضرهما فأكل حتى اكتفى فقال له الرشيد احكم قال قد اصطلح الخصمان يا أمير المؤمنين فصحك الرشيد وأمره بألف دينار فبلغ ذلك زبيدة فأمرته له بألف دينار الا ديناراً وسمع الحسن البصري رجلاً يعيب الفالوذج فقال لباب البر باعاب التحل بخالص السمن ما أظن عاقلاً يعيبه وقال الاصمعي أول من صنع الفالوذج عبد الله بن جدعان وأتى أعرابي بفالوذج فأكل منه القمة فقيل له هل تعرف هذا فقال هذا وحياتك الصراط المستقيم وكان

أحب الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم وعن أبي الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم وكان صلى الله عليه وسلم يقول هو سيد الطعام في الدنيا والآخرة وهو يزني في السمع ولو سألت ربي أن يطعمني كل يوم لفعل وكان صلى الله عليه وسلم يحب الدباء ويقول يا عائشة إذا طبختم قدرا فافأ شروا فإمن الدباء فأنشد القلب الحزين وهي شجرة أخى نونس وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالقرع فإنه يشد القواد ويريد في الدماغ وعليكم بالعدس فإنه يرق القلب ويفسر الدمعة وعن أبي رافع قال كان أبو هريرة رضى الله عنه يقول أكل التمر أمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من القيح وأكل السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصلح الكبد والزبيب يشد العصب ويذهب بالانصب والوصب والكرفس يقوى المعدة ويطيب التنكهة وأطيب اللحم الكتف وكان يديم أكل الهريسة وكان يأكل على سباط معاوية ويصلي خلف علي ويجلس وحده فاستل عن ذلك فقال طعام معاوية أدم والصلاة خلف علي أفضل وهو أعلم والجلوس وحدي أسلم وسببت المتوكية بالمتوك كل والمأمونية بالمأمون وقال الحسن بن مهمل يوما على مائدة المأمون الارز يزني في العمر فسأله المأمون عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين إن طب الهنود صحيح وهم يقولون إن الارز يرى منامات حسنة ومن رأى مناماً حسناً كان في نهاري ن فاستحسن قوله ووصله وقال أبو صفوان الارز لا يضر بالسنن والسكر ليس من طعام أهل الدنيا وقيل لأبي الحرث ما تقول في القالو ذجة قال ودنت لوانم وملك الموت اعتلجا في صدورى والله لو أن موسى لقي فرعون بالقالو ذجة لآمن ولكنه قلبه بعصا وكانت العرب لا تعرف الألوان انما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والمخ حتى كان زمن معاوية رضى الله عنه فاتخذ الألوان ويقال للمرقة المسخنة بنت نارين وكان بعض المترفين يقول جنبوا ما تدق بنت نارين وقالوا كل طعام أعيد عليه التسخين مرتين فهو فاسد وقيل إذا ألقى اللحم في العسل ثم أخرج بعد شهر طريا فإنه لا يتغير ويقال للكباج سيد المرق وشيخ الاطعمة وزين الموائد ويقال إذا طبخت اللحم بالخل فقد ألفت عن معدة تلك ثلث المؤنة ويقال للخبز ابن حبة قال بعضهم

في حبة القلب منى * زرعت حب ابن حبه

وعن ابن عباس رضى الله عنه ما رفعه أكرموا الخبز قالوا وما كرامته يا رسول الله قال لا ينظر به إلا دام إذا وجدت الخبز فكلوه حتى تؤثروا بغيره وفي الحديث من دأب على اللحم أربعين يوما قسا قلبه ومن تركه أربعين يوما ما خلقه وقيل المدة التي أنزلت على بنى اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكزاث وسمكة عند رأمها خسل وعندها ذنبها ملح وسبعة أرغفة على كل واحد زيتون وحب رمان ودخل ابن قزعة يوما على عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتأخر عن استدعائه فقال ما بال مولانا ليس يدعوني الى الفوز بأكل الموز فقال صفه حتى أظعمك منه فقال ما الذى أصف من حسن لونه فيه سمائك ذهبية كأنهم أحشيت زبدا وعسلا أطيّب الثمر كأنه غش الثعم سهل المقشر لين المكسر عذب

المطعم بين الطعوم سلس في الحلقوم ثم مديده وأكل وجمع رجلا يذم الزيد فقال له ما الذي
 ذهبت منه سواد لونه أم بشاعة طعمه أم صعوبة مدخله أم خشونة ملمسه وقيل له ما تقول
 في الباذنجان قال أذنا ب المحاجم ويطون العقارب ويزور الزقوم قيل له انه يحشى باللحم
 فيكون طيبا فقال لوحشى بالتقوى والمغفرة ما أفلح * وصنع الخجاج وليمة واحتفل فيها ثم قال
 لرازان هل هل كسرى مثلها فاستغفاه فأقسم عليه فقال أولم عندك كسرى فأقام على
 رؤس الناس ألف وصيفة في ذلك واحدة ابريق من ذهب فقال الخجاج اف والله ما تركت
 فارس لمن بعدها من الملوك شرفا * وأهدى رجل الى آخره لوزجة زخفة وكتب اليه اني اخترت
 لعملها السكر السوسى والعسل الماردانى والزعفران الاصهبانى فأجابه والله العظيم ما علمت
 الا قبل أن توجد أصهبان وقبل أن تفتح السوس وقبل أن يوحى ربك الى النحل وقيل ان أباجهم
 ابن عطية كان عينا لابي مسلم الخولاني على المنصور فأحس المنصور بذلك فطاوله الحديث يوما
 حتى عطش فاستسقى فدعاه بقدح من سويق اللوز فيه السم فناوله اياه فشرب منه فبالغ داره
 حتى مات فقفل في ذلك

تجنب سويق اللوز لا تقر به * فشرب سويق اللوز أهدى أباجهم
 وقال أبو طالب المأمولى

فما جلت كف امرئ متطعما * ألدوا شهى من أصابع زينب

وأصابع زينب ضرب من الحلاوى يعمل يغدا يثيبه أصابع النساء المنقوشة * ودخل
 السائب على علي رضي الله عنه في يوم شات فناولته قدحاه عسل ومن لبن فأباه فقال أما انتك
 لوشربته لم تزل دفتنا سبعان سائر يومك * وعن نافع بن أبي نعيم قال كان أبو طالب يعطى عليا
 قدحان اللبن يصبه على اللات فكان علي يشرب اللبن ويول على اللات
 * (وأما الزهد في المال) فقد زهد فيه كثير من الاخيار مع القدرة عليه ومنهم من لا يقدر
 عليه قالت عائشة رضي الله عنها والذي بعث محمد صلى الله عليه وسلم بالحق ما كان لنا منخل
 ولأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا منخولا منذ بعثه الله تعالى الى أن قبض قبل
 فكيف كنتم نأكلون الشعير قالت كما تقول اف اف وعن جابر رضي الله تعالى عنه رفعه نعم
 الا دم الخلل وكفى بالمرء سرقا أن يتسخط ما قرب اليه وقال عمر رضي الله عنه ما اجتمع عند رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ادمان الا كل أحدهما وتصديق بالآخر وقالت عائشة رضي الله عنها
 ما كان يجتمع لوان في لقمة في فم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كان لحما لم يكن خبزا وان كان
 خبزا لم يكن لحما وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يا علي ابدأ بالملح واختم به فان فيه شفاء
 من سبعين داء وروى أن نبيا من الانبياء عليهم السلام شكالى الله الضعف فأمره أن يطبخ
 اللحم باللبن فان القوة فيه ما وسند كفضل الزهد في المال والمشاو ب في باب مدح الفقراء
 ان شاء الله تعالى

* (وأما ما جاء في آداب الاكل) فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عند مطعمه
 ومشر به بسم الله خير الاسماء بسم الله رب الارض والسماء لم يضره ما أكل وما شرب
 وكان صلى الله عليه وسلم اذا وضع بين يديه الطعام قال بسم الله اللهم بارك لنا فيما

ورزقنا وعليك خلفه وقال صلى الله عليه وسلم من أكل طعاماً فقال الحمد لله الذي
أطعمني هذا ورزقني من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه ومن ليس ثوباً
فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقني من غير حول مني ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه
وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل
أحدكم فليذكر اسم الله فان نسي في أوله فليقل بسم الله أوله وآخره وفي حديث ابن عمر رضي
الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب
فليشرب بيمينه فان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله وقال صلى الله عليه وسلم
الأكل في السوق دناءة وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم زجر
عن الشرب قائماً قال فسألناه عن الأكل قائماً فقال هوشراً من الشرب وأوصى رجل
من خدم الملوكة ابنه فقال إذا أكلت فضم شفتيك ولا تلمقن يميناً ولا شمالاً ولا تلقمن بسكين
ولا تجلس فوق من هو أشرف منك وأرفع منزلة ولا تصق في الأماكن النظيفة ومن هذا
ما رواه الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النفع في الطعام والشراب وقال علي
رضي الله عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يؤكل الطعام حاراً وفي الصحيحين عن
أبي هريرة رضي الله عنه قال ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم طعاماً قط ان اشتهاه أكله
ولا تركه وقال عرو بن هبيرة عليكم بما كره الغداء فان مباكرته تطيب النكهة وتعين على المروءة
قبل وما عاتته على المروءة قال أن لا تتوق نفسك الى طعام غيرك وعن النبي صلى الله عليه
وسلم قال من أكل من سقط المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده وولد له من الحق وعنه
صلى الله عليه وسلم من أقط شئ يأمن الطعام فأكله حرم الله جلده على النار وكان الحرث
ابن كعدة يقول اذا تغذى أحدكم فليغم على غدائه واذا اعتشى فليخط أربعين خطوة وقيل خير
الغداء بواكره وخير العشاء سوافره وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يتبع الرجل بصرة لقمة أخيه وقال الجراح لاعرابي يوماً على سمائه
ارفق بنفسك فقال وأنت يا جراح اغضض من بصرك وقال معاوية لرجل على مائدته خذ
الشعرة من لقمته فقال وانك تراعي مراعاة من يرى الشعرة في لقمته لأأكل لك طعاماً
أبداً ووضع معاوية بين يدي الحسن بن علي رضي الله عنهما ما دجا جعة ففكها فقال معاوية هل
بينك وبين أمته اعداؤ فقال الحسن فهل بينك وبين أمته اقرباء أراد معاوية أن الحسن يوقر
بجلسه كما يوقر مجالس الملوكة والحسن أعلم منه بالأداب والرسوم المستحسنة ورضي الله
عنهما وحضر أعرابي على مائدة بعض الخلفاء فقدم جدي مشوي فجعل الأعرابي يسرع
في أكله منه فقال له الخليفة أألتأكله بمجرد كانه أمته فليحتمك فقال أألتشفق عليه
كان أمته أو وضعته في كثرة الأكل ففقد روي عن حذيفة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قل طعامه صح بطنه وصفا قلبه ومن كثر طعامه سقم
بطنه وقسا قلبه وعنه صلى الله عليه وسلم لا تيسوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب
كالزراع اذا كثر عليه الماء مات وقال صلى الله عليه وسلم ما زين الله رجلاً بزنة أفضل
من عفاف بطنه وقال عرو بن عبيد ما رأيت الحسن ضاحكاً الا مرة واحدة قال رجل

من جلسائه ما آذاني طعام قط فقال له آخر أنت لو كانت في معدتك الحجارة لطحنتها وقال
على كرم الله وجهه البطانة تذهب القطننة وقال ابن المقفع كانت ملوك الاعاجم
اذا رأت الرجل نهما شرها أخرجه من طبقة الجنة الى باب الهزل ومن باب التعظيم الى باب
الاحتقار وتقول العرب أقلل طعاما تجد مناما وكانت العرب تعبر بعضها بكثرة الاكل
وأنشدوا

لست بأكل كل العبد * ولا بنوام كنوم الفهد

وأنشد الاصمعي لرجل من بني فهد

اذم أزرالا لا كل أكلة * فلا رفعت كني الى طعام

فما أكلة ان نلتها بغنيمة * ولا جوعة ان جعته بافهام

وقالت عائشة رضي الله عنها أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يشتري غلاما فألقى بين يديه
تمرا فأكل فأكثرت فقال صلى الله عليه وسلم إن كثرة الاكل شؤم وقالوا الوحدة خير من الخليس
السوء والجليس السوء خير من الاكل السوء وشكا أبو العناء الى صديق له سوء الحال
فقال اشكر فإن الله قدر ذلك الاسلام والعافية قال أجل ولكن بينهما جوع يقلقل الكبد
ودعت أبا الحارث حميدة له فحادثته ساعة فجاوع فطلب الاكل فقالت له أما في وجهي
ما يشغلك عن الاكل قال جعلت فداك لو أن جملا وبئينة قعد ساعة لا يأكلان لبصق كل
منهما في وجه صاحبه واقتربا

* (وأما أخبار الأكلة) * فقد قيل ان وهب بن جريس آل ميسرة البراش عن أعجب
مأكل فقال أكلت مائة رغيف بمكول بلح * ومزميسرة المذكور يوم يقوم وهو راكب
حمارا فدعوه للضيافة فذبحوا له حماره وطبخوه وقدموه له فأكله كله فلما أصبح طلب حماره
ليركبه فقيل له هو في بطنك * وقال المعتمر بن سليمان قاتل له لال المازني مأكلة
بلقتني عنك قال جعت مرة ومعى بعيرى فحضرته وشوته وأكلته ولم أبق منه الا شيئا
يسير ارجلته على ظهري فلما كان الليل أردت أن أجامع أمة لى فلم أقدر أصل اليها
فقالت كيف تصل الى وينناجل فقلت له كم تكفيك هذه الاكلة فقال أربعة أيام وقال
الاصمعي أن سليمان بن عبد الله كان شرها نهما وكان من شره أنه اذا ألقى بالسفود
وعليه الدجاج السمين المشوى لا يصبر الى أن يبرد ولا أن يوقى بنسديل فياخذ بكمه فياكل
واحدة واحدة حتى يأتي عليها فقال الرشيد ويحك يا أصمعي ما أعلمك بأخبار الناس
اني عرضت على جباب سليمان فرأيت فيها آثارا الدهن فظننته طيبا حتى حدثتني ثم أمرني
بجبة منها فكنت اذ لبستها أقول هذه جبة سليمان بن عبد الملك * وقال الشمر دل
وصكيل عمرو بن العاص قدم سليمان بن عبد الملك الطائف فدخل هو وعمربن
عبد العزيز الى وقال يا شمر دل ما عندك ما نطعمنى قلت عندي جدى كأكظم
ما يكون معنا قال حمل به فأنتم به كأنه عكة سمن فجعل يأكل منه ولا يدعوه حتى اذا لم يبق
منه الاخذ قال هلم يا أبا جعفر فقال اني صائم فأكله ثم قال يا شمر دل وياك ما عندك شيء قلت
ست دجاجات كأنهن أنخذنا نعام فأنتم بهن فأنى عليهن ثم قال يا شمر دل ما عندك شيء قلت

سوين كانه قراضة الذهب فأتيت به فعبه حتى أتى عليه ثم قال يا غلام أفرغت من غداثنا
قال نعم قال ماهو قال نيف وثلاثون قدرا قال اتنى بقدر قدر فأتاه بها ومعه الرقاق فأكل
من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على فراشه وأذن للناس فدخلوا وصف الخوان ففقد
وأكل مع الناس وكان هلال بن الاسعري يضع القمع على فيه ويصب اللبن أو النبيذ وكان غليظا
عتلا * وقال أعرابي لرجل رآه سميأ أرى عليك قطيعة من نسج أضراسك * وقال أبو المحسر
الاعرابي كانت لي بنت تجلس معي على المائدة فتبرز كفاك كأنهم صاملة في ذراع كانه
جسارة فلا تقع عنهما على لقمة نفيسة الا خصني بها فكبرت وزوجتها وصرت أجلس على
المائدة مع ابن لي فيبرز كفا كأنها كرافة فواقه لن تسبق عيني الى لقمة طيبة الاسبت يده اليها
* وقال مسلم بن قتيبة عدت العجاج أربعة وثلاثين رغيفا مع كل رغيف سمكة * ويقال
فلان يحساكي حوت يونس في جودة الالتقام وعصا موسى في سرعة الالتهام * وقيل لابي مرة
أي الطعام أحب اليك قال اللحم سمين وخبز سمينا أضرب فيه ضرب ولّي السوء في مال اليتيم
* وقال صدقة بن عبيد المازني أول لي أبي لما تزوجت فعمل عشر جفان تريد من جزور فكان
أول من جاءنا هلال المازني فقدمنا له جفنة متربعة فأكلها ثم أخرى فأكلها حتى أتى على
الجميع ثم أتى بقرية فملأه من النبيذ فوضع طرفها في شدقه ونزعها في جوفه ثم فخرج
واستأنفنا عمل الطعام * وكان عبيد الله بن زياد يأكل في كل يوم خسرأ كلات فخرج يوما
يريد الكوفة فقال له رجل من بني شيان العدا أصلي الله الأمير فنزل فذبح له عشر من طائر
من الاوز فأكلها ثم قدم الطعام فأكل ثم أتى بزييلين في أحدهما تين وفي الآخر يرض
لجعل يأكل من هذائنة ومن هذائنة حتى أتى على ذلك جميعه ثم رجع وهو جائع وكان
مسيرة البراش بأكل الكبش العظيم ومائة رغيف فذكر ذلك للمهدي فقال دعوت يوما بالفضل
وأمرت فألقي اليه رغيف ورغيف فأكل تسعة وتسعين وألقى اليه تمام المائة فلم يأكله
* وحدث الشيخ نبيه الدين الجوهري أنه سمع الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام يقول
ان معاوية بن أبي سفيان كان يأكل في كل يوم مائة رطل بالدمشقي ولا يشبع * ونزل رجل
بصومعة راهب فقدم اليه الراهب أربعة أرغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجاء
فوجد قدأكل الخبر فذهب فألقى بخبر فوجده قدأكل العدس ففعل معه ذلك عشر مرات
فسأله الراهب أين مقصده قال الى الاردن قال لماذا قال يا غني أن بم طيبا حاذقا أسأله
عما يصلح معدني فاني قليل الشهوة للطعام فقال له الراهب ان لي اليك حاجة قال وما هي قال
اذا هبت وأصلحت معدتك فلا تجعل رجوعك علي

* (وأما المهازلة على الطعام) * فقد روى عن يحيى بن عبد الرحمن رضى الله عنه قال قالت
عائشة رضى الله عنها كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت حريرة فخبثت
به فقلت لسودة كفى فقالت لا أحبه فقلت والله لتأكلين أو لا تطحن وجهك فقالت ما أنا
بذا فتته فأخذت من العجفة شيئا فطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني
وبينها فتناولت من العجفة شيئا فطخت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يضحك * واشترى غندريو مائة ككأ وقال لاهله أكلوه ونام فأكل عباله السمك والطخونا

يده فلما انتبه قال قدّموا الى اللهك قالوا قدأكلت قال لا قالوا شمت بذلك ففعل فقال صدقتم
ولكن ما شبعتم * ودخل المجدوني على رجل وعنده أقوام بين أيديهم أطباق الخلوى
ولا يتدون أيديهم فقال لقد ذكرتوني ضيف ابراهيم وقول الله تعالى فلما رأى أيديهم لا تصل
اليه فكبرهم وأوجس منهم خيفة ثم قال كلوا رحمكم الله ففصصوا وكلوا والحنكيات
في ذلك كثيرة

* (وأما الضيافة وطعام الطعام) * فقد قال الله تعالى هل أتاكم عديث ضيف ابراهيم
المكرمين وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه
ولا يؤذ جاره وقال صلى الله عليه وسلم من أكل وذو عيين ينظر اليه ولم يواسه ابتلى بداء
لادواءه وقال الحسن كأن سمع أن أحدي مواجب الرحمة طعام الاخ المسلم الجائع وقبل
لابراهيم الخليل عليه السلام بم اتخذ الله خليلا قال ثلاث ما خيرت بين شيئين الا اخترت
الذي لله على غيره ولا اهتمت بما تكفل لي به ولا تغذيت ولا تعشيت الا مع ضيف ويقولون
ما خلا مضيف الخليل عليه السلام الى يومنا هذا ليه واحدة من ضيف وكان الزهري
اذ لم يأكل أحد من أصحابه من طعامه حلف لا يجتذبه عشرة أيام * وقالوا المائدة مزروقة
أى من كان مضيفا واسع الله عليه * وقالوا أول من سن القرى ابراهيم الخليل عليه السلام
وأول من نزل التريده وشهه هاشم وأول من أفطر جيرانه على طعامه في الاسلام عبد الله
ابن عباس رضى الله عنهم ما هو أول من وضع موائده على الطريق وكان اذا خرج من بيته
طعام لا يعود منه شئ فان لم يجد من يأكله تركه على الطريق * وقيل لبعض الكرماء كيف
اكتسبت مكارم الاخلاق والتأدب مع الاضياف فقال كانت الاسفار تخرجني الى أن أفدع على
الناس فما استحسنته من أخلاقهم اتبعته وما استقبحته اجتنبتها

* (وأما آداب المضيف) * فهو أن يخدم أضيافه ويظهر لهم الغنى وبسط الوجه فقد قيل
البشاشة في الوجه خير من القرى قالوا فكيف بمن يأتي بها وهو ضاحك وقد ضمن الشيخ
شمس الدين البدوي رحمه الله هذا الكلام بآيات فقال

اذا المرء وافى منزلا منك فاصدا * قرالك وأرمته لديك المسالك
فكن باسمافى وجهه مهتلا * وقل مرحبا أهلا ويوم مبارك
وقدم له ما تستطيع من القرى * عجولا ولا تبخل بما هو مالك
فقد قيل بيت سالف متقدم * تدا وله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى * فكيف بمن يأتي به وهو ضاحك

وقالت العرب تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهله وطالة الحديث عند المؤكلة وقال
حاتم الطائي

سلي الطارق المعتريا أم مالك * اذا ما أتاني بين نارى ومجزرى
أبسط وجهي انه أول القرى * وأبذل معروفى له دون منكر

وقال آخر في عبد الله بن جعفر

انك يا ابن جعفر خير فتى * وخيرهم طارفا اذا أتى

ولله در الخاتل

الله يعلم انه ما مرّني * شيء كطاوقة الضيوف المنزل
مازلت بالترحيب حتى خلّني * ضيقه والضيف رب المنزل
أخذه من قول الشاعر

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا * نحن الضيوف وأنت رب المنزل
وما أحسن ما قال سيف الدولة بن جردان

منزلنا رحيب لمن زاهه * نحن سوا ضيفه والطارق
وكل ما فيه حلال له * الا الذي حرّمه الخالق

وقال الاصمعيّ سألت عينة بن وهب الدارمي عن مكارم الاخلاق فقال أو ما سمعت قول
عاصم بن وائل

والنقري الضيف قبل نزوله * ونشبهه بالبشر من وجه ضاحك

وقال بعض الكرام

أضاحك ضيفي قبل أنزل رحله * ويخصب عندي والمهل جدب
وما الخصب الا ضيف أن تكثر القرى * ولكنما وجه الكرم خصيب
وقال آخر

عودت نفسي اذا ما الضيف نهني * عقر العشار على عسروايسار

ومن آداب المضيف أن يتفقد دابة ضيفه ويكرمها قبل أكرام الضيف قال الشاعر

مطية الضيف عندي ثلوصاحبها * لن يأمن الضيف حتى تكرم القرسا

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهم ما من تمام المرواة خذمة الرجل ضيفه كما خدمهم أنونا
ابراهيم الخليل صلوات الله وسلامه عليه بنفسه وأهله أما سمعت قول الله عز وجل وأمرأته
فأتمه ومن آداب المضيف ان يحدث أضيفه بما قيل اليه نفوسهم ولا يناس قبلهم ولا يشكو
الزمان بحضرة وهم ويبش عند ذومهم ويتألم عند ذومهم وأن لا يحدث بما يروعه به
كما حكى بعضهم قال استدعاني ابن ابراهيم الظاهري الى أكل هريسة في بكسر ثم ار
فدخلت فأحضرت لنا الهريسة فأكلنا فاذا شعرة قد جاءت على لقمة فغفل عنها طباخه
فاستدعى خادمه فأمر اليه شيئا لنعله فعماد الخادم ومعه صينية مغطاة فكشف
عن الصينية فاذا يد الطباخ مغطاة تحتل فتكذّر علينا عيشنا وقنا من عنده ونحن لانعقل
فيجب على المضيف أن يراعي خواطر أضيفه كيفما أمكن ولا يفض على أحد
بحضرة وهم ولا يغيص عيشهم بما يكرهونه ولا يعبس بوجهه ولا يظهر نكدًا ولا ينهر أحدا
ولا يشتمه بحضرتهم بل يدخل على قلوبهم السرور بكل ما أمكن كما حكى عن بعض الكرام
أنه دعا جماعة من أصحابه الى بستانه وعمل لهم سماطا وكان له وادجيس الطلعة فكان
الولد في أول النهار يجتهد القوم ويأتمسون به في آخر النهار صعد الى السطح فسقط ثبات لوقته
خلف أبوه على امه بالطلاق الثلاث أن لا تصرخ ولا تنكس الى أن تصبح فلما كان الليل
سأله أضيفه عن ولده فقال هو قائم فلما اصبحوا وأرادوا الخروج قال لهم ان رأيتم ان تصلوا

على ولدي فانه بالامس سقط من على السطح فأت لساعته فقالوا له لم لا أخبرتنا حين
سألتك فقال ما ينبغي لعاقل ان ينقص على أضيفه في التذاذهم ولا يكثر عليهم في عيشهم
فتجيبوا من صبره وتجلبده ومكارم أخلاقه ثم صلاوا على الغلام وحضر وادقنه وبهكوا
عليه وانصرفوا وعلى المضيف ان يأمر غلامه بحفظ نعال أضيفه وتنفذ غلمانهم بما يكفيهم
بمسهل وحجابه وقت الطعام ولا يمنع واردا وقبل لبعض الامراء الكرام لا بأس بالحجاب
لئلا يدخل من لا يعرفه الامير ويحترز عن العدو فقال ان عدوا يأكل طعامنا ولا يخذل
لا يمكنه الله منا والايق بالكريم الرئيس ان يمنع حاجبه من الوقوف يابه عند حضور الطعام
فان ذلك أول الشناعة عليه وعليه ان يسهر مع أضيفه ويؤانسهم بلذي المحادثة وغريب
الحكايات وان يستقبل قلوبهم بالبذل لهم من غرائب الطرف ان كان من أهل ذلك وان يرى
أضيفه مكان الخلاء فقد قيل عن ملك الهند أنه قال اذا ضاقت أحدا فاره الضيف فاني
انليت به مرة فوضعه في قلبي وفي وقالوا لا بأس ان يدخل الرجل دار أخيه يستطعم للصدقة
الوكيدة وقد صد النبي صلى الله عليه وسلم والشيطان منزل الميثم بن التهان وأبي أيوب
الانصاري وكذلك كانت عادة السلف رضي الله تعالى عنهم وكان لعون بن عبد الله المسعودي
ثلاثة وستون صديقا فكان يدور عليهم في السنة ولا بأس أن يدخل الرجل بيت صديقه
فياكل وهو غائب فقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة رضي الله عنها فأكل طعامها
وهي غائبة وكان الحسن رضي الله عنه يوما عند بقال فجعل يأخذ من هذه الجونة تينة ومن
هذه فسقة فبأكلها فقال له هشام مباد لك يا أبا سعيد في الورع فقال له بالكع اتل على آية
الاكل فلا ولا على أفسكهم أن تأكلوا من يوتكم الى قوله وأصدقكم فقال الصديق من
استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب وعلى المضيف الكريم أن لا يتأخر عن أضيفه
ولا يمنع عن ذلك فله ما في يده بل يحضر اليهم ما وجد فقد جاء عن أنس وغيره من الصحابة رضي
الله عنهم أنهم كانوا ياتون الكسرة اليابسة وحشف القرو ويقولون ما ندري أيهم ما أعظم
وزرا الذي يحتقر ما قدم اليه أو الذي يحتقر ما عنده ان يقدمه وعن أنس رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من لقم اخا لقمة حلوة صرف الله عنه مائة الموقف
* (وحكى) عن الامام الشافعي رضي الله عنه أنه كان نازلا عند الرعفراني بيغداد فكان
الزعفراني يكتب في كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويدفعها الى الجارية فأخذها
الشافعي منها يوما وألحق فيها لونا آخر فعرف الزعفراني ذلك فأعشق الجارية سرورا بذلك
وكانت سنة السلف رضي الله عنهم أن يقدموا لجله الالوان دفعة لبأكل كل شخص
ما يشتهي ومن السنة ان يشيع المضيف الضيف الى باب الدار وعلى المضيف اذا قدم
الطعام الى أضيفه أن لا ينتظر من يحضر من عشيرته فقد قيل ثلاثة تضي سراج لا يضي
ورسول بطن ومائة ينتظر لها من يحيى ونزل الامام الشافعي رضي الله عنه بالامام مالك رضي
الله عنه فصب بنفسه الماء على يديه وقال له لا يرعك ما رأيت مني نخدمة الضيف على المضيف
فرض

اعرض طعامك وابذله لمن أكلا * واحلف علي من أبي واشكر لمن فعلا

ولا تكن سابري العرض محتشما * من القليل فليست الدهر محتفلا
ومن الجلاء من يعزم على الضيف فيعذره فيسك عنه بمجرد الاعتذار كأنه تخلص من ورطة
وقيل لبعض الجلاء ما الفرج بعد الشدة قال أن يعذر الضيف بالصوم ومن الجلاء
من يحبه طعامه ويصف زباده ويشتهي أن تبقى على حالها ومنهم من يحضر طعامه فإذا
راه ضيوفه أمر بأن يرفع منها أطيبها وأشهاها إلى النفوس ويعذر أن في أصحابه من يحضر
بالعادة عنده * (وحكى) عن بعض الجلاء أنه استأذن عليه ضيف وبين يديه خبز
وزبدي فنهأ غسل فحل فرفع الخبز وأراد أن يرفع العسل فدخل الضيف من قبل أن يرفعه
فطن الخبيث أن ضيفه لا يأكل العسل بلا خبز فقال له ترى أن تأكل عسل بلا خبز
قال نعم وجعل يلقي العسل لعلقة بعد لعلقة فقال له البخل مهلا يا أخي والله انه يحرق القلب
قال نعم صدقت ولكنه قلبك * (وحكى) عن بعضهم أنه قال غلب على الجوع مرة فقلت
أمضي إلى دار فلان لا تغذي عنده فحنت إلى باب بيته فوجدت غلامه فقلت له أين سيدك
فقال والله لا قلت لك عليه إلا أن أعطيني كسرة قال فرجعت هاربا ومن الجذل تقديم
الشيء اليسير وتخييمه * (حكى) عن بعض الجلاء أنه حلف يوما على صديقه وأحضره
خبزا وجبنا وقال له لا تستقل الجبن فان الرطل منه بثلاثة دراهم فقال له ضيفه أنا جعله
بدرهم ونصف قال وكيف ذلك قال آكل لقمة يجيب ولقمة بلا جبن فأين هؤلاء من الذي
يقول

قالت أما ترحل تبغي الغنى * قلت فمن لطارق المعتم
قالت فهل عندك شيء * قلت نعم جهدا لثقي المعدم
فكم وحق الله من ليله * قد أطعم الضيف ولم أطعم
إن الغنى بالنفس يا هذه * ليس الغنى بالمال والدرهم

وقال بعض الجلاء

سرى نحو نايب في القرى طاولي الحشى * لقد علمت فيه الظنون الكواذب
فبات له منا إلى الصبح شاتم * بعدد تظليل الضيوف وضارب

فستان ما بين القائلين

* (وأما آداب الضيف) فهو أن يبادر إلى موافقة المضيف في أمور منها أكل الطعام
ولا يعتذر بشيء بل يأكل كيف أمكن * فقد حكى أنه ورد على بعض الأعراب ضيف
فدخل به إلى بيته وقدم له الطعام فقال الضيف لست بجائع وإنما احتاج إلى مكان أبيت
فيه فقال الأعرابي إذا كان هذا عزمك فكيف ضيف غيري فاني لأرى أن غدا يحكي
في البلاد وهم جوني فيما بيني وبينك * (وحكى) عن بعض التجار قال استدعاني أبو
حفص محمد بن القاسم الكرخي لأعرض عليه قاشا من تجارتي فبينما أنا بين يديه وإذا بطباقي
الفاكهة قد حضرت فقامت من مجلسه فقال يا فلان ما هذا الخلق العاصي اجلس فجلس
وتحقت كرمه وجعلت آكل الكثرة في لقمة والتفاحة في لقمة ثم قدم الطعام وكنت
جائعا فأكلت أكلًا جديدا ثم انصرفت فلم أشعر في اليوم الثاني الا وقد جاني غلامه

ببغته فاستدعاني اليه فقال لي يا فلان اني قليل الاكل بطبي المهضم ولقد طبخت لي مؤثراً كذا
بالامس فأريد أن لا أستطيع بعدها عني قال فكنت متى انقطعت حضري غلامه في طليي فحصل لي
بقربي منه مال كثير وجاء عريض ومن آداب الضيف أيضاً أن لا يسأل صاحب المنزل
عن شيء من دأره سوى القبلة وموضع قضاء الحاجة وأن لا يتطلع الى ناحية الحرم وأن لا
يخالفه اذا أجلسه في مكان واكرمه به وأن لا يمتنع من غسل يديه واذا رأى صاحب المنزل
قد تحرل بجركه فلا يذمعه منها فقد نقل في بعض المجاميع ان بعض الكرماء كان عريداً على
اضيافه سيئ الخلق بهم فبلغ ذلك بعض الاذكياء فقال الذي يظهر في من هذا الرجل أنه كريم
الاخلاق وما أظن سوء اخلاقه الا لسوء أدب الاضياف ولا بد أن اتفعل عليه لاوى حقيقة
امرء قال فقصدته وسلمت عليه فقال هل لك أن تكون ضيفي قلت نعم فسار بين يدي الى ان جاء
الى باب داره فأذن لي فدخلت فأجلسني في صدر مجلسه جلست حيث أجلسني واطعاني مستنداً
فاستندت اليه فاخرج لي شطرنجاً وقال أتتقن شيئاً قلت نعم فلعبت معه فلما حضر الطعام جعل
يقدم لي ما استعطيته وأنا أكل فلما فرغنا قدم طستاً واربعة قواردان يصيب الماء على
يدي فلم امنعه من ذلك وأراد الخروج بين يدي بعد ان قدم نعلي فلم أرتده عن ذلك فلما أراد
الرجوع قلت يا سيدي انشدك الله الا فرجت عني كربة قال وما هي فأخبرته الخبر فقال
والله ما يحوجني لذلك الاسوء أديهم بصل الضيف الى دارى فأجلسه في الصدر فبأني ذلك
ثم أقدم اليه الطعام فلا تخفه بشئ مستطرف الارذلة على ثم اريد ان اصيب الماء على يديه عند
الفصل فيصاف بالطلاق الثلاث ما تفعل ثم اريد ان أشبعه فلا يمكنني من ذلك فاقول في نفسي
لا يحكم الانسان على نفسه حتى في يمينه فعد ذلك أشتمه والعنه بل وأضر به وفي معنى ذلك
يقول بعضهم

لا ينبغي للضيف ان يعترض * ان كان ذا حزم وطبع لطيف
فالامر للانسان في شئ * ان شاء ان يصف أو أن يحفف

ومما يعاب على الضيف أمور منها كثرة الاكل المقرط الا أن يكون بدوياً فأنها عادته ومنها ان
يتبع طريق الشرهين كما يتخذ معه خربة مشبعة يقلب فيها الزبادى والامراق والحلوى
وغير ذلك ومنها ان يأخذ معه ولده الصغير ويعلمه ان يبكي وقت الانصراف من الطعام ليعطى
على اسم ولده الصغير ومنها قبح المواقاة وقد عذفها عيوب كثيرة فمنها المتشاوف والعتاد
والجرف والرشاف والنفاض والقراض والبهات واللتات والعوام والقسام والمخلل
والمزبد والمرخ والمرش والمفتش والمنشف والملب والصباغ والنفاخ والحامى
والجنج والشطرنجى والمهندس والمتقى والفضولى فاما المتشاوف فهو الذى يستحكم
جوعه قبل فراغ الطعام فلا تراه الا متطلعاً للاحية الباب يظن ان كل ما دخل هو
الطعام وأما العتاد فهو الذى يستغرق في عذ الزبادى ويعتد على أصابعه ويشير اليها وينسى
نفسه والجرف هو الذى يجعل اللقم في جانب الزبدية ويحرف بها الى الجانب الآخر
والرشاف هو الذى يجعل اللقمة في فيه ويرتشفها فيسمع لها حين البلع حس لا يخطئ
على جلسائه وهو يتسذبذك والنفاض هو الذى يجعل اللقمة في فيه وينقض أصابعه في

الزبدية والقراض هو الذي يقرض اللقمة بأطراف أسنانه حتى يهذبها ويضعها في الطعام بعد ذلك والبهات هو الذي يهت في وجوه الأكلين حتى يهتهم ويأخذ اللحم من بين أيديهم واللسان هو الذي يلت اللقمة بأطراف أصابعه قسـل وضعها في الطعام والعوام هو الذي يميل ذراعيه عنقه ويسرعة لأخذ الزبادى والقسام هو الذي يأكل نصف اللقمة ويعيد باقيةا في الطعام من فيه والمخل هو الذي يتخلل أسنانه باظفاره والمزبد هو الذي يحمل معه الطعام والمرغ هو الذي يرغ اللقمة في الأصراق فلا يبلغ الأولى حتى تلين الثانية والمرشش هو الذي يفسخ الدجاج بغير خبرة فيعرض على مؤكله والمفتش هو الذي يفتش على اللحم بأصابعه والمتشف هو الذي ينشف يديه من الدهن بالقلم ثم يأكلها والملب هو الذي يملأ الطعام لبابا والصباغ هو الذي يتقل الطعام من زبدية إلى زبدية ليعبرده والنفاخ هو الذي ينفخ في الطعام والحامى هو الذي يجعل اللحم بين يديه فيحميه عن مؤكله والمخج هو الذي يراحم مؤكله بجناحه حتى يفسخه في المجلس فلا يشق عليه الأكل والشطرنجى هو الذي يرفع زبدية ويضع زبدية أخرى مكانها والمهندس هو الذي يقول لمن يضع الزبادى ضع هذه هنا وهذه هنا حتى يأنى قدامه ما يحب والمفتى هو الذي يقول لمتنى لم يكن معى من يأكل والفضولى هو الذي يقول لصاحب المنزل عند فراغ الطعام ان كان قد بقي عندك في القدور شئ فأطعم الناس فان فهم من لم يأكل * ومن الاضياف من لا يلد له حديث الا وقت غسل يديه فيبقى الغلام واقفا والابريق في يده والناس ينتظرونه ومنهم من يغسل يديه بالاشنان مرة واحدة فاذا اجتمع الوسخ والارغر نسوا بهما ومنهم من يدخل الدار فيبتدى بالهندسة أولا فيقول كان ينبغي أن يكون باب المجلس من ههنا والايوان كان ينبغي أن يكون ههنا وينتقل من الهندسة الى ترتيب المجلس فينقل القاكة من موضعها الى موضع آخر وان كان ما استهكم جوعه استعفى من الطعام وذهل عن بقية الاضياف وشدة جوعهم ومنهم من يخرج فيظوف على أصدقاءه صاحب الدعوة فيتألم من انقطاعهم ويستوحش من غيبتهم ويسلطهم على عرض صاحبهم * ولقد حكي عن مغن غير مجيد انه لم يطل ولا ليلة واحدة وما ذاك الا أنه كان اذا سئل أين كنت قال كنت عند الناس واذا قيل له أين أكل قال أكلت في بطني واذا قيل له أين شربت قال شربت في فمي ومنهم من يفهم عن صاحب الدعوة أنه يقول للغلام اشتر كذا فيقول والله العظيم أو الطلاق الثلاث يلزمه ما يشتري شيئا فذوقه فيجوز صاحب المنزل ويحمله اذا لم يكن في بيته شئ موجود وليت شعري اذا كان لا يأكل فلا شئ شئ حضر ومنهم من يرى صاحب البيت قد أسرأنى صديقه شيئا فيقول ما الذى قال المولى لصاحبنا وهو لا يريد ان يعلمه ومنهم من يستجمل صاحب المنزل بالاكل ويشككوا الجوع ويظن أن ذلك بسط ومكارم اخلاق وانما ذلك يكون في بيته لا في بيوت الناس ومنهم من يقول لصاحب الدعوة من يغنى لنا فيقول فلان فيقول له غلظت لادعوت فلانا ومنهم من يسأل صاحب البيت كيف قوته في النكاح فيقول له أنا رجل كبير قد ضعفت قوتي وشهوتي أو يقول مالى قوة طائله في ذلك فيقول انا والله كلما مر على عام تزايدت شهوتي

وكثير لهذا الفن تشوقي و يعلن بذلك حتى تسمعه صاحبة البيت ومنهم من يشكو حاله مع أهل بيته ويذكر نفقته عليهم وكسوته لهم وكثرة انعامه واحسانه اليهن وما عليه زوجته من سوء الاخلاق وكبر النفس لتستقل زوجة صاحب البيت ما هي فيه مع زوجها وربما كان ذلك سببا لفرقها منه ومنهم من تعجبه نفسه ويستحسن لباسه ويستطيب رائحته واذ اسمع الغناء تواجده وأظهر الطرب وحرك رأسه ويقوم قائما يتمايل حتى يرى أهل الرجل أنه لطيف الشكل يبيع الحركات ويظن في نفسه أنه يعشق وأن رسول صاحبة البيت لا يسطي عنه ومنهم من يقال له اللعب الشطرنج فيأباه ويستغل بالذئذنة فيقع في الفضول ومنهم من يتأمر على غلمان صاحب البيت ويهين أولاده ويظن أنه يدل عليهم ومنهم من يقول له صاحب البيت كل فيقول ما آكل إلا نأور فيقضي ومنهم من يسمع السائل على الباب فيتصدق عليه من مال صاحب البيت بغير إذنه أو يقول للسائل فح الله عليك ومنهم من يدعو الناس لصاحب الولية بغير إذنه ويقلده بذلك المنى وأكثر الناس واقع في ذلك نسأل الله تعالى أن يلهيهمنا رشدا وأن يعيدنا من شره وأنفسنا عنه وكرمه أنه جواد كريم رؤوف رحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب السادس والثلاثون في العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المذرة والعتاب وما أشبه ذلك

قد يدب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم إلى الصفح والعفو بقوله تعالى فاصفح الصفح الجميل قبل هو الرضا بلا عتب وقال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وقال تعالى والسكاطين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ولن صبر وغفران ذلك لمن عزم الأمور وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت قصورا مشرفة على الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه قال للسكاطين الغيظ والعافين عن الناس وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن قال ما زال جبريل عليه السلام يوصيني بالعفو فلو لا علي بالله لظننت أنه يوصيني بترك الحدود وقال الحسن بن أبي الحسن إذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم فلا يقوم إلا العافون عن الناس وتلا قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله وقال علي كرم الله وجهه أولى الناس بالعفو وأقدرهم على العقوبة وكان المؤمن رحمه الله تعالى يحب العفو ويؤثره ويقول لقد جيب إلى العفو حتى أتى أخاف أن لا اثاب عليه وكان يقول لو علم أهل الجرائم لذقي في العفو ولا تكتبوها وقال لو علم الناس حب العفو لما تقربوا إلى إلا بالجنائيات وقال علي كرم الله وجهه إذا قدرت على عدوك فأجعل العفو عنه شيئا يكرهه لا يكرهه الله عليه وقال رضي الله تعالى عنه أقبلوا ذوى المروآت عثراتهم فابغضوا منهم عاترا لا يذبه الله برفعهم وقال رضي الله عنه أن أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل وقال المنتصر لذة العفو يلحقها حمد العاقبة ولذة التثني يلحقها ذم الندم وقال ابن المعتز لا تشن وجه العفو بالتقريع وقبل ما عفا عن الذنب من قتر عبه وقال رجل لرجل سبه اياك أعنى فقال له وعينك أعرض وكان الأحنف

رجه الله تعالى كثيرا العفو والحلم وكان يقول ما اذاني أحد الا أخذت في أمره باحدى ثلاث
ان كان فوقى عرفت له فضله وان كان مثلى تفضلت علمه وان كان دونى أكرمت نفسي عنه وكان
مشهورا بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته وكان يقول وجدت الاحتمال انصرى من
الرجال وقيل له ممن تعلت الحلم فقال من قديم بن عاصم كما تختلف اليه في الحلم كما يختلف الى
الفقيهاء في الفقه ولقد حضرت عنده يوما وقد أتوه بأخ له قد قتل ابنه فخاوا به مكتوفاً فقال
ذعرت أخى أطلقوه واجلوا الى أم ولدى ديتهم فانهم اليست من قومنا ثم أنشأ يقول
أقول للنفس تصبري وعرية * احدى يدي أصابني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا اخي حين ادعوه وذو ولدى

وقيل من عادة الكريم اذا قدر غفروا اذا رأى زلة ستر وقالوا ليس من عادة الكرام سرعة الغضب
والانتقام وقيل من اتقى فقد شفى غيظه وأخذ حقه فلم يجب شكره ولم يحمد في العالمين ذكره
والعرب تقول لاسود مع الانتقام والذي يجب على العاقل اذا أمكنه الله تعالى أن لا يجعل
العقوبة شتمه وان كان ولا بد من الانتقام فليرفق في انتقامه الا أن يكون حتما من حدود الله
تعالى وقال المنصور بجان عجز عن العذر ما هذا الوجوم وعهدى بك خطيبا السنا فقال يا أمير
المؤمنين ليس هذا موقف مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة بالأسست مكانة والخضوع فرق له
وعفائه وسعى الى المنصور برجل من ولد الاشتر النخعي ذكر له عنه أنه يعمل الى بنى على والتعصب
لهم فأمر باحضاره فلما مثل بين يديه قال يا أمير المؤمنين ذنب أعظم من قممك وعنوك أعظم
من ذنبي ثم قال

فهبتى مسيئاً كالذى قلت ظالماً * ففوق اجمل اكي يكون لك الفضل
فان لم أكن للعفو منك لسوءما * أتيت به أهلاً فأتيت له أهلاً

فعفاه وأمر له بصلته وأحضر الى المأمون رجل قد أذنب ذنباً فقال له أنت الذى فعلت كذا
وكذا قال نعم يا أمير المؤمنين أنا ذاك الذى أشرف على نفسه واتكل على عقوق فعفاه وخلى
سبيله وأحضر الى الهادي رجل من أصحاب عبد الله بن مالك فوجبه على ذنب فقال يا أمير
المؤمنين ان اقرارى بلمنى ذنباً لم أفعله ويلحق بى جرم لم أقف عليه وانكارى ردة عليه
ومعارضة لك ولكني أقول

فان كنت تبغى بالعقاب تشفياً * فلا تزهدين عند التجاوز فى الاجر

فقال لله درك من معتذري حتى أو باطل ما مضى لسانك وأثبت جناتك وعفاه عنه وخلى
سبيله وركب يوماً معروبن العاص رضى الله عنه بغلة له شهباء ومرو على قوم فقال بعضهم
من يقوم للامير فيسأله عن أمه وله عنمة آلاف فقال واحد منهم أنا فقام وأخذ بعبان بغلته
وقال اصلى الله الاميرات أكرم الناس خيلاً فلم ركب دابة اشهاب وجهها فقال انى لأمل
دايتى حتى تلحنى ولا أمل رفيقى حتى يلحنى فقال اصلى الله الامير ما العاص فقد عرفناه وعلما
شرفه فن الام قال على الخبير سقط اى النابغة بنت حرملة بن عزة سبتهار ماح العرب فأنى
بها سوق عكاظ فبيعت فاشترها عبد الله بن جعدان ووهبها للعاص بن وائل فولدت وأنجبت
فان كان قد جعل لك جعل فارجع وخذه وأرسل عنان الدابة وقيل ان أمه كانت

بغيا عند عبد الله بن جده ان فوطم ما في طهر واحد ابولهب وامية بن خلف وابوسفيان بن
 حرب والعاص بن وائل فولدت عمرا فاذا عامكاهم حكمت فيه امه فقالت هو للعاص لان
 العاص هو الذي كان يتفق عليها وقالوا كان أشبه بأبي سفيان وكان الواثق يشبهه بالمؤمن
 في اخلاقه وحله وكان يقال له المؤمن الصغير نقل عنه انه دخلت عليه ابنة مروان
 ابن محمد فقالت السلام عليك يا أمير المؤمنين فقال لست به فقالت السلام عليك أيها الأمير فقال
 لها و عليك السلام ورجة الله وبركاته فقالت ليس عنا عدل لكم فقال اذا لبيق علي وجه الارض
 منكم احدا لانكم حاربتم علي بن أبي طالب رضى الله عنه وكرم وجهه ومنعتم حقه وسمعتم
 الحسن رضى الله عنه ونقضتم شرطه وقتلتم الحسين رضى الله عنه وسبيتم أهله ولعنتم علي بن
 أبي طالب رضى الله عنه علي منابركم وضربتم علي بن عبد الله ظملا بسياطكم فعد لنا لا يبق
 منكم احدا فقالت فليس عنا فكم قال أما هذا فنع وأمر برد أموالها عليها وبالغ في الاحسان
 اليها وكان معاوية رضى الله عنه يعرف بالحلم وله فيه أخبار مشهورة وأثار مذكورة وكان
 يقول اني لا أنف أن يكون في الارض جهل لا يسعه حلمي وذنب لا يسعه عفوي وساجدة
 لا يسعها جودي وهذه مروا عالية المرتبة وقال له رجل يوما ما أشبه استك باست أمك
 فقال ذاك الذي أعجب أباسفيان منها وكتب معاوية الى عقيل بن أبي طالب رضى الله عنه
 يعتذر اليه من شي جرى بينهما يقول من معاوية بن أبي سفيان الى عقيل بن أبي طالب أما بعد
 يا بني عبد المطلب فأنتم والله فروع قصي وللباب عبد مناف وصفوة هاشم فاين اخلاقكم
 الراسية وعقولكم الكاسية وقد والله أساء أمير المؤمنين ما كان جرى ولن يعود مثله الى
 أن يغيب في التري فكتب اليه عقيل يقول

صدقت وقلت حقا غير أني * أرى أن لا أراك ولا تراني
 ولست اقول سوأ في صديقي * وليكني أصد اذا جفاني

فركب اليه معاوية رضى الله عنه وناشده في الصفيح عنه واستعطفه حتى رجع (وحكي) عنه
 رضى الله عنه انه لما ولي الخلافة وانتظمت اليه الامور وامتلأت منه الصدور وأذن لاهله
 الجمهور وساعده في مراده القدر المندور استخضر ليله خواص أصحابه وذو اكرهم وقائع
 أيام صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين فأنهم مكوا في القول الصحيح والمريض
 وآل حديهم الى من كان يجتهد في ايقاد نار الحرب عليهم بن زيادة التبريض فقالوا امرأه من
 أهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدى كانت تعمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها صارخة
 يا أصحاب علي تسمعهم كلاما كالصوارم مستحثة لهم يقول لوسعها الجبان لقاتل والمدبر لا قبل
 والمسلم للحارب والقار لكر والمترزل لاس متفر فقال لهم معاوية رضى الله عنه أيكم يحفظ
 كلامها فقالوا كلنا نحفظه قال فما تشيرون علي فيها قالوا نشير بقتلها فانهم أهل لذلك فقال
 لهم معاوية رضى الله عنه بنسما أشترتمه وقبحا لما قلتم أيحسن ان يشترعني أني بعدما ظفرت
 وقد رقت قلت امرأه قد رقت لصاحبها اني اذ اللسيم لا والله لا فعلت ذلك أبدا ثم دعا
 بكتابه فكتب كتابا الى واليه بالكوفة ان أنفذ الى الزرقاء بنت عدى مع نفر من عشيرتها

وفرسان من قومها ومهد لها وطأ لبنا وحر كاذولاً فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها وقرأه
عليها فقالت بعد قراءة الكتاب ما أبزأ نغة عن الطاعة فعملها في هودج وجعل غشاه
خزاً مبطناً ثم أحسن صحبتها فلما قدمت على معاوية قال لها مرحباً وأهلاً خير مقدم قدمه
وأفد كيف حالت يا حالة وكيف رأيت سيرك قالت خير مسير فقال هل تعلمين لم بعثت اليك قالت
لا أعلم الغيب الا الله سبحانه وتعالى قال ألسنت راكبة الجمل الاجر يوم صفين وأنت بين
الصفوف فوجدت نارا للحرب وتحرضين على القتال قالت نعم قال فما حلك على ذلك قالت يا أمير
المؤمنين انه قد مات الرأس وبتر الذنب والدهر ذو غير ومن تفكر أبصر والا مر يحدث بعده
الا مر فقال صدقت فهل تعرفين كلامك وتحفظين ما قلت قالت لا والله قال الله أبوك فاقصد
سمعتك تقولين أيها الناس ان المصباح لا يضيء في الشمس وان الكواكب لا تضيء مع القمر
وان البغل لا يسبق القرس ولا يقطع الحديد الا بالحديد الا لمن استرشدنا أرشدناه ومن سألنا
أخبرناه ان الحق كان يطلب ضالة فأصابها فاصبر يا معشر المهاجرين والانصار فكأنكم
وقد التأم شمل الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله فانه لا يستوي الحق والمبطل
أفمن كان مؤمناً مكن كان فاسقاً لا يستوي بين قاتل الزال والتزال واصبر الصبر الأول وان خضاب النساء
الحناء وخضاب الرجال الدماء واصبر خير الامور عاقبة اتقوا الحرب غيرنا كصبرنا فهذا يوم له
ما بعده يازرقاء أليس هذا قولك وتحريضك قالت لقد كان ذلك قال لقد شاركت علياً في كل دم
سفكته فقات احسن الله بشارتك يا أمير المؤمنين وأدام سلامتك مثلك من يشتر بخير ويسر
جليسه فقال معاوية أوقد سرك ذلك قالت نعم والله لقد سرتي قولك وأني لي بتصديقه فقال
لها معاوية والله لو فاؤكم له بعد موته أعجب الي من حبكم له في حياته فاذا كرى حوائجك
تقص فقالت يا أمير المؤمنين اني آليت على نفسي أن لا أسأل أحداً بعد علي حاجة فقال
قد أشار علي بعض من عرفك بقتلك فقالت لو من المشير ولو أطعته لشاركته قال كلا
بل نفعو عنك ونحسب اليك ونزعناك فقالت يا أمير المؤمنين كرم منك ومثلك من قدر فغفا
وتجأ وزعن أساء وأعطى من غير مسئلة قال فأعطاها كسرة ودراهم وأقطعها ضيعة
تعمل لها في كل سنة عشرة آلاف درهم وأعادها الي وطنها سالمة وكتب الي والي الكوفة
بالوصية بها وبعتيرتها * وقيل كان لعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما أرض وكان له فيها عبيد
يعملون فيها والي جانبها أرض لمعاوية وفيها أيضاً عبيد يعملون فيها فدخل عبيد معاوية
في أرض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتاباً الي معاوية يقول له فيه أما بعدي يا معاوية
ان عبيدك قد دخلوا في أرضي فانهم هم عن ذلك والا كان لي ولك شأن والسلام فلما وقف
معاوية على كتابه وقرأه فدفعه الي ولده يزيد فلما قرأه قال له معاوية يا بني ماترى قال أرى أن
تبعث اليه جيشاً يكون اوله عنده وآخره عندك يا فونك برأسه فقال بل غير ذلك خير منه يا بني
ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير يقول فيه أما بعدي فقد وقعت على كتاب
والد حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وساء في ما ساءه الدنيا يا بني هاهنا عندي
في جنب رضاه نزلت عن أرضي لك فأضفها الي أرضك بما فيها من العبيد والاموال
والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما على كتاب معاوية رضي الله عنه

كتب اليه قد وقت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدهم الرأي الذي احله
من قريش هذا الحمل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله بن الزبير وقرأه رعى به الى ابنه
يزيد فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر فقال له أبوه يا بني من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجا وز اسق
اليه القلوب فاذا التبت بشئ من هذه الادواء فداوه بمثل هذا الدواء * ولما دخل القليل دمشق
واجتمع الناس لرؤيته سعد معاوية في مكان مرتفع ينظر اليه فيبنيها هو كذلك اذ نظرت في بعض
الحجر من قصره رجلا مع بعض حرمة فأتى الحجر ودق الباب فلم يكن من فتحه بدفوقعت عينه
على الرجل فقال له يا هذا في قصرى وتحت جناحي تهتك حرمتى وأنت في قبضتى ما حلت على
هذا قال فبهت الرجل وقال حلفت أن وقعتي فقال له معاوية فان عفوت عنك تسترها على قال
نعم فعفا عنه وخلي سبيله وهذا من الحلم الواسع أن يطلب المستر من الجاني وهو عرض قول
الشاعر

اذا امرضتم أئنيكم نعودكم * وتذنبون فناءكم وتعتذر

(وحكى) عن الربيع مولى الخليفة المنصور قال ما رأيت رجلا أربط جاشا وأثبت جناحنا من
رجل سعى به الى المنصور أن عنده ودائع وأموال لبني أمية فأمرني باحضاره فأحضرت اليه
فقال له المنصور قدرع البناخبر الودائع والاموال التي عندك لبني أمية فاخرج لتسامها
وأحضرها ولا تكتم منها شيئا فقال يا أمير المؤمنين أنت وارث بني أمية قال لا قال فوصي لهم
في أموالهم وورباعهم قال لا قال فقام مستلثك عما في يدي من ذلك قال فاطرق المنصور وتفكر
ساعة ثم رفع رأسه وقال ان بنى أمية ظلموا المسلمين فيها وأنا وكيل المسلمين في حقوقهم وأريد
أن آخذ ما ظلموا المسلمين فيه فأجعله في بيت أموالهم فقال يا أمير المؤمنين فتحمتاج الى اقامة
بنية عادلة أن ما في يدي لبني أمية مما خانوه وظلموه فان بنى أمية قد كانت لهم أموال غير
أموال المسلمين قال فاطرق المنصور ساعة ثم رفع رأسه وقال يا ربيع ما رأى الشيخ الا قد صدق
وما يجب عليه شئ وما يسعنا الا أن نعفو عما قبل عنه ثم قال هل لك من حاجة قال نعم حاجتي
يا أمير المؤمنين أن تجمع بيني وبين من سعى في السك فوالله الذي لا اله الا هو ما في يدي لبني
أمية مال ولا ودعة وليكن لي لما نلت بين يديك وسألتني عما سألتني عنه فابأت بين هذا القول
الذي ذكرته الا أن وبين ذلك القول الذي ذكرته أو لا فرأيت ذلك أقرب الى الخلاص
والنجاة فقال يا ربيع اجمع بينه وبين من سعى به فجمعت بينهم ما فلما رآه قال هذا غلامى
اختلس لي ثلاثة آلاف دينار من مالى وأبقى منى وخاف من طلبي له فسعى بي عند أمير المؤمنين
قال فتشدد المنصور على الغلام وخوفه فأقر بأنه غلامه وأنه أخذ المال الذي ذكره وسعى به
كذب عليه وخوفاً من أن يقع في يده فقال له المنصور سألتك أيها الشيخ أن تعفو عنه فقال
قد عفوت عنه وأعفتته ووهبته ثلاثة آلاف التي أخذها وثلاثة آلاف أخرى ادفعها
اليه فقال له المنصور ما على ما فعلت من مزيد قال بلى يا أمير المؤمنين ان هذا كله لقليل في مقابلة
كلامك وعفوك عنى ثم انصرف قال الربيع فكان المنصور يتعجب منه وكما ذكره يقول
ما رأيت مثل هذا الشيخ يا ربيع * وغضب الرشيد على جسد الطوسي قد عاله بالنطع
والسيف فبكى فقال له ما يبكيك فقال والله يا أمير المؤمنين ما افرزع من الموت

لانه لا بد منه وانما بكبت أسفعا على خروجي من الدنيا وأمر المؤمنين ساخط على فضلك
وعفاه عنه وقال ان الكريم اذا خادعته انخدع * وأمر زيا بد ضرب عنق رجل فقال ايها
الامير ان لي بك حرمته قال وما هي قال ان أبي جاولك بالبصرة قال ومن أبوك قال بامولاي اني
نسيت اسم نفسي فكيف لا أنسى اسم أبي فرد زيا ذلك على فقه وضحك وعفاه عنه * وأمر الجحاج
بقتل رجل فقال أسألك بالذي أنت غدا بين يديه اذل موقفا مني بين يديك الاعفوت عني
فعفاه عنه * ولما ضرب الجحاج وقاب أصحاب ابن الاشعث أتى رجل من بني عيم فقال والله
يا جحاج لئن كنا أسأنا في الذنب احسنت في العفو فقال الجحاج أف لهذه الجيف أما كان
فيهم من يحسن الكلام مثل هذا وعفاه عنه وخلى سبيله * وكان ابراهيم بن المهدي يقول والله
ما عفاه عني المؤمن تقتر بالي الله تعالى ولا صلة للرحم ولكن له سوق في العفو يكره أن تكسد
بقتلي * وسئل الفضل عن الفتوة فقال الصفح عن عثرات الاخوان * وفي بعض الكتب
المنزلة ان كثرة العفو زيادة في العمر وأصله قوله تعالى وأما ما يتبع الناس فيمكث في الارض
* وقال يزيد بن مزياد أرسل الى الرشيد ليلا يدعوني فأوجبت منه خيفة فقال له أنت القاتل
أنا ركن الدولة والشائرها والضارب اعناق بغاتها لا أم لك أي ركن وأي شائرها أنت قلت
يا امير المؤمنين ما قلت هذا انما قلت اناعبد الدولة والشائرها فاطرق وجعل يخل غضبه عن
وجهه ثم ضحك فقلت احسن من هذا اقول

خلافة الله في هرون ثابتة * وفي بنيه الى ان ينفخ الصور

فقال يا فضل اعطه مائتي ألف درهم قبل ان يصبح * وأمر مصعب بن الزبير بقتل رجل فقال
ما أقبح بي ان اقوم يوم القيامة الى صورتك هذه الحسننة ووجهك هذا الذي يستضاء
به فاتعلق باطوائك وأقول اي رب سئل مصعبا لم تقتل فقال اطلقوه قبل اطلقوه قال ايها
الامير اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض عيش قال قد أمرت لك بمائة ألف درهم
فقال

انا المذنب الخطاء والعفو واسع * ولو لم يكن ذنب لماعرف العفو

* وتغيط عبد الملك بن مروان على رجل فقال والله لان امكنني الله منه لا فعلن به كذا وكذا فلما
صار بين يديه قال له رجاء بن حيوة يا امير المؤمنين قد صنع الله ما احببت فاصنع ما احب الله
فعفاه عنه وأمر له بصلته * وقال الحسن ان افضل رداء ترتدى به الانسان الحلم وهو والله عليك
أحسن من برد الجبر وفيه قال ابو تمام

ريق حواشي الحلم لو ان حلمه * بكفك ما ماريت في انه برد

ويقال للحليم سليم والسفيه كليم وقال محمد بن عجلان ما شئ اشد على الشيطان من عالم معه حلم
ان تكلم تكلم بعلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان سكوته اشد على من كلامه
(شعر)

اذا كنت تبغي شيمة غير شيمة * طبعث عليها لم تطلعك الضرايب

وعن علي بن الحسين رضي الله عنهم ما أقرب ما يكون العبد من غضب الله اذا غضب * وفي
التوراة اذكرني اذا غضبت اذكرك اذا غضبت فلا تحقك فيما الحق واذا ظلمت فاصبر واراض

بنصرى فان نصرى لك خبر من نصرتك لنفسك * وكان ابن عون اذا غضب على انسان قال له بارك الله فيك وكانت له ناقة كريمة فضر بها الغلام فأدبر عنها فقالوا ان غضب ابن عون فانه يغضب اليوم فقال للغلام غفر الله لك وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم شئ أشد قال غضب الله قال فما ياعدنى من غضب الله قال أن لا تغضب ويقال من أطاع الغضب اضاع الارب قال ابو العتاهية

ولم ارفى الاعداء حين اختبرتهم * عدوا عقل المرء اعدى من الغضب
وقال ابو هريرة رضى الله عنه ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب
وقال ابن مسعود رضى الله عنه كفى بالمرء انما ان يقال له اتق الله فيغضب ويقول عليك نفسك
* وكتب عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الى عامل من عماله ان لا تعاقب عند غضبك واذا غضبت على رجل فاجسه فاذا سكن غضبك فاخرجه فعاقبه على قدر ذنبه ولا تتجاوز به خمسة عشر سوطا * وقيل لابن المبارك رحمه الله تعالى اجعل لنا حسن الخلق فى كلمة واحدة قال ترك الغضب * وقال المعتمر بن سليمان كان رجل من كان قبلكم يغضب ويستد غضبه فكتب ثلاث صحائف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا اشتد غضبي فقم الى هذه الصحيفة وناولنيها وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فناولنيها وقال للثالث اذا ذهب غضبي فناولنيها وكان فى الاولى أقصر فأتى وهذا الغضب انما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضا وفى الثانية ارحم من فى الارض يرجك من فى السماء وفى الثالثة اجل عباد الله على كتاب الله فانه لا يصلحهم الا ذلك روى أنه انوشروان وكان الشعبي أولع شئ بهذا البيت

ليست الاحلام فى حال الرضا * اتما الاحلام فى حال الغضب

وعن معاذ بن جبل عن أنس رضى الله عنهم ما عن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه وهو قادر على أن ينقذه دعاه الله على رؤس الخلائق يوم القيامة حتى يخيره فى أى الخور شاء وروى ملاء الله امنا واما * وقال ابن السماك أذنب غلام لامرأة من قريش فأخذت السوط ومضت خلفه حتى اذا قابله رمت بالسوط وقالت ماترت التقوى أحدا يشقى غيظه * وقال أبو ذر الغلام لم أرسل الشاة على علف الفرس قال أردت أن أعينك قال لاجمع مع الغيظ أجزا أنت حر لوجه الله تعالى * واستأذن رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم فقاموا السام عليكم يا محمد فقالت عائشة رضى الله عنها بل السام عليكم واللغة فقال يا عائشة ان الله يحب الرفق فى الأمر كله فقالت ألم تسمع ما قالوا قال قد قلت وعليكم * ورفع الى عبد الملك ابن مروان أعرابى يقال له حزمة سرق وقامت عليه البيعة فهم عبد الملك بقطع يده فكتب اليه حزمة من السجن يقول (شعر)

يدى يا أمير المؤمنين أعينها * بعفوك أن تلقى مقاما شينا

فلا خبرى الدنيا وكانت خبيثة * اذا ما شممال فارقتها عينيها

قال فابى عبد الملك الاقطعه فدخلت عليه أم حزمة وقالت يا أمير المؤمنين بنى وكاسبى وواحدى فقال لها عبد الملك بئس الكاسب لك هذا حدث من حدود الله تعالى فقالت يا أمير

المؤمنين فاجعله أحد ذنوبك التي تستغفر الله منها فقال عبد الملك ادفعوه اليها وخلي سبيله
(شعر)

اذا ما طاش حلك عن عذوق * وهان عليك هجران الصديق
فلست اذا اخافو وصفح * ولا لاخ على عهد وثيق
اذا زل الرقيق وانت من * بلا رفق بقيت بلا رفيق
اذا انت اتخذت اخا جديدا * لما أنكرت من خلق عتيق
فما تدرى لعسلك مستجير * من الرضا فمر الى الحريق
فكم من سالك للطريق آمن * اناه ما يحاذر في الطريق

وشتم رجل رجلا فقال لها هذا لا تغرق في شتمنا ودع الصلح موضعا فاني ايت مشاةمة الرجال
صغيرا فلن أجيبها كبير او اني لأكفي من عصي الله في باكر من ان أطيع الله فيه (وحيكى)
عن جعفر الصادق رضي الله عنه أن غلاما له وقف يصب الماء على يديه فوقع الابريق من يده
الغلام في الطست فطار الرشاش في وجهه فنظر جعفر اليه نظره غضب فقال يا مولاي
والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قال والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك
قال والله يجب المحسنين قال اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى * وقيل لما قدم نصر بن منيع
بين يدي الخليفة وكان قد أمر بضرب عنقه قال يا أميرا المؤمنين اسمع مني كلمات أقولها قل قل
فانشأ يقول

زعموا بأن الصقر صادف مرة * عصفور بر ساقه التقدير
فتكلم العصفور تحت جناحه * والصقر منقض عليه يطير
اني لمسك لا اتم لقمة * ولئن شويت فاني لحقير
فنهاون الصقر المدل بصيده * كرما وأقلت ذلك العصفور

قال فعفا عنه وخلي سبيله قال الشاعر

أقر بذبذبك ثم اطلب تجاوزهم * عنه فان جحد الذنب ذنبان
قال بعضهم

يستوجب العفو الفتي اذا اعترف * وناب عما قد جناه واقترف
اقوله قل للذين كفروا * ان ينتموا يغفر لهم ما قد سلف
وقال آخر

اذا ذكرت أبا ديك التي سلفت * مع قم ففعل وزلاتي ومجترى
أكادا قتل نفسي ثم يدركني * على بانك مجبول على الكرم

وروى ان عمر رضي الله عنه رأى سكران فاراد ان يأخذه لمعززه فنسخته السكران فوجع عنه
فقيل لها أميرا المؤمنين لما شتمك تركته قال انما تركته لانه أغضبني فلو عزرته لكنك قد اتصرت
لنفسى فلا أحب ان اضرب مسلما لحماية نفسى * وغضب المنصور على رجل من الكتاب فأمر
بضرب عنقه فانشأ يقول

وانا الكاتبون وان أسأنا * فهبنا للكرام الكاتبينا

فغضائه وخلي سيده واكرمه * وقال الرشيد لاعرابي بم بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المتزلة قال
بجمله عن سفيان وعفوه عن مسيئنا وجهه عن شيعتنا الامنان اذا وهب ولا حقوق اذا غضب
رحب الجنان سمح البنان ماضي اللسان قال فاما الرشيد الى كلب صيد كان بين يديه وقال
والله لو كانت هذه في هذا الكلب لاستحق بها السودد * وقيل لعن بن زائدة المؤاخذة بالذنب
من السودد قال لا ولكن احسن ما يكون الصفح عن عظم حرمه وقل شفعاه ولم يجد ناصرا *
وقال محمود الوراق

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه على الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم
فاما الذي فوق فاعرف قدره * واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذي دوني فان قال صنت عن * اجابته نفسي وان لام لائم
واما الذي مثلي فان زل أو هفا * تفضلت ان الحري بالفضل حاكم
وقال الاحنف بن قيس لابنه يابني اذا أردت ان تواخي رجلا فاغضبه فان انصفك والا فاحذره
قال الشاعر

اذا كنت محتصا لنفسك صاحبا * فن قبل ان تلقاه بالود اغضبه
فان كان في حال القطيعة منصفقا * والا فقد جر بته فتجببه
ومن أمثال العرب احلم تسد قال الشاعر

لن يبلغ المجد اقوام وان شرفوا * حتى يذلوا وان عزوا لا اقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة * لا صفح ذل ولكن صفح اكرام
وقال آخر

وجهل رد دناه بفضل حلومنا * ولو اتا شئت ارددناه بالجهل
وقال الاحنف اياكم ورأي الاوغاد قالوا وما رأي الاوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا *
وقال رجل لابي بكر الصديق رضي الله عنه لا سب منك سب ايدخل معك قبرك فقال معك والله
يدخل لامي * وقيل ان الاحنف سبه رجل وهو بما شمه في الطريق فلما قرب من المنزل وقف
الاحنف وقال له يا هذا ان كان قد بقي معك شيء فهاهنا وقله ههنا فاني اخاف ان يسمعك قتيان
الحى فيؤذوك ونحن لانحب الانتصار لا تقسنا وقال لقمان لابنه يابني ثلاثة لا يعرفون الا
عند ثلاثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا أخوك الا عند الحاجة
اليه ومن أشعريت قيل في الحلم قول كعب بن زهير

اذا أنت لم تعرض عن الجهل والحنأ * أصبت حليما وأصابك جاهل

وقال آخر

واذا بغني باغ عليك بجهله * فاقبله بالمعروف لا بالشر

وقال آخر

قل مابد لك من صدق ومن كذب * حلى اصم واذا في غير صماء

ويروى في بعض الاخبار ان ملكا من الملوك أمر ان يصنع له طعام واحضر قومامن

خاصته فلما مدت السباط اقبل الخادم وعلى كفه حن فيه طعام فلما قرب من الملك أدركته الهيبة
فنهز فوقع من مرق الصحن شي يسير على طرف ثوب الملك فأمر بضرب عنقه فلما رأى الخادم
العزيمة على ذلك عبد الصحن فصب جميع ما كان فيه على رأس الملك فقال له ويحك ما هذا فقال
أيها الملك انما صنعت هذا شجاعة على عرضك وغيرتك عليك لتلايقول الناس اذا سمعوا ذبي الذي
به تقتلني قتله في ذنب خفيف لم يضربه واخطأ فيه العبد ولم يقصده فتنسب الى الظلم
والجور فصنعت هذا الذنب العظيم لتعذري قتلي وترفع عنك الملامة قال فاطرق الملك
ملياً ثم رفع رأسه اليه وقال يا جميع الفعل يا حسن الاعتدال ارقد وهبنا قبيح فعلك وعظيم
ذنبك لحسن اعتذارك اذهب فانت حر لوجه الله تعالى (وحكى) عن أمير المؤمنين
المأمون وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور في الآفاق بعفوه وحلمه انه لما خرج معه
ابراهيم بن المهدي عليه وبياعه العباسيون بالخلافة ينفذوا دخلوا المأمون وكان
المأمون اذ ذاك بجراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما بلغ بغداد اختفى ابراهيم بن المهدي
وعاد العباسيون وغيرهم الى طاعة المأمون ولم يزل المأمون متطلباً لابراهيم حتى أخذه وهو
منتقب مع نسوة فحبس ثم احضر حتى وقف بين يدي المأمون فقال السلام عليك يا أمير المؤمنين
ورحمة الله وبركاته فقال المأمون لاسلم الله عليك ولا تقرب دارك استغواك الشيطان
حتى حدثك نفسك بما تنقطع دونه الا وهام فقال له ابراهيم مهلا يا أمير المؤمنين فان ولي النار
يحكم في القصاص والعفو أقرب التقوى ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم شرف القرابة
وعدل السياسة وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك فان أخذت
فبحقك وان عفوت فبفضلك والفضل أولى بك يا أمير المؤمنين ثم قال هذه الآيات

ذني اليك عظيم * وانت أعظم منه
نخذ بحقك أولاً * فاصفح بعفوك عنه
ان لم اكن في فعالي * من الكرام فيكنه

فلما سمع المأمون كلامه وشعره ظهرت الدموع في عينيه وقال يا ابراهيم الذم توبة وعفو الله
تعالى اعظم مما تحاول وأكبر مما تأمل ولقد جيب الى العفو حتى خفت ان لا أوجر عليه
لا تبرئ عليك اليوم ثم أمر بفتح قيوده وادخله الحمام وازال شعته وخلع عليه ورداً مؤال
جميعها اليه فقال فيه مخاطباً

رددت مالي ولم تبخل علي به * وقبل ردك مالي قد حققت دعي
فان جددت مالي اوليت من كرم * اني لبالوم أولى منك بالكرم

* وكتب عبد الملك بن مروان الى الخليلج يأمره ان يبعث اليه برأس عباد بن أسلم البكري فقال
له عباد أيها الأمير أنشدك الله لا تقتلني فوالله اني لاعول أربعاً وعشرين امرأتها لهن كاسب
غيري فرق لهن واستحضرهن واذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الخليلج ما أنت منه قالت انه
بنو فاسم يا حجاج مني ما أقول ثم قالت

أحجاج اما أنت فن بتركه * علينا واما أن تقتلنا ما

اجحاج لا تقبض به ان قتله * ثمانا وعشرا واثنين واربعاً
اجحاج لا تترك عليه بناته * وخالاته يندبهن الدهر أجمعاً

فبكي الجحاح ورق له واستوهبه من أمير المؤمنين عبد الملك وأمر له بصلته * ولما قدم عييفة بن
حصن على ابن أخيه الحر بن قيس وكان من النفر الذين يدينهم عمر رضي الله عنه وكان القراء
أصحاب مجلس عمرو مشاورنه كهولاً كانوا أو شباناً فقال عييفة لابن أخيه يا ابن أخي لك وجه
عند هذا الأمير فاستأذن لي عليه فاستأذن فاذن له عمر فلما دخل قال هيه يا ابن الخطاب فوالله
ما تعطينا الجزل ولا تحبكم فينا بالعدل فغضب عمر حتى هم أن يوقع به فقال له الحر يا أمير
المؤمنين إن الله سبحانه وتعالى قال لنبيه عليه الصلاة والسلام خذ العفو وأمر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وإن هذا من الجاهلين فوالله ما جازها عمر رضي الله عنه حين تلاها
عليه وكان وفاها عند كتاب الله تعالى (وحي) أن رجلاً زور ورقة عن خط الفضل
ابن الربيع تتضمن أنه أطلق له ألف دينار ثم جاء بها إلى وكيل الفضل فلما وقف الوكيل عليها
لم يشك أنهم أخط الفضل فشرع في أن يزن له الألف دينار وإذا بالفضل قد حضر ليتحدث مع
وكيله في تلك الساعة في أمرهم فلما جلس أخبره الوكيل بأمر الرجل وأوقفه على الورقة
فنظر الفضل فيها ثم نظروا وجه الرجل فرآه كاديموت من الوجع والخل فاطرق الفضل بوجهه
ثم قال للوكيل لم أدري لم أتيتك في هذا الوقت قال لا قال جئت لاستهنضك حتى تعجل لهذا
الرجل اعطاء المبلغ الذي في هذه الورقة فاسرع عند ذلك الوكيل في وزن المال ونأوله الرجل
فقبضه وصار متحيراً في أمره فالتفت إليه الفضل وقال له طب نفساً وامض إلى سيمالك أمنا
على نفسك فقبل الرجل يده وقال لمسترتني سترك الله في الدنيا والآخرة ثم أخذ المال ومضى
فيجب على الإنسان أن يتأسي بهذه الأخلاق الجميلة والأفعال الجليلة ويقتني سنته بنبيه عليه
الصلاة والسلام فقد كان أكثر الناس حليماً وأحسنهم خلقاً وأكثرهم خلقاً وأكثرهم نجواً
وصفحاً وأبرهم لهم معتر عليه فنجح صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب

العالمين

وأما ما جاء في العتاب فقد قيل العتاب خير من الحق ولا يكون العتاب إلا على زلة وقد مدحه
قوم فقالوا العتاب حدائق المتحابين ودليل على بقاء المودة وقد قال أبو الحسن بن منقذ (شعر)

اسطو عليه وقلبي لو تمكن من * يدي غلها غيظاً إلى عنقي

واستعبر له من سطوتي حنقاً * وأين ذل الهوى من عزة الحنق

وزمه بعضهم قال إياس بن معاوية خرجت في سفر ومعي رجل من الأعراب فلما كان في بعض
المناهل لقى به ابن عم له فقاما وتعاثا وإلى جانبه ماشيخ من الحنق فقال لهما انعماعيشا إن
المعاشية تبعث التجني والتجني يبعث الخصامة والخصامة تبعث العداوة ولا خير في شيء عثرته
العداوة قال الشاعر

فدع ذكر العتاب قريب شتر * طويل هاج أوله العتاب

وقيل العتاب من حركات الشوق وإنما يكون هذا بين المتحابين قال الشاعر
علامة ما بين المحبين في الهوى * عتابهم في كل حق وباطل

وكتب بعضهم بعائب صديقه على تغيره اليه يقول
عرضنا أنفسنا عزت علينا * عليكم فاستخف بهم الهوان
ولوانا رفعناها لعزت * ولكن كل معروض مهان
وقال آخر بعائب صديقه

وكنيت اذا ما جئت أدنيت مجلسي * ووجهك من ماء البشاشة يقطر
فمن لي بالعين التي كنت مرة * الى بها في سالف الدهر تنظر
وقال أبو الحسن بن منقذ

أخلاقك الغز السجايها مالها * حلت قذى الواشين وهي سلاف
ومرآة وأيك في عيذك مالها * صدت وأنت الجوهر الشفاف
وقال آخر بعائب صديقه على كتاب أرسله اليه وفيه جماع عليه

اقرأ كتابك واعتبره قريبا * فكفى بنفسك لي عليك حسيبا
اكذا يكون خطاب اخوان الصفا * ان ارسلوا جعلوا الخطاب خطوبا
ما كان عذري ان اجبت بمثله * أو كنت بالعتب العنيف مجيبا
لكنني خفت اتقاص موذني * فبعد احساني إليك ذنوبا
وقال آخر

اراك اذا ما قلت قولاً قبلته * وليس لاقوالى لديك قبول
وما ذاك الا ان ظنك سيئ * بأهل الوفا والظن فيك جبل
فكن قائل قول الجاسي تأتما * بنفسك بجبا وهو منك قليل
وتكران شئنا على الناس قوالهم * ولا ينكرون القول حين نقول
وكان لمحمد بن الحسن بن سهل صديق فمالته اضافة ثم ولي عملاً فأثرى فقصدته محمد بن مسلم فأرأى
منه تغيراً فكتب اليه

لئن كانت الدنيا نالته ثروة * فأصحت ذايسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الازراء منك خلافا * من اللوم كانت تحت ثوب من العقر
وقال آخر في المعنى

دعوت الله ان تسمو وقلو * علو النجم في أفق السماء
فلما أن سموت بعدت عني * فكان اذا على نفسي دعاء
وكان ابن عرادة السعدي مع سلم بن زياد بجحر اسان وكان له مكرما وابن عرادة يتجنى عليه فقارقه
وصاحب غيره ثم ندم ورجع اليه وقال

عبت على سلم فلما قد دته * وصاحبت اقواما بكيك على سلم
رجعت اليه بعد تجرب غيره * فكان كبير بعد طول من السقم

وقال مسلم بن الوليد
ويرجعني اليك اذا نأت بي * ديارى عنك تجرب به الرجال
وقال أبو الحسن القاسبي

إذا أنا عاتبت المسلول فانما * أخطأ بأقلامي على الماء حروفا
وهبه اوعوى بعد العتاب ألم تكن * مودته طبعاً فصارت تكلفاً
وقال أبو الدرداء رضي الله عنه معاينة الصديق أهون من فقدته وما أحسن ما قيل في العتاب
وفي العتاب حياة بين اقوام * وهو الحمل الذي ليس واهبهم
فخاتم نبي أحسن من معاينة الاحباب ولا أذل من مخاطبة ذوى الالباب والله سبحانه وتعالى
أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم
(الباب السابع والثلاثون في الوفاء بالوعد وحفظ العهد ورعاية الذمم)*

ارجح دليل تمسك به الانسان كتاب الله تعالى الذي من تمسك به هداه ومن استبدل به ارشده
هداه قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل ذكره وتقدس اسمه الذين يوفون
بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال جل وعلا وأوفوا بعهدي الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان
بعدتوكيدها وقال تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلاً والآيات في ذلك كثيرة ومن
أشدّها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا
تفعلون * وروى في صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان
فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والاخلاق الكريمة والخلال الجيدة يعظم صاحبها
في العيون وتصدق فيه خطرات الظنون ويقال الوعد وجه والائجاز محاسنه والوعد مصابة
والائجاز طره وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكل شيء رأس ورأس المعروف نجيلة
وأنشدوا

إذا قلت في شيء نعم فامنه * فإن نعم دين على الحر واجب
والاقل لا تسترح وترح بها * لئلا يقول الناس انك كاذب
وقال آخر

لا كاف الله نفساً فوق طاقتها * ولا تجود يد الاعمى تجرد
فلا تعد عدة الاوقيت بها * واحذر خلاف مقال للذي تعد

وقال اعرابي وعد الكريم نقد وتجميل ووعد اللئيم مذل وتعليل وقال اعرابي أيضاً العذر
الجميل خير من المظل الطويل ومدح بشار خالدين بركة فامره بعشرين ألفاً فأبطأت عليه
فقال لقائده أمتي حيث يمتز فأقامه فخر فأخذ بلجام بغلته وأنشأ يقول

أظلت عايناً منك يوماً مصابة * أضاء لها برق وابطار شائها
فلا غيمها يجلي فيمياً س طامع * ولا غيمها يأتى فتروى عطاشها

فقال لا تبرح حتى تؤتي بها وقال صالح النخعي

لئن جع الاقات فالفضل شرّها * وشر من البخل المواعيد والمطل
ولا خير في وعد اذا كان كاذباً * ولا خير في قول اذا لم يكن فعل

وقيل ما أتى للهذلي أم ولد فامر المنصور الربييع ان يعزبه ويقول له ان أمير المؤمنين موجه
اليك جارية نفيسة لها أدب وظرف يسليك بها وأمر لك معها بفرس وكسوة وصله فلم يرل

الهندي يتوقع وعد أمير المؤمنين ونسبه المنصور فيج المنصور ومعه الهندي فقال المنصور وهو
بالمدينة أتى أحب أن أطوف الليلة المدينة فأطلب لي من يطوف بي فقال الهندي أنا لها يا أمير
المؤمنين فطاف به حتى وصل بيت عائكة فقال يا أمير المؤمنين وهذا بيت عائكة الذي يقول فيه
الاخوس

يا بيت عائكة الذي انعزل * حذر العدا وبه القواد موكل
أني لا منحل الصدود وانني * قسما اليك مع الصدود لامل
فكره المنصور ذكر بيت عائكة من غير أن يسأله عنه فلما رجع المنصور أمر القصيدة على قلبه
فاذا فيها

وأرأه تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول ما لا يفعل
فذكر المنصور الوعد الذي كان وعده الهندي فأحجزه واعتذرا له وقال الشاعر
تجمل وعد المرء اكرومة * تشر عنه أطيب الذكر
والحر لا يخطل معروفه * ولا يليق المظل بالخر
وقال آخر

ولقد وعدت وأنت اكرم واعد * لا خير في وعد بغير تمام
انعم على بما وعدت تكزما * فالمل يذهب بهجة الانعام
وقال آخر
لعبدك وعدة قد تقدم ذكره * فأوله حمد وآخره شكر
وقد جعلت فيك المكارم كلها * فمالك عن تأخير مكرمة عذر
وقال آخر

وميعاد الكرم عليه دين * فلا تزدد الكرم على السلام
يذكركم سلامك ما عليه * ويغنيك السلام عن الكلام
وقال آخر

شككك اللسان ثم امسكت نصفه * فنصف لسانى بامتدادك ينطق
فان لم تنجز ما وعدت تركنتى * وباقى لسانى بالمذمة مطلق
وقال آخر

بانت لوعدك عيني غير راقدة * والليل حى الدياجى منبت السحر
هذا وقد بت من وعد على ثقة * فكيف لو بت من عجز على حذر
وقال آخر

ذكر بالرقاع ادانينا * وبأبى الله ان تنسى الكرم
وأما الوفاء بالهدور عاية الذم فقد نقل فيه من عجائب الوقوع وغرائب المدائع ما يطرب
السامع ويشنف السامع كفضية الطائي وشريك نديم النعمان بن المنذر وتخصيص معناها
أن النعمان كان قد جعل له يومين يوم يؤمن من صادفه فيه قتله وأرداه ويوم نعيم من لقيه فيه
أحسن اليه واغناه وكان هذا الطائي قد رماء حادث دهره بسهام فاقته وفقره فانخرجه

الفاقة من محل استقراره ليرتاد شياً بصيته وصغاره فيمنها هو كذلك اذ صادفه النعمان في يوم
بؤسه فلما رآه الطائي علم انه مقتول وان دمه مطلول فقال حي الله الملك ان لي صبية صغارا
وأهلأجبا وقد أرتقت ماء وجهي في حصول شيء من البلغة لهم وقد اقدمني سوء الحظ على
الملك في هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والاهل وهم على شفاتلف من الطوى
ولن يتفاوت الحال في قتلى بين أول النهار وآخره فان رأى الملك ان يأذن لي في أن أوصل
اليهم هذا القوت وأوصي بهم أهل المرواة من الحى لثلاثهم كواضياعا ثم أعود الى الملك
وأسلم نفسي لنفاذ أمره فلما سمع النعمان صورة مقالة وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على
ضياح أطلاقه رقه وورث لحاله غير أنه قال له لا أذن لك حتى يضمنك رجل معنا فان لم ترجع
قتلناه وكان شريك بن عدى بن شرحبيل نديم النعمان معه فالتفت الطائي الى شريك
وقال له

يا شريك بن عدى * ما من الموت انهم زام
من لا طفال ضعاف * عدم مواعظ الطعام
بين جوع وانتظار * واقفكار وسقام
يا أبا كل كريم * أنت من قوم كرام
يا أبا النعمان جدلى * بضمن واللتزام
ولك الله بأنى * راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدى أصلح الله الملك على ضمانه فمر الطائي مسرعاً وصار النعمان يقول
لشريك ان صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك على سبيل حتى يأق المساء فلما
قرب المساء قال النعمان لشريك قد جاء وقتك قم فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد
لاح مقبلاً وأرجو أن يكون الطائي فان لم يكن فامر الملك بمقتل قال فيمنها هم كذلك واذا
بالطائي قد اشتد عدوه في سببه مسرعاً حتى وصل فقال خشيت ان ينقضى النهار قبل وصولي
ثم وقف قائماً وقال أيها الملك امر بأمره فاطرق النعمان ثم رفع رأسه وقال والله ما رأيت
أعجب منك أما أنت يا طائي فماترت لاحد في الوفاء مقام ما يوم فيه ولا ذكرا يفخر به وأما
أنت يا شريك فماترت لكسرم سماحة بذكر به في الكرماء فلا أكون أنا الا الم الثلاثة
ألا واني قد رفعت يوم بؤسى عن الناس ونقضت عادتي كرامة لو فاء الطائي وكرم شريك فقال
الطائي

ولقد دعيت للخلاف عشرين * فعددت قولهم ومن الاضلال
اني امرت منى الوفاء صجيبة * وفعال كل مهذب مفضل

فقال له النعمان ما جعلك على الوفاء وفيه اتلاف نفسك فقال دعي فني لا وفاء فيه لادين له
فاحسن اليه النعمان ووصله بما أغناه وأعاده مكرماً الى أهله وأنا له ما تمناه * ومن ذلك
ما حكى أن الخليفة المأمون لما ولى عبد الله بن طاهر بن الحسين مصر والشام وأطلق حكمه
دخل على المأمون بعض اخوانه يوم افاق قال يا أمير المؤمنين ان عبد الله بن طاهر يميل الى ولد
أبي طالب وهو اعمع العلويين وكذلك كان أبوه قبله فحصل عند المأمون شيء من كلام أخيه

من جهة عبد الله بن طاهر فتشوق فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا وجعله في رضى الزهاد والنسالة الغزاة ودسه الى عبد الله بن طاهر وقال له امض الى مصر وخالط اهلها وادخل كبراءها واستقلهم الى القاسم بن محمد العلوي واذكر مناقبه ثم بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد ذلك وادعه الى القاسم بن محمد العلوي واكشف باطنه وابحث عن دفين ينته واتفق بما سمع ففعل ذلك الرجل ما أمر به المأمون وتوجه الى مصر ودعا جماعة من اهلها ثم كتب ورقة لطيفة ودفعها الى عبد الله بن طاهر وقت ركوبه فلما نزل من الركوب وجلس في مجلسه خرج الخاجب اليه وأدخله على عبد الله ابن طاهر وهو جالس وحده فقال له لقد فهمت ما قصدته فهات ما عندك فقال ولي الامان قال نعم قال نعم فاطهر له ما أراد ودعاه الى القاسم بن محمد فقال له عبد الله أنت تصق في فيما أقوله لك قال نعم قال فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عند الاحسان والمنة قال نعم قال فيجب علي وأنا في هذه الحالة التي تراها من الحكم والنعمة والولاية ولي خاتم في المشرق وخاتم في المغرب وأمرى فيما بينهم ما مطاع وقولي مقبول ثم اتى التفت عينا وشعلا فأرى نعمة هذا الرجل غامرة واحسانه فأتصاعلى أقصد عوني الى الكفر بهذه النعمة وتقول اغدروا جانب الوفاء والله لودعوتني الى الجنة عيانا لما غدرت ولما كنت يهتمة وترك الوفاء له فسكت الرجل فقال له عبد الله والله ما أخاف الاعلى نفسك فارحل من هذا البلد فلما بنس الرجل منه وكشف باطنه وسمع كلامه رجع الى المأمون فاخبره بصورة الحال فسر ذلك وزاد في احسانه اليه وضاعف انعامه عليه ومجابهة من محاسن الشيم ومكارم اخلاق اهل الكرم ويحث على الوفاء بالعهود ورعاية الذمم مارواه حمزة بن الحسين الفقيه في تاريخه قال قال لي أبو الفتح المنطبي كنا جالوسا عند كافور الاخشيدى وهو يومئذ صاحب مصر والشام ومن البسطة والمكنة ونفوذ الامر وعلو القدر وشهرة الذكر ما يتجاوز الوصف والحصر فحضرت المائدة والطعام فلما كنا نام وانصرفنا فلما اتبته من نومه طلب جماعة منا وقال امضوا الساعة الى عقبة التجارين وسألوا عن شيخ منكم أعور كان يقعد هناك فان كان حيا فاحضروه وان كان قد توفى فسألوا عن أولاده واكتشفوا أمرهم قال فخصني الى هناك وسألنا عنه فوجدناه قد مات وترك بنتين احدهما متزوجة والاخرى عاتق فرجعنا الى كافور وأخبرناه بذلك فسهر في الحال واشترى لكل واحدة منهم ما دارا وأعطاهما مالا جزيل وكسوة فاخرة وزقج العاتق وأجرى على كل واحدة منهم ما رزقا وأظهر أنهم من المتعلقين به لرعاية أمورهما فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك وقال أتعملون سبب هذا قلنا فقال اعملوا اني مررت يوما بالدهم المنجم وأتاني ملك ابن عباس الكاتب وأتاني بانه قد توفقت عليه فنظر الى واسمجليني وقال أنت تصير الى رجل جليل القدر وتبلغ منه مبلغا كبيرا وتنال خيرا كثيرا ثم طلب مني شيئا فأعطيته درهمين كما معي ولم يكن معي غيرهما فرمى بهما الى وقال أبشرك بهذه البشارة وتعطيني درهمين ثم قال وأريدك أنت والله تلك هذا البلد وأكثرت منه فاذكرني اذا صرت الى الذي وعدتك به ولا تنس فقلت له نعم فقال عاهدني انك تني لي ولا يشغلك ذلك عن افتقادي فعاهدته ولم يأخذ مني الدرهمين ثم اني شغلت عنه بما

تجددلى من الامور والاحوال وصرت الى هذه المنزلة ونسيت ذلك فلما اكثنا اليوم ونمت رأيت
 فى المنام قد دخل على وقال لى أين الوفاء بالعهد الذى بينى وبينك واتمام وعدك لا تغدو فيه غد
 بك فاستيقظت وفعلت ما رأيت ثم زادنى احسانه الى بنات التجم وفاء لوالدهما بما وعدوه والله
 أعلم وبما اسفرت عنه وجوه الاوراق وأخبرت به الثقاف فى الآفاق وظهرت روايته بالشام
 والعراق وضرب به الامثال فى الوفاء بالاتفاق حديث السموأل بن عادياو تلخيص معناه ان
 امرأ القيس الكندى لما أراد المضى الى قبصر ملك الروم أودع عند السموأل دروعا وسلاحا
 وأمتعة تساوى من المال جلة كثيرة فلما مات امرأ القيس أرسل ملك كندة يطلب الدروع
 والاسلحة المودعة عند السموأل فقال السموأل لا أدفعها الا المستحقها وان يدفع اليه منها
 شيئا فواده فاني وقال لا أغد ربذمتى ولا أخون أمانتى ولا اترك الوفاء الواجب على فقصده
 ذلك الملك من كندة بعسكر كره فدخل السموأل فى حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك
 وكان ولد السموأل خارج الحصن فظفر به ذلك الملك فأخذه أسيرا ثم طاف حول الحصن وصاح
 بالسموأل فأشرف عليه من اعلى الحصن فلما رآه قال له ان ولدك قد أسرته وهما هو معى فان سلمت
 الى الدروع والسلاح التى لامرئ القيس عندك رحلت عنك وسلمت اليك ولدك وان امتنعت
 من ذلك ذهبت ولدك وانت تنظر فاخترأهم ما شئت فقال له السموأل ما كنت لا خفر ذماى
 وابطل وفانى فاصنع ما شئت فذبح ولده وهو ينظر ثم لما عجز عن الحصن رجع خائبا واحتسب
 السموأل ذبح ولده وصبر محافظا على وفائه فلما جاء الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم اليهم
 الدروع والسلاح ورأى حفظ ذمامه ورعاية وفائه أحب اليه من حسابة ولده وبقاية قصارت
 الامثال فى الوفاء فضررت بالسموأل واذا مدحوا أهل الوفاء فى الانام ذكروا السموأل فى الاول
 وكم أعلى الوفاء رتبة من اعتلقة يديه وأعلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق الاقواء لفاعله
 بالثناء عليه واستطلق الايدى المقبوضة عنه بالاحسان اليه ومما وضع فى بطون الدفاتر
 واستحسنه عيون البصائر ونقلته الاصاغر عن الاكابر وتداولته اللسان من الاوائل والاواخر
 ما رواه خادم أمير المؤمنين المأمون قال طلبنى أمير المؤمنين ليلة وقدمضى من الليل ثلثة فقال
 لى خذ معك فلا ناو فلا ناو بما هما على بن محمد والا خرد بنار الخادم واذهب مسرعا
 لما أقوله لك فانه قد بلغنى ان شيخا يحضر ليلا الى دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا
 كثيرا ويندبهم ويبكى عليهم ثم ينصرف فامض الآن أنت وعلى ودينار حتى تروا هذه الخرابات
 فاستمتروا خلف بعض الجدران فاذا رأيت الشيخ قد جاء وبكى وندب وأنشد شيئا فأتوني به
 قال فاخذتهما ومضينا حتى أتينا الخرابات واذا نحن بعلام قد أتى ومعه بساط وكرسى حديد واذا
 شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة ووقار قد اقبل فجلس على الكرسى وجعل يبكى ويتعجب ويقول
 ولما رأيت السيف جندل جمعقرا * ونادى مناد للخليفة فى يميني
 بكبت على الدنيا وزاد تأسنى * عليهم وقلت الآن لا تنفع الدنيا
 مع آيات أطالها وردها فافروغ قبضنا عليه ولما له أجب أمير المؤمنين فقزع فزعاشديدا
 وقال دعونى حتى أوصى وصية فانى لأوقن بعدها بجماعة ثم تقدم الى بعض الدكاكين
 فاستفتح وأخذ ورقة وكتب فيها وصية ودفعها الى غلامه ثم سرنا به فلما مثل بين يدي أمير

المؤمنين زجره وقال لمن أنت وبماذا استوجبت البرامكة منك ما تفعله في خرائب دورهم
وما تنقله فيها قال الخادم ونحن وقوف نسبح فقال يا أمير المؤمنين إن للبرامكة عندى
أيادى خطيرة أقتأذن لى أن أحدثك حديثي معهم قال قل يا أمير المؤمنين أنا المنذر بن
المغيرة من أولاد الملوك وقد زالت عنى نعمة كاتز ولد عن الرجال فلما ركبى الدين واحتجت
الى بيع مسقط رأسى ورؤس اهللى اشاروا على بالخروج الى البرامكة فخرجت من دمشق
ومعى نصف وثلاثون امرأة وصبياً وصبيته وليس معنا ما يساع ولا ما يوجب حتى دخلنا بغداد
ونزلنا فى بعض المساجد فدعوت بشوياتلى كنت قد أعددتها لاستخيم الناس فلبستها
وخرجت وتركتهم جميعاً لاشئ عندهم ودخلت شوارع بغداد أسائل عن دور البرامكة
فاذا أنا بمسجد من خرف وقبه مائة شيخ بأحسن زى وزينة وعلى الباب خادمان فطمعت
فى القوم ووطئت المسجد وجلست بين أيديهم وأنا أقدم وأخروا العرق يسيل منى لانهم لم تكن
صناعتى واذا بخادم قد أقبل فدعا القوم فقاموا وأنا معهم فدخلوا دارى يحيى بن خالد ودخلت
معهم واذا بيحيى جالس على دكة فى وسط بستان فسلمنا وهو بعد مائة وواحد اوبين يديه
عشرة من ولده واذا غلام أمر دعز خذاه قد أقبل من بعض المقاصير بين يديه مائة خادم
منطقون فى وسط كل خادم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف منقال ومع كل خادم بحجرة
من ذهب فى كل بحجرة قطعة من عود كهينة الفهر قد قرن بها مثلها من العنبر السلطاني
فوضعه بين يدى الغلام وجلس الغلام الى جنب يحيى ثم قال يحيى للقاضى تكلم وزوج
بنتى عائشة من ابن عى هذا فخطب القاضى وزوجه وشهداؤك الجماعة وأقبلوا علينا
بالنار وينادق المسك والعنبر فالتقطت والله يا أمير المؤمنين مل كى ونظرت فاذا نحن
فى المكان ما بين يحيى والمشايع وولده والغلام مائة واثنا عشر رجلاً فخرج الينا مائة واثنا
عشر خادماً مع كل خادم صينية من فضة عليها ألف دينار فوضعوها بين يدى كل رجل مناصية
فرايت القاضى والمشايع يصبون الدنانير فى كمامهم ويجمعون الصوالى تحت أباطهم
ويقوم الاوّل فالاول حتى بقيت وحدى بين يدى يحيى لا أجسر على أخذ الصينية فغمزنى
الخادم فجسرت وأخذتها وجعلت الذهب فى كى وأخذت الصينية فى يدى وقت وجعلت
ألقت الى رأتى مخافة أن أمنع من الذهاب بها فينمأ أنا كذلك فى صحن الدار ويحيى يلظنى
اذ قال للخادم اتنى بذلك الرجل فرددت اليه فاهربصب الدنانير والصينية وما كان فى كى
ثم أمرنى بالجلوس فجلست فقال لى عن الرجل فقصة عليه قصتي فقال للخادم اتنى بولدى
موسى فأتى به فقال له يا بنى هذا رجل غريب نخذه اليك واحفظه بنفسك وبنعمتك فقبض
موسى على يدى وأدخلنى الى دار من دورها فأكرمنى غاية الاكرام وأتت عنده بوى ولبقى
فى الدعش وأتم سرور فلما أصبح دعا بأخيه العباس وقال ان الوزير قد أمرنى بالعطف على
هذا الرجل وقد علمت اشتغالى فى دار أمير المؤمنين فاقبضه اليك وأكرمه ففعل ذلك وأكرمنى
غاية الاكرام فلما كان من الغد تسلمى أخوه احمد ثم أزل فى أيدي القوم يتداولونى عشرة أيام
لا اعرف خبر عيالى وصياني فى الاموات هم ام فى الاحياء فلما كان اليوم الحادى عشر
جاءنى خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لى قم فاخرج الى عيالك بسلام فظلت واويلاه

سلبت الدنانير والصينية وأخرج الى عيالي على هذه الحالة ان الله وان انا اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الستر الاخير قال لي مهما كان لك من الخواص فاففعها الى فاني مأمور بقضاء جميع ما تأمرني به فلما رفع الستر رأيت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رائحة الند والعود وتفتح المسك واذا بصياني وعيالي يتقبلون في الحواري والديساج وجل الى ألف ألف درهم وعشرة آلاف دينار ومنشور بن بضيعةين وتلك الصينية التي كنت أخذتها بما فيها من الدنانير والبنداق وأقت يا أمير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أمن البرامكة أنا ام رجل غريب اصطنعوني فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من أمير المؤمنين الرشيد ما نزل أبجفني عمرو بن مسعدة والزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما به فلما تحامل على الدهر كنت في أواخر الليل اقصد خرابات القوم فاندبهم واذكر حسن صنيعهم الي واشكرهم على احسانهم فقال المؤمنون على عمرو بن مسعدة فلما أتى به قال له يا عمر وأتعرف هذا الرجل قال نعم يا أمير المؤمنين هو بعض صنائع البرامكة قال لكم الرزمتي في ضيعته قال كذا وكذا قال رد له كل ما استأديته منه في مدته ووقع له بهما ليكون له ولعقبه من بعده قال فعلا نصيب الرجل وبكاؤه فلما رأى المؤمنون كثرة بكائه قال له يا هذا قد احسنا اليك فلم تبك قال يا أمير المؤمنين وهذا أيضا من صنائع البرامكة اذ لو لم أت خراباتهم فأبكيهم واندبهم حتى اتصل خبري بأمير المؤمنين ففعل بي ما فعلتني أين كنت أصل الى أمير المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون فلقد رأيت المؤمنون وقد دمعت عيناه وظهر عليه حزنه وقال لعمرى هذا من صنائع البرامكة فعلمهم فابكوا وياهم فاشكر ولهم فأوفوا ولا حسانهم فاذا كر وقيل اذا أردت ان تعرف وفاء الرجل ودوام عهده فانظر الى حنينه الى أوطانه وتشوقه الى اخوانه وكثرة بكائه على ما مضى من زمانه قال الشاعر

سقى الله اطلال الوفاء بكفه * فقد درست اعلامه ومنازله

وقال آخر

اشدد يدك بمن بلوت وفاءه * ان الوفاء من الرجال عزيز

وقال مالك بن عماره اللحى كنت جالسا في ظل الكعبة أيام الموسم عند عبد الملك بن مروان وقبيصة بن ذؤيب وعروة بن الزبير وكنا نخوض في الفقه مرة وفي المذاكرة مرة وفي اشعار العرب وامثال الناس مرة فكنت لأجد عند أحد ما أجد عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة والتصرف في فنون العلم وحسن استماعه اذا حدث وحلاوة لفظه اذا حدث تخلو مع ليلى فقلت له والله اني لمسرور بك لما شاهدته من كثرة تصرفك وحسن حديثك واقبالك على جلسائك فقال ان تعش قليلا فستري العيون طامحة الى والاغناق نحوى متطاولة فاذا صار الامر الى فلعلك ان تنقل الى ركابك فلا ملائق يدك فلما أفضت اليه الخلافة توجهت اليه فوافيته يوم الجمعة وهو يخطب على المنبر فلما رآني اعرض عني فقلت له لم يعرفني أو عرفني وأظهر لي نكره فلما قضيت الصلاة ودخل بيته لم ألبث ان اخرج الحجاب فقال أين مالك بن عماره فقمت فأخذيدي وادخلني عليه فذا الى يده وقال انك

تراءيت لي في موضع لا يجوز فيه الا ما رايت فاما الان فرحبا وأهلا كيف كنت بعدى
فاخبرته فقال لي أتذكر ما كنت قلت لك قلت نعم فقال والله ما هو غير ان وعيناه ولا أثر
رويناه ولكني أخبرك بخصال مني سمعت بها نفسي الى الموضع الذي ترى ما خنت ذا ودقظ
ولا شئت بصيبة عدو قط ولا أعرضت عن محدث حتى ينهني حديثه ولا قصدت كبيرة من
محارم الله تعالى متلذذا بها فكنت أو مل به هذه أن يرفع الله تعالى منزلي وقد فعل ثم دعا بسلام
فقال له يا غلام بؤته منزلا في الدار فأخذ الغلام يدي وأقر دلي منزلا حسنا فكنت في النحال
وأقيم بال وكان يسمع كلامي وأسمع كلامه ثم أدخل عليه في وقت عشاءه وغداؤه فيرفع منزلي
ويقبل علي ويحادثني ويسألني مرة عن العراق ومرة عن الحجاز حتى مضت لي عشرين ليلة
فتغذيت يوما عنده فلما تفرق الناس نهضت قائما فقال علي رسلك ففعدت فقال أي الامرين
أحب اليك المقام عندنا مع النصف لك في المعاشرة والرجوع الى اهلك ولك الكرامة فقلت
يا أمير المؤمنين فارتأه لي وولدي علي أني أزور أمير المؤمنين واعود اليهم فان أمرني أمير
المؤمنين اخترت رؤيته علي الاهل والولد فقال لا بل أرى لك الرجوع اليهم وان لم يزل بعد
في زيارتنا وقد أمرنا لك بعشرين ألف دينار وكسوفناك وحننا لك اتراني قد ملأت يديك فلا خير
فيمن ينسي اذا وعد وعاد اذا شئت صحتك للسلامة ومن ذاك ما روي عن أبي بكر الاعمى وكان
قد انقطع الى آل برمك قال مسرورا لكبير لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلت عليه
فوجدت عنده أبا بكر الاعمى يغنيه ويقول

فلا تحزن فكل فتى ساقى * عليه الموت بطرق أو بغادي

فقلت في هذا والله قد أتيتك ثم أمسكت بيد جعفر وألقته وضربت عنقه فقال أبو بكر
ناشدك الله ألا ألحقني به فقلت له ما الذي جعلك علي هذا فقال أغنانني عن الناس فقلت حتى
استأمر الرشيد ثم أحضرت الرأس الى الرشيد وأخبرته بخبر أبي بكر فقال هذا رجل
فيه مصطنع اضمه اليك وانظر ما كان يجري عليه جعفر فادفعه اليه وكان يحيى بن
خالد اذا أكد في عينه قال لا والذي جعل الوفاء أعز ما يرى قال أبو فراس بن جردان
الشاعر

بمن يتقى الانسان فيما بنوبه * ومن أين للعز الكرم صحاب

وقد صار هذا الناس الأقلهم * ذئابا على اجسادهم ثياب

وسال المنصور بعض بطانة هشام عن تدبيره في الحروب فقال كان وجه الله يفعل كذا وكذا
فقال المنصور عليك لعنة الله تطأ ساطي وتترحم على عدوي فقال ان نعمة عدوك لقلادة
في عنق لا ينزعها الا غالي فقال له المنصور ارجع يا شيخ في أشهد انك لو في حلف النحر ثم امر له
بمال فأخذه ثم قال والله لولا لاجلالة أمير المؤمنين وامتطاعته ما لبست لاحد بعد هشام
نعمة فقال له المنصور لله درك فلوم يكن في قومك غيرك لكنك قد أبقيت لهم محمد بن محمد بن محمد
وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب في بعض جمابين الشام فاذا امرأة جالسة
على قبر تبكي قال سليمان فرفعت البرقع عن وجهها فحك شمساعن متون نمامة فوق قفنا
متحيرين تنظر اليها فقال لها يزيد بن المهلب يا دة الله هل لك في امير المؤمنين بعلا فظرت اليها

ثم انشأت تقول

فان تسالني عن هواي فانه * يجول به ذا القبر يا قتيان
واني لا أستحييه والترب يننا * كما كنت أستحييه وهو يراني

ومن ذلك ما روي عن نائلة بنت الفرافصة بن الاخوص الكلبي زوج عثمان رضي الله عنه -
أن عثمان لما قتل اصابها ضربة على يدها وخطمها معاوية فردته وقالت ما يحب الرجل مني
قالوا ثيابك فكسرت ثيابها وبعثت بها الى معاوية فكان ذلك مما رغبت فيه في شافى نكاح نساء
بنى كلب ولما أحس مصعب بن الزبير بالقتل دفع الى مولاه زياد فص ياقوت قيمته ألف ألف
وقال له انج بهم اذا فاخذ زياد ودق بين حجرين وقال والله لا ينفع به أحد بعدك ولما قدم
هذبة بن الخثعم للقتل بحضرة مروان بن الحجاج قالت زوجته ان لهدية عندى وديعة
فأمهلها حتى أتيتك بها فقال أسرى فان الناس قد كثروا وكان مروان قد جلس لهم بارزاعن
داره فضت الى الـوق وأتت الى قصاب فقالت أعطيني شفرة لك وخذ هذين الدرهمين وأنا
أردها عليك فأخذتها وقربت من حائط وأرسلت لمخفتم على وجهها ثم جددت أنفها من
أصله وقطعت شفتيها وردت الشفرة الى القصاب ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس فقالت
أتزاني يا هذبة متزوجة بعد ما ترى فقال الآن طابت نفسي بالموت فجزاك الله من حليته
وفية خيرا ولن يجعل لهذا الباب من القضايا ختما هو أو جزها كلاما أو أحسنها نظاما وأبينها
حكما وأحكاما وهي قضية جمعت الامرين وفاء وغدرا وعرفا ونكرا وخيرا وشرا
ونفعا وضررا واشتملت على حال شخصين أحدهما وفي بعده ففاز ونجا وحاز من مقترحات مناه
ما أتل ورجا وغدرا الآخر فلم يجد له من جزاء غدره الى النجاة فرجا ولم يلق له من ضيق القدر
مخرجا وهو ما ذكره عبد الله بن عبد الكريم وكان مطلعا على أحوال احمد بن طولون عارفا
باموره عالما بوردوده وصدوره فقال ما معناه ان احمد بن طولون وجد عند سقايته طفلا
مطر وحافاة قطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان اكثر الناس ذكاء ووظفنة
وأحسنهم زيارا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تم له ذب وتقرن فلما حضرت أحمد بن طولون
الوفاة أوصى ولده أبا الجيش بخارويه به فاخذته اليه فلما مات احمد بن طولون أحضره الامير
أبو الجيش اليه وقال له انت عندى بمكانه أرفع اليها ولكن عادي أنى أخذ العهد على كل من
أصرت فيه في شيء انه لا يخونني فعاهده ثم حكمه في امواله وقدمه في أشغالها فصار احمد باليتيم
مستحوذا على المقام حاكما على جميع الخاشية الخاص والعام والامير أبو الجيش بن طولون
يحسن اليه فلما رأى خدمته متصفة بالنصح ومساعدته متسعة بالنجح ركن اليه واعتمد في امور
بيوته عليه فقال له يوما يا احمد امض الى الحجرة القلانية في المجلس حيث أجلس سبعة جوهر
فأتني بها فغضى احمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الامير وحظاياه مع شاب من
القراشين من هو من الامير يعمل قريبا فلما رأى اياه خرج الفتى وجاءت البخارية الى احمد وعرضت
نفسها عليه ودعته الى قضاء وطره فقال لها معاذ الله أن اخون الامير وقد أحسن الى وأخذ
العهد على ثم تركها وأخذ السجدة وانصرف الى الامير وسلمها اليه وبقيت الجارية شديدة
الخوف من احمد بعد ما أخذ السجدة وخرج من الحجرة فلا يذكر حالها الاذ لميرفا قامت أياما

لم تجد من الأمير ما غيره عليها ثم اتفق أن الأمير اشترى جارية وقدمها على خطاياه وغمرها
بعطاياه واشغل بها عن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده حتى كاد لا يذكر جارية
غيرها ولا يراها وكان أول ما شغلوا بتلك الجارية الخاسرة الخائبة الغادرة العائبة
العاهرة الفاسقة الفاجرة فلما عرض عنها اشتغالها بالجارية المجردة السعيدة المسعدة
الحامدة المحجودة الوصيفة الموصوفة الاليفة المألوفة العارفة المعروفة وصرف لهجة
محاسنها وكثرة آدابها وجهه عن ملاعبة أترابها وشغلته بعذوبة رضائها عن ارتشاف ضرب
أضربها وكانت تلك الجارية الأولى لحسنها متأثرة على تأميره لا تخاف من وليه ولا تصيره
فكبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك إلى أحمد اليتيم لاطلاعه على ما كان منها فدخلت على
الأمير وقد ارتدت من السكابة بجلباب نكرها وأعلنت بالبكاء بين يديه لانتقام كيدها ومكرها
وقالت إن أحمد اليتيم راودني عن نفسي فلما سمع الأمير ذلك استشاط غيظا وغضبا وهم
في الحال بقتله ثم عاوده حاكمه عقلة فتأني في فعله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال له إذا أرسلت
اليك انسا ناومعه طبق من ذهب وقلت لك على لسانه املا هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك
الإنسان واجعل رأسه في الطبق وأحضره مغطى ثم إن الأمير أبى الجيش جالس لشربه
وأحضر عنده ندماء الخواص وأدناهم لمجلس قربه وأحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه لم
يخطر بظاهره شيء ولا هجس هاجس في قلبه فلما مل بين يدي الأمير وأخذ منه الشراب شرع
في التسدير فقال يا أحمد خذ هذا الطبق وامض به إلى فلان الخادم وقل له يقول لك أمير
المؤمنين املا هذا الطبق مسكا فأخذه أحمد اليتيم ومضى فاجتاز في طريقه بالمغنين وبقيصة
الندماء والخواص فقاموا إليه وسألوه الجلوس معهم فقال أنا ما مضى في حاجة فلا ميرأمرني
باحضارها في هذا الطبق فقالوا له أرسل من ينوب عنك في احضارها وخذها أنت وادخل
بها على الأمير وأدري عينيه فرأى القتي القزاش الذي كان مع الجارية فأعطاه الطبق وقال له
امض إلى فلان الخادم وقل له يقول لك الأمير املا هذا الطبق مسكا فمضى ذلك القزاش إلى
الخادم فذكر له ذلك فقتله وقطع رأسه وغطاه وجعله في الطبق وأقبل به فناول له أحمد اليتيم
فأخذه وليس عنده علم من باطن الأمر فلما دخل به على الأمير كشفه وتأمله وقال ما هذا فقص
عليه خبره وقعوده مع المغنين وبقيصة الندماء وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاذ
الطبق وإرساله مع القزاش وأنه لا علم عنده غير ما ذكره قال اتعرف لهذا القزاش خبرا
يسموجب به ما جرى عليه فقال أيها الأمير إن الذي تم عليه بما ارتكبه من الخيانة وقد كنت
رأيت الاعراض عن اعلام الأمير بذلك وأخذ أحمد يتحدث به بما شاهدته وما جرى له من
حديث الجارية من أوله إلى آخره لما أنفذته لاحضار السجدة الجوهر فعدا الأمير أبو الجيش
بتلك الجارية واستقر رها فمرت بصحة ما ذكره أحمد فأعطاه اياها وأمره بقتالها ففعل
وازدادت مكانة أحمد عنده وعلمت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل أزمة جميع
ما يتعلق به بيديه فانظر رحمك الله إلى آثار الوفاء كيف تحمي من المعاطب وتنجي من قبضة
التلف بعد امضاء القواضب ويقضي بصاحبه إلى ارتقاء غوارب المراتب فهذا الغلام
لما وفي لمولاه بعدده وهو بشر مثله وليس في الحقيقة بعبد واطلع الله عز وجل على صدق

نيتة وقصده دفع عنه هذه القتل الشنيعة بلطف من عنده فاذا كان العبد مع خالقه ورأى رزقه وافيا في طاعته بعقده كيف لا يفيض عليه من ألطف مواهب بره ورفده ويقف له من أنواع رحمة وأقسام نعمته ما لا يحصى له من بعده وقالوا ليس شيء أوفى من القمرية اذا مات ذكرها لم تقرب آخر بعده ولا تزال تنوح عليه الى أن تموت والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

(الباب الثامن والثلاثون في كتمان السر وتحصينه وذم افشائه)

قال الله تعالى حكايته عن يعقوب ص لوات الله وسلامه عليه يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك الآية فلما أفشى يوسف عليه السلام رؤياه بشهادة امرأة يعقوب أخبرته اخوته بخفيته ما حل ومن شواهد الكتاب العزيز في السر قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى وقوله تعالى وما وصى على الغيب بظنن اى بمتهم وفي الحديث استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال علي رضي الله عنه وكترم وجهه سره أسيرك فاذا تكلمت به صرت أسيره واعلم أن أمناء الامرار أقل وجودا من أمناء الاموال وحفظ الاموال أيسر من كتمان الاسرار لان احراز الاموال منيعة بالابواب والاقفال واحراز الاسرار بارزة يذبحها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وجل الاسرار أثقل من حمل الاموال فان الرجل يستقل بالجل الثقيل فيحمله ويمشي به ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره في قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما يلحقه من حمل الاثقال فاذا أذاعه استراح قلبه وسكن خاطره وكأنا ألقى عن نفسي جملة ثميلا وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه القلوب أوعى والشفاه أقفأها واللسن مفاتيحها فليحفظ كل انسان مفتاح سره ومن عجائب الامور أن الاموال كلما كثرت خزانها كان أوثق لها وأما الاسرار فانها كلما كثرت خزانها كان أضيع لها وكم من اظهر سرأراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ ما ربه ولو كتمه أمن من سطوانه وقال الفوشروان من حصن سره فله بنحسينه خصلتان الطفر بجاحته والسلامة من السطوات وقيل كلما كثرت خزان الاسرار زادت ضياعا وقيل انسر د بسر لا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون وقال كعب بن سعد الغفوى

ولست تبديل الرجال سريتي * ولا أناعن أمرارهم بسؤل

وقال أبو مسلم صاحب الدولة

أدركت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بني مروان اذ جهدوا
ما زلت أسعى عليهم في ديارهم * والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا * من نومة لم ينمها قبلهم أحد
ومن رعى غنما في أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الأسد

وأسر رجل الى صديقه حديثا ثم قال له أنهمت قال بل جهلت ثم قال له أحفظت قال بل

نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمانك للسر قال أجد الخبير وأحلف المستغبر وقال المهلب
أدنى أخلاق الشريف كتمان السر وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر إليه ومن أحسن ما قيل
في كتمان السر قول الشاعر

ولها سرائر في الضمير طويتها * نسي الضمير بأنها في طيه
وقد أجازها الشيخ شمس الدين البدوي فقال

اني كتبت حديث لبلى لم أبع * يوما بظاهره ولا بضميره
وحفظت عهد ودادها متمسكا * في حبها برشاده أو غيبه
ولها سرائر في الضمير طويتها * نسي الضمير بأنها في طيه
وقيل كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكانه لا خير في آية لا تمسك ما فيها فكذلك
لا خير في انسان لا يمسك سره قال الشاعر

ومستودعي سراي ككت مكانه * عن الحس خوفا أن ينم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهوة * فأودعته من حيث لا يبلغ الحس
وقال قيس بن الخطيم

أجود بمكنون السلا دوني * بسرى عن سالي لضنين
وان ضيع الاقوام سرى فاني * كتوم لاسرار العشير أمين

وقال جعفر بن عثمان

يا ذا الذي أودعني سره * لا ترج أن تسمعه مني
لم أجره قط على فكرتي * كأنه لم يجسر في أذني

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول ما فشت سرى الى أحد قط فأفشاء فلته اذ كان
صدرى به أضيق وقال الاحنف بن قيس يضيق صدر الرجل بسرّه فاذا حدث به أحد
قال اكتمه على قال الشاعر

* اذا المرأ أفشى سرّه بلسانه * ولا م علمه غيره فهو أحمق *
اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه * فصدر الذي يستودع السر أضيق

وقال آخر

اذا ما ضاق صدرك عن حديث * وأفشته الرجال فمن تلوم
وان عاتبت من أفشى حديثي * وسرى عنسده فأنا الماوم

وقال صالح بن عبد القدوس لا تودع سرّك الى طالبه فالطالب للسرّ مذيع ولا تودع مالك
عند من يستدعيه فالطالب للوديعه حائن * وقيل لا عراي ما بلغ من حفظك للسرّ قال
اذرقه تحت شـ غاف قلبى ثم أجمعه وأنساه كأنى لم أسمع * وكان يقال أحرز الناس من لا يقضى
سرّه الى صديقه مخافة أن يقع بينهم ما شرّ فيه شبه عليه وقال حكيم قلوب لا حرار
قبور الاسرار وقيل الطمأنينة الى كل أحد قبل الاختبار حق وقال بعضهم

اذا ما غفرت الذنب يوما لصاحب * فلست معيدا ما حديث لذكر
ولست اذا ما صاحب خان عهده * وعندي له سرّ مذيعا له سرا

وأين هذا من القائل

ولا تودع الاسرار اذنى قائما * تصبى ماء في اناء مثله لم

أو القائل

ولا أكتم الاسرار لكن أذيعها * ولا أدع الاسرار تعلو على قاي

وان قلبه العقل من بات ليلة * تقلبه الاسرار جنباً الى جنب

وقال آخر

وانك كلما استودعت سرّاً * أتم من التسميم على الرضا

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي

اناس أمناهم فتموا حديتنا * فلما كتمنا السر عنهم نقولوا

ولله در المتنبي حيث قال

والسر منى موضع لا يناله * نديم ولا يفضى اليه شراب

وقد اقتصرنا من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً الى يوم الدين والحمد لله رب العالمين

الباب التاسع والثلاثون في الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء والحسد وفيه

فصول

(الفصل الاول في الغدر والخيانة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبجل الاشياء عقوبة

البعي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المكر والمكر والخديعة

والخيانة في النار وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثلاث من كن فيه كن عليه البغي

والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيتكم على أنفسكم وقال تعالى فمن نكث فانما ينكث

على نفسه وقال تعالى ولا يجئني المكر السيئ الا بأهله وكم أوقع الغدر في المهالك من غادر

وضاقت عليه من موارد الهلكات فسيحات المصادر وطوقه غدره طوق خرم فهو على فكه

غير قادر وأوقعه في خطة خسف وورطة حنف فماله من قوة ولا ناصر ويشهد لصحة هذه

الاسباب ما احاطت به علوم ذوى الالباب من قصة ثعلبة بن حاطب الانصارى وتخليص

معناها أن ثعلبة هذا كان من أنصار النبي صلى الله عليه وسلم فجاه به ما وقال يا رسول

الله ادع الله أن يرزقني ما لا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل تؤدى

شكركه خير من كثير لا تطيقه ثم أتاه بعد ذلك مرة أخرى فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني

ما لا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة أمالك في رسول الله اسوة حسنة والذي

نفسى بيده لو أردت أن تسير بالجبال معي ذهباً وفضة لمارت ثم أتاه بعد ذلك مرة ثالثة

فقال يا رسول الله ادع الله أن يرزقني ما لا والذي به شك بالحق نبي الله رزقني الله ما لا لأعطين

كل ذي حق حقه وعاهد الله تعالى على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اللهم ارزق ثعلبة ما لا قال فاتخذ ثعلبة غنما فمات بها الدود وضاعت عليه المدينة فمضى

عنها ونزل وادى من اديتها وهي تنمو كما ينمو الدود وكان ثعلبة لكثرة ملازمته للمسجد

يقال له جامعة المسجد فلما كثرت الغنم وتخي صار يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

الظهر والعصر ويصلي بقية الصلوات في غمته فكثر وتحت حتى بعدد عن المدينة فصار
لا يشهد الا الجمعة ثم كثر وتحت فباعد أيضا عن المدينة حتى صار لا يشهد جمعة ولا
جماعة فكان اذا كان يوم الجمعة خرج يلقى الناس يسألهم عن الاخبار فذكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة قالوا يا رسول الله اتخذ عينا ما يسعها وادفعا
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى آية الصدقة فبعث رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلين رجل من بني سليم ورجل من جهينة وكتب لهما أنصاب
الصدقة وكيف يأخذانها وقال لهما ما را ثعلبة بن حاطب ورجل آخر من بني سليم فذا
صدقاتهم ما خرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال ما هذه الجزية أو ما هذه الأخت الجزية انطلقا حتى تفرا غائم عودا الى
فاظلقا وسمع بهما السلي فتنظرا الى خيار ابله فعزله الصدقة ثم استقبلهما بهما فلما رأياه قالاما
هذا قال خذاه فان نفسي به طيبة فترأى الى الناس وأخذ الصدقات ثم رجعا الى ثعلبة فقال
اروني كتابا فقرأه ثم قال ما هذه الجزية أو ما هذه الأخت الجزية اذهب حتى أرى رأيا قال
فذهب من عنده وأقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه قال قبل أن يتكلم
يا ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى ومنهم من عاهد الله لئن آتاه من فضله لنصدقن ولنكونن من
الصابحين فلما آتاهم من فضله يجلبوا به ويقولوا هم معروضون فأعقبهم ثم نقا في قلوبهم ثم الى يوم
يلقونه بما أذقوا الله ما وعده وبعما كانوا يكدبون ألم يعلم أن الله يعلم سرهم ونجواهم
وأن الله علام الغيوب وكان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة فسمع
ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة حتى أتى
الذي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل صدقته فقال ان الله تعالى منعني أن أقبل منك صدقة
لجعل ثعلبة يحنوا العرب على رأسه ووجهه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك قد
أمرتك فلم تطعني فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع الى منزله وقبض
رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقبل منه شيئا ثم أتى الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه
حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الانصار
فاقبل صدقتي فقال أبو بكر رضي الله عنه لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم
منك فلا أقبلها أنا فقبض أبو بكر رضي الله عنه ولم يقبلها فلما ولي عمر رضي الله عنه
أنا فقبض عمر رضي الله عنه فلم يقبلها منه وقال لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
أبو بكر رضي الله عنه فأما لا أقبلها وقبض عمر رضي الله عنه ولم يقبلها ثم ولي عثمان بن عفان
رضي الله عنه فسأله أن يقبل صدقته فقال له لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو
بكر ولا عمر رضي الله عنهم ما فانا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة عثمان رضي الله عنه فانظر
الى سوء عاقبة غدره كيف أذاقه وبال أمره ووسمه بسمة عارقت عابه بنصره
وأعقبه نقا فاجز به يوم فاتته وفقره فأى خزي أريج من ذلك الوفا بالمشاق وأى سوء أفتج
من غدر يسوق الى النفاق وأى عار أفضح من نقض العهد اذا عدت مساوى الاخلاق
وكان يقال لم يغدر غادر قط الا صغره منه عن الوفاء وانضاع قدره عن احتمال المكارة

في جنب نيل المكارم قال الشاعر

غدرت بأمر كنت أنت جذبتنا * اليه وبقس الشيعة الغدر بالعهد

ولما حلف محمد الامين للامون في بيت الله الحرام وهما وليا عهد طالبه جعفر بن يحيى
أن يقول خذني الله ان خذته فقال ذلك ثلاث مرات فقال الفضل بن الربيع قال لي
الاميين في ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله يا ابا العباس اجسد في نفسي أن امرى
لا يتم فقلت له ولم ذلك أعز الله الامير قال لاني كنت أحلف وأنا أقوى الغدر وكان كذلك
لم يتم أمره ووردي أخبار العرب أن الضيزن بن معاوية بن قضاة كان ملكا بين
دجلة والفرات وكان له هناك قصر مشيد يعرف بالجوسق وبلغ ملكه الشام فأغار على مدينة
سابور ذي الاكاف فأخذها وأخذ أخت سابور وقتل منهم خلقا كثيرا ثم ان سابور جمع
جيوشا وصار الى الضيزن فأقام على الحصن أربع سنين لا يصل منه الى شيء ثم ان النضيرة
بنت الضيزن عركت أي حاضت فخرجت من الرض وكانت من أهل دهرها وكذلك
كافوا يفعلون بنسائهم اذا حضن وكان سابور من أهل زمانه فرأها ورأته فعشقها
وعشقه وأرسلت اليه تقول ما تجعل لي ان ذلك على ما تمدم به هذه المدينة وتقتل أبي
فقال أحكمك فقال عليك بمعاماة مطوقة ورفاه فاكتب عليها ببيض جارية ثم أطلقها
فانها تقع على حائط المدينة فتنداعى المدينة كلها وكان ذلك طلسمالا يهدمها الا هو ففعل
ذلك فقالت له وأنا سفي الحرس الخرفاذا صرعا فاقبلهم ففعل ذلك فتداعت المدينة وفتحها
سابور عنوة وقتل الضيزن واحتمل ابنته النضيرة وأعرس بها فلما دخل بها لم تزل ليتمها
تتضرر وتتمل في فراشها وهو من حرير محشور برس النعام فالتس ما كان يؤذيها فاذا هو
ورقة آس التصقت بعكنتها وأثرت فيها وقيل كان ينظر الى مخ عظمها من صفاء بشرتها ثم ان
سابور بعد ذلك غدر بهم وقتلها قيل انه أمر رجلا فركب فرسا جوحا وضفر غداثرها بذنبه
ثم استركضه فقطعهما قطعا قطع الله ما غدره * وتقول العرب جزاني جزاء سمنار وهو أن
أزدي بن سابور لما خاف على ولدهم رام وكان قبله لا يعيش له ولد سأل عن منزل صحيح
مرى فدل على ظهر الجزيرة فدفع ابنه بهرام الى النعمان وهو عامله على ارض العرب وأمره
أن يني له جوسقا فامتثل امره وبني له جوسقا كالحسن ما يكون وكان الذي بنى الجوسق
رجلا يقال له سمنار فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه فقال لوعلمت أنكم توفوني اجرته ابنته
بناميد ورمع الشمس حيث دارت فقالوا وانك لتبني احسن من هذا ولم تبني ثم امر به فطرح
من أعلى الجوسق فقطع فكانت العرب تقول جزاني جزاء سمنار * ومن غدر عبد الرحمن بن
ملجم لعنه الله غدر بعلي رضي الله عنه وقتله * وعمر بن جرهموز غدر بالزبير بن العوام رضي
الله عنه وقتله * وابولؤلؤ غلام المغيرة بن شعبة لعنه الله غدر بأمر المؤمنين عمر بن الخطاب
رضي الله عنه وقتله * وجعل المنصور العهد الى عيسى بن موسى ثم غدر به وأخوه وقد تم
المهدي عليه فقال عيسى

أنسى بنو العباس ذبي عنهم * بسيفي ونار الحرب زاد سعيها

فقتلهم شرق البلاد وغربها * فذل معاديا وعز نصيرها

أقطع أرحاما على عزيرة * وأبدي مكيدات لها وأثيرها
فلما وضعت الأمر في مستقره * ولاحت له شمس تلال نورها
دعت عن الأمر الذي استحقه * وأوسق أوساق من الغدير عيرها
وخرج قوم لصيد فطردوا ضبعة حتى ألجوها إلى خباء أعراى فأجارها وجعل يطعمها ويسقيها
فبينما هو نائم ذات يوم أذويت عليه فبقرت بطنه وهربت بجاء ابن عمه يطالبه فوجده ملقى فتبعها
حتى قتلها وأنشد يقول

ومن يصنع المعروف مع غير أهله * يلاق كمالا في مجسرات عامر
أعدت لها لما استجارت بيته * أحاليب ألبان اللقاح الدرائر
وأسمها حتى إذا ما عككت * فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من * يجود بمعروف على غير شاكر

(وحكى بعضهم) قال دخلت البادية فإذا أنا بهجوزين يديهما شاة مقتولة وإلى جانبها جرو ذئب
فصالت أندرى ما هذا فقلت لا قالت هذا جرو ذئب أخذناه صغيرا وأدخلناه بيتنا وريناها
فلما كبر فعل بشاقي ماترى وأنشدت

بقرت شويهي وخجعت قومي * وأنت لثانتنا ابن ربيب
غذيت بدراها وثنأت معها * فمن أنبال أن بالذئب
إذا كان الطباع طباع سوء * فلا أدب بفسد ولا أديب

اللهم أنا وهذ لك من البغي وأهله ومن الغادر وفعله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم

(الفصل الثاني في السرقة والسراق) قبل مرّ عمر بن عبيد بجماعة وقوف فقال ما هذا قيل
السلطان يقطع سارقا فقال لا إله إلا الله سارق العلانية يقطع سارق السر وأمر الاسم كندر
بصلب سارق فقال أيها الملك اني فعلت ما فعلت وأنا كاره فقال وتصلب أيضا وأنت كاره
وسرق مدني قمصا فأعطاه لابنه يبعه فسرقت منه فجاءه فقال بكم بعته قال برأس المال
وقال اكمل السلي وكان لصافا نكا

واني لا استحي من الله أن أرى * اجر جر حبل لي في فيه بعير
وأن أسأل المرء الذي بعيره * وأبجال ربي في البلاد كعير
وقال الفرزدق

وان أبال كرشاء ليس يسارق * ولكن متى ما يسرق القوم يأكل

وكان اعمرو بن دويرة البجلي أخ قد كلف ينف عم له فنسوا وعليه الدار ذات ليلة فأخذه
اخوته وأتوا به خالد بن عبد الله القسري وجعلوه سارفا فأنسأ له خالد فصنعتهم ليدفع الفضيحة
عن الجارية فهم خالد قطعه فقال عمر وأخوه

أخالد قد والله أوطشت عذوة * وما العاشق المظلوم فينا بسارق
أقر بما رأته المرأة * رأى القطع خيرا من فضيحة عاشق

فعقاعنه خالد وزوجه الجارية

(الفصل الثالث فيما جاء في العداوة والبغضاء) قد ذكر الله عز وجل العداوة والبغضاء في كتابه العزيز فقال تعالى وألقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وقال تعالى ان الشيطان للانسان عدو مبين وقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا وقال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدو لكم فاحذروهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه العداوة تتوارث وقال زياد بن عبد الله

فلو أني بليت بهاشمي * خولته بنو عبد الممدان

صبرت على عداوته ولكن * تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

ورث رجل في وجه أبي عبيدة مكرها فأنشأ يقول

فلو أن لحى أذوهى لعبت به * سباع كرام أو ضباع وأذوب

لهون وجدى أولسلى مصيقي * ولكنما أودى بلمعى أكاب

وقيل لكسرى أى الناس أحب اليك أن يكون عاقلا قال عدوى قبل وكيف ذلك قال لانه

إذا كان عاقلا كفت منه في عافية وأمن وقيل كونه من المرء الدغل أخوف من الكاشع

المعلن فان مداواة أهل العلل الظاهرة أهون من مداواة ما خفي وبطن وقالوا اياك أن

تعادى من اذا شاء طرح ثيابه ودخل مع الملك في لحافه وقال أبو العتاهية

تخ عن القبيح ولا ترده * ومن أوليته حسنا فزده

ستلقى من عدوك كل كيد * اذا كاد العدو ولم تنكده

وكانت جليسة بنت مرة أخت جساس تحت كليب فقتل أخوها زوجها وهى حبلى بهم جبرس

ابن كليب فلما كبر وشب قال

أصاب أبي خالى وما أنا بالذى * أميل وأهرى بين خالى ووالدى

وأورث جساس بن مرة غصة * اذا ما اعترتنى حرها غير بارد

ثم قال بعد ذلك

بالرجال لقب ماله جلد * كيف العزاء وثارى عند جساس

ثم حل على خاله فقتله وقال

ألم ترني ثأرت أبي كليبيا * وقد يرجى المرشح للدخول

غسلت العار عن جسم ابن بكر * بجساس بن مرة ذى البتول

(بيت)

سن العداوة آباء لنا سلقوا * فلن تبيد ولا آباء أبنا

ويقال دار عدوك لاحد أمرين اما صداقة تؤمنك أو لفرصة تمكنك وكتب سويد الى

مصعب

فبلغ مصعبا عنى رسولى * وهل تلقى النصيح بكل وادى

تعلم أن أكثر من تناجي * وان ضحكوا إليك هم الاعادي
ويقال فلان كثر المراق مزا المذاق وقال الجراح لخارجي والله اني لا بعضك قال
أدخل الله الجنة أشدنا بغضا لصاحبه وانا أراد أن يشر وان أن يقد ابنه هرمز ولاية
العهد استشار عظماء ملكه فأنكروا عليه وقال بعضهم ان أمة تركية وقد علمت
في أخلاقهم ما علمت فقال ان الأبناء ينسبون الى الآباء لا الى الأمتها وكنت أم قباز
تركية وقد رأيت من حسن سيرته ما رأيت فقيل هو قصير وذلك يذهب يهساء الملك فقال ان
قصره من رجله ولا يكاد يرى إلا جالساً وراء كبا فلا يستبين ذلك فيه فتبيل هو بغض
في الناس فقال أواهك ابني هرمز فقد قيل اذا كان في الانسان خير واحد ولم يكن ذلك الخير
المحبة في الناس فلا خير فيه واذا كان فيه عيب واحد ولم يكن ذلك العيب البغض في الناس
فلا عيب فيه

ولست برا عيب ذي الود كاه * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليله * كما أن عين السخط تبدى المساويا
وفي المعنى قيل

وعين البغض تبرز كل عيب * وعين الحب لا تجد العيوب
وعن أبي حيان قال قال لقمان نقلت الصخور وجلت الحديد فلم أر شيأ أثقل من الدين
وأكلت الطيبات وعانقت الحسان فلم أر شيأ أذل من العافية وأنا أقول لو نزحوا البحار
وكنسوا الفقار لوجدوها أهون من شماتة الأعداء خصوصا اذا كانوا مساهمين
في نسب أو مجاررين في بلد اللهم انا نعوذ بك من تتابع الائم وسوء القهم وشماتة ابن العم
وقيل لا يوب عليه السلام أي شئ كان عليه في بلائك أشد قال شماتة الأعداء وأنشد
الجاحظ

تقول العاذلات تسل عنها * وداعل قلبك بالسلو
وكيف ونظرة منها اختلاسا * أذل من الشماتة بالعدو

وقال ابن أبي جبهة المهلب

كل المصائب قد تنزع على الفقي * فتهم غير شماتة الأعداء

وقال الجاحظ ما رأيت سنانا أنفذه من شماتة الأعداء وقيل لما قبض رسول الله صلى
الله عليه وسلم سمع عوته نساء من كنده وحضر موت نخضبن أيدهن وضربن بالدفوف
فقال رجل منهم

أبلغ أبا بكر اذا ما جثته * ان البغايا من بني مزام
اظهرن في موت النبي شماتة * وخضبن أيدهن بالعلام
فأقطع هديت اكفهن بصارم * كالبرق أومض في منون غمام

فكتب ابو بكر الصديق رضي الله عنه الى المهاجر عامله فأخذ ذهن وقطع أيدهن ويقال فلان
يتربص بك الدوائر ويتمنى لك الغوائل ولا يؤمل صلاحا الا في فسادك ولا رفعة الا في سقوط

حالك وقال حكيم لاتأمن عدوك وان كان ضعيافا فان القناة قد تقهمل وان عدمت
السنان قال الشاعر

فلاتأمن عدوك لو تراه * اقل اذا نظرت من القراد
فان الحرب ينشأ من جبان * وان النار تضر من رماد
(بيت مفرد)

فمن لم يكن منكم مسيئا فانه * يشد على كف المسمى فيجلب
وقال عبد الله بن سليمان بن وهب

كفاية الله خير من توقينا * وعادة الله في الماضين تكفيننا
كاد الا عادي فلا والله ما تركوا * قولوا وفعلوا وتلقينا وتمجينا
ولم نزد نحن في سر وفي علن * على مقالنا يا ربنا اكفيننا
فكان ذلك ورد الله حاسدنا * بغية لم نسل تقديره فينا

(الفصل الرابع في الحسد) قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من
فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان فان
كل ذي نعمة محسود وقال علي رضي الله عنه الحاسد مغتاط على من لا ذنب له وقيل
الحسود مخضبان على القدر ويقال ثلاثة لا يهنا أصحابها عيش الحقد والحسد وسوء
الخلق وقيل ينس الشعار الحسد وقيل لبعضهم ما بال فلان يفضك قال لانه شقيقي
في النسب وجاري في البلد وشريكي في الصناعة فذكر جميع دواعي الحسد وقال أعرابي
الحسد داء منصف يفعل في الحاسد أكثر من فعله في المحسود وهو مأخوذ من الحديث
قاتل الله الحسد ما أعله بدأ صاحبه فقتله وقال الفقيه أبو الليث السمرقندي رحمه الله
تعالى يصل الى الحاسد خمس عقوبات قبل أن يصل حسده الى المحسود أولا هاتم لا ينقطع
الشئ مصيبة لا يوجع عليها الثالثة مذمة لا يحمد عليها الرابعة سحق الرب الخامسة
يغلق عنه باب التوفيق (ومن ذلك ما حكى) أن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقتله
وأذناه وجعله نذير وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد
فغار من البدوي وحسده وقال في نفسه ان لم أحمل على هذا البدوي في قتله أخذ بقلب
أمير المؤمنين وأبعدني منه فصار يتلف بالبدوي حتى أتى به الى منزله فطبخ له طعاما وأكث
فيه من الثوم فلما كل البدوي منه قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك
رائحة الثوم فيأذي من ذلك فانه يكره رائحته ثم ذهب الوزير الى أمير المؤمنين فحلاه وقال
يا أمير المؤمنين ان البدوي يقول عندك للناس ان أمير المؤمنين أبغضهم وهاككت من رائحة فمه
فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كفه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما
راه أمير المؤمنين وهو يستتر به بكه قال ان الذي قاله الوزير عن هذا البدوي صحيح فكتب
امير المؤمنين كتابا الى بعض عماله يقول له فيه اذا وصل اليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله
ثم ردع بالبدوي ودفع اليه الكتاب وقال له امض به الى فلان واتني بالجواب فامتثل البدوي
ما رسم به امير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب اذ لقيه الوزير

فقال ابن تزييد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين الى عامله فلان فقال الوزير في نفسه ان هذا البدوي يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال له يادوي ما تقول فين يريحك من هذا الشعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك ألقى دينار فقال أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما رأيته من الرأي افعل قال أعطى الكتاب فدفعه اليه فأعطاه الوزير ألقى دينار وسار بالكتاب الى المكان الذي هو فاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير فبعده أيام تذكر الخليفة في أمر البدوي وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أياما ما ظهر وأن البدوي بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر بإحضار البدوي فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التي اتفقت له مع الوزير من أولها الى آخرها فقال له أنت قلت عني للناس اني أبحر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين أن اتحدث بما ليس لي به علم وانما كان ذلك مكرامته وحسدا وأعلمه كيف دخل به الى بيته وأطعمه النوم وما جرى له معه فقال أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعد له بدأب صاحبه فقتله ثم خلع على البدوي واتخذ وزيراً وراح الوزير بحسده وقال المغيرة شاعر آل المهلب

آل المهلب قوم ان مدحتهم * كانوا الاكارم آباء وأجداد

ان العرائن تلقاها محسدة * ولا ترى للثام الناس حسدا

وقال عمر رضي الله عنه يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك وقال مالك بن دينار شهادة القراء مقبولة في كل شيء الا شهادة بعضهم على بعض فانهم أشد تحاسدا من السيوس وعن أنس رضي الله عنه رفعه ان الحسدياً كل الحسنات كإناء كل النار الحطب وقال منصور الفقيه

مناقصة الفقي فيما يزول * على نقصان همته دليل

ومختار القليل أقل منه * وكل فوائد الدنيا قليل

يقول الله عز وجل الحاسد عدو نعمتي متسخط لفعلي غير راض بقسمتي التي قسمت لعبادي قال الشاعر

أباحسد الى علي نعمتي * أئذرى علي من أسأت الادب

أسأت علي الله في حكمه * لانك لم ترض لي ما وهب

فاخرالك ربي بان زادني * وستدعيلك وجوه الطلاب

وقال الاصمعي رأيت أعرابيا قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة فقلت له ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقالوا لا يخجلوا السيد من دود وديدح وحسود يدح وقال ابن مسعود رضي الله عنه ألا لاتعدوا نعم الله قيسل ومن يعادي نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقيل لعبد الله بن عروة لم لزمتم البدو وتركتم قومك فقال وهل بقي الاحاسد على نعمة أو شامت على نكبة وقال الشاعر

يا طالب العيش في أمن وفي دعة * رغدا بلا فتراصقوا بلا رنق

خلص فؤادك من غل ومن حسد * فالغل في القلب مثل الغل في العنق

وقال آخر

اصبر على حسد الحسود * دفان صبرك قائله
كالنار تأكل بعضها * ان لم تجد مانأ كاله
وفي نوابغ الحكم الحسد حسك من تعلق به هلك * ولبعضهم
ان حسدت فزاد الله في حسدى * لا عاش من عاش يوما غير محسود
وقال نصر بن سيار

ان نشأت وحسادى ذو وعد * يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا
ان يحسدونى على ما بى لم يسم * فقل ما بى مما يجلب الحسد
وكان عمر رضى الله عنه يقول نعوذ بالله من كل قدر وافق ارادة حاسد وقيل لارسطاطليس
ما بال الحسود أشد غما قال لانه أخذ بنصيبه من غوم الدنيا ويضاف الى ذلك غمه لسرور
الناس والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الباب الاربعون فى الشجاعة وغرمتها والحروب وتدبيرها وفضل الجهاد وشدة البأس
والتحريض على القتال وفيه فصلان

(الفصل الاول فى فضل الجهاد فى سبيل الله وشدة البأس) قد أثنى الله تعالى على
الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ووصف المجاهدين فقال تعالى ان الله يحب
الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وندب الى جهاد الاعداء ووعد عليه
أفضل الجزاء والرأى فى الحرب امام الشجاعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب
خدعة وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة أحب الى الله تعالى من قطرة دم فى سبيله
أو قطرة دم فى جوف ليل من خشيته وسمع رجل عبد الله بن قيس رضى الله عنه يقول
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تحت ظلال السيوف فقال يا أبا موسى أنت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال نعم فرجع الى أصحابه فقال أقرأ عليكم
السلام ثم كسر جفن سيفه فألقاه ثم مشى بسيفه الى العدة فضرب به حتى قتل وكتب
أبو بكر الصديق رضى الله عنه الى خالد بن الوليد اعلم أن عليك عيونا من الله ترعاه وترأى
فاذا القت العدة وفارص على الموت تهب لك السلامة ولا تغسل الشهداء من دماهم
فان دم الشهيد يكون له نور يوم القيامة وعن أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين اتهمنا الى خيبر الله اكبر خربت خيبرانا اذ انزلنا بساحة قوم فساء صباح
المنذرين وعنه رفعه لعدوة فى سبيل الله أو روضة خير من الدنيا وما فيها وعن ابن مسعود
رفعها ان ارواح الشهداء فى حواصل طيور خضر لها قناديل معلقة بالعرش تشرح من الجنة
حيث شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل وقيل ان أنس بن النضر عم أنس بن مالك رضى الله
عنه لم يشهد بدرا فلم يزل مختسرا يقول أول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غيب
عنه فلما كان يوم أحد قال واها لريح الجنة دون أحد فقاتل حتى قتل فوجد فى بدنه بضع
وثمانون ما بين ضربة وطعنة ورمية فقالت أخته الربيع بنت النضر فما عرفت أخى الا ببنايه
وعن فضالة بن عبيد رفعه كل ميت يهضم على عماله الا المرابطا فانه ينفى له عمله الى يوم القيامة

ويؤمن من قسنة القبر وعن سهل بن حنيف رفعه من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وان مات على فراشه فسأل الله أن يرزقنا الشهادة ويجعلنا من الذين أحسنوا فلهم الحسنى وزيادة

(الفصل الثاني في الشجاعة وغرورها والحروب وتدبيرها) اعلم ان الشجاعة عماد الفضائل ومن فقد هالم تسكمل فيه فضيلة ويعبر عنها بالصبر وقوة النفس قال الحكماء وأصل الخبر كله في ثبات القلب والشجاعة عند اللقاء على ثلاثة أوجه الوجه الاول اذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران وتسكالت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعركة يحمل ويكتر وينادي هل من مبارز والثاني اذا انشب القوم واخذوا ولم يدرك احد منهم من أين يأتيه الموت يكون رابط الجأش ساكن القلب حاضر القلب لم يخالطه الدهش ولا تأخذه الحيرة فيقلب قلب المالك لا موره القاتم على نفسه والثالث اذا انهزم اصحابه بلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم ويقوى قلوب اصحابه ويربحي الضعيف ويمدهم بالكلام الجليل ويشجع نفوسهم فن وقع أقامه ومن وقف حمله ومن كابه فرسه جاء حتى يياس العدو منهم وهذا أجدهم شجاعة وعن هذا قالوا ان المقاتل من وراء الفارين كالمستغفر من وراء الغافلين ومن اكرم الكرم الدفاع عن الحرم (وحكى) سيدي أبو بكر الطرطوشي رحمه الله تعالى عليه في كتابه سراج الملوك قال كان شيوخ الجند يحكون لثاني بلادنا قالوا دارت حرب بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا في المعركة قطعة خودة قد رالت بجاوته الرأس فقالوا انه لم يرق ضربة أقوى منها ولم يسمع مثلها في جاهلية ولا اسلام فحملها الروم وعلقته في كنيسة لهم فكانوا اذا عبروا بانزاعهم يقولون لقينا أقواما هذا ضربهم في رجل أبطال الروم المهاجرون قالوا ومن الحزم أن لا يحترق الرجل عدوه وان كان ذليلا ولا يغفل عنه وان كان حقيقا فكم يرغبون أسهرا فيلا ومنع الرفاد ملكا جليلا قال الشاعر

فلا تحقرن عدو ارمالك * وان كان في ساعديه قصر

فان السيف تحز الرقاب * ونجس عمتال الابر

واعلموا ان الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتباً ورتبوا فيها ترتيباً وانصف منها اشياء تبدأ منها ولا يماذكره الله تعالى في القرآن العظيم قال الله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فقله تعالى ما استطعتم مشتمل على كل ما هو في مقدور البشر من العدة والآلة والخيالة وفسر النبي صلى الله عليه وسلم القوة حين مر على أناس يرمون فقال الان القوة الرمي ألان القوة الرمي ألان القوة الرمي وأفضل العدة أن تقدم بين يدي اللقاء عملاً صالحاً من صدقة وصيام ورد المظالم وصله الرحم ودعاء مخلص وأمر معروف ونهي عن منكر وأمثال ذلك والشان كل الشان في استجداء القواد وانتخاب الامراء واصحاب الاولية فقد قالت حكماء العجم أسد يقود ألف نعلب خير من نعلب يقود ألف أسد فلا ينبغي أن يقدم الجيش الا الرجل ذو البسالة والتجربة والشجاعة والجرأة ثابت الجأش صارم القلب صادق البأس عن قد توسط الحروب وما رص

الرجال وما رسوه ونازل الاقارن وقارع الابطال عارفاً بما وضع القرح من خبير بما وقع القلب
والمنية والميسرة من الحروب فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رأيه كانوا جميعاً
كانهم مثله فانه ان رأى لقراع الكتائب وجهها والارداً الغنم الى الزريبة واعلم ان الحرب
خدعة عند جميع العقلاء وكان عظماء التركة يقولون ينبغي للعاقل العظيم القيادة ان يكون
فيه عدة اخلاق من اخلاق البهائم شجاعة اليك وبحس الدجاجة وقلب الاسد ووجه
الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركي وغارة الذئب
ومن غير وهي دويبة تكون بخفاسان تسمي على التعب والشقاء * وكان يقال أشد خلق الله
تعالى عشرة الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تأكل الحديد والماء يطفى النار
والسحاب يحمل الماء والريح تصرف السحاب والانسان يتقى الريح بجناحيه والسكر
يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهيم يمنع النوم فأشد خلق ربك الهيم اللهم انا
نعوذ بك من الهيم والحزن * ومن الخيل في الحرب أن يث جو ايسيه في عسكره عدوه ليستعلم
أخبارهم ويستميل قلوب رؤسائهم وذوى الشجاعة منهم فيدس اليهم ويعددهم وعدا جيلة
ويقوى أطماعهم في نيل ما عندهم من الهبات الفخيمة والولايات السنية وان رأى وجهها
عاجلهم بالهدايا وسامهم اما الغدر بصاحبهم واما الاعتزال وقت اللقاء ويكتب على السهام
أخبار امرؤ ويريح بها في جيوشهم واعلم أن الحيلة لا ترد القضاء والقدر وأن الدول
اذا زالت صارت حيلتها وبالاعليها واذا اذن الله تعالى في حلول البلاء كانت الآفة في الحيلة
وقال الحكماء اذا نزل القضاء كان العطب في الحيلة ويغلب الضعيف باقبال دولته كما يغلب
القوى بيقام مدته فمن الحزم المألوف عند سؤاس الحروب أن تكون حجة الرجال وكما
الابطال في القلب فانه اذا انكسر الجناحان كانت العيون ناظرة الى القلب فاذا كانت
رايته تتحقق وطبولة تضرب كان حصناً للجناحين بأوى اليه كل منهم * واذا انكسر القلب
تمزق الجناحان مثال ذلك أن الطائر اذا انكسر أحد جناحيه ترجى عودته ولو بعد حين
واذا انكسر الرأس ذهب الجناحان وقل عسكر انكسر قلبه فافلح أو تراجع اللهم الآن
تكون مكيده من صاحب الجيش فيخلى القلب قصداً وتعمداً حتى اذا توسطه العدو
واشغل بهبه انطبق عليه الجناحان فقد فعل ذلك رجال من اهل الحروب ويقال حبيب
الى عدوك القرار بان لا تتبعهم اذا انهزموا ويقال الشجاع محب حتى الى عدوه والجبان
مبغض حتى الى أمته * ولما أقبل كسرى بن هرمز الى محاربة بهرام قال له صاحبه أمانتني
قال عدتي ثبات قلبي واصابة رأيي ونصل سيفي ونصرة خالقي * وخرج يزيد بن عبد الملك
من بعض مقاصيره وعليه درع وذلك في أيام قتال يزيد بن المهلب فأنتشده مسلمة قول
الخطيئة

قوم اذا حاربوا شدوا ما آزرهم * دون النساء ولو بات باطهار

فقال يزيد انما اذا حاربنا اكفاءنا وأما مثل هذا ونظر ائمه فلا فقام اليه مسلمة فقبله بين
عينيه * وقيل للمامات ملك القرس أرادوا أن يملكوا عليهم رجلاً من آل ساسان فوجد

عليهم بهرام جور فقال اعدوا الى أسدين - ثعين فاطر حوايتنهما التاج فن أخذوه فهو الملك
فقتلوا فداناهم صافا هو يانحوه فأخذ برأس أحدهم فأذناه من رأس الآخر ثم قطع به
فقتلها جميعا وشد على التاج فأخذه ووضع على رأسه وملكه القرس عليهم * وقيل لم يكن
في العجم أرمي من الملك بهرام خراج يتصيد يوما وهو مردف حذلة له كان يعتقها فعرض له
طبائعا فقال في أي موضع تريد أن أضع هذا السهم فقاتل أريد أن تشبه ذكرا ثم بالاثان
واناها بالذكران فرمى طبيا ذكرا بنشابة ذات شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى طبية بنشابتين
اثبت ما في موضع القرنين ثم سأله أن يجمع بين ظلف الطي وأذنه بنشابة فرمى أصل الأذن
بيندقة ثم أهوى الطي برجله الى أذنه ليحتك فرماه بنشابة فوصل أذنه بظلفه * ويقال ان من
اعظم المكايد في الحرب السكين وذلك أن الفارس لا يزال على حبة في الدفاع وحى الذمار
حتى يلتفت فيرى وراءه بندامشورا ويسمع صوت الطبل فيعتقد يكون همه خلاص نفسه
وعليك يا انتخاب الفرسان واختيار الابطال ولا تنس قول الشاعر

والناس ألف منهم كواحد * وواحد كالألف ان امرعى

بل قد جرب ذلك فوجد الواحد خيرا من عشرة آلاف وسأحكى لك من ذلك ما ترى فيه العجب
ففي ذلك لما اتى المستعين بن هود مع الطاغية بن روميل النصراني على مدينة وشقة من نفور
بلاد الاندلس وكان العدو ~~ك~~ وان كالتسكافئين كل واحد منهما يقارب عشرين ألف
مقاتل خيل ورجل فحدث من حضرة الوتعة من الاجناد قال لما دنا اللقاء قال الطاغية بن
روميل لمن يشق بقله ويمارسه العروب من رجاله استعلم لي من في عسكر المسلمين من الشجعان
الذين يعرفهم كما يعرفوننا ومن غاب منهم ومن حضر فذهب ثم رجع فقال فيهم فلان وفلان
فعدت سبعة رجال فقال له انظر من في عسكرى من الرجال المعروفين بالشجاعة ومن غاب
منهم فعدهم فوجدتهم غانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية صاحكا مسرورا وهو يقول
ما أبيضك من يوم ثم ثارت الحرب بينهم فلم تزل المضاربة بين الفريقين لم يول أحدهم دبره
ولا تخرج عن مقامه حتى فنى أكثر العسكرين ولم يفتروا أحدهم منهم قال فلما كان وقت العصر
نظروا اليها ساعة ثم جلاوا على المناجلة وداخلوا ما دخلوا ففتروا بيننا وصرا شاطرين وحلوا
بيننا وبين أصحابنا فكان ذلك سبب وهننا وضعفنا ولم تقم الحرب الا ساعة ونحن في خسارة
معهم فاشار مقدم العدو ~~ك~~ على الساطن أن ينجو بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق
جمعهم وملك العدو مدينة وشقة فليعتبر ذو الحزم والبصرة من جمع يحتوى على أربعين ألف
مقاتل ولم يحضره من الشجعان العدو دين الا خمسة عشر نفرا واعتبر بضممان العلي بالظفر
واستبشاره بالغبية لما زاد في أبطاله رجل واحد * (وحكى) سيدى أبو بكر الطرطوشى رحمة
الله تعالى عليه قال سمعت استاذنا لقاضى أبا الواسد يبيحى قال بيننا المنصور بن أبى عامر
في بعض غزواته اذ وقف على ثمن من الارض مرتفع فرأى جيوش المسلمين من بين يديه ومن
خلفه وعن يمينه وعن شماله قداموا السهل والجبل فالتفت الى مقدم العسكر وهو رجل
يعرف بابن المنجعي فقال له كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير قال أرى جمعا كثيرا وجيشا
واسعا كبيرا فقل له المنصور ما ترى هل يكون في هذا الجيش أحد مقاتل من أهل الشجاعة

والنجدة والسالة فسكت ابن المضجعي فقال له المنصور ماسكوكك أليس في هذا الجيش ألف مقاتل قال لا فتعجب المنصور ثم قال فهل فيهم خمسة مائة مقاتل من الأبطال المعدودين قال لا تخفى المنصور ثم قال أقيم مائة رجل من الأبطال قال لا قال أقيمهم خسون رجلا من الأبطال قال لا قال فسيه المنصور وأغلظ عليه وأصر به فأخرج على أسوأ حال فلما توسطوا بالبلاد الروم اجتمعت الروم وتضاف الجمعان فبرز علي من الروم بين الصفين شاكى السلاح وجعل يكثر ويقر ويقول هل من مبارز فبرز إليه رجل من المسلمين فتجا ولا ساعة فقتله العلي ففرح المشركون وصاحوا واضطرب المسلمون لها ثم جعل العلي يوج بين الصفين وينادي هل من مبارز اثنين لواحد فبرز إليه رجل من المسلمين فتجا ولا ساعة فقتله العلي وجعل يكثر ويحمل وينادي ويقول هل من مبارز ثلاثة لواحد فبرز إليه رجل من المسلمين فقتله العلي فصاح المشركون وذلة المسلمون وكادت أن تكون كسرة فقبل المنصور ومالها إلا ابن المضجعي فبعث إليه فخر فقال له المنصور ألا ترى ما يصنع هذا العلي الكلب منذ اليوم فقال لقد رأيته فما الذي تريد قال أن تسكني المسلمين شره قال الآن يكفي المسلمون شره إن شاء الله تعالى ثم قصد إلى رجال يعرفهم فاستقبله رجل من أهل الثغور على فرس قد تهتت أورا كهها زلا وهو حامل قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل في حليته ونفسه غير متصنع فقال له ابن المضجعي ألا ترى ما يصنع هذا العلي منذ اليوم قال قد رأيته فما الذي تريد قال أريد أن تسكني المسلمين شره قال حسا وكرامة ثم أنه وضع القربة بالأرض وبرز إليه غير مكترث به فتجا ولا ساعة فلم ير الناس إلا المسلم خارجا إليهم يركض ولا يدرون ما هنالك وأذا برأس العلي يلعب بها في يده ثم ألقى الرأس بين يدي المنصور فقال له ابن المضجعي عن هؤلاء الرجال أخبرتك قال فرد ابن المضجعي إلى منزله وأكرمه ونصر الله جيوش المسلمين وعساكر الموحدين* (وحكى) أنه كان للعرب فارس يقال له ابن فتحون وكان أشجع العرب والحجم في زمانه وكان المستعين يكرمه ويعظمه ويجري له في كل عطية خمسة مائة دينار وكانت جيوش الكفار تهابه وتعرف منه الشجاعة وتحشى لقاءه فيحكي أن الرومي كان إذا سقى فرسه ولم يشرب يقول له ويا لك لم لا تشرب هل رأيت ابن فتحون في الماء فحسده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزاته من السلطان فوشوا به عند المستعين فأبعده ومنعه من عطائه ثم إن المستعين أنشأ غزوة إلى بلاد الروم فتقابل المسلمون والمشركون صنفوا ثم برز علي إلى وسط الميدان ونادى وقال هل من مبارز فبرز إليه فارس من المسلمين فتجا ولا ساعة فقتله الرومي فصاح المشركون سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب الرومي يجول بين الصفين وينادي هل من اثنين لواحد فخرج إليه فارس من المسلمين فقتله الرومي فصاح الكفار سرورا وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الكلب يجول بين الصفين وينادي ويقول ثلاثة لواحد فلم يجترئ أحد من المسلمين أن يخرج إليه وبقي الناس في حيرة فقبل السلطان مالها إلا أبو الوليد بن فتحون فدعاه ولطف به وقال له يا أبا الوليد أمارى ما يصنع هذا العلي فقال ها هو بعيني قال فما الجيلة فيه قال الساعة أكنى المسلمين شره فلبس قميص كان واستوى على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ يده سوطا طويلا وفي طارفه عقدة معقودة ثم برز إليه فتعجب

منه النصراني ثم جعل كل واحد منهم على صاحبه فلم تخط طعنة النصراني سرج ابن فحقون
 وإذا ابن فحقون متعلق برقبة الفرص ونزل الى الارض لاشئ منه في السرج ثم انقلب في
 سرجه وجعل على العليج وضربه بالسوط فالتوى على عنقه فخذبه بيده من السرج فاقتلعه
 وجاء به يجره حتى ألقاه بين يدي المستعين فعلم المستعين أنه كان قد أخطأ في صنعه مع أبي
 الوليد بن فحقون فاعتذر اليه وأكرمه وأحسن اليه وبالغ في الانعام عليه وردّه الى
 أحسن أحواله وكان من أعز الناس اليه * وينبغي لقائد الجيش أن يحفي العلامة التي هو
 مشهور بها فان عدوه قد يستعلم حليته وألوان خيله ورايته ولا يلزم خيمته ليسا ولا
 نهارا وليبدل زيه ويغير خيمته كيلا يلتصق عدوه غرته منه وإذا سكن الحرب فلا يمتنع
 في النفر اليسير من قومه خارج عسكره فان عيون عدوه متجسسة عليه وبهذا الوجه كسر
 المسلمون جيوش افر بقية عند فتحها وذلك أن الحرب سكنت وسط النهار فجعل مقدم العدو
 يمشي خارج عسكره تيز عساكر المسلمين فجاء الخبر الى عبد الله بن أبي السرح وهو قائم في قبته
 فخرج فيمن وثق به من رجاله وجعل على العدو وقتل الملك وكان الفتح وبمثل هذا قهر البارسلان
 ملك الترك ملك الروم وقعه وقتل رجاله وأباد جمعه وكانت الروم قد جعلت جيوشا يقاتل أن
 يجمع لغيرهم من بعدهم مثلها وكان قد بلغ عددهم ستمائة ألف مقاتل ككاتب متواصلة
 وعساكر مترادفة وكرايس يتلو بعضها بعضا لا يدركهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد
 استعدوا من الكراع والسلاح والمجانيق والآلات المعدة للحروب وفتح الحصون
 بما لا يحصى وكانوا قد قسموا بلاد المسلمين الشام والعراق ومصر وخراسان وديار بكر ولم
 يشكوا أن الدولة قد دارت لهم وأن فجوم السعود قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين
 فتواترت أخبارهم الى بلاد المسلمين واضطربت لها ممالك أهل الاسلام فاحتشد للقائهم
 الملك البارسلان وهو الذي يسمى الملك العادل وجمع جموعه بمدينة اصبهان واستعدت
 بما قدر عليه ثم خرج يؤتهم فلم يزل العسكران يتدانيان الى أن عادت طلائع المسلمين الى
 المسلمين وقالوا للبارسلان غدا يترأى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم في عدد
 لا يحصيهم الا الله الذي خلقهم وما المسلمون فيهم الا كلة جائع فبقى المسلمون وجاين لما
 دهمهم فلما أصبحوا صباح يوم الجمعة نظروا بعضهم الى بعض فهال المسلمين ما رأوا من
 كثرة العدو وقامر البارسلان أن يعتد المسلمون فبلغوا اثني عشر ألفا فكانوا
 كالشامة البيضاء في الثور الاسود فجمع ذوى الرأي من أهل الحرب والتدبير والشفقة على
 المسلمين والنظر في العواقب واستشارهم في استخلاص أصوب الرأي فتشاوروا وبرهه ثم
 اجتمع رأيهم على اللقاء فتوادع القوم وتحالوا وانصحبوا الاسلام وأهلها وتأهبوا أهبة اللقاء
 وقالوا للبارسلان بسم الله نحمل عليهم فقال البارسلان يا معشر أهل الاسلام أمهلوا فان
 هذا يوم الجمعة والمسلمون يخطبون على المنابر ويدعون لنا في شرق البلاد وغربها فإذا زالت
 الشمس وعلمنا أن المسلمين قد صالوا ودعوا الله أن ينصر دينه حملنا عليهم اذ ذلكم كان
 البارسلان قد عرف في خيمة ملك الروم وعلامته وزيه وزينته وفرسه ثم قال لرجاله لا يتخلف

أحد منكم أن يفعل كفعلي ويتبع أثرى ويضرب بسيفه ويرى بسهمه حيث أضرب
بسيفي وأرى بسهمي ثم جعل رجله جلة رجل واحد إلى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان
دونهم ووصلوا إلى الملك فقتلوا من كان دونه وجعلوا ينادون بلسان الروم قتل الملك قتل الملك
فسمعت الروم أن ملكهم قد قتل فنبذوا وغزوا كل عمق وعمل السيف فيهم أياماً وأخذ
المسلمون أموالهم وغنائمهم وأتوا بالملك أسيراً بين يدي البارسلان والحبل في عنقه فقال
له البارسلان ماذا كنت تصنع بي لو أسرني قال وهل تشك أني كنت أقتلك فقال له
البارسلان أنت أقل في عيني من أن أقتلك اذهبوا به فيبعوه لمن يريذ فيه فكان يقاد والحبل
في عنقه وينادي عليه من يشتري ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به على الخيام
ومنازل المسلمين ويناديون عليه بالدرهم والقلوس فلم يدفع فيه أحداً شيئاً حتى باعوه من
إنسان بكلب فأخذ الذي ينادي عليه وأخذ الكلب وأتى بهم إلى البارسلان وقال قد
طقت به جميع العسكر وناديت عليه فلم يبدل أحدهم شيئاً سوى رجل واحد دفع فيه
هذا الكلب فقال قد أنصفك إن الكلب خير منه ثم أمر البارسلان بعد ذلك بإطلاقه
وذهب إلى القسطنطينية فعزله الروم وتخلوه بالنار فانتظر ماذا يأتي على المملوك إذا عرفوا
في الحرب من الحيلة والمكيدة اللهم أنصر جيوش المسلمين وعساكر الموحدين وأهلك
الكفرة والمشركين وانصر المسلمين نصر عزيزاً برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين

الباب الحادي والأربعون في ذكر أسماء الشجعان وذكر الأبطال وطبقاتهم وأخبارهم
وذكر الجبناء وأخبارهم وذم الجبن

(الطبقة الأولى الذين أدركو الجاهلية والاسلام) * حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عم
رسول الله صلى الله عليه وسلم أسد الله وأسدرسوله قتل في غزاة أحد رماه وحشي مولى جابر
ابن مطعم بحربة فقتله وكان فارس قريش غير مدافع وبطاهما غير عمانع وعظم قتله على النبي
صلى الله عليه وسلم ونذر أن يقتل به سبعين رجلاً من قريش وكبر عليه في الصلاة سبعين تكبيرة
* أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكثر وجهه آية من آيات الله ومعجزة من
معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤيد بالتأييد الإلهي ككشف الكروب ومجلبها
ومثبت قواعد الاسلام ومرسما وهو المتقدم على ذوي الشجاعة كلهم بالامرية ولا خلاف
روى عنه رضي الله عنه أنه قال والذي نفس ابن أبي طالب بيده لا ألف ضربة بالسيف أهون
علي من موته على فراش وقال بعض العرب ما لقينا كتيبة فيها علي بن أبي طالب رضي الله
عنه إلا أوصى بعضنا على بعض وقال رضي الله عنه لمعاوية قد دعوت الناس إلى الحرب فدع
الناس جائباً وأخرج إلى ليعلم أينا المران على قلبه والمغطى على بصره وأنا أبو الحسن قاتل
جذلك ونالك وأخيك شدخاؤوم بدر ذلك السيف معي وبذلك القلب ألقى عدوي وقيل له كرم
الله وجهه إذا جالت النمل فأين يطلبك قال حيث تركتموني وقيل له كيف كنت تقتل الأبطال
قال لاني كنت ألقى الرجل فاقتدر أني أقتله ويقتله هو أني قتله فأكون أنا ونفسي عوناً
عليه وقال مصعب بن الزبير كان علي رضي الله عنه حذراً في الحروب شديد الروعان

لا يكاد أحد يتمكن منه وكانت درعه صدر الاظهر لها فقبل له ما تخاف أن تؤذي من قبل
ظهورك فقال اذا مكنت عدوى من ظهري فلا يبقى الله عليه أن أبقى على قتله عبد الرحمن
ابن ملجم المرادي لعنة الله تعالى عليه غدره وهو في صلاة الصبح وسبب ذلك أن عبد الرحمن
ابن ملجم لعنة الله تزوج بقطام بنت علقمة وكانت خارجية فقالت له لا أقتع الا بصداق أسميه
وهو ثلاثة آلاف درهم وعبد وامة وأن تقتل علي بن أبي طالب فقال له لالك ما سألت الا علي
ابن أبي طالب وكيف لي به قالت نقتله فان سلحت أرحمت الناس من شره وأقت مع أهلك وان
أصبحت دخلت الجنة فقال

ثلاثة آلاف وعبد وقيمة * وضرب علي بالحسام الخدم

فلامهر أغلى من علي وان علا * ولا تقتل الادون قتلك ابن ملجم

وقيل انه طعنه وهو داخل المسجد في الغلس وذلك في تاسع عشر رمضان المعظم سنة
أربعين وكتب رضي الله عنه في ثلاثة أبواب ودفن في الرحبة بمحالي باب كندة
من أبواب المسجد قالوا وما ضربه ابن ملجم لعنة الله نار الحس والحسين وعبد الله بن جعفر
رضي الله عنهم فاحتضنوه وقام المغيرة بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب فأخذه فأوما
علي رضي الله عنه الى المغيرة أن يصل بالناس فصرى بهم الفجر وأقبلت همدان فدخلوا علي
علي فقالوا يا أمير المؤمنين لا تقوم لهم قائمة ان شاء الله تعالى فقال لا تفعلوا انما النفس
بالنفس قال ثم ان الحسن رضي الله عنه صلى الفجر وصعد المنبر فأراد الكلام فحتمته العبرة
ثم نطق فقال الحمد لله على ما أحيينا وكرهنا وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد
أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم وانى أحسب عند الله عز وجل مصابى بأفضل
الاتباع رسول الله المقاتل صلى الله عليه وسلم من أصيب بصيبة فليتصل بمصيبته في فأنها عظم
المصاب والله الذي لا اله الا هو الذي أنزل على عبده الفرقان لقد قبض في هذه الليلة رجل
ما سبقه الا ولون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدركه الا خرون فعند الله نحتسب
ما دخل علينا وعلى جميع أمة محمد صلى الله عليه وسلم فوالله لا أقول اليوم الاحقاد لقد
دخلت مصيبته اليوم على جميع العباد والبلاد والشجر والدواب ولقد قبض في الليلة التي
رفع فيها عيسى بن مريم عليهما السلام الى السماء وقبض فيها موسى بن عمران ويوشع بن نون
عليهما السلام وأنزل فيها القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ولقد كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبعث في السرية ويسير جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فيجمع حتى يفتح
الله عز وجل على يديه ومازك صفراء ولا بيضاء الا سبعة مائة درهم أراد أن يتباع بها
خادما لاهله الا أن أموره تعالى تجرى على أحوالها فافأ أحسنها من الله وأسوأها من
أنفسكم الان قريباً أعطت أزمته شياطينها فقادت بها عنتها الى النار ففهم من قاتل
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أظهره الله تعالى عليه ومنهم من أسر الضغينة حتى وجد
على المقاتل أعوانا رفع الكتاب وجف القلم وأمور تقضى في كتاب قد خلا ثم أطرق الحسن
فبكى الناس بكاء شديدا ثم نزل فجز دسيقه ودعا ابن ملجم فأقبل يخطر واضعاً شعره على
أذنيه حتى قام بين يديه فقال يا حسن انى ما عاهدت الله تعالى على عهد قط الا وفيت به

عاهدت الله تعالى على أن أقتل أبالك وقد قتلتك فان تخلفي اقتتل معاوية فان أتاقتكته أخضع
يدي على يدك وان أقتل فهو الذي تريد فقال الحسن رضي الله عنه أما والله لا سبيل إلى
بقائك ثم قام إليه فضم يده بالسيف فأتاه ابن ملجم بيده ثم أسرع السيف فيه فقتله * وأمن
الابطال خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي رضي الله عنه سيف الله وسيف رسول الله صلى
الله عليه وسلم بطل مذكور وفارس مشهور في الجاهلية والاسلام قتل مالك بن نويرة
وقتل مسيلة الكذاب لعنه الله وكان الفتح على اليوم اليمامة وهو الذي فتح دهشوق
وأكثر بلاد الشام وله وفائع عظيمة في الروم أيد الله بها الاسلام مات على فراشه
وكان يقول لقد شهدت كذا وكذا زحفا وما في جسدي موضع شبر الا وفيه أثر من
طعنة أو ضرب أو رمية وهما أنا أموت على فراشي لأنمت عين الجبان وكان ينشد ويرتجز
ويقول

لا ترتعونا بالسيف المبرقه * ان السهام بالدي مفقوه
والحرب دونها العقل مطلقه * وخالد من دينه على ثقه

رضي الله عنه * الزبير بن العوام رضي الله عنه حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن
عمته بطل شجاع لا يعارى وشهم لا يجارى قتله عمرو بن جرهموزا غتاله وهو في الصلاة * عمرو
ابن معد بكرب الزبيدي فارس من فرسان الجاهلية وله مواقف مذكورة ومواطن
مشهورة وأسلم ثم ارتد ثم عاد إلى الاسلام وشهد حروب الفرس وكان له فيها أفعال عظيمة
وأحوال جسيمة وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رآه قال الحمد لله
الذي خلقنا وخلق عمرا وروى عنه رضي الله عنه أنه سأله يوما فقال له يا عمر وأى السلاح
أفضل في الحرب قال نعم أي ما تسأل قال ما تقول في السهام قال منها ما يخطئ ويصيب قال
فما تقول في الرمح قال أخوك ورب ما خالك قال فما تقول في الترس قال هو الدائر وعليه
تدور الدوائر قال فما تقول في السيف قال ذلك العدة عند الشدة وقيل انه نزل يوم القادسية
على النهر فقال لأصحابه اني عابر على هذا الجسر فان أسرعتم مقدار جزر الجزر وجدتموني
وسبق يدي أنا فاني به تلقا وجهي وقد عرفني القوم وأنا قائم بينهم وان أبطأتم وجدتموني
قبلا بينهم ثم انهم حمل على القوم فقال بعضهم لبعض يا بني زبيد علام تدعون
صاحبكم والله ما نطق انكم تدركونه حيا فحملوا فانتم واليه وقد صرع عن فرسه وقد أخذ
برجل فرس رجل من الجهم فأمسكها والفارس يضرب فرسه فلم تقدر أن تبتعد فلما رآنا
أدركناه رمي الرجل نفسه وخلي فرسه فركبه عمرو وقال أنا أنوور كدتم والله ففقدوني فقالوا
أين فرسك فقال رمي بنشابة فغمار وشب فصرعني ويروى أنه حمل يوم القادسية على رستم
وهو الذي كان قدمه برجر دملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين فاستقبله عمرو
وكان رسمه على فيل فضرب عمرو الفيل فقطع عرقه به فسقط رسمه وسقط الفيل عليه مع
خرج كان فيه اربعون الف دينار فقتل رسمه وانهم زمت الجهم وقتل عمرو بنهما وبندي وقعة
الفرس بعد أن عمر حتى ضعف وكان من الشعراء المعهودين وفيه يقول العباس
ابن مرداس

اذا مات عمر وقت للخيل أوطئ * زيد انقدأودي بنجدتها عمرو
طلحة الاسدي رضى الله عنه كان من أكبر الشجعان جاهلية واسلاما ثم ارتد وتبأ وجمع جمعا
عظيما فقل خالد بن الوليد جمعه وكان يسكنهم ثم عاد الى الاسلام وشهد حرب القادسية وغيرها
من الفتوح * المقداد بن الاسود رضى الله عنه كان من أشجع الفرسان شديد البأس قوى
الجنان رابط الجأش وله في الشجعان اسم مشهور ووصف مذكور * يعجز الواصف عن
وصف صفاته رضى الله عنه وأرضاه * سعد بن أبي وقاص الزهري الانصارى رضى الله عنه
كان فارسا بطالا راميا وهو أول من رمى في سبيل الله بسهم ولما قتل عثمان بن عفان رضى الله
عنه اعتزل ولم يشهد الحرب بعده ومات حنفا نفا * أبو دجانة الانصارى رضى الله عنه الذى
خرج يتختر بين الصفيين فقال عليه الصلاة والسلام انها المشمة يبغضها الله تعالى الا في هذا
الموضع * المثني بن حارثة الشيباني رضى الله عنه هو أول من فتح حرب الفرس * أبو عبيد بن
مسعود الثقفي رضى الله عنه قاتل القوم يوم قس الناطف في حرب القادسية * عمار بن ياسر
رضى الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه
وسلم الحق يدور مع عمار حيث دار وأخبر أنه تقتله الفئة الباغية فقتل بصفين مع علي رضى الله
عنه * هاشم بن عتبة رضى الله عنه من أكبر الشجعان صاحب راية علي رضى الله عنه بصفين
* مالك بن الحارث النخعي الاثر رضى الله عنه مات مسموما في شربة من عسل فقال معاوية
ان الله جنودا منها العسل * القعقاع بن عمرو طاعن القيل في عشية القادسية رضى الله عنه
* الطبقه الثانية * عبد الله بن الزبير بن العوام رضى الله عنه قاتل جرير ملك افرريقية الذى
كان يرى أنه أشجع أهل عصره قال عمر بن عبد العزيز لابن أبي مليكة صف لي عبد الله بن الزبير
فقال والله ما رأيت جلد اقطر ركب على لحم ولا الجماع على عصب ولا عصبا على عظم مثل جلده
ولحمه وعصبه ولا رأيت نفسا بين جنين مثل نفس ركب بين جنبيه ولقد قام يوما الى الصلاة
فترجم من حجارة المتجنين بن حبيبه وصدره فوالله ما خشع له بصره ولا قطع له قراءته ولا ركع
دون الركوع الذى كان يركع قتله الحجاج بعد أن حوضر بمكة وأسلمه أصحابه وعشيرة وصلبه
الحجاج ألا الى الله نصره الامور * أبو هاشم محمد بن علي بن أبي طالب ابن الحنفية رضى الله
عنه كان أبوه يلقبه في الوقائع ويتق به العظام وهو شديد البأس ثابت الجنان قيل له يوما
ما بال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه يفعلك الحروب دون الحسن والحسين رضى الله
عنه ما فقال لانهما كاعينيه وكنت أنا بديه فكان يتي عبيبه بيديه وقيل ان أباه عليا رضى الله
عنه اشترى درعا فاستطالها فأراد ان يقطع منها فقال له محمد يا أبت علم موضع القطع فلم على
موضع منها فقهض محمد يده اليمنى على ذيلها وبالاخرى على موضع العلامة ثم جذبها فاقطعها
من الموضع الذى حده أبوه وكان عبد الله بن الزبير مع تقدمه في الشجاعة يحسده على
قوته واذا حدث بهذا الحديث غضب مات حنفا نفا بشعب رضوى * عبد الله بن حازم
السلي رضى الله عنه والى خراسان شجاع مضر وفارسها في عصره قتله وكعب بن أبي سويد
يخراسان في الفتنة * وكعب بن أبي سويد قاتل عبد الله بن حازم المتقدم ذكره شجاع فأنك
أهوج والى خراسان قيل لما قتل عبد الله بن حازم ولم يتم أمره له وحسه مات حنفا نفا *

مصعب بن الزبير بن العوام شجاع بطل جواد جاد بجاله ويثقه قتله عبيد الله بن زياد في الحروب التي كانت بينه وبين عبد الملك بن مروان * عمر بن الحباب السلي فارس الاسلام قتله بنو تغلب في الحرب التي كانت بينهم وبين قيس * مسلمة بن عبد الملك بن مروان فحل بن أمية وفارسها ووالى حروبها قيل انه جلس يوم القيضى بين الناس عصر فكلّمته امرأة فلم يقبل عليها فقالت ما رأيت أقل حياء من هذا ففكشف عن ساقه فاذا فيها اثرتنسع طعنات فقال لها هل ترى أثر هذا الطعن والله لو أثرت رجلى قيس شربما أصابتنى واحدة منهن وما منعنى من تأخيرها الا الحياء وانت تخلفين قلته * المعتصم بطل شجاع فارس صديد لم يكن فى بنى العباس أشجع منه ولا أشد قلبا قال ابن أبى دوداد كان المعتصم يقول لى يا أبا عبد الله عض على ساعدى باكثر قوتك فأقول والله يا أمير المؤمنين ما تطيب نفسى بذلك فيقول انه لا يضرتنى فأروم ذلك فاذا هو لا تعمل فيه الاسنة فكيف تعمل فيه الاسنان ويقال انه طعمه بعض الخوارج وعليه درع فأقام المعتصم ظهره فقسم الرمح نصفين وكان يشتد به على كابة الديناو فيعوهواو يأخذ عمود الحديد فيلويه حتى يصير طوقا فى العنق * ابراهيم بن الاشر النخعي كان من الشجعان المعدودين حارب عبيد الله بن زياد وهو فى أربعة آلاف وعبيد الله فى سبعين ألفا فظفربه وقتله بسده وهزم جيشه * عبد الله بن الحارث الجعفي شجاع شاعر فأنك له وقائع عظيمة هائلة وأخبار فى الشجاعة مشهورة * جحدر بن ربيعة العكلى كان بطلا شجاعا فأنك ما غيرا شاعرا قهر أهل اليمامة وأبادهم فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامله يوجه بتغلب جحدر عليه ويأمره بالتجرد له حتى يقتله أو يحمله اليه أسيرا فوجه العامل اليه فقيه من بنى حفظه وجعل لهم جعلاً عظيما ان هم قتلوا جحدر أو آووه أسيرا فتوجه الفقيه فى طلبه حتى اذا كانوا قريبا منه أرسلوا يقولون له انهم يريدون الانقطاع اليه والارتفاق به فوثق بذلك منهم وسكن الى قولهم فبينما هم معهم يوما اذ وثبوا عليه فشدوه وثاقا وقدموا به على العامل فوجه به الى الحجاج معهم فلما قدموا به عليه ومثل بين يديه قال له أنت جحدر قال نعم أصلح الله الامير قال ماجزأك على ما بلغنى عنك قال أصلح الله الامير كذب الزمان وجفوة السلطان وجرأة الجبان قال وما بلغ من امرك قال لو ابتلى الامير وجعلنى مع القرس ان رأى منى ما يحببه قال فتعجب الحجاج من ثبات عقله ومنطقه ثم قال يا جحدر انى قاذف بك فى حاجر فیه أسد عظيم فان قتلك كفايا موتك وان قتله عفونا عنك قال أصلح الله الامير قرب الفرج ان شاء الله تعالى فأمر به فصفدوه بالحديد ثم كتب الى عامله أن يرتادله أسدا ويحمله اليه فقبيل العامل وارتادله أسدا كان كاسرا خبيثا قد أفنى عامة المواشى فقبيلوا حتى أخذوه وصبروه فى تابوت وسحبوه على جمل فلما قدموا به على الحجاج أمر به فألقى فى الحاجر ولم يطعم شيئا ثلاثة ايام حتى جاع واستكلب ثم أمر بجحدر أن ينزله اليه فاعطوه سيفا وأنزلوه اليه فقيدا وأشرف الحجاج والناس حوله ينظرون الى الاسد ما هو صانع بجحدر فلما نظر الاسد الى جحدر تمض ووثب وتطوى وزعق زعقة دويت منها الجبال وارتفعت أهل الارض فشد عليه جحدر وهو يشند ويقول ليت وليت فى بحال ضنك * كلاه ما ذوقه وسفك * وصوله وبطشه وقتك ان يكشف الله قناع الشك * فأنت لى فى قبضتى وملاكى

ثم دنا منه وضربه بسيفه فقتل هامته فكبر الناس وأعجب الحجاج ذلك وقال لله درك ما أتجيبك ثم أمر به فأخرج من الحاجر وفك عنه قيوده وقال له اختر ما أن تقيم معنا فنكرمك وتقرّب منزلتك واما أن نأذن لك فتلق بيلاذك واهلك على أن تضمن لنا أن لا تحدث بها حدثا ولا تؤذي بها أحدا قال بل اختر محبتك أيها الأمير فجعله من سماره وخوامسه ثم لم يلبث أن ولاء على اليمامة وكان من أمره ما كان * المهلب بن أبي صفرة كان من الشجعان ومن الابطال المعدودة واولاده كلهم الشجاع ابطال الا أن المغيرة من بينهم كان أشد عتكا وكان المهلب يقول ما شهد معي حربا الا رأيت البشرى في وجهه وجل عليه بعض الشجعان وفي يده شجرة فلما رأها تنكس رأسه على قبريوس السرح وجل من تحتها ففراها بسيفه وكان المهلب يقول أنشجع الناس ثلاثة ابن الكلبية وأجر قرين وراكب البغلة فابن الكلبية مصعب بن الزبير وأجر قرين عمر بن عبيد الله بن معمر مالتى خيلا قتلها وراكب البغلة عباد بن الحصين ما كان قط في كربة الا فرجها وهو من فرسان الاسلام وكان للمهلب في الحروب مكاييد مشهورة وفاته سنة ابادت الخوارج بعد ان كانوا قد استولوا على المسلمين وكان سبيدا كريمة مات حنيف انه وكذلك ابنه المغيرة وفيه يقول زياد الازهم

مات المغيرة بعد طول تعرّض * للقتل بين أسنة وصفائح

وكان في الخوارج فوارس مشهورة لا تثبت لهم الرجال وذكرهم بطول ويخرج عما أردناه فثمنهم أبو بلال مرداس خرج في أربعين فهزم ألفين * وشييب الحارثي الذي عرف في الفرات نذرت امرأته غزاة أن تصلي في جامع الكوفة ركعتين تقرأ في الاولى البقرة وفي الثانية آل عمران فعبر بها جسر الفرات وادخلها الجامع ووقف على بابيه يحميها حتى وفّت بنذرتها والحجاج في الكوفة في خمسين ألفا * ومنهم قطري بن الفجاءة كان رأس الخوارج وخطبوه بأمر المؤمنين وعظموه وبعجوه وأشعاره في الشجاعة تدل على مكانه منها قتل في بعض وقائع الخوارج

(الطبعة الثالثة) مع بن زائدة الشيباني قتل الخوارج بسجستان في أيام المهدي * الوليد بن طريف الشيباني قتل يزيد بن مزيد * عمرو بن حنيف كان من الفرسان المعدودة نقل عنه انه كان يصيد فقتل جارا وحقت وما زال يركض الى أن حاذاه فجمع وجلسه ووثب من على فرسه وصار على ظهر جمار الوحش وطار يحزنقه بسيف أو سيك في يده حتى قتله * أبودان القاسم بن عيسى العجلي فارس بطل شاعر ندبهم جامع لما تفرق في غيره طعن فارس بن رديف فأنفذ الرمح من ظهره سما وجل برمحه أربعة نفر وفيه يقول بكر بن النطاح

قالوا وينظم فارس بن بطعنة * يوم اللقاء ولا يراه جليلا

لانجبوا لو كان مدققاته * ميلا اذا نظم القوارس ميلا

وسأله يوما رجل شيئا فقال له أنسأل وجئت القائل

ومن يفتقر منا يمش بحسامه * ومن يفتقر من سائر الناس يسأل

وانالنهو بالسيف كالمهت * فتاة بعقد أو بنجاب قرنفل

تخرج الرجل فجز دسيقه فلم يصادفه في طريقه الا وكيل لابي دلف ومعه مال جزيل فاستلبه منه وقتله فبلغ الخبر ابادلف فقال دعوه فاني علمته على نفسي * بكر بن النطاح بطل شجاع فارس فأتته له أسعاده مشهورة وأخباره مذكورة

(ومما جاء في مدح السيف) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخير في السيف والخير مع السيف والخير بالسيف وكان مصاصم عمرو أشهر سيوف العرب وعنتمثل به فتمثل فقال

أخ ماجد ما خاني يوم مشهد * كما سيف عمر ولم تخنه مضاربه
ولما وهبه عمرو لخالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن قال
* خليلي لم أخنه ولم يخني * اذا ما صاب أوساط العظام
* خليلي لم أهبه من قلاه * ولكن المواهب لا كرام
* حبوت به كريمان قريش * فسرته وضين عن اللثام
وودعت الصقي صقي نفسي * على الصمصام أضعاف السلام
ولم يزل في آل سعيد حتى اشتراه خالد بن عبد الله القسري بمال جزيل لهشام وكان قد كتب اليه فيه فلم يزل عند بني مروان ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدي فلم يجدوه فخذ الهادي في طلبه حتى ظفربه وكان مكتوباً عليه هذا البيت

ذكر علي ذكر يصول بصارم * ذكر يمان في يمين عاني

وقال ابن الرومي

* لم أربها حاضر انفعه * للمرء كالدهرم والسيف *
يقضي له الدرهم حاجاته * والسيف يحمي به من الحيف
وقال زيد بن علي رضي الله عنهما

السيف يعرف عزي عند هزته * والرحم بي خبر والله لي وزر
انا لنأمل ما كانت أو اثلنا * من قبل نامله ان ساعد القدر

وقال عبد الله بن طاهر

بيت فجميعي السيف طورا وتارة * بعض بهامات الرجال مضاربه
أخوة أَرْضاه في الروع صاحبها * وفوق رضاه أنني أنا صاحبها
وليس أخو العلماء الا فتى له * بها كلف ما نستقر ركايبه

وقدم عمرو بن الزبير على عبد الملك بن مروان بعد قتل أخيه عبد الله فطلب منه سيف الزبير وقال له رده على فانه السيف الذي أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم له يوم خيبر فقال له عبد الملك أوتعرفه قال نعم قال بماذا قال اعرفه بما لا تعرف به سيف أي لئلا أعرفه بقول الشاعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتاب

وقال الاجدع الهمداني

لقد علمت نسوان همدان أنني * لهن غداة الروع غير خذول
وأبذل في الهجاء وجهي وانني * له في سوى الهجاء غير بذول

وقال آخر

عشرون ألف في مائتهم أحد * الاكالف في مقدمة بطل
راحت مزاولهم ملوأة أملا * ففرغوها وأكوها من الاجل
(ومن أخبار الشجعان ما حكاه الفضل بن يزيد) قال نزل علينا بنو علب في بعض السنين
وكنتم مشغوفاً بأخبار العرب أن اسمعها وأجمعها فيمنأ أنا أدور في بعض أحيائهم اذا انابرة
واقفة في فناء خيائها وهي آخذة بيد غلام فلما رأيت مثله في حسنه وجماله ذوّابان كالسبع
المنظوم وهي تعاتبه بلان رطب وكلام عذب تحن اليه الاسماع وترتاح له القلوب واكثر
ما اسمع منها أي بنى وهو يتبسم في وجهها قد غلب عليه الحياء والخلل كأنه جارية بكر لا يرده
جواباً فاستحسن ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت منه وسلت فرد على السلام فوقفت
أنظر اليها فقلت يا حضري ما حاجتك فقلت الاستكثار مما اسمع والاستمتاع بما أرى من هذا
الغلام فقالت يا حضري ان شئت سقت اليك من خبره ما هو أحسن من منظره فقلت قد شئت
يرجك الله فقالت جلته والرزق عسر والعيش فكند جلا خفيفا حتى مضت له سعة أشهر وشاء
الله عز وجل أن أضعه فوضعتة خلقت ساوياً فو ربه ما هو الا أن صار ثالث أبويه حتى افضل الله
عز وجل وأعطى وأتى من الرزق بما كفى وأغنى ثم أرضعته حولين كاملين فلما استتم الرضاع
نقلته من خرقة المهد إلى فراش أبيه فربى كأنه شبل أسد أقيه برد الشتاء وحر الصيف
حتى اذا مضت له خمس سنين أسلمته إلى المؤدب فحفظه القرآن قتلاه وعلمه الشعر فرواه ورغب
في مضاعف قومه وآبائه واجداده فلما أن بلغ الحلم واشتد عظمه وكل خلقه جلته على عشاق
الخليل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشى بين يدي يات الحى الخيلاء فأخذ في قرى الضيف
وأطعمهم الطعام وأناع عليه وجملة أشقى عليه من العيون أن نصيبه فاتفق أن نزلنا بمنزل من
المناهل بين أحياء العرب فخرج قتيبان الحى في طلب ثأر لهما وشاء الله تعالى أن أصابته وعكة
شغلته عن الخروج حتى اذا أمعن القوم ولم يبق في الحى غيره ونحن آمنون وادعون ما هو الا
أن ادبر الليل واسفر الصباح حتى طلعت علينا غر الجياد وطلعت العدو فها هو الا نهية حتى
احرزوا الاموال دون أهلها وهو يسألنى عن الصوت وأنا أستر عنه نخب اشفاقا عليه وضنا به
حتى اذا علت الاصوات وبرزت المخدرات وى دثاره وثأركا ينور الاسد وأمر بأسراج فرسه
ولبس لامة حربية وأخذ رمحاً بيده وطلق جماعة القوم فطعن أدناهم منه فرمى به وطلق أبعدهم
منه فقتله فانصرف وجوه الفرسان فرأوه صبياً صغيراً الامد دوراه فحملوا عليه فأقبل يوم
البيوت ونحن ندعو الله عز وجل له بالسلامة حتى اذا مدهم وراءهم وامتدوا في أثره عطف
عليهم ففترق شملهم وشنت جمعهم وقلل كثرتهم ومرضهم كل حمزق ومرق كما يعرف السهم وناداهم
خيلوا عن المال فوالله لا يرجع الابه ولا هلكن دونه فانصرف اليه الاقران وتمايلت
نحوه الفرسان وتميزت له القتيان وجلاوا عليه وقدر فعوا اليه الاسنة وعطفوا عليه بالاعنة
فوثب عليهم وهو يهدركا يهدر الفحل من وراء الابل وجعل لا يحمل على ناحية الا حطماها
ولا اكنية الا مزقها حتى لم يبق من القوم الا من نجى به فرسه ثم ساق المال وأقبل به فكبر
القوم عند رؤيته وفرح الناس بسلامته فوالله ما رأيت ناطقاً يوماً كان أسع صباه وأحسن

رواحن ذلك اليوم ولقد سمعته يقول في وجوده قتيان الحى هذه الايات
 تأملن فعلى هبل رأيتن مثله * اذا حترجت نفس الجبان من الكرب
 وضافت عليه الارض حتى كانه * من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
 ألم أعط كلاحقه ونصيبه * من السمهرى اللدن والمرهف العضب
 * أنا ابن أبي هند بن قيس بن مالك * سليل المعالي والمكارم والسيد
 أبي لي أن أعطى الظلامة مرهف * وطرف قوى الظهور والجوف والجنب
 * وعزم صحيح لوضرت بجده الس * جبال الرواسى لا ينحططن الى الترب
 * وعرض نقي أتقى أن أعيبه * وبيت شريف فى ذرى ثعلب الغلب
 * فان لم أقابل دونك وأحتى * لكن وأجيبكن باللعن والضرب
 * فلا صدق الا لاق مشين الى أبى * يمينه بالفارس البطل النديب
 وقال الشاعر

أراؤهم ووجوههم وسيوفهم * فى الحادثات اذا دججون نجوم
 منها معالم للهدى ومصابيح * تجلوا الدجى والاخرى رجوم
 وقال آخر

فوارس قوا لولن للخيال أقدمى * وليس على غير الرأس مجال
 بأيديهم سمر العوالى كأنما * تشب على أطرافهن ذبال
 وقال آخر

قوم اذا اقهموا العجاج رأيتهم * شمسا وخت وجوههم انخارا
 لا بعدلون برفدهم عن سائل * عدل الزمان عليهم أوجارا
 واذا الصريح دعاهم للمسة * بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا

(ذكر الجبلين والجبناء وأخبارهم وما جاء عنهم) قد استعاذ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
 من الجبلين فقال اللهم انى أعوذ بك من الهسم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك
 من الجبلين والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال فعوذ بالله مما استعاذ منه سيدنا خلق
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكفيك أن يقال فى وصف الجبان ان أحسن بعضه ورطار
 فؤاده وان طنت بهوضه طال مهاده يفرع من صرير الباب ويطلق من طنين الذباب
 ان نظرت اليه شذرا أغنى عليه شهرا يحسب خفوق الرياح قعقة الرماح قال الشاعر
 اذا صوت العصفور طار فؤاده * وليت حديد الناب عند الثرائد

وكان حسان بن ثابت رضى الله عنه من الجبناء روى عن ابن الزبير أنه قال كان حسان فى فاع
 اطعم مع النساء يوم الخندق فاتاهم فى ذلك اليوم بهودى يطوف بالحصن فقالت صفية بنت
 عبد المطلب رضى الله عنها يا احسان ان هذا اليهودى كما ترى يطوف بالحصن وانى والله
 ما آمنه أن يدل على عورتا من وراءه من اليهود فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت
 عبد المطلب لقد عرفت ما أنا باصاحب هذا قال فاعتجرت صفية ثم أخذت عمودا ونزلت
 من الحصن فضربت به بالعمود حتى قتله ورجعت الى الحصن فقالت يا احسان قم اليه فاسلبه

فانه مامنعني من سلبه الا انه رجل فقال مالي بسلبه من حاجة * وقيل كان لقي من قرين
جارية مليحة الوجه حسنة الادب وكان يحبها حباً شديداً فأصابته اصابة فوافقه فاحتاج الى
عتمها فحملها الى العراق وكان ذلك في زمن الخجاج بن يوسف فابساها منه الخجاج فوقع منه
بئرلة فقدم عليه فقي من ثقيف من اقاربها فأنزله قرياسه وأحسن اليه فدخل على الخجاج
والجارية تنكبسه وكان القتي جيلاً فجعلت الجارية تسارق النظر فظن الخجاج بهم افوهمها
فأخذها وانصرف فبات معه ليلتها وهربت بغلس فأصبح لا يدري أين هي وبلغ الخجاج ذلك
فأمر منادياً أن ينادى برئت الذمة عن رأي وصفة من صفتها كذا وكذا ولم يحضرها فلم يلبث
أن أتى له بهم فقال لها الخجاج يا عدوة الله كنت عندى من أحب الناس الى فأخترت لك ابن
عمى شاباً حسن الوجه ورأيتك تسارقينه النظر فعملت لك شغفت به فوهبت له فهربت من
ليلتك فقالت يا سيدى اسمع قصتي ثم اصنع بي ما شئت قال هاتى ولا تخفى شيئاً قالت كنت للقتي
القرشي فاحتاج الى غني فحملني الى الكوفة فلما قرىنا من اذنا متى فوقع على فسمع زئيراً لاسد
فوثب واخترط سيفه وحمل عليه وضربه فقتله وأتى برأسه ثم أقبل على وما برد ما عنده ثم قضى
حاجته وان ابن عمك هذا الذي اخترته لي لما أظلم الليل قام الى فلما علم لا بطي وقعت فارة
من السقف فضرط ثم غشي عليه فمكث زماناً طويلاً وأنا أرض عليه الماء وهو لا يفيق فحفت
أن يموت فتهتمني به فهربت فزعامنك فمالك الخجاج نفسه من شدة الضحك وقال ويحك
اكتفى هذا ولا تعلى به أحد قالت على أن لا تردني اليه قال لك ذلك * وحدث جارية لا بي حنيفة
النخعي قال كان لا بي حنيفة سيف ليس بينه وبين العاصم وكان يسميه لعاب المنية
فأشرفت عليه ذات ليلة وقد انتصاه وهو واقف على باب بيته وقد سمع حساً في داره وهو
يقول أيم المغتر بنا المجترئ علينا بنس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل وهو
لعاب المنية الذي سمعت به اخرج بالعقوة عنك قبل أن ادخل بالعقوبة عليك ثم فتح الباب على
وحمل فاذا كلب قد خرج فقال الحمد لله الذي مسخك كلباً وكفانا حوا * وخرج المعتصم يوماً
الى بعض متصيداته فظهر له أسد فقال لرجل من أصحابه اعجمه قوامه وسلاحه وتمام خلقة
أنتك خير يا رجل قال لا فضحك المعتصم وقال قبح الله الجبان * ورأى الاسكندر رسمياً لا يزال
ينهمز فقال له يا رجل اما أن تغير فعلك واما أن تغير اسمك * ووقع في بعض العساكر ضجة
فوثب خراساني الى دابته ليجمها فصر الجهم في الذنب من الدهش وقال يخاطب
الفرس هب جبهتك عرضت فناصيتك كيف طالت * وخرج أسلم بن زرعة الكلبي في
أفنين لمحاربة أبي بلال مرداس وكان مرداس في أربعين رجلاً فانهزم أسلم منه فلاموه
على ذلك وذمه ابن أبي زياد فقال لأن يذمتني ابن أبي زياد حياً أحب الى من أن يمدحني
ميتاً وكان أسلم بعد ذلك اذا خرج الى السوق ومز بصبيان صاحبوا به أبو بلال وراى فكبر
ذلك عليه فشكاهم الى ابن أبي زياد فأمر صاحب الشرطة أن يكفهم عنه وفي ذلك يقول
بعضهم (شعرا)

يقول جبان القوم في حال سكره * وقد شرب الصهباء هل من مبارز
وأين الخيول الاعوجيات في الوغى * أنازل منهم كل ليت مناهز

في السكرتيس وابن معدى وعامر * وفي الصورت لقاء بعض الجائز
وهذا ما انتهى اليه من هذا الباب والحمد لله الكريم الوهاب وصلى الله على سيدنا محمد
وعلى آله وأصحابه الطاهرين والحمد لله رب العالمين

الباب الثاني والاربعون في المدح والثناء وشكر النعمة والمكافأة
وفيه فصول

(الفصل الاول في المدح والثناء) * المدح وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها صاحبه او يكون
نعتا حميدا وهذا يصح من المولى في حق عبده فقد قال الله تعالى في حق نبيه ايوب عليه
الصلاة والسلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
وانك لعلى خلق عظيم وقال تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى آخر
الآية فعلى هذا يجوز مدح الانسان بما فيه من الاخلاق الحميدة وأما قوله صلى الله عليه
وسلم اذارأيت المادحين فاحشوا في وجوههم التراب فقد قال العبيد هو المدح الباطل
والكذب وأما مدح الرجل بما فيه فلا بأس به وقد مدح أبو طالب والعباس وحسان وكعب
وغيرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبلغنا انه حشا في وجهه مادح ترابا وقد مدح هو
صلى الله عليه وسلم المهاجرين والانصار رضى الله عنهم وفي حثوا التراب معنيان أحدهما
التغليظ في الرذيلة والثاني كانه يقال له يكفيك التراب وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه
اذا مدح قال اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون
واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون ومدح سارية الدليل رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو سارية الذي أمره عمر رضى الله عنه على السرية وناداه في خطبته بقوله
يا سارية الجبل فبن مدحه في رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله

فاجلت من ناقة فوق ظهرها * أبر وأوفى دمة من محمد

وهو اصدق بيت قالته العرب ومن أحسن ما مدحه به حسان رضى الله عنه
قوله

واحسن منك لم ترق عيني * وأجل منك لم تلد النساء

خلقت مبرأ من كل عيب * كأنك قد خلقت كائنا

ومن أحسن ما مدحه به عبد الله بن رواحة الانصاري رضى الله عنه قوله

لوم تكن فيه آيات مينة * كانت بديهة تنبيك بالخبر

ولما حجت وزرته صلى الله عليه وسلم تطلعت على جنباه المعظم وامتدحته بأبيات مطولة
وأشدتها بين يديه بالحجرة الشريفة تجاه الصندوق الشريف وأما مكشوف الرأس وأبكي
من جلتهما

يا سيد السادات جئتكم فاصدا * أرجو رضاك وأحتي بحماكا

والله يا خير الخلائق انى * قلبا مشوقا لاروم سواكا

ووحش جاهلك انى بك مغرم * والله يعلم انى أهواكا

أنت الذى لولاك ما خلق امرؤ * كلا ولا خلق الورى لولاكا
 أنت الذى من نورك البدر اكسى * والشمس مشرقة بنور بهاكا
 أنت الذى لما رفعت الى السما * بك قد سمعت وتزينت اسراكا
 أنت الذى ناداك ربك مرجبا * ولقد دعاك لقربه وجباكا
 أنت الذى فينا سألت شفاعة * ناداك ربك لم تكن لسواكا
 أنت الذى لما توسل آدم * من ذنبه بك فاز وهو أبىكا
 وبك الخليل دعا فعادت ناره * بردا وقد خمدت بنور سناكا
 ودعاك أيوب لضرت مسه * فأزيل عنه الضر حين دعاكا
 وبك المسيح أتى بشيرا مخبرا * بصفات حسنك مادحا لعلكا
 وكذلك موسى لم يزل متوسلا * بك فى القيامة مرثج لنداكا
 والانبيا وكل خلق فى الورى * والرسل والأملأ تحت لواكا
 لك معجزات أعجزت كل الورى * وفصائل جلت فليس تحاكي
 نطق الذراع بسمه لك معلنا * والضرب قد لبك حين أناكا
 والذنب جاءك والغزاة قد أتت * بك تسخير وتحمي بحماكا
 وكذا الوحوش أنت اليك وسلمت * وشكا البعير اليك حين رآكا
 ودعوت أشجارا أنتك مطبوعة * وسعت اليك بحبيبة لنداكا
 والماء فاض براحتك وسبحت * صم الحصى بالفضل فى عيناكا
 وعليك ظلمات الغمامة فى الورى * والجذع حن الى كريم لقاسكا
 وكذلك لا أثر لمشيك فى الثرى * والصخر قد غاصت به قدماكا
 وشفيت ذا العاهات من امراضه * وملأت كل الارض من جدواكا
 ورددت عين قتادة بعد العمى * وابن الحصين شفيعه بشفاكا
 وكذا حبيب وابن عفرا عندما * جرحا شفيتهما بلس يداكا
 وعلى من رمده داوود بوسه * فى خيبر فشفي بطيب لماكا
 وسألت ربك فى ابن جابر بعدما * قد مات احياه وقد أرضاكا
 ومسيحت شاة لام معبد بعدما * نشفت قدرت من شفا رقىكا
 ودعوت عام المحل ربك معلنا * فانهل قطر السحب عند دعاكا
 ودعوت كل الخلق فانقادوا الى * دعواك طوعا سامعين نداكا
 وخفضت دين الكفر يا علم الهدى * ورفعك دينك فاستقام هناكا
 اعداك عادوا فى القلب بجهلهم * صرعى وقد حرموا الرضا بجفكا
 فى يوم بدر قد أنتك ملائك * من عند ربك قاتلت أعداكا
 والفتح جاءك يوم فتحك مكة * والنصر فى الاحزاب قد وافاكا
 هود ويونس من بهالك تجملا * وجمال يوسف من ضياء سناكا

فقدفت ياطيه جميع الانبيا * نورا فسبحان الذي سواكا
 والله يا ياسين مثلك لم يكن * في العالمين وحق من نباك
 عن وصفك الشعراء يامتدثر * بحزوا وكواعن صفات علاكا
 الخليل عيسى قد أتى بك مخبرا * واتى الكتاب لنا بدح حلاكا
 ماذا يقول المادحون وما عسى * أن يجمع الكتاب من معناكا
 والله لو أن البحار مداد هم * والعشب اقلام جعلن اذاكا
 لم تقدر الثقلان تجميع ذرة * ابدوا ما استطاعوا له ادراكا
 لي فيك قلب مغرم ياسمدي * وحشاشة محشوة بهم وراكا
 فاذا سكنت فقمك صحتي كله * واذا انطقت فغادح عليكا
 واذا سمعت فعنك قولاطيبا * واذا نظرت فلا أرى الاك
 يا مالكي كن شافعي من فاقتي * اني فقير في الوري لغناكا
 يا أكرم الثقلين يا كثر الوري * جدلي بجودك وارضى برضاكا
 اناطمع في الجود منك ولم يكن * لابن الخطيب من الانام سواكا
 فعمساك تشفع فيه عند حسابه * فلقد غدا مستسكا بعراكا
 ولائت أكرم شافع ومشفع * ومن التجالجال نال وفاكا
 فاجعل قراى شفاعتي في غد * فعسى أرى في الحشر تحت لواكا
 صلى عليك الله يا خير الوري * ما حن مشتاق الى مشواكا
 وعلى صحابتك الكرام جميعهم * والتابعين وكل من والاكا

وماذا عسى أن يقول المادحون في وصف من مدحه الله تعالى واثنى عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر والله لو أن البحار مداد والانبجار أقلام وجميع الخلائق كتاب لما استطاعوا أن يجمعوا التزاييس من بعض صفاته ولكواعن الاتيان ببعض بعض وصف معجزاته صلى الله عليه وسلم * ومدح رجل هشام بن عبد الملك فقال له يا هذا انه قد نسي عن مدح الرجل في وجهه فقال ما مدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد لها شكر افضل له هشام هذا أحسن من المدح ووصله وأكرمه * وكتب رجل الى عبد الله بن يحيى بن خاقان رأيت نفسي فيما أنعاطي من مدحك كالخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر وأيقنت أني حيث أنتهى من القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية فأنصرفت عن الشناء عليك الى الدعاء لك ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك * وقال الحرث بن ربيعة في رجل من آل المهلب

فتي دهره شطران فيمانيوبه * فني بأسه شطروفي جوده شطر
 فلان بغاة الخير في عينه قذى * ولان زئير الحرب في أذنه وقر

وقال أعرابي لرجل لا يذم بلدا أنت تأويه ولا يشكي زمان أنت فيه * وكان الخلاج يستنقل زياته بن عمرو والعلكي فلما قدم على عبد الملك بن مروان قال يا أمير المؤمنين ان الخلاج سيفك الذي لا ينمو وسهمك الذي لا يطيش وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم فلم يكن بعد ذلك

على قلب الحاج أخف منه وقال رجل لا تترأى بستان الدنيا فقال له وأنت النهر الذي يسقى
منه ذلك البستان وقال رجل لابي عمرو الزاهد صاحب كتاب الباقوت في اللغزة
أنت والله عين الدنيا فقال له وأنت والله نور تلك العين وقال القاسم بن أمية بن أبي الصلت
الثقي

قوم اذا نزل الغريب بدارهم * تركوه وب صواهل وقيان
واذا دعوتهم ليوم كريهة * سدوا شعاع الشمس بالفرسان
وقال أوس في حاتم الطائي

فان تسكني مارية الخير طامنا * فمائله قينا ولا في الاعاجم
فتي لا يزال الدهر أكبرهم * فكلك أسير أو معونة غارم
وقال ابن جدون في آل المهلب

* آل المهلب معشر أمجاد * ورنوا المكارم والوفاء فسادوا
* شاد المهلب ما بنى آباؤه * وأتى بنوه ما بناه فسادوا
وكذا المؤمن طابت مقارس نبيه * وبني له الآباء والاجداد
وكان الفرزدق هجاء لعمر بن هبيرة فلما سجن ونقب له السجن وسار هو وبنوه تحت الارض
قال الفرزدق

ولما رأيت الارض قد سدت ظهرها * ولم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذي ناداه بونس بعدما * توى في ثلاث مظلمات فقرجا
فقال ابن هبيرة ما رأيت أشرف من الفرزدق هجائي أميرا ومدحني أسيرا وقال سري بن جبد
الرحمن الرفاء في خالد بن حاتم

يا واحد العرب الذي دانت له * قطان قاطبة وسادن زارا
اني لا أرجوان لقيتك سالما * أن لا أعالج بعدك الأسفارا
وقال كعب بن مالك الانصاري في آل هاشم

يا آل هاشم الاله حباكم * ما ليس يبلغه اللسان المنضل
قوم لا صلهم السيادة كلها * قدما وفرعهم النبي المرسل
وقال الحسين بن دعلج الخزاعي

ملك الامور بجوده وحسامه * شرفا بقوده وعدوه بزمامه
فأطاع أمر الجود في أمواله * وأطاع أمر الله في أحكامه

وقال آخر

يلقى السيوف بصدرة وبخره * ويقيم هامته مقام المغفر
ويقول للطرف اصطب لسن القنا * ففقرت ركن الجحdan لم تعفر
واذا تراءى شخص ضيف مقل * منسر بل أثواب محمل أغفر
أومى الى الكوماء هذا طارق * فخرتني الاعداء ان لم تفخر

وقال شاعر بني تميم

اذالبسوا عمتهم طورها * على كرم وان سفروا ناروا
يبسح ويشترى لهم سواهم * ولكن بالطعان هبهم تجار
اذا ما كنت جاربني تميم * فانت لا كرم الثقيلين جار
وفات امرأة من بني غير وقد حضرتها الوفاة وأهلها مجتمعون من ذا الذي يقول
لعمري ما رباح بني غير * بطائشة الصدور ولا قصار

قالوا زياد الاعمى قالت أشهدكم أن له الثلث من مالي وكان مالا كثيرا واثنى رجل على
رجل فقال هو أفصح أهل زمانه اذا حدث وأحسنهم استماعا اذا حدث وأمسكهم عن
الملاحة اذا خولف يعطى صديقه النافلة ولا يبأله الفريضة له نفس عن الفحشاء محصورة
وعلى المعالي مقصورة كالذهب الابريق الذي يعز كل أو ان والشمس المنيرة التي لا تخفى بكل
مكان هو النجم المضيء والبحران والمنهل البارد العذب للعطشان وقال الحسن بن
هاني

اذا نحن أثنين عليك بصالح * فانت كما ثني وفوق الذي ثني
وان جرت اللفاظ يوما بدحة * لغيرك انسانا دانت الذي نعي
وله في الفضل بن الربيع

لقد نزلت أبا العباس منزلة * ما ان ترى خلفها الابصار مطرحا
وكلت بالدهر عينا غيرة غافلة * يجود كفك تاسوكل ما جرحا
وقال زياد الاعمى في محمد بن القاسم الثقفي
ان المنابر أصبحت محتالة * بمحمد بن القاسم بن محمد
قاد الجبوش لسبع عشرة حجة * يا قرب سورة سودد من مولد
ومن بدائع مدائح المتنبي قوله

ليت المدائح تستوفي مناقبه * فما كليب وأهل الأعصر الا أول
خذا ما تراه ودع شيئا سمعت به * في طلعة البدر ما يغنيك عن رجل
وقد وجدت مكان القول داسعة * فان وجدت لسانا فاق لا فقل

ومدح أبو العنابية عمرو بن العلاء فأعطاه سبعين ألفا وخلع عليه خلعاً سنية حتى انه لم يستطع
أن يقوم فغار الشعر ا منه فجمعهم وقال يا لله العجب ما أشد حسد بعضكم لبعض ان أحدكم
يأتينا ليد حنا في غزل في قصيدته بخمسين بيتا هائلنا حتى يذهب رونق شعره وقد تشبب
أبو العنابية بآيات يسيرة ثم قال

اي أمنت من الزمان وصرفه * لما علقت من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله * جعلوا له حرا الوجوه نعالا
ان المطايا تشتهك بك لانها * قطعت اليك سبابا ورمالا
فاذا وردن بنا ووردن خفاة * واذا صدرن بنا صدرن ثقالا

ووفد أبو نواس على الخصب بمصر فأذن له وعنده الشعراء فأنشد الشعراء أشعارهم فلما فرغوا قال أبو نواس أنشد أيها الأمير قصيدة هي كعصا موسى تلقف ما صنعوا قال أنشد فأنشده قصيدته التي منها قوله

إذا لم تزر أرض الخصب ركبنا * فأي فتي بعد الخصب تزور
فتي يشتري حسن الثناء بجماله * ويعلم أن الدائرات تدور
فخافاته جود ولا ضلّ دونه * ولكن يسير الجود حيث يسير
فاهتز الخصب لها طرباً وأمر له بالف دينار ووصيف ووصيفة (وحكي) أن أبا دلف سار يوماً مع أخيه معقل فرأيا امرأتين يتماشيان فقالت احداهما للآخرى هذا أبو دلف قالت نعم الذي يقول فيه الشاعر

أعما الدنيا أبو دلف * بين يديه ومحتضره
فأذا ولي أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

فبكي أبو دلف حتى جرت دموعه فقال له معقل مالك يا أخي تبكي فقال لا لي لم أقض حق الذي قال هذا قال أو لم تعطه مائة ألف درهم قال والله ما في نفسي حسرة إلا لكوني لم أعطه مائة ألف دينار ويقال هذه المدحة فأبين المنحة قال بعضهم

إذا ما المدح صار بلا نوال * من الممدوح كان هو الهجاء

وامتدح محمد بن سلطان المعروف بابن جيوش محمد بن نصر صاحب حلب فاجازه بألف دينار ثم مات محمد بن نصر وقام ولده نصر مقامه فقصده محمد بن سلطان بقصيدة مدحه بها منها

تباعدت عنكم حرمة لانهادة * وسرت اليكم حين مسنى الضر
لخاد أبو نصر بألف نصرت * وإني أعلم أن سيخلفها نصر

فلما فرغ من أنشادهما قال نصر والله لو قال سيضعفها نصر لا تضعفها له وأعطاه ألف دينار في طبق فضة ومدح بعض الشعراء وقيل هو البديع الهمداني أنشأ فقال

يكاد يحكيه صوب القيث منسكا * لو كان طلق الحيا عطر الذهب
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت * واللبث لو لم يصد والبحر لو عذبا
وقال آخر

أخوكم يقضى الورى من بساطه * إلى روض مجد السباح مجود
وكم جلباه الراغبين إديه من * مجال سجد في مجالس جود

ويقال فلان رفيق الجود ودخيله وزميل الكرم وزيله وغزوة الدهر وتجييله مواهبه الأنواء وصدره الدهناء عونه موقوف على اللهياف وغونه مبذول للضعيف يطغوا جوده على موجوده وهمته على قدرته ينابيع الجود تنفجر من أنامله وريبع السماح يضحك عن فواضله ان طلبت كرمي في جوده مت قبل وجوده أو ما جذا في أخلاقه مت ولم تلاقه بأسل تعود الاقدام حيث تزل الاقدام وشجاع يرى الاجسام عارا

لا تمحوه الايام له خلق لوما زج البحر لنقي مالمحته وصفى كدورته خلق كنسيم الاسمار على صفحات
الانهار أطيب من زمن الورد في الايام وأبهج من نور البدر في الظلام خلق يجمع الالهواء
المتفرقة على محبته ويؤلف الالراء المتشتة في سواده هو ملح الارض اذا فسدت وعبارة
الدنيا اذا خربت يحل دقات الاشكال ويزيل جلائل الاشكال البيان أصغر صفاته
والبلاغة عنوان خطرته **كأنما أوحى التوفيق الى صدره** وحبس الصواب بين طبعه
وفكره فهو يعبت بالكلام ويقوده بألین زمام حتى كأن الالفاظ تتحاسد في التسابق الى
خواطره والمعاني تتغافر في الامتنال لاوامره يوجز فلا يحل ويطنب فلا يمل كلامه يشتد
مرّة حتى تقول العجز أو أليس ويلين تارة حتى تقول الماء أو ألسن فهو اذا أنشأ وشى واذا عبر
حبر واذا أوجز أعجز تاهت به الايام وباهت في يمينه الاقلام له أدب لو تصور شخصا
لكان بالقلوب محتصا قال الشاعر

له خلق على الايام يصفو * كما تصفو على الزمن العقار

وقال آخر

لو كان يحوى الروض ناضر خلقه * ما كان يذبل نوره بشتائه
أو قابل الافلاك طالع سعده * ما سار نحس في نجوم سمائه

وقال آخر

ووجهك بدر في الغياهب مشرق * وكفك في شهب السنين نغم
محب لبدر لا يزال أما مه * محاب ولا يغشاه منه ظلام
وأعجب من هذا نغم اذا سطا * تظلى مكان البرق منه حسام

وقال الحسين بن مطير الاسدي

له يوم بؤس فيه للناس أبؤس * ويوم نعيم فيه للناس انعم
فيطروم الجود من كفه الندى * ويمطروم البؤس من كفه الدم
فلو أن يوم البؤس خلى عقابه * على الناس لم يصبح على الارض مجرم
ولو أن يوم الجود خلى يمينه * على المال لم يصبح على الارض معدم

وللشيخ جمال الدين بن نباتة

والله ما عجبى لقـدرك أنه * قد رعى باغى مداه بعيد
الا لكونك لست تشكو وحشة * في هذه الدنيا وأنت وحيد

ولصنى الدين الحلى

أنى فتنينى صفاتك مظهرا * عياوكم أعيت صفاتك خاطبا
لوانى والخلق جميعا ألسن * تنى عليك لما قضينا الواجبا

وللشيخ برهان الدين القيراطى

أوصافكم تجرى أحاديثها * مجرى النجوم الزهر في الافق
كأحاديث الندى عنكم * تسندها الركبان من طرق

وللشيخ جمال الدين بن نباتة

روى عنك أخبارا لمعالي محاسنا * كفت بلسان الحال عن ألسن الحمد
فوجهك عن بشر وكنك عن عطا * وخلقت عن سهل ورأيك عن سعد

وقال غيره

من زار بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ما أوليت من من
فالعين عن قرّة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن

ولابي نراس بن حمدان

لئن خاق الانام لحب كاس * ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان الا * لمجد أولبأس أو بلود

وقال آخر

ان الهبات التي جاد الكرام بها * مطروقة وندى كفيك مبتكر
مازات تسبق حتى قال حادكم * له طريق الى العليا مقتصر

ولمجد بن مناذري آل برمك

أنا نأينوا الاملاك من آل برمك * فباطب أخبار وأحسن منظر
لهم رحله في كل عام الى العدا * وأخرى الى البيت العتيق المنور
اذ انزلوا بطيحاء مكة أشرفت * ببجي وبالفضل بن يحيى وجعفر
فما خلقت الابلود اكفهم * وأقدامهم الالسعي مظفر
اذا رام يحيى الامر ذلت صغابه * وناهيك من راع له ومدبر

ولملاءزل ابراهيم بن المنذر عن صدقات البصرة تلقاه مجنون وانشد

ليت شعري أي قوم أجذبوا * فاغشوا بك من بعد العجف
نظر الله لهم من بيننا * وحرملك بذنب قد سلف
يا أبا اسحق سرفى دعة * واهض معكوباً عامك خلف
انما انت ربيع باكر * حيثما صرفه الله انصرف

وقال آخر

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم لقبل اقعدهوا يا آل عباس
ثم ارتقوا في شعاع الشمس وارتفعوا * الى السماء فانهم سادة الناس

وللعسين بن مطير الاسدي في المهدي

لو يعبد الناس يا مهدي أفضلهم * ما كان في الناس الا انت معبود
أنخت عيذك من جود مصورة * لابل عيذك منها صور الهود
لو أن من نوره مثقال خردلة * في السود طرا اذن لا ييض السود

وقال آخر

أوليتني نعمًا وفضلًا زائدًا * وبررتني حتى رايته والدًا
أقسمت لوجاز السجود لنعم * ما كنت إلا راعيًا لساكنها
وقال آخر

تناولت في الدنيا من المسك أعطر * وحطت في الدنيا جزيل موفر
وكفك بحسروا لا نامل أن نسر * رعى الله كفافيه بحسروا أنهر
أعبدك بالرجن من كل حاسد * فلا زالت الحساد تنغي وتقصر
لساني قصير في مديحك سيدي * لاني فقير والفتير مرقص

(القصة الثانية من هذا الباب في شكر النعمة) أما الشكر الواجب على جميع
الخالق في شكر القلب وهو أن يعلم العبد أن النعمة من الله عز وجل وأن النعمة على الخلق من
أهل السموات والأرض الاو بديتها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله عن نفسه وعن
غيره والدليل على أن الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله أي
أيقنوا أنهم من الله وقبل الشكر معرفة العجز عن الشكر وقد روى أن داود عليه السلام
قال الهى كيف أشكرك وشكرى النعمة من عندك فأوحى الله تعالى اليه الآن قد شكرتني
وفي هذا يقال الشكر على الشكر أتم الشكر ونحوه والوراء

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة * على له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا فضله * وان طالت الايام واتصل العمر
إذا مس بالسرور عم سرورها * وان مس بالضراء أعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة * تضيق بها الاوهام والسر والجهر

وفي مناجاة موسى عليه السلام الهى خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرتك فقال
علم أن ذلك منى فكانت معرفته بذلك شكرى * وأما شكر اللسان فقد قال الله تعالى فيه
وأما بنعمة ربك فحدث وروى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه انه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر
الله والتحدث بالنعمة شكر وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه تذكروا النعم فان
ذكرها شكر * وأما الشكر الذى على الجوارح فقد قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرًا
الآية فجعل العمل شكرًا وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت
قدماه فقبل له يارسول الله أتفعل هذا بنفسك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
قال افلا تكون عبدًا شكورًا وقال أبو هريرة دخلت على أبي حازم فقلت له يرحمك الله
ما شكر العيين قال اذا رأيت بهما خير اذكرته واذا رأيت بهما شر اسأله تترته قلت فما
شكر الذين قال اذا سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا نسيتته وفي حكمة
ادريس عليه الصلاة والسلام لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الانعام على
خلقه ليكرن صانعنا الى الخلق مثل ما صنع الخالق اليه فاذا أردت أن تحرس دوام النعمة من
الله تعالى عليك فادم مواساة الفقراء وقد وعد الله تعالى عباده بالزيادة على الشكر فقال

تعالى لنشكرتم لا زيد نكم وقد جعل لعباده علامة يعرف بها الشاكر فمن لم يظهر
عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا رأينا الغنى يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان علمنا انه
قد أحل بالشكر اما انه لا يزكى ماله أو يزككه لغير أهله أو يؤخره عن وقته أو يمنع حقا
واجبا عليه من كسوة عريان أو اطعام جائع أو شبه ذلك فيدخل في قول النبي صلى الله
عليه وسلم لو صدق السائل ما أفلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
ما بأنفسهم واذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله ما بهم من الاحسان وقال بعض
الحكماء من أعطى أربعاً لم يمنع من أربع من أعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطى التوبة
لم يمنع القبول ومن أعطى الاستغفارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب وقال
المغيرة بن شعبه اشكر من أنعم عليك وأنعم على من شكرك فإنه لا بقاء للنعم اذا كفرت ولا
زوال لها اذا شكرت وكان الحسن يقول ابن آدم متى تنفك من شكر النعمة وأنت
مرتب بها كلها شكرت نعمة تجدد ذلك بالشكر أعظم منها عليك فأنت لا تنفك بالشكر
من نعمة الا الى ما هو أعظم منها وروى أن عثمان بن عفان رضى الله عنه دعى الى أقوام
ليأخذهم على ريسة فاقتروا قبل أن يأخذهم عثمان فاعتق رقبة شكرا لله تعالى اذ لم
يجر على يديه فضيحة مسلم وروى أن عذلة قالت لسليمان بن داود عليه السلام يا بني الله
أنا على قدرى أشكر الله منك وكان را بكاء على فرس ذلول فخر عنه ساجد الله تعالى ثم قال لولا أنى
أجلك لسا لك أن تنزع منى ما أعطيتنى وقال صدقة بن يسار بينا داود عليه السلام
في صحرا به اذ مرت به دودة فتفكر في خلقها وقال ما يعبا الله بخلق هذه فأطلقها الله تعالى له
فقال يا داود تعجبك نفسك وأنا على قدر ما آتاني الله تعالى أذكرك الله وأشكره منك على
ما آتاك وقال على رضى الله عنه احذروا نهار النعم فما كل شارد مردود وعنه عليه
السلام اذا وصلت اليكم أطراف النعم فلا تنفروا اتصالها بقله الشكر وقيل اذا قصرت يدك
عن المكافاة فليطيل لسانك بالشكر وقال حكيم الشكر ثلاث منازل ضمير القلب ونشر
اللسان ومكانة اليد قال الشاعر

أفادتكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولسانى والضمير المحجبا

وقال ابن عائشة كان يقال ما أنعم الله على عبد نعمة فظلم بها الا كان حقا على الله تعالى أن
يزيلها عنه وأنشد أبو العباس بن عمارة في المعنى

أعارك ما له لتقوم فيه * بواجبه وتقضى بعض حقه

فلم تقصد لطاعته ولكن * قويت على معاصيه برزقه

وقال آخر

ولو أنى فى كل منبت شعرة * لسانا يطيل الشكر كنت مقصرا

وقال محمد بن حبيب الراوية اذا قل الشكر وخسر المثل وروى اذا جدحت الصبغة خسر
الامتنان وسئل بعض الحكماء ما أضيع الاشياء قال مطر الجود فى أرض شبيجة

لا ينجف ثراها ولا ينبت مرعاها وسراج لو قد في الشمس وجارية حسناء تزف الى أعشى وصنيعة
تسدى الى من لا يشكرها وقال عبد الأعلى بن حماد دخلت على المتوكل فقال يا أبا يحيى قد
هممت أن نصلك بخير قد افقته الامور فقلت يا أمير المؤمنين بلغني عن جعفر بن محمد الصادق أنه
قال من لم يشكر الله لم يشكر النعمة وأنشدته

لا شكرن لك معروف فاهمت به * فان همك بالمعروف معروف
ولا أولئك ان لم يعضه قدر * فالشكر بالقدر المحمود مصروف

وقال ابو فراس بن جردان

وما نعمة مكفورة قد صنعتها * الى غير ذى شكر تمنعني أخرى
سأتي جيلًا ما حيدت فاني * اذ لم أفدشكرا افدت به أجرا

وقال عرب بن الخطاب رضى الله عنه من امتطى الشكر بلغ به المزيد وقيل من جعل الحمد
خاتمة للنعمة جعله الله فاتحة للمزيد وقال ابن السماك النعمة من الله على عبده مجهولة
فاذا فقدت عرفت وقيل من لم يشكر على النعمة فقد استدى زوالها وكان يقال
اذا كنت النعمة وسمة فاجعل الشكر لها تيمية وقال حكيم لانصطنعوا ثلاثة التيميم فانه
بمنزلة الارض السبخة والفاحش فانه يرى ان الذي صنعت اليه انما هو لخافة فخسه
والاجق فانه لا يعرف قدر ما أسديت اليه واذا اصطنعت الكريم فازرع المعروف واحصد
الشكر ودخل أبو نجيعة على السفاح لينشده فقال ما عسيت أن تقول بعد قولك
لمسلة

أمسلة يا خسر كل خليفة * ويا فارس الدنيا يا جبل الارض
شكرتك ان الشكر دين على القتي * وما كل من أوليته نعمة يقضى
وأحييت لى ذكرى وما كان خاملا * ولكن بعض الذكرا تبسه من بعض

وسمعه الرشيد فقال هكذا يكون شعر الاشراف مدح صاحبه ولم يضع نفسه وعن نصر بن
سبار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهم ما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من أنعم
على رجل نعمة فلم يشكر له فدا عليه استجيب له ثم قال نصر اللهم انى أنعمت على بنى سام فلم
يشكروا اللهم اقلهم فقتلوا كلهم وعن علي بن الحسين رضى الله عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان المؤمن ليسبع من الطعام فيحمد الله تعالى فيعطيه من الاجر ما يعطى
الصائم القائم ان الله شاكر يحب الشاكرين وعن محمد بن علي ما أنعم الله على عبده نعمة فعلم انها
من الله الا كتب الله له شكرها قبل أن يحمده عليها ولا أذنب عبدا نفا فعلم أن الله قد اطلع
عليه ان شاء غفر له وان شاء أخذ به قبل أن يستغفره الا غفر الله له قبل أن يستغفره وأولى
رجل رجلا عرا بياخيرا فقال لا بل لك الله بلاء يعجز عنه صبرك وأنعم عليك نعمة يعجز عنها
شكرك وأنشد بعضهم وأجاد

سا شكر لا أنى اجازيك منعما * بشكرى ولكن كى يزاد لك الشكر

وأذكر أياما التي اصطفتها * وأخوما يتي على الشاكر الذكر

وقال آخر

أوليتي نعماً أبوح بشهـ كرها * وكفنتي كل الأمور بأسرها
فلا شكر لك ما حيت وإن امت * فلتشكرنك اعظمي في قبرها

وقال آخر

أيارب قد أحسنت عودا وبدأة * إلى فلم ينهض بأحسنك الشكر
فمن كان ذاعذرك لديك ورجة * فعذري أقراري بأن ليس لي عذر

وقال محمود الوراق

المهي لك الحمد الذي أنت أهله * على نعم ما كنت قتلها أهلا
إن ازددت تقصيرا تزدني فضلا * كافي بالتقصير أستوجب فضلا
وقد أحسن نصيب في وصف الثناء والشكر بقوله

فعاجوا واشتوا بالذي أنت أهله * ولو سكنوا أنت عليك الحقائق

وقال رجل من غطفان

الشكر أفضل ما حاولت ملتسا * به الزيادة عند الله والناس

وقيل أشكر المزمع عليك وأنعم على الشاكر لك تستوجب من ربك الزيادة ومن أخيك
المناسبة

(الفصل الثالث من هذا الباب في المكافأة) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فإن لم تقدرُوا فادعوا له ولما قدم وفد النخاشي على رسول
الله صلى الله عليه وسلم قام يخدمهم بنفسه فقبل له يارسول الله لو تركتنا كفيناك فقال
كانوا لا يحبان مكرمين وقبل أتى رجل من الأنصار إلى عرين الخطاب رضي الله عنه
فقال

أذكر منيبي إذا جالك ذو سقمه * يوم السقيفة والصديق مشغول

فقال عمر يا علي صوته أدن مني فدنا منه فاخذ بذراعه حتى استشفه الناس وقال ألا إن هذا
ودعني سفيا من قومه يوم السقيفة ثم جله على نجيب وزاد في عطائه وولاه صدقة قومه وقرأ
هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وقال رجل لسعيد بن العاص وهو أمير الكوفة يدي
عندك يضاء قال وما هي قال كبت بك فرسك فتقدمت اليك قبل غلامك فاخذت بعضدك
وأركبتك وأسقيتك ماء قال فإن كنت إلى الآن قال حجت عن الوصول اليك قل قد أمرنا
لك بما أتى ألف درهم وبما يملكه الحاجب اذ حجبك عنا وقال قطري بن النخاعة لخارجي سره
الحجاج ثم من عليه فأطلقه عاود قتال عدو الله فقال هيأت شديدا مطلقها وأرق رقة
معقها ثم قال

أأقاتل الحجاج عن سلطانه * يسد تقصيرا بانها مولاته

ماذا أقول اذا وقفت ازاءه * في الصف واحتجت له فقلاته
أقول جار علي لا اني اذا * لا حق من جارت عليه ولاته
وتحدث الاقوام ان مسنائها * غرست لدى فحفظت فخلاته

واجتاز الشافعي رحمه الله تعالى بمصر في سوق الحدادين فسقط سوطه فقام انسان فأخذه
ومسحه وناوله اياه فقال لعلامه كم معك قال عشرة ذنانير قال ادفعها اليه واعتذر له واستنشد
عبد الملك عامر الشعبي فأنشده لغير ما شاعر حتى أنشد لحسان

من سره شرف الحياة فلم يرزل * في عصبه من صالحى الانصار
البائعين نفوسهم لنبيهم * بالشرقى وبالقتل الخطار
الناظرين بأعين محجرة * كالجمر غير كهيئة الابصار

فقام أنصاري فقال يا أمير المؤمنين استوجب عامر الصلوة على له ستون من الابل
كما أعطينا حسان يوم قالها فقال عبد الملك وله عندي ستون ألفا وستون من الابل
وعن علي كرم الله وجهه أحسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم وقال المدايني رأيت
رجلا يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيت ما شيا في سفر فسالتهم عن ذلك فقال ركبت
حيث يمشى الناس فكان حقا على الله أن يرجلي حيث يركب الناس

ومما جاء في المكافاة ما حكى عن الحسن بن سهل قال كنت يوما عند يحيى بن خالد البرمكي
وقد خلا في مجلسه لاحكام أمر من امور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من
أصحاب الخوارج فقضاها لهم ثم توجهوا الشأنهم فكان آخرهم قياما أجدب أبي خالد الاحول
فنظريحي اليه والتفت الى الفضل ابنة وقال يا بني ان لا يبك مع ابى هذا الفقى حديثا فاذا
فرغت من شغلي هذا فذكرنى أحدتك به فلما فرغ من شغله وطعم قال له ابنة الفضل أعزك الله
يا أبى أمرنى أن أذكرك حديث أبى خالد الاحول قال نعم يا بني لما قدم أبوك من العراق أيام
المهري كان فقيرا لا يملك شيئا فاشتدبى الامر الى أن قال لى من فى منزلى ان انا قد كنتما نحنا وزاد
ضررنا ولنا اليوم ثلاثة أيام ما عندنا شئ نقتات به قال فبكيت يا بني لذلك بكاء شديدا وبقيت
ولها ن حيران مطرقا مفكرا ثم تذكرت مندبلا كان عندي فقلت لهم ما حال المندبيل فقالوا هو
باقى عندنا فقلت ادفعوه الى فأخذته ودفعته الى بعض أصحابي وقلت له بعه بما يتسرفباه بسبعة
عشر درهما فدفعتها الى أهلى وقلت أنفقوها الى أن يرزق الله غيرهما ثم بكرت من الغد الى باب
أبى خالد وهو يومئذ وزير المهدي فاذا الناس وقوف على داره ينتظرون خروجه فخرج عليهم
را بكا فلما رآنى سلم على وقال كيف حالك فقلت يا أبى خالد ما حال رجل يبيع من منزله بالأمس
مندبلا بسبعة عشر درهما فنظر الى نظرا شديدا وما أجابني جوابا فريحت الى أهلى كسير
القلب وأخبرت بما اتفق لى مع أبى خالد فقالوا بئس والله ما فعلت توجهت الى رجل كان
يرتضيك لا مرجل فلكشف له سرى وأطلعته على مكنون أمرى فأزريت عنده بنفesk وصغرت

عنده منزلتك بعد أن كنت عنده جلوسا خيرا إلى بعد اليوم الإبهذه العين فقلت قد قضى الأمر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد ~~جئت~~ كرت إلى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلني رجل فقال لي قد ذكرت الساعة بياب أمير المؤمنين فلم ألتفت لقوله فاستقبلني آخر فقال لي كقالة الأول ثم استقبلني حاجب أبي خالد فقال لي أين تكون قد امرني أبو خالد بالجلوسك إلى أن يخرج من عند أمير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآني دعاني وأمر لي بكر كوب فركبت وسرت معه إلى منزله فلما نزل قال علي بفلان وفلان الخناطين فأحضرا فقال لهما ألم تشتريا مني غلات السواد بثمانية عشر ألف درهم قال نعم قال ألم اشتط عليكم شركة رجل معكم قال لا بلى قال هو هذا الرجل الذي اشتطت شركته لكم أنتم قال لي قم معهما فلما خرجا قال لي ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك في أمر يكون لك فيه الربح الهنيء فدخلنا مسجدا فقالا لي أنك تحتاج في هذا الأمر إلى وكلاء وأمناء وكالين وأعاون ومؤن لم تعد درمنها على شيء فهل لك أن تبعنا شركتك بثلثي فقلت نعم به ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم تبدلنا في فقلا مائة ألف درهم فقلت لا أفعل فماذا لا يزيداني وأنا لا أَرْضَى إلى أن قال لي ثلثمائة ألف درهم ولا زيادة عندنا على هذا فقلت حتى أشاور أبا خالد فالأذلك فرجعت إليه وأخبرته فدعا بهما وقال لهما هل وافقتهما على ما ذكر قال نعم قال اذهبا فأقبضاه المال الساعة ثم قال لي أصلح أمرك وتها فقد قلدتك العمل فأصلحت شأنى وقلدتني ما وعدني به فما زلت في زيادة حتى صار أمرى إلى ما صار ثم قال لولده الفضل يا بني فما تقول في ابن من فعل بآييك هذا الفعل وما جزأوه قال حق لعمرى وجب عليك له فقال والله يا ولدى ما أجده لك مكافأة غير أنى أعزل نفسي وأوليه ففعل ذلك رضى الله عنه ~~وهو~~ كذا تكون المكافأة (ومن ذلك ما حكى) عن العباس صاحب شرطة المأمون قال دخلت يوما إلى مجلس أمير المؤمنين بين يغدادو بين يديه رجل مكبل بالحديد فلما رآني قال لي يا عباس قلت لبيك يا أمير المؤمنين قال خذ هذا اليك فاستوثق منه واحتفظ به وبكر به إلى في غدا واحترز عليه كل الاحتراز قال العباس فدعوت جماعة فحمله ولم يقدر أن يتحرك فقلت في نفسي مع هذه الوصية التي أوصاني بها أمير المؤمنين من الاحتفاظ به ما يجب إلا أن يكون معى في بيتي فأمرتهم فتركوه في مجلسى في دارى ثم أخذت أسأله عن فضيته وعن حاله ومن أين خوف قال أنا من دمشق فقلت جرى الله دمشق وأهلها خير من أنت من أهلها قال وعن تسأل قلت أتعرف فلانا قال ومن أين تعرف ذلك الرجل فقلت وقع لي معه قضية فقال ما كنت بالذى أعرفك خبره حتى تعرفني قضيت معه فقال ويحك كنت مع بعض الولاة بدمشق فبغى أهلها وخرجوا علينا حتى أن الولاة تدلى في زنبيل من قصر الحجاج وهرب هو وأصحابه وهرب في جملة القوم فبينما أنا هارب في بعض الدروب وإذا بجماعة يعدون خلقي فما زلت أعدو أمامهم حتى فتم فررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت أغنى أعانى الله قال لأبأس عليك ادخل اهـ فدخلت فقلت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما

شعرت والا وقد دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار فتشوها
ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامر أنه فيها فقلوا هو ههنا فصاحت بهم المرأة
ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وأنا قائم أرجف ما تحملى
رجلاى من شدة الخوف فقالت المرأة اجلس لأبأس عليك فجلست فلم ألبث حتى دخل
الرجل فقال لا تحف قد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شاء الله تعالى
فقلت له جزاك الله خيرا فما زال يعاشرنى أحسن معاشرة وأجلها وأفردى مكانا فى داره
ولم يحوجنى الى شئ ولم يشتر عن تفقد أحوالى فأقت عنده أربعة أشهر فى أرغد عيش وأهنية
الى ان سكنت الفتنة وهذأت وزال أثرها فقلت له أأنا ذنلى فى الخروج حتى أتفقد حال غلمانى
فلعلى أقف منهم على خبر فأخذ على الموائق بالرجوع اليه فخرجت وطلبت غلمانى فلم
أولهم اثر فارجعت اليه واعلمته الخبر وهو مع هذا كما لا يعرفنى ولا يسألنى ولا يعرف
اسمى ولا يحاطبنى الا بالكيفية فقال لى علام تعزم فقلت قد عزم على التوجه الى
بغداد فقال ان القافلة بعد ثلاثة ايام تخرج وها انا قد علمت لك فقلت له انك قد تفصلت على
هذه المدة ولك على عهد الله انى لا أنسى لك هذا الفضل ولا وفيتك مهما استطعت قال فدعا
غلاما له أسود وقال له أسرج الفرس القلانى ثم جهز الة السفر فقات فى نفسه اظن انه يريد
أن يخرج الى ضيعة له أو ناحية من النواحي فاقاموا يومهم ذلك فى كد وتعب فلما كان يوم
خروج القافلة جأنى فى السحر وقال لى يا فلان قم فان القافلة تخرج الساعة وأكره أن تنفرد
عنها فقلت فى نفسى كيف أصنع وليس معى ما تزود به ولا مأكرى به مر كوابهم فقاذا هو
وامر أنه يحملان بقعة من أفخر الملابس وخفين جديدين وآلة السفر ثم جأنى بسيف
ومنطقة فشدهما فى وسطى ثم قدتم بغلا غمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ودفع الى
نسخة مافى الصندوقين وفيهما خمسة آلاف درهم وقدتم الى الفرس الذى كان جهزه
وقال أركب وهذا الغلام الاسود يخدك ويسوس مر كوكبك وأقبل هو وامر أنه
يعتذر ان الى من التقصير فى أمرى وركب معى يشيعنى وانصرفت الى بغداد وأنا أتوقع خبره
لانى به هدى له فى مجازاته وكافأته واشتغلت مع أمير المؤمنين فلم أتفرغ أن ارسل اليه من
يكشف خبره فلم هذا أنا أسأل عنه فلما سمع الرجل الحديث قال لقد أمكنك الله تعالى من
الوفاء له ومعك كافأته على فعله ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ولا مؤنة تلزمك فقلت
وكيف ذلك قال أنا ذلك الرجل وانما الضرب الذى أنا فيه غير عليك حالى وما كنت تعرفه منى
ثم لم يزل يذكر لى تفاصيل الاسباب حتى اثبت معرفته فاعتما لك أن قت وقبلت رأسه ثم
قلت له فى الذى اصارك الى ما أرى فقال حاجت به مشقة مثل الفتنة التى كانت فى أيامك
فنسبت الى وبعث أمير المؤمنين بيموش فأصلحوا البلد وأخذت أنا وضربت الى أن أشرفت
على الموت وتمتد وبعث بى الى أمير المؤمنين وأمرى عنده عظيم وخطبى لدية جسيم
الوجه فأتى لى لالحالة وقد أخرجت من عند أهلى بلا وصية وقد سعى من غلمانى من ينصرف الى
اهلى بخبرى وهو نازل عند فلان فان رأيت أن تجعل من مكافأته لى ان ترسل من يحضره لى

حتى أوصيه بما أريد فان أنت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافأة وقت لي بوفاء عهدك
قال العباس قلت يصنع الله خيرا ثم أحضر حدا في الليل فك قيوده وأزال ما كان فيه من
الانكسار وأدخله حمام داره وألبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم سهر من أحضر اليه غلامه
فلما رآه جعل يبكي ويومض به فاستدعى العباس نائبه وقال علي بالقرس الفلاني والقرس
الفلاني والبغل الفلاني والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشرة من الصناديق ومن
الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل وأحضر لي بدرة عشرة آلاف
درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه في الشرطة خذ هذا الرجل وشيعة الى
حد التبار فقلت له ان ذنبي عند أمير المؤمنين عظيم وخطي جسيم وان أنت احتجبت بأني
هربت بعث أمير المؤمنين في طلبي ككل من علي بابة فارزة وأقتل وقال لي اني بنفسك ودعني
أدبر أمري فقلت والله لأأبرح من بغداد حتى أعلم ما يهـ ككون من خبرك فان احتجبت الى
حضورى حضرت فقال لصاحب الشرطة ان كان الامر على ما يقول فليكن في موضع كذا
فان أنا سلت في غداة غد أعلمته وان أنا قتلت فقد وقيت بنفسي كما وقاني بنفسه وأنشدك
الله أن لا يذهب من ماله درهم ويتجهد في اخراجه من بغداد قال الرجل فاخذني صاحب
الشرطة وصبرني في مكان أثق به ونفرت عـ العباس لنفسه وتحنط وجهه كفنا قال
العباس فلم أفرغ من صلاة الصبح الا ورسـ المأمون في طلبي يقولون يقول لك أمير المؤمنين
هات الرجل معك وقم قال فتوجهت الى دار أمير المؤمنين فاذا هو جالس وعليه ثيابه وهو
ينظرنا فقال أين الرجل فسكت فقال ويحك أين الرجل فقلت يا أمير المؤمنين اسمع مني
فقال الله علي عهد لئن ذكرت انه هرب لأضرب عنقه فقلت لا والله يا أمير المؤمنين
ما هرب وإنما كنت اسمع حديثي وحديثه ثم شئت وما تريد أن تفعله في أمري قال قل فقلت
يا أمير المؤمنين كان من حديثي معه كبت وكبت وقصصت عليه القصة جميعها وعزفته اني
أريد أن أفي له وأكافئه على ما فعله معي وقلت أنا وسيدى ومولاى أمير المؤمنين بن أمرين
أما أن يصفع عني فأكون قد وفيت وكافأت وأما أن يقتلني فأقبح بنفسى وقد تحنطت وها
كفنى يا أمير المؤمنين فلما سمع المأمون الحديث قال وبك لأجزاك الله عن نفسك خيرا
انه فعل بك ما فعل من غير معرفة وتكافئه بعد المعرفة والعهد بهذا لا غير هـ لا عرفنى خبره
فكانه كافئه عندك ولا نقصر في وفائك له فقلت يا أمير المؤمنين انه هـ ما قد حلف أن لا يبرح
حتى يعرف سلامتى فان احتجبت الى حضوره حضر فقال المأمون وهذه مئة أعظم من
الاولى اذهب الا ان اليه قطيب نفسه وسكن روعه واثق به حتى أتولى مكافأته قال
العباس فأتيت اليه وقلت له ليزل خوفك ان أمير المؤمنين قال كبت وكبت فقال الحمد لله
الذى لا يحمد على السراء والضراء سواء ثم قام فصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل بين
يدى أمير المؤمنين أقبل عليه وأدناه من مجلسه وحده حتى حضر الغداء وأكل معه
وخلع عليه وعرض عليه أعمال دمشق فاستعفى فأمر له المأمون بعشرة أفراس
بسر وجها ولجها وعشرة أبقال بالآتها وعشر بدر وعشرة آلاف دينار وعشرة كهـ
بدوا بهم وكتب الى عامله بدمشق بالوصية به واطلاق خراجه وأمره بمكافئته بالحوال

دمشق فصارت كتبه تصل الى المأمون وكلما وصلت خريطة الديريد وفيها كتابه
يقول لي يا عباس هذا كتاب صديقك والله تعالى أعلم * ومن عجائب هذا الاسلوب وغرائب
ما أورده محمد بن القاسم الانباري رحمه الله تعالى أن سوارا صاحب رجة سوار وهو من
المشهورين قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدي فلما دخلت منزلي دعوت بالطعام
فلم تقبله نفسي فأمرت به فرفع ثم دعوت جارية كانت أحبها وأحب حديثها وأشتغل
بها فلم تطب نفسي فدخل وقت القائلة فلم يأخذني النوم فنهضت وأمرت ببيغلة لي
فأسرجت وأحضرت فركبتها فلما خرجت من المنزل استقبلني كليل ومعها مال
فقلت ما هذا فقال ألفادهم جيتهم من مستغلك الجدي قلت أمسكها معك واتبعني
فأطلقت رأس البغلة حتى عبرت الجسر ثم مضيت في شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى
الصвра ثم رجعت الى باب الانبار وانتهيت الى باب دار نظيف عليه شجرة وعلى الباب
خادم فعطشت فقلت للخادم أعنيك ما تسقيني قال نعم ثم دخل وأحضر قلة نظيفة
طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت العصر فدخلت مسجدا على
الباب فصليت فيه فلما قضيت صلاتي اذا أنا بأعشى يلتمس فقلت ما تريد يا هذا قال اياك أريد
قلت فما حاجتك جاء حتى جلس الى جاني وقال شمت منك رائحة طيبة فظننت أنك من
أهل النعم فأردت أن أحتك بشي فقلت قل قال ألا ترى الى باب هذا القصر قلت نعم قال
هذا قصر كان لابي فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه فزالت عنا النعم التي كنا
فيها وبعيت فقدمت هذه المدينة فأتيت صاحب هذه الدار لاسأله شيأ يصلني به وأتوصل
الى سوار فانه كان صديقا لابي فقلت ومن أبوك قال فلان ابن فلان فعرفته فاذا هو كان
من أصدق الناس الى فقلت له يا هذا ان الله تعالى قد أنالك بسوار منعه من الطعام والنوم
والقرار حتى جاء به فأقعه بين يديك ثم دعوت الوكيل فأخذت الدراهم منه فدفعها اليه
وقلت له اذا كان الغد فسر الى منزلي ثم مضيت وقلت ما أحدثت أمير المؤمنين بشي
أطرف من هذا فأنتبه فاستأذنت عليه فأذن لي فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لي فأعجبه
ذلك وامرني بالتي دينار فأحضرت فقال ادفعها الى الاعشى فمضت لا قوم فقال
اجلس فجلس فقال اعليك دين قلت نعم قال كم دينك قلت خمسون ألفا فحدثني ساعة
و قال امض الى منزلك فمضيت الى منزلي فاذا بجنادم معه خمسون الفا وقال يقول لك أمير المؤمنين
اقض بها دينك قال فقبضت منه ذلك فلما كان من الغد أبطأ على الاعشى وأتاني رسول
المهدي يدعوني فجيئته فقال قد فكرت البارحة في أمرك فقلت يقضى دينه ثم يحتاج الى
القرض أيضا وقد أمرت لك بخمسين ألفا أخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاءني الاعشى
فدفعتم اليه الاثني دينار وقلت له قد رزقك الله تعالى بكرمه وكافأك على احسان أباك
وكافاني على اسداء المعروف اليك ثم أعطيته شيأ آخر من مالي فاخذه وانصرف والله سبحانه
وتعالى أعلم
(ومحمد بن أوضع حسنا وأرج معنى) ما حكاها القاضي يحيى بن أكرم رحمه الله عليه قال

دخلت يوما على الخليفة هرون الرشيد ولد المهدي وهو مطرق مفكر فقال لي أتعرف
فائل هذا البيت

الخير أبتى وإن طال الزمان به * والشر أخبت ما أوعيت من زاد

فقلت يا أمير المؤمنين إن لهذا البيت شأنا مع عبيد بن الأبرص فقال علي - بعبيد فلما حضر بين
يديه قال له أخبرني عن قضية هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت في بعض السنين حاجا فلما
توسط البادية في يوم شديد الحر سمعت ضجعة عظيمة في القافلة ألحقت أولها بأخرها فسألت عن
القصة فقال لي رجل من القوم تقدم ثم بالناس فتقدمت إلى أول القافلة فإذا أنا بشجاع
أسود فاغرقاه مكا الجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كغناء البعير فيها إلى امره وبقيت
لأهتدي إلى ما أصنع في أمره فعدلتنا عن طريقه إلى ناحية أخرى فعارضنا ثابيا فعلمت أنه
لسبب ولم يحسم أحد من القوم أن يقربه فقلت أفدى هذا العالم بنفسى وأقرب إلى الله تعالى
بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء فتقلدتها وسللت سبقي وتقدمت
فلما رأيت قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يتلعبني فيها فلما رأيت القربة فتحت فاه فجعلت
فم القربة في فيه ومسبت الماء كما يصب في الاناء فلما فرغت القربة تسبب في الرمل
ومضى فتعجب من تعرضه لنا وانصرافه عننا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحننا ثم عدنا
في طريقنا ذلك وحططنا في منزلتنا تلك في ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيئا من الماء وعدلت
إلى ناحية عن الطريق فوضيت حاجتي ثم توضأت وعلبت وجلست أذكر الله تعالى فأخذتني
عيني فمت مكاني فلما استيقظت من النوم لم أجده للقافلة حسا وقد ارتحلوا وبقيت منقردا لم
أرأ أحدا ولم أهتد إلى ما أفعله وأخذتني حيرة وجعلت أضطرب وإذا بصوت هاتف أسمع صوته
ولا أرى شخصه يقول

يا أيها الشخص المضل هر كبه * ما عنده من ذي رشاد يعجبه

دونك هذا البكر منا تركبه * وبكرك الميمون حقا تجنبه

حتى إذا ما الليل زال غيبه * عند الصباح في القلانس يبه

فظنرت فإذا أبا بكر قائم عندي وبكري إلى الجاني فأخنته وركبته وجذبت بكري فلما سرت قدر
عشرة أميال لاحت إلى القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت أنه قد حان نزولي فتعولت إلى
بكري وقلت

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب * ومن هموم تضل المدالج الهادي

الا تخسبرني بالله خالقنا * من ذا الذي جاد بالمعروف في الوادي

وارجع جيدا فقد بلغتنا مننا * بوركت من ذي سنام رائج غادي

فالتفت البكر إلى وهو يقول

أما الشجاع الذي ألفيتني رمضا * والله يكشف ضر الحائر الصادي

فجئت بالماء لما ضنت حمله * تكثرنا منك لم تخن بأنك كادي

فأخيرا أبتى وإن طال الزمان به * والشر أخبت ما أوعيت من زاد

بهذا جبراً ولا مئلاً آمين به * فاذهب جمدار عالى الخالق الهادى
فحجب الرشيد من قوله وأمر بالقصة والايات ~~فكتبت~~
عنه وقال لا يضيع المعروف أين وضع * والله
سبحانه وتعالى أعلم بالصواب واليه
المرجع والمآب

تم الجزء الاول ويليه الثانى اوله الباب الثالث والاربعون

